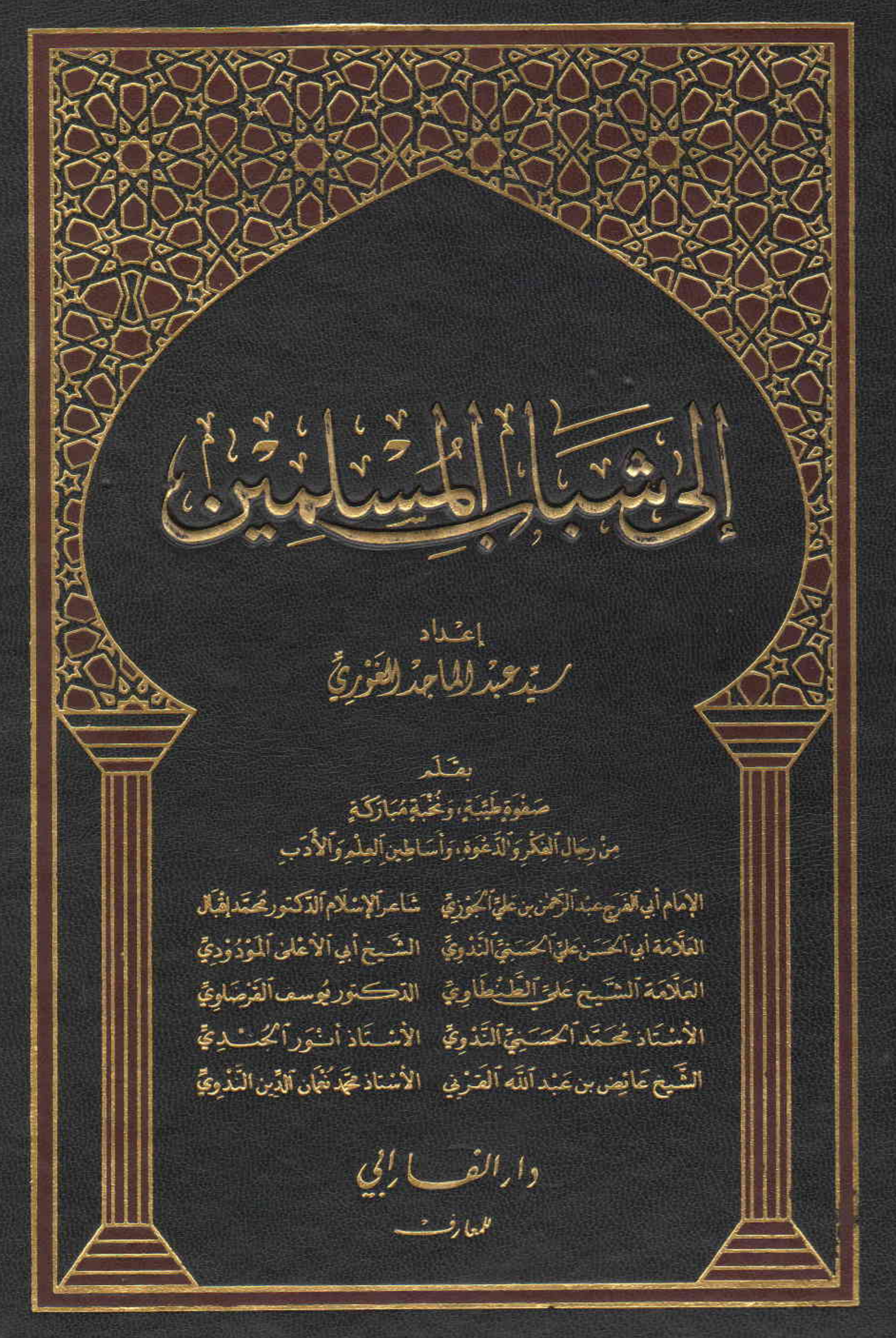
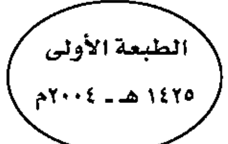

إلى شباب المسلمين
إعداد
سيد عبد الماجد الغوري
بقلم
صفوة طيبة، ونخبة مباركة
من رجال الفكر والدعوة، وأساطين العلم والأدب
الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال
العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي
الشيخ أبي الأعلى المودودي
العلامة الشيخ علي الطنطاوي
الدكتور يوسف القرضاوي
الأستاذ محمد الحسني الندوي
الأستاذ أنور الجندي
الشيخ عائض بن عبد الله القرني
الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي
دار الفارابي
للمعارف

إلى شباب المسلمين!

العنوان: إلى شباب المسلمين

إعداد: سيد عبد الماجد الغوري

عدد الصفحات: ٤٣٦





طباعة - نشر - ترجمة

سورية. دمشق. حلبوني. شارع مسلم البارودي.

ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦

www.daralfarabi.com

إعداد
سيّد عبد الماجد الغوريّ

شعارنا الوحيد   إلى الإسلام من جديد



بقلم
صفوةٍ طيّبةٍ، ونُخبةٍ مُباركةٍ
مِنْ رِجالِ الفكْرِ والدّعْوةِ، وأساطينِ العِلْمِ والأدبِ

الإمام أبي الفرج عبد الرّحمن بن عليّ الجوْزيّ — شاعر الإسلام الدّكتور محمّد إقبال
العلّامة أبي الحسن عليّ الحسنيّ النّدْويّ — الشّيخ أبي الأعلى المودُوديّ
العلّامة الشّيخ عليّ الطّنْطاويّ — الدّكتور يُوسف القرضاويّ
الأستاذ محمّد الحسنيّ النّدْويّ — الأستاذ أنْور الجُنْديّ
الشّيخ عائض بن عبد الله القرْنيّ — الأستاذ محمّد نُعمان الدّين النّدْويّ

دار الفارابي
للمعارف


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الكتاب

الحمدُ لله ربِّ العالَمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد الأوَّلِيْن والآخِرين: مُحَمَّد بن عبد الله الأمين، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الخِيَرَةِ وأصحابِه الْبَرَرَةِ أجمعين، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد! فإنه يُسعِدني أن أقدِّم إلى شباب المسلمين صفوةً نفيسةً من المقالات الهادفة والرسائل القيمة لنخبةٍ مباركةٍ من أعلام الأمة الإسلامية، وكوكبةٍ متألِّقةٍ من كبار العلماء، وأساطينِ العِلْم والأدب، ورجالِ الفِكْر والدَّعْوَة من أمثال: الإمام الواعظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي الجَوْزي، وشاعر الإسلام الدكتور محمَّد إقبال، والمفكِّر الإسلامي الأستاذ أبي الأعلى المودودي، والداعية المربِّي الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي، والكاتب الإسلامي الأستاذ محمَّد الحسني، والأديب الأريب الشيخ علي الطَّنْطَاوي، والداعية الفقيه الدكتور يوسف القرضاوي، والكاتب الموسوعي الأستاذ أنور الجندي، والعالِم الداعية الدكتور عائض بن عبد الله القرني وغيرهم، الذين جادتْ بها أقلامُهم بين الآوِنَة والأخرى نُصْحاً ووَعْظاً لشباب المسلمين.

كنتُ وقفتُ على هذه المقالات المفيدة النافعة أثناء قراءتي لكتب هؤلاء أيامَ دراستي، فرأيتُ أن أُفرِدها في كتابٍ مستقلٍّ لِما وجدتُ فيها الكثيرَ من النصائح القيمة والتوجيهات السديدة، التي تُنير لهم طريقَ الحياة، وتُحيي قلوبَهم، وتُنعِش أرواحَهم ليكونوا من طِراز الفِتْيَةِ الذين وَصَفهم اللهُ تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وكما قمتُ في آخِر هذا الكتابِ بإعداد دليلٍ يُساعِدهم على حُسْن انتقاء الكتب المفيدة في موضوعات متنوّعة من الثقافة الإسلامية، والتي ينبغي لهم مطالعتها لتهذيب الأخلاق وتأديب النفس وتغذية العقل وتنمية الفكر.

أسأل اللهَ تعالى أن يتقبَّل مني هذا المجهودَ المتواضعَ، ويكتب له القبولَ الحسنَ، ويعمِّم نفعَه، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وآخِرُ دعواي أن الحمد لله ربّ العالَمين.

كتبَهُ المعتزُّ بالله تعالى

سيد عبد الماجد الغوري

حيدرآباد ١١/ رجب ١٤٢٢هـ

٢٨/ أيلول ٢٠٠١م

تمهيد
أهمية الشباب في الحياة والمجتمع

يتمتَّع الشبابُ بمكانة عالية ، ويظهر نشاطُهم في البيت والأسرة ، وفي المدرسة والجامعة ، وفي المجتمع والأمة ، ويأتي الحديثُ عنهم في قِمَّة البحوث الاجتماعية ، والأولويات التربوية ، ويظهر ذلك في النقاط التالية :

١ ـ إنَّ مرحلة الشباب أهم المراحل الأساسية في حياة الإنسان ، وتتبوَّأ واسطة العقد ، وتبدأ من البلوغ ، وتمتد تقريباً إلى الثلاثين من العُمر ، قال النووي : «الشباب جمع شاب ، يُجمع على شُبان وشبيبة ، والشاب عن أصحابنا من بلغ ، ولم يجاوزِ الثلاثين سنة»[١] .

والشباب في اللغة : من شبّ ، وهذه اللفظة تدلُّ على الفُتُوَّة والقوة ، والنشاط والحركة ، والحسن والارتفاع ، والزيادة والنماء ، ومنها الشباب والشبان والشبِيبة[٢] .

٢ ـ إنَّ مرحلة الشباب هي ربيع عمر الإنسان الزاهر ، فالصغير في الطفولة والفتوة يتطلع إلى بُلوغ الشباب ، ويرمق إليها بإجلال وإكبار ، وإنها الهدف والغاية ، وأنها الأمل المشرق في مستقبله ، والشباب يحس بذاته في هذه المرحلة ، وينتشي بها ، ويشعر أنه اكتملَ في النضج ، وصار له كَيان في الحياة ، واحتل مركزه في المجتمع ، والكهل أو الشيخ ينظر إلى مرحلة الشباب نظرة محبة وتقدير ، وأنها ماض وضيء ، وتراث مفقود ،

---

(١) شرح صحيح مسلم : ٩/ ١٧٣ .

(٢) القاموس المحيط ومعجم مقاييس اللغة (شبب) .

يتحسر عليه ، ويندم على ما فاته فيه ، يناغمه ويُدغدغه ، ويتغنى فيه ، ويُردِّد قول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً ... فأخبره بما فعل المَشِيب

٣ - يتمتَّع الشباب بطاقة هائلة ، وقُدرات جبارة ، وحيوية فريدة ، وفعالية متحركة ، ونشاط دائم ، وتفتح متقد.

كما يتمتع بالنَّضارة التي تمنح المجتمعَ جماله وابتسامته وإشراقه ، وتغرس فيه الأمل والطموح والتفاؤل.

٤ - يمثِّل الشباب عدة الحاضر ، وأمل المستقبل ، وهم عماد الأمة ، وريحانة الدولة ، وذخيرة الوطن ، وزهرة الشعوب ، وهم العصب الفعَّال ، والدم الحار الذي يتدفق في العروق ، ويبعث فيها القوة ، وعلى أكتافهم تُبنى الحضارات ، وتقام الصروح ، وبعقولهم المستنيرة ترتقي المعارف ، وتظهر المخترعات ، ويتوقَّفُ على نشاطهم تحقيق الآمال الجسام.

وقد أثبتَ التاريخُ أن دعوات الإصلاح وثورات التحرر ، ومحاربة الظلم والطغيان ، قامت على أيدي الشباب ، وكانوا في الصف الأول مع المصلح والداعية ، والنَّبي والرَّسول ، والمفكِّر والمربِّي ، وهم حَملة المشاعل المضيئة ، وبناة النهضات ، والقائمون على تجديد صور الحياة ، وتغيير سير التاريخ ، وإقامة عمد المجتمع ، وتغلي في دم الشباب روح الثورة.

٥ - يُسيطِر على الشباب العواطف الجامحة ، والشهوات الغريزيّة التي تبلغ أوجها ، بينما يكون النُّمو العقلي والفكري في بداية الطريق أو منتصفه ، كما تظهر في مرحلة الشباب عدة مظاهر ، تُميِّزها من غيرها ، مثل الزهوّ وحب الظهور ، ومحاولة إثبات الذات ، والكِبْرياء والغرور ، والميل إلى مخالفة المألوف من التقاليد والعادات والآداب ، أو التمسُّك بها عقيدة وسلوكاً ، والسَّعْي إلى الخروج على تحركات المجتمع الرتيبة ، ويظهر على الشباب المرحُ ، وحُبُّ اللهو ، وعدم المبالاة بعواقب الأمور ، واللجُوء إلى القوة المادية على الفكر والعقل ، والمنطق والروية ، ويصدر

من الشباب التهوُّر والجموح ، مع السطحية غالباً في معرفة الأمور ، ومعالجتها ، كما يتسم الشباب بالطموح والتضحية ، والفداء وإنكار الذات[1].

* * *

(١) من «الإسلام والشباب» للدكتور محمد الزحيلي ، ص: ١٥ ـ ١٨ ، طبع دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، عام ١٤١٤ هـ.

وصايا وتوجيهات إلى الشباب المسلم

اقرأ وتدبر واعمل

وَرْد المحاسبة: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1].

* هل أدَّيتَ الصلاة؟ إذا لم تكن فقُمْ وأدِّها مخافةَ أن يُهاجِمك الموتُ.

* كم وقتاً أدَّيْتَه في جماعة؟ إنَّ الرَّسول ﷺ كان يصلِّي في جماعة أثناء الحرب فما بَالُكَ بالسِّلْم.

* هل كانت صَلاتُك محلاة بالخُشوع؟ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2].

* هل أحسنتَ إلى والديك أحياءً وأمواتاً؟ يقول الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

ويقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[4].

* هل اعتذرتَ إلى ربِّك بتوبةٍ صادقةٍ؟

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ..﴾[5].

* * *

---

(١) سورة الإسراء: ١٤.
(٢) سورة المؤمنون: ١ ـ ٢.
(٣) سورة لقمان: ١٤.
(٤) سورة النساء: ٣٦.
(٥) سورة التحريم: ٨.

الوصايا العشر :

* قُمْ إلى الصَّلاة متى سمعتَ النِّداء مهما تكن الظروفُ .

* اتْلُ القرآنَ أو طَالِعْ أو اسْتَمِعْ أو اذْكُرْ الله ولا تصرف جُزْءاً من وقتِك في غير فائدة .

* اجتهدْ أن تتكلم العربيةَ الفصحىٰ فإنَّ ذلك من شِعار الإسلام .

* لا تُكثِرِ الجدل في أيِّ شأنٍ من الشُّؤونِ أيّاً كان فإن المراء لا يأتي بخير .

* لا تُكثِرِ الضِّحْكَ فإن القلب الموصول بالله سَاكِنٌ وقورُ .

* لا تمزَحْ فإن الأمَّة المجاهدةِ لا تعرف إلا الجِد .

* لا تَرْفَعْ صوتَك أكثر مما يحتاج إليه السَّامِعُ فإنه رَعُوْنَةٌ وإيذاءٌ .

* تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئاتِ ولا تتكلَّم إلا بخير .

* تعرَّفْ إلى من تلقاه من إخوانك وإن لم يطلب إليك ذلك ، فإن أساس دعوتنا الحُب والتعارف .

* الواجبات أكثر من الأوقات فعَاوِنْ غيرك على الانتفاع بوقته وإن كان لك مهمة فأوْجِزْ في قضائها .

* * *

هذه سبيلي :

أعتقِدُ: أن الأمر كلَّه لله ـ وأن سيِّدنا محمداً ﷺ خَاتِم رسله للناس كافةً ، وأن الجزاء حقٌّ ، وأن القرآن كتاب الله ، وأن الإسلام قانون شامل لنظام الدنيا والآخرة.

وأتعهَّدُ: بأن أُرتِّب على نفسي حزباً من القرآن الكريم وأن أتمسَّك بالسنَّة المطهرة ، وأن أدرس السيرةَ النبويةَ وتاريخَ الصحابة الكرام.

أعتقد: أن الاستقامة والفضيلة والعلم من أركان الإسلام.

وأتعهد: بأن أكون مستقيماً أؤدِّي العبادات وأبتعد عن المنكرات ، فاضلاً أتحلّىٰ بالأخلاق الحسنة ، وأتخلَّى عن الأخلاق السيئة وأتحرى العادات الإسلامية ما استطعت ، وأوثر المحبة والود على التحاكم والتقاضي ، فلا ألجأُ إلى القضاء إلا مضطراً ، وأعتزُّ بشعائر الإسلام ولغته ، وأعمل على بثِّ العلوم والمعارف النافعة في طبقات الأمة.

أعتقد: أن المسلم مطالب بالعمل والتكسُّب ، وأن في مالِه الذي يكسبه حقاً مفروضاً للسائل والمحروم.

وأتعهَّد: بأن أعمل لكسب عيشي وأقتصد لمستقبلي وأؤدِّي زكاة مالي وأخصِّص جزءاً من إيرادي لأعمال البر والخير ، وأشجِّع كل مشروع اقتصاديٍّ إسلاميٍّ نافعٍ ، وأقدِّم منتجات بلادي وبني ديني ووطني ولا أتعاملُ بالربا في شأنٍ من شؤوني ، ولا أتورَّط في الكماليات فوق طاقتي.

أعتقد: أن المُسلم مسؤولٌ عن أسرته وأن مِن وَاجبِهِ أن يحافظ على صحتها وعقائدها وأخلاقها.

وأتعهَّد: بأن أعمل لذلك جُهدي وأن أبثَّ تعاليم الإسلام في أفراد أسرتي ، ولا أدخل أبنائي أية مدرسة لا تحفظ عقائدهم وأخلاقهم ، وأقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التي تناوىء تعاليم الإسلام.

أعتقد: أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شُعوبه وإعادة تشريعه وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الإسلام.

وأتعهَّد: بأن أُجاهد في سبيل أداء هذه الرسالة ما حييت، وأضحِّي في سبيلها بكل ما أملكُ.

أعتقد: أن المسلمين جميعاً أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعاً.

وأتعهَّد: بأن أبذل جُهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفِرقهم.

أعتقد: أن السِّرَّ في تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون[1].

* * *

(١) من «المأثورات» للإمام الشهيد حسن البنا.






رسالة إلى ولدي

للإمام الحافظ أبي الفرج

عبدالرحمن بن علي الجوزي




ترجمة
الإمام ابن الجوزي

هو الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف..

وُلد سنة ٥٠٨ هـ. وخير أخبار عن طلبه للعلم وجدّه فيه، ما أخبر به عن نفسه في هذه الرسالة، فاقرأه.

كان ـ رحمه الله ـ مع إتقانه لعلوم كثيرة منها التفسير، والفقه، والحديث، والتاريخ، والطب، وغيرها إلا أنه كانت له اليد الطولىٰ في الوعظ والتذكير.

قال الحافظ الذهبي: «وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظمَ الرائق، والنثر الفائق بديعاً، ويُسهِب ويُعجب، ويُطرِب ويُطنب، لم يأتِ قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النُّفوس»[1].

امتُحِن في آخر عمره، وحُمل إلى واسِط، فحبس بها في بيتٍ خمس سنين، وكان يطبخ ويغسل ثوبه، ويخدم نفسه.

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٦٧.

توفِّي في داره بقَطُفْتَا عام ٥٩٧ هـ ، وغلِّقت الأسواقُ يوم وفاته[1]. فرحمة الله عليه وعلى أئمَّة المسلمين أجميعن. آمين.

وله مصنفات كثيرة نافعة ، وكلها مطبوعة ، ومنها:

١ ـ الموضوعات.

٢ ـ زاد المسير.

٣ ـ صفة الصفوة.

٤ ـ تلبيس إبليس.

٥ ـ المدهش.

٦ ـ صيد الخاطر.

٧ ـ مناقب أبي بكر.

٨ ـ مناقب عمر.

٩ ـ مناقب علي.

١٠ ـ المذهب في المذهب.

١١ ـ الناسخ والمنسوخ.

١٢ ـ الواهيات.

١٣ ـ الضعفاء.

١٤ ـ العلل المتناهية.

١٥ ـ المنتظم في التاريخ.

* * *

---

(١) «الأعلام» للزركلي ، ٣/٣١٦ ـ ٣١٧.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنشأ الأبَ الأكبر من تراب ، وأخرج ذريتَه من الترائب[1] والأصلاب ، وعضَّد[2] العشائرَ بالقرابة والأنساب ، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب ، وأحسن التربيةَ في الصغر ، وحفظ في الشباب ، ورزقنا ذريةً نرجو بهم وفور الثواب .

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[3] .

أما بعد: فَإني لما عرفتُ شرف النكاح وفضل الأولاد ، ختمت ختمة ، وسألت الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد ، فرزقني إيَّاهم ، فكانوا خمسة ذكوراً وخمسة إناثاً ، فمات من الإناث اثنتان ، ومن الذكور أربعة ، ولم يبق لي من الذكور سِوى ولدي أبي القاسم ، فسألتُ الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح ، وأن يبلغني فيه المنى والمناجح .

ثم رأيتُ منه نوع توانٍ عن الجِدِّ في طلب العلم ، فكتبتُ إليه هذه الرسالة ، أحثُّه بها على طلب العلم ، وأحرِّكه على سلوك طريقي في كسب العلم ، وأدلُّه على اللجء إلى الموفّق سبحانه ، مع علمي بأنه لا خاذلَ لِمنْ

---

(١) «الترائب»: عِظام الصدر مما يلي التَّرْقُوَتَيْن. الواحدة: تَرِيبة.

(٢) «عضّد»: قوّى.

(٣) سورة إبراهيم: ٤٠ ـ ٤١ .

وَفّق ، ولا مُرْشِد لمن أُضِل ، لكن قد قال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾[2] .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

ضرورة التفكر وإعمال العقل:

اعْلَمْ يا بُنَيَّ ـ وفَّقك الله ـ أنه لم يميِّز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه ، فاستحضر عقلك ، وأعمل فكرك ، واخلُ[3] بنفسك ، تعلّم بالدليل أنك مخلوق مُكلَّف ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها ، وأن المَلَكَيْن عليهما السلام يحصيان ألفاظَك ونظراتِك ، وأن أنفاس خُطواتك إلى أجلك ، ومقدار اللبث في الدنيا قليل ، والحبس في القبور طويل ، والعذاب على موافقة الهوى وبيل ، فأين لذَّة أمس؟! قد رحلتْ وأبقتْ ندماً ، وأين شهوة النفس؟! كم نكّست رأساً ، وأزلت قدماً.

وما سَعِدَ مَنْ سعد إلا بمخالفة هواه ، ولا شَقِيَ من شقي إلا بإيثار دُنْياه ، فاعتبرْ بمن مضى من الملوك والزُّهاد ، أين لذة هؤلاء ، وأين تعب أولئك؟! بقي الثواب الجزيل والذكر الجميل للصالحين ، والمقالة القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين ، وكأنه ما شبع من شبع ، ولا جاع من جاع.

والكسل عن الفضائل بِئْس الرفيق ، وحُب الراحة يورث من الندم ما يربو[4] على كل لذة ، فانتبه واتعب لنفسك ، واعلم: أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم ، فمتى تعدَّى الإنسان فالنار النار.

ثم اعلم: أنَّ طلب الفضائلِ نهاية مراد المجتهدين ، ثم الفضائل تتفاوتُ ، فمن الناس من يرى الفضائلَ الزهدَ في الدنيا ، ومنهم من يراها

---

(١) سورة العصر: ٣.
(٢) سورة الأعلى: ٩.
(٣) «اخل» انفرد ، وتجرَّد ، وتفرَّغ.
(٤) «يربو»: يزيد.

التشاغلَ بالتعبُّدِ ، وعلى الحقيقة فليست الفضائلُ الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل ، فإذا حُصِّلا رَفَعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه ، وحرّكاه إلى محبّته وخشيته والشوق إليه ، فتلك الغاية القصوى ، وعلى قَدْر أهل العزم تأتي العزائمُ[1] ، وليس كل مريد مراداً ، ولا كل طالب واجداً ، ولكن على العبد الاجتهاد ، وكلّ ميسر لما خُلق له . والله المستعان .

[معرفة الخالق بالدليل]

وأوّلُ ما ينبغي النظرُ فيه في معرفة الله تعالى بالدليل ، ومعلوم أن مَن رأى السماءَ مرفوعة ، والأرض موضوعة ، وشاهد الأبنيةَ المحكمة ، خصوصاً في جسد نفسه ، عَلِمَ أنه لا بُدَّ حينئذ للصنعة من صانع ، وللمبني من بانٍ ، ثم يتأمل دليل صدق الرسول ﷺ إليه ، وأكبر الدلائل : القرآن ؛ الذي أعجز الخلقَ أن يأتوا بسورة مثله .

فإذا ثَبَتَ عنده وجودُ الخالق ، وَصِدْقُ الرسول ﷺ ، وجب تسليم عِنانه إلى الشرع ، فمتى لم يفعل ، دلَّ على خلل في اعتقاده .

ثم ينبغي له أن يعرف ما يجب عليه من الوضوء ، والصلاة والزكاة ـ إن كان له مال ـ والحج ، وغير ذلك من الواجبات ، فإذا عرف قدر الواجب ، قام به .

فينبغي لذِي الهِمَّة أن يترقى إلى الفضائل ، فيتشاغل بحفظ القرآن وتفسيره ، وبحديث رسول الله ﷺ ، وبمعرفة سيرته ، وسير أصحابه ، والعلماء بعدهم ، ليتخيَّر مرتبة الأعلى فالأعلى .

ولا بد من معرفة ما يُقِيم به لسانَه من النحو ، ومعرفة طرف من اللغة مستعمل . والفقه أم العلوم ، والوعظ حلواؤها ، وأعمّها نفعاً .

---

(١) شطر من بيت المتنبي هذا :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظمُ في عين الصغير صِغارها ... وتصغرُ في عين العِظام العظائمُ

وقد رَتَّبْتُ في هذه المذكوراتِ وغيرها من التصانيف ما يُغْنِي عن كل ما سبق من تصانيف القُدماء ، بحمد الله ومنَّته ، فأَغْنَيْتُك عن تطلُّبِ الكتب ، وجمع الهِمَم للتصنيف ، ما تقف همة إلا لخساستها ، وإلا فمتى عَلَتِ الهمةُ لم تقنع بالدون. وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي ، وإنما تقصر بعض الهمم ، فإذا حُثَّت سادت.

ومتى رأيتَ في نفسك عجزاً فسل المنعم ، أو كسلاً فالجأ إلى الموفِّق ، فلن تنال خيراً إلا بطاعته ، ولا يفوتك خير إلا بمعصيته ، ومن الذي أقبل عليه ، فلم يَرَ كلَّ مراد لديه؟! ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرض من أغراضه؟! أو ما سمعت قول الشاعر[1]:

بالليلِ مَا جِئْتُكم زائراً إلا رَأَيْتُ الأَرْضَ تُطْوَى لي
وَلا ثَنيْتُ العَزْمَ عَنْ بَابِكم إلا تَعَثَّرْتُ بِأَذْيَالي

[الإخلاص وحياة المؤلِّف]

وانظرْ يا بُنَيَّ إلَى نفسك عند الحدود ، فَتَلَمَّح كيف حِفْظك لها ، فإنه مَن رَاعى رُوْعِي ، ومن أهمل تُرِك ، وإني لأذكر لك بعضَ أحوالي ، لعلَّك تنظر إلى اجتهادي ، أو تسأل الموفِّق لي.

إنّ أكثر الإنعام عليَّ لم يكن بكَسَبِي ، وإنما هو تربية اللطف بي ، فإني أَذْكُر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب ، لي نحو من ست سنين ، وأنا قرين الصبيان الكبار ، ثم رُزِقْتُ عقلاً وافراً في الصِّغَر يزيد على عقل الأشياخ ، فَمَا أَذْكُر أني لعبتُ في طريقٍ مع صبيٍّ قطّ ، ولا ضحكتُ ضحكاً خارجاً ، حتى إنْي كنتُ ولِي سبع سنين أو نحوها أحضر رَحْبَةَ[2] الجامع ، ولا أتخيَّر حلقة مشعبذ[3] ، بل أطلبُ المُحَدِّثَ فيتحدث بالسمر الطويل ، فأحفظ جميع ما أسمعه ، فأرجع إلى البيت فأكتبه.

---

(١) هو الشريف الرضي.
(٢) الرحبة: الساحة.
(٣) المُشَعْبِذ: الذي يزيّن الباطل لإيهام أنه حق.

ولقد وُفِّق لي الشيخ أبو الفضل[1] ـ رحمه الله ـ فكان يحملني إلى الأشياخ ، وأسمعني المسند وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم ما يُراد مني ، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت ، فناولني ثَبَتَها ، ولازمتُه إلى أن تُوفي ـ رحمه الله ـ فأدركت به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصِبْيَان ينزلون إلى دِجْلَة ، ويفرَّجون على الجسر ، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً ، وأقعد حُجْزَة من الناس إلى جانب الرَّقة ، فأتشاغلُ بالعلم ، ثم أُلْهمت الزهد، فَسَردتُ الصومَ، وتشاغلتُ بالتقلل من الطعام.

وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرت

وشمرتُ ، ولازمتُ ، وأحببت السهرَ ، ولم أقنع بفنٍّ واحد من العلوم ، بل كنت أسمع الفقه ، والوعظ ، والحديث ، وأتبع الزهاد. ثم قرأت اللغة ، ولم أترك أحداً ممن قد انزوى أو وعظ ، ولا غريباً يقدم ، إلا وأحضره ، وأتخير الفضائل.

وكنتُ إذا عُرِضَ لي أمران أقدم في أغلب الأحوال حق الحق ، فأحسن الله تدبيري وتربيتي ، وأَجْرَاني على ما هو الأصلح لي ، ودفع عني الأعداء والحُسَّاد ومن يَكِيْدُني ، وهيَّأ لي أسباب العلم، وبعث إليَّ الكسب من حيث لا أحتسب ، ورَزَقَني الفهمَ وسرعة الحفظ وجوده التصنيف ، ولم يعوزني شيء من الدنيا، بل ساق إليَّ من الرزق مقدار الكفاية وأَزْيَد ، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد ، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته ، فقد أسلم على يديَّ نحو مئتين ، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مئة ألف ، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جمَّة مما يتعاناه الجُهَّال.

ولقد كنتُ أدورُ على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نَفَسي من العَدْو؛

---

(١) هو الإمام الحافظ ، محدِّث العراق ، أبو الفضل ، محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السَّلامي ، كان ثقة ، حافظاً ، ضابطاً ، من أهل السنة ، توفي سنة ٥٥٠ هـ.

لئلا أُسبق ، وكنت أُصْبح وليس لي ما آكل ، وأمسي وليس لي شيء ، وما أذَلَّني اللهُ لمخلوق ، ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي ، ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرحُ ، وها أنا ، ترى ما قد آلتِ الحالُ إليه ، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة ، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] .

[الاعتناء بالوقت والحرص عليه]

فانتبهْ يا بُنَيَّ لنفسك ، وانْدم على ما مضى من تفريطك ، واجتهد في لحاق الكاملين ، ما دام في الوقت سَعَة ، واسق غصنك ، ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت ، فكفى بها عِظَةٌ ، ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتبُ الفضائل ، وقد كان السلف يُحِبُّون جمع كل فضيلة ، ويبكون على فوت واحدة منها.

قال إبراهيم بن أَدْهَم ـ رحمه الله[2] ـ: دخلنا على عابد مريض ، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي ، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرتا في سبيل الله تعالى. وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على يوم مضى ما صمته ، وعلى ليلة ذهبت ما قمتها.

واعلم يا بُنَيَّ أن الأيام تبسط ساعاتٍ ، والساعات تبسط أنفاساً ، ولكل نفسٍ خزانة ، فاحذر أن تُذْهِب نَفَساً في غير شيء ، فتَرَى في يوم القيامة خزانة فارغة ، فتندم.

وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس[3]: قِفْ أكلِّمك ، فقال: أَمْسِك الشمس.

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٢) زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغِنى في بلخ ، جال في العراق والشام والحجاز ، ودرس على علماء الأقطار الثلاثة علوماً مختلفة ، أخباره كثيرة ، وفيها اضطراب واختلاف في نسبته وسكنه ومتوفاه ، ولعل الراجح أنه مات عام ١٦١ هـ ، ودُفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم).

(٣) هو عامر بن عبد قَيْس العنبري ، تابعي ، هو أول من عُرف بالنسك من عبّاد التابعين بالبصرة ، هو من أقران أويس القرني ، وأبي مسلم الخولاني ، مات ببيت المقدس في خلافة معاوية عام ٥٥ هـ.

وقعد قوم عند معروف ـ رحمه الله ـ فقال: أما تريدون أن تقوموا فإن مَلَك الشمس يجرّها لا يفتر، وفي الحديث: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»[1].

فانظر إلى مضيع الساعات كم يفوته من النخل؟!

وقد كان السلف يغتنمون اللحظات، فكان «كَهْمس» ـ رحمه الله ـ يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات.

وكان أربعون رجلاً من السلف يُصَلُّون الفجر بوضوء العشاء. وكانت رابعة[2] لا تنام الليلَ، فإذا طلع الفجر هَجَعت هَجعةً خفيفةً، ثم قامت فزعة، وقالت لنفسها: النوم في القُبور طويل.

[التهيؤ ليوم الرحيل والاستعداد للآخرة]

ومن تَفَكَّر في الدنيا قبل أن يوجد، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج منها، رأى مدة قصيرة، وعَلِمَ أن اللُّبْث في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار، علم أنه لا نهاية له.

فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا ـ فرضنا ستين سنة مثلاً ـ فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم، ونحواً من خمس عشرة في الصِّبا، فإذا حسبت الباقي، كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة، وَجَد فيه من الرِّياء والغفلة كثيراً، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات؟!

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، في الدعوات، باب: ما جاء في فضل التسبيح، برقم (٣٤٦٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٥) وابن حبان (٢٣٣٥/ موارد) والحاكم (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٢) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، البصرية، صالحة مشهورة من أهل البصرة، لها أخبار كثيرة في العبادة والنسك، وكانت شاعرة أيضاً، توفيت بالقدس عام ١٣٥ هـ.

[الاستدراك مُمْكِن بعد الغفلة والرقاد الطويل]

ولا يؤيسك من الخير ما مضى من التفريط ، فإنه قد انتبهَ خَلْقٌ كثير بعد الغفلة والرقاد الطويل ، فحدَّثني الشيخ أبو حكيم ، عن قاضي القضاة الشيخ أبي الحسن الدَّامِغَانِي[1] ، قال :

كنتُ في صَبْوتي متشاغلاً بالبطالة ، غير ملتفت إلى العلم ، فأحضرني أبو عبد الله ، وقال لي : يا بني إني لستُ أبقى لك أبداً ، فخذ عشرين ديناراً وافتح دكان خبازٍ ، وتكسب ، فقلت له : ما هذا الكلام؟! قال : فافتح دكان بزازٍ ، فقلت : كيف تقول لي هذا وأنا ابن قاضي القضاة!! قال : فما أراك تُحِبُّ العلمَ! فقلت : اذكر لي الدرس الساعة ، فذكر لي ، فأقبلت على التشاغل بالعلم ، واجتهدتُ ، ففتح الله تعالى عليَّ .

وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد الحُلْواني ، قال : ماتَ أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ، وكنت موصوفاً بالبطالة ، فأتيت أتقاضى بعض ساكني دار قد ورثتها ، فسمعتهم يقولون : قد جاء المدبَّر ، أي : الرَّبِيط ، فقلت لنفسي : يقال عني هذا؟! فجئتُ إلى والدتي فقلت : إذا أردت طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب ، ولازمتُه فما خرجت إلا إلى القضاء ، فصرت قاضياً مدة .

قلتُ : ورأيتُه أنا وهو يفتي ويناظر ويصنِّف .

فألزمْ نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر ، ولا تتحدث بحديث الدنيا ، فقد كان السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيء من أمور الدنيا .

وقل عند انتباهك : «**الحمد للهِ الذي أحيانا بعد ما أماتَنا وإليه النشُور**»[2] ،

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن حسن أبو عبد الله الدامغاني ، شيخ الحنفية في زمانه ، ينعت بقاضي القضاة ، توفي سنة ٤٧٨ هـ .

(٢) أخرجه البخاري من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، في كتاب الدعوات ، =

الحمد لله الذي ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ثم قُمْ إلى الطهارة ، وارْكَعْ سُنَّةَ الفجر ، واخْرُجْ إلى المسجد خاشعاً ، وقل في طريقك: «اللهم إني أسألك بحقِّ السائلين عليك ، وبحق مَمْشَايَ هذا إليك ، إنّي لم أَخْرُجْ أَشَراً ولا بَطَراً ، ولا رِياءً ولا سُمْعةً ، خرجتُ اتِّقاءَ سُخْطِك وابتغاءَ مرضاتِك ، أسألك أن تُجيرني من النَّار ، وأن تغفر لي ذُنوبي ، إنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنتَ»[2].

واقصد الصلاةَ إلى يمين الإمام ، فإذا فرغت الصلاة ، فقل: «لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، له المُلك ، وله الحَمْد ، وهو على كل شيء قدير» (عشر مرات)[3].

ثم سبِّح عشراً ، واحمد عشراً ، وكَبِّر عشراً[4] ، واقرأ آية الكرسي[5] ، وسل الله سبحانه قبولَ الصلاة ، فإن صحَّ لك فاجلس ذاكراً لله تعالى إلى أن تطلع الشمس ، ثم صلِّ واركعْ ما كتب لك ، وإنْ كان ثماني ركعات فهو حسن.

= باب: وضع اليد تحت الخد اليمنى ، برقم (٦٣١٤) ، وأبو داود في الأدب ، باب: ما يقول عند النوم برقم (٥٠٤٩) ، وابن ماجه في الدعاء ، باب: ما يدعو به إذا انتبه من النوم ، وأحمد في مسنده (باقي مسند الأنصار) (٢٢١٩٨) و(٢٢٢٨٠).

(١) سورة الحج ، الآية: ٦٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، في أبواب المساجد والجماعات ، باب: المشي إلى الصلاة ، برقم (٧٧٨) ، وأحمد في مسنده (باقي مسند المكثرين) (١٠٧٢٩).

(٣) أخرجه النَّسائي عن البراء رضي الله عنه في «عمل اليوم و الليلية» برقم (١٢٥).

(٤) رواه أبو داود عن علي رضي الله عنه في كتاب الأدب ، باب: في التسبيح عند النوم ، برقم (٥٠٦٢) ، والترمذي في الدعوات ، باب: ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام ، (٣٤١٠).

(٥) قال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة ، لم يمنعه من دخول الجنة ؛ إلا أن يموت». أخرجه النسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه في «عمل اليوم والليلة» رقم الحديث (١٠٠).

تنظيم أوقات الدروس:

ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها: تصحيح القرآن، ثم الفِقه، فإذا أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلِّ الضحى ثماني ركعات، ثم تشاغل بمطالعة أو بنسخ إلى وقت العصر.

ثم عُدْ إلى دروسك بعد العصر إلى وقت المغرب، وصلِّ بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جُزأين، فإذا صليتَ العشاء، فَعدْ إلى دروسك.

ثم اضطجع على شقِّك الأيمن، فسبِّح ثلاثاً وثلاثين، واحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبِّر أربعاً وثلاثين[1].

وقل: «**اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك**»[2].

وإذا فتحتَ عينيك من النوم، فاعْلَم أن النفس قد أخذت حظها، فقُمْ إلى الوضوء، وصلِّ في ظلام الليل ما أمكن، والتوسط أن تصلِّي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزأين من القرآن، ثم تعود إلى دروس العلم، فإن العلم أفضل من كل نافلة.

من آداب العلم والتعلم:

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير[3]، واحذرْ من جليس السوء،

---

(١) قال ﷺ: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟! إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما؛ فكبرا ثلاثاً وثلاثين، وسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم» أخرجه البخاري من حديث علي رضي الله عنه، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب علي رضي الله عنه، برقم (٣٧٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح في أول النهار، (٢٧٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه برقم (٣٣٩٨).

(٣) قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ في «العزلة» (ص ١٤): «ولسنا نريد ـ رحمك الله ـ بهذه العزلة التي نختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات، وترك حقوقهم في العبادات، وإفشاء السلام، ورد التحيات، وما جرى مجراها من وظائف الحقوق =

وليكن جُلَسَاؤكَ الكُتب ، والنظر في سِيَرِ السلف ، ولا تشتغل بعلم حتى تُحْكِم ما قبله ، وتَلَمَّح سير الكاملين في العلم والعمل ، ولا تقنع بالدون ، فقد قال الشاعر[1] في ذلك :

ولَـمْ أَر فِـي عُيُـوبِ النَّـاسِ شَيْئـاً كَنَقْـصِ القَـادِرِيـن عَلـى التَّمَـامِ

واعْلَم أن العلم يرفع الأراذل ، فقد كان خَلْقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يذكر ولا صورة تستحسن ، وكان عطاءُ بن أبي رَبَاح[2] أسودَ اللون ، مستوحش الخلقة ، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك ـ وهو خليفة ـ ومعه ولداه ، فجلسوا يسألونه عن المناسك ، فحدَّثهم وهو معرض عنهم بوجهه ، فقال سليمان لولديه : قُوْما ولا تنيا ولا تكسلا في طلب العلم ، فما أنسى ذُلَّنا بين يدي هذا العبد الأسود .

وكان الحسن مولىً ـ أي : مملوكاً ـ وابنُ سِيْرِين ، ومَكْحُول ، وخلق كثير ، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى .

في الزهد :

واجتهد يا بُنَيَّ في صيانة عرضك من التعرض لطلب الدنيا ، ولا تذلن لأهلها ، واقنع تَعِزَّ ، فقد قيل : من قنع بالخبز والبقل ، لم يستعبده أحد .

وجاز أعرابي بالبَصْرة ، فقال : من سيِّد هذه القرية؟ فقالوا : الحسن البصري ، قال : ولم سادهم؟ قالوا : لأنه استغنى عن دنياهم ، وافتقروا إلى علمه .

واعلم يا بني ، أن أباك كان له والد موسر ، خَلَّف ألوفاً من المال ،

= الواجبة لهم ، ووضائع السنن ، والعادات المستحسنة فيما بينهم ، فإنها مستثناة بشرائطها ، جارية على سبلها ، ما لم يحل دونها حائل شغل ، ولا يمنع عنها مانع عذر؛ إنما نريد بالعزلة : ترك فضول الصحبة ، ونبذ الزيادة منها ، وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها» .

(١) هو المتنبي .

(٢) تابعي ، من أجلّ الفقهاء ، نشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدّثها ، توفي بها سنة ١١٤ هـ .

وكان أبوك طفلاً ، فأنفق عليه من ذلك إلى أن بلغ ، ولم يَرَ بَعد بُلوغه سِوى دارين ، كان يسكن واحدة ، ويأخذ أجرة أخرى ، ثم أعطي نحو عشرين ديناراً ، قيل: هذه التركة كلها ، فاشترى كتباً من كتب العلم ، وباع داريه وأنفقهما في طلب العلم ، ولم يبق له شيء من المال ، وما ذل في طلب الدنيا كذلِّ غيره ، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ ، ولا رأى أكابر البلدان رقاعه[1] عندهم يستعطيهم ، وأموره تجري على السَّداد. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2].
انتهى.

[في تصحيح التقوى كلّ خير]

يا بني ، ومتى صَحَّحتَ التقوى ، رأيتَ كل خير ، فالمتقي لا يرائي الخلق ، ولا يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حفظه الله.

قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما: «**احفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احفظ الله تَجِدْهُ أمامَك**»[3].

واعلم يا بني أن يونس عليه السلام كانت له ذخيرة خير نُجِّي بها من الشدة ، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[4].

وإنَّ فرعون لما لم تكن له ذخيرة خير لم يجد في شدّته مخلصاً ، فقيل له: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[5].

فاجعل لكل ذخائر خير من تقوى تجد تأثيرها.

---

(١) رقاعه: جمع رقعة ، وهي قطعة من الورق أو الجلد تُكتَب.
(٢) سورة الطلاق ، الآية: ٢ ـ ٣.
(٣) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه في أبواب صفة القيامة ، برقم (٢٥١٦) ، وأحمد في مسنده (مسند بني هاشم) (٢٥٣٧) و(٢٦٢٧).
(٤) سورة الصافات ، الآية: ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٥) سورة يونس ، الآية: ٩١.

وقد جاء في الحديث: «ما من شاب اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كبره»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3].

واعلم يا بني أن أَوْفى الذخائر: غضّ طرف عن مُحْرَم، وإمساك اللسان عن فضول كلمة، ومراعاة حدّ، وإيثار الله سبحانه وتعالى على هوى النفس، وقد عرفتَ حديث الثلاثة، الذين دخلوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان وأولاد، فكنت أقف بالحليب على أبوي فأسقيهما قبل أولادي، فإن كنتُ فعلت ذلك لأجلك، فافرج عنا، فانفرج ثلث الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إني كنتُ استأجرتُ أجيراً فتسخّط أجره، فاتّجرت له به، فجاء يوماً فقال: ألا تخاف الله وتعطيني أجرتي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر ورعاتها فخذها، فإن كنت فعلت ذلك لأجلك فافرج عنا، فانفرج ثلثا الصخرة.

فقال الآخر: إني علقت ببنت عم لي، فلما دنوت منها قالت: اتق الله فقمت، فإن كنت إنما فعلت ذلك لأجلك فافرج عنا، فرفعت الصخرة وخرجوا[4].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/١٣٨ ـ ١٣٩) من حديث عمر بن الخطاب، بلفظ: «ما من شابٍ يدع لذة الدنيا ولهوها، ويستقبل بشبابه طاعة؛ إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً» ثم قال: «يقول الله تعالى: أيها الشاب التارك شهوته لي، المتبذل شبابه لي، أنت عندي كبعض ملائكتي».

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٢.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٤) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب البيوع، باب اشترى شيئاً لغيره.. (٢٢١٥)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار.. (٢٧٤٣). =

ورُئي سُفيان الثوري في المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ، قال : ما كان إلا أن وضعت في اللَّحْد، فإذا أنا بين يدي رب العالمين، فأمر بي إلى الجنة ، فإذا أنا بقائل يقول : سفيان؟! قلت : سفيان ، قال : تذكر يوم آثرت الله تعالى على هواك؟! قلت : نعم ، فأخذتني صواني النثار[1] من الجنة .

سُمُوّ الهِمَّة إلى الكمال :

وينبغي أن تسموَ همَّتك إلى الكمال ، فإن خَلْقاً وقفوا مع الزهد ، وخَلْقاً تشاغلوا بالعلم ، وندر أقوام جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل .

وقد تصفحتُ التابعين ومن بعدهم ، فما رأيتُ أحظى بالكمال من أربع أنفس : سعيد بن المسيَّب ، وسفيان الثَّوْرِي ، والحسن البصري ، وأحمد بن حَنْبَل ، وقد كانوا رجالاً ، إنما كانت لهم هِمَمٌ ضعفت عندنا ، وقد كان في السلف خلق كثير لهم همم عالية ، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم ، فانظر في كتاب «صفة الصفوة» ، وإن شئت تأمَّلْ «أخبار سعيد» ، و«أخبار سفيان» ، وأخبار «أحمد بن حنبل» ، فقد جمعتُ لكل واحد منهم كتاباً .

[الحثُّ على المطالعة والحفظ]

وقد علمتَ يا بني أنني قد صنَّفتُ مئة كتاب ، فمنها :

«التفسير الكبير»[2] عشرون مجلداً ، و«التاريخ»[3] عشرون مجلداً ، و«تهذيب المسند»[4] عشرون مجلداً ، وباقي الكتب بين كبار وصغار ، يكون خمس مجلدات ، ومجلدين ، وثلاثة ، وأربعة ، وأقل ، وأكثر ، كفيتك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف ، فعليك بالحفظ ، فإن الحفظ رأس مال ، والتصرف ربح ، واصدق في الحالين ،

---

(١) النثار : ما تناثر من الشيء .
(٢) مفقود .
(٣) مفقود .
(٤) مفقود .

في اللجء إلى الله سبحانه ، وراع حدوده قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2] ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[3].

[إنما العلم بالعمل]

وإيَّاك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به ، فإن الداخلين على الأُمراء ، والمُقْبِلين على أهل الدنيا ، قد أعرضوا عن العمل بالعلم ، فمنعوا البركة والنفع به.

الحذر عن التشاغل بالتعبُّد من غير علم:

وإيّاك أن تتشاغل بالتعبُّد من غير علم ، فإن خلقاً كثيراً من المتزهِّدين والمتصوِّفة ضلّوا طريقَ الهدى إذ عملوا بغير عِلْم.

واسْتُرْ نفسَك بثوبين جميلين ، لا يشهرانك بين أهل الدنيا برفعتهما ، ولا بين المتزهدين بضعتهما ، وحَاسِبْ نفسك عند كل كلمة ونظرة وخطوة ، فإنك مسؤول عن ذلك ، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون ، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه ، زلّت موعظته عن القلوب ، كما يزل الماء عن الحجر ، فلا تعظن إلا بنيّة ، ولا تمشينَّ إلا بنيّة ، ولا تأكلنَّ لقمة إلا بنيّة ، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشف لك الأمر.

كُتب مفيدة للدراسة والمطالعة:

وعليك بكتاب «منهاج المريدين» ، فإنه يعلِّمك السلوكَ ، فاجعله جليسك ومعلِّمك ، وتلمّح كتاب «صيد الخاطر» ، فإنك تقع بواقعات تصلح لك أمر دينك ودنياك ، واحفظ كتاب «جنة النظر» ، فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقه ، ومتى تشاغلت بكتاب «الحدائق لأهل الحقائق»[4] ، أطلعك على جمهور الحديث ، وإذا التفت إلى كتاب «الكشف» ، أبان لك

---

(١) سورة محمد ، الآية: ٧.
(٢) سورة البقرة ، الآية: ١٥٢.
(٣) سورة البقرة ، الآية: ٤٠.
(٤) مخطوط.

مستور ما في الصحيحين من الحديث ، ولا تشاغلن بكتب التفاسير التي صنفتها الأعاجم ، وما ترك «المغني» و«زاد المسير» لك حاجة إلى فن التفاسير ، وأمّا ما جمعته لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى وعظ أصلاً.

العزلة راحة مِن خُلطاء السُّوء :

وكن حَسَنَ المداراة للخَلْق ، مع شدة الاعتزال عنهم ، فإن العزلة راحة من خلطاء السوء ، ومبقية للوقار ، فإن الواعظ خاصة ينبغي ألا يُرَى متبذلاً ، ولا ماشياً في سوق ، ولا صاخباً ، لتحسين الظن به ، فينتفع بوعظه.

فإذا اضطررت إلى مخالطة الناس ، فخالطهم بالحلم عنهم ، فإنك إن كشفت أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم.

نصائح وتوجيهات :

وأدِّ إلى كل ذي حق حقه ، من زوجة أو ولد أو قرابة ، وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب ، ولا تودعها إلا إلى أشرف ما يمكن ، ولا تهمل نفسك ، وعوِّدها أشرفَ ما يكون من العمل وأحسنه ، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه ، كما قيل :

يــا مَــنْ بــدنيــاه اشتغــلْ وغَــرَّه طــولُ الأمــلْ
المــوت يــأتــي بَغْتــةً والقبــرُ صنــدوق العمــل

وراع عواقبَ الأمور ، يهنْ عليك الصبر على المشتهى وعلى المكروه ، وإن وجدت من نفسك غفلة ، فاحملها إلى المقابر ، وذكِّرها قُرْبَ الرحيل ، ودبِّر أمرك ـ والله المدبِّر ـ في إنفاقك من غير تبذير ، لئلا تحتاج إلى الناس فإنَّ حِفْظ المال من الدِّين ، ولأن تخلف لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس.

يا بُنَيَّ ، واعْلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وأبونا القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأخباره موثقة في كتاب «صفة الصفوة» ، ثم تشاغل سلفُنا بالتجارة

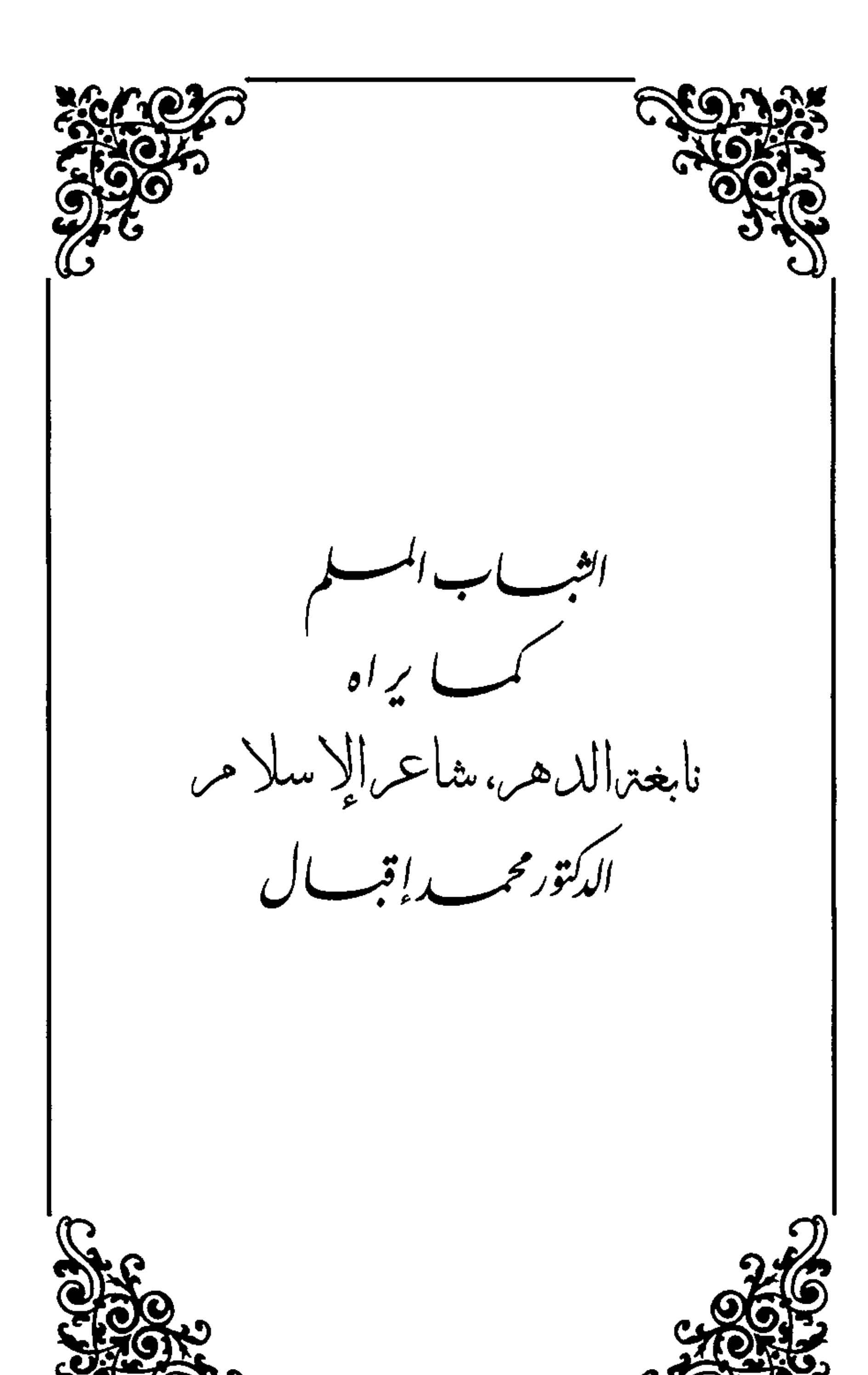
والبيع والشراء ، فما كان من المتأخرين من رُزِق همة في طلب العلم غيري ، وقد آل الأمر إليك ، فاجتهدْ ألا تخيِّب ظني فيما رجوتُه فيك ولك ، وقد أسلمتُك إلى الله سبحانه وتعالى ، وإيَّاه أسأل أن يوفِّقك للعلم والعمل.

وهذا قدرُ اجتهادي في وَصِيَّتك ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم ، والحمد لله مزيد الحامدين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين[١] .

* * *

(١) مستفاد في التصحيح والضبط من تحقيق الأستاذين من: عَمْرو عبد المنعم ، ويوسف علي بديوي لهذه الرسالة ، الأول نشره في رسالة مستقَّة بعنوان: «رسالة إلى ولدي» في دار السلام القاهرة. والآخر ضمن تحقيقه لـ «صيدالخاطر» بعنوان «الفتة الكبد في نصيحة الولد» من دار اليمامة ـ دمشق.





الشباب المسلم
كما يراه
نابغة الدهر، شاعر الإسلام
الدكتور محمد إقبال

ترجمة
الدكتور محمد إقبال

وُلِد محمد إقبال في مدينة «سيالكون» في بنجاب سنة / ١٨٧٧/ م تعلم في مدرسة إنجليزية في بلده ، واجتاز الامتحان الأخير بامتياز ، ثم التحق بكلية في ذلك البلد.

ولمَّا قضى وطرَه في الكلية سافر إلى لاهور عاصمة بنجاب ، وانضم إلى كلية الحكومة حيث حضر الامتحان الأخير في الفلسفة ، وبرز في اللغة العربية والإنجليزية ونال وسامين ، وأخذ شهادة (B.A)[1] بامتياز ، وفي لاهور اتصلت أسبابه بالأستاذ الإنجليزي الشهير: (سيرتوماس أرنولد) صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام» «The Preaching of Islam» وعميد الكلية الإسلامية في «عليكره» سابقاً.

وكان إقبال قد نظم قصيدته الأولى البديعة «جبل هيمالايا» وهي فارسية التركيب إنجليزية الأفكار ، ونشرها في مجلة «مخزن» الأستاذ عبد القادر مؤسس المجلة سنة / ١٩٠١/ م ونظم عدة قصائد أدبية توجد في مجموع شعره الأول ، وكان لها دوي في أوساط الشعر والأدب واجتلبت العيون نحو الشاعر المبدع.

وفي هذه المدة أخذ محمد إقبال درجة (M.A)[2] في الفلسفة بامتياز ،

---

(١) شهادة متوسطة في الآداب في النظام التعليمي الإنجليزي الهندي تعادل شهادة الليسانس في مصر وغيرها.

(٢) وهي تعادل «الماجستير» في مصر.

ونال وساماً وعين على إثره أستاذاً للتاريخ والفلسفة والسياسة في الكلية الشرقية في لاهور ، ثم أستاذاً للإنجليزية والفلسفة في كلية الحكومة التي تخرج منها ، وشهد بكفاءته وغزير علمه الأساتذة والطلبة جميعاً ، وحاز ثقة وزارة المعارف ثم سافر إلى «كامبردج» وأخذ شهادة عالية في الفلسفة وعلم الاقتصاد.

ومكث في عاصمة الدولة الإنجليزية ثلاث سنين يلقي المحاضرات في موضوعات إسلامية أكسبته الشهرة والثقة ، وتولى في خلال تلك المدة تدريس آداب اللغة العربية في جامعة لندن مدة غياب أستاذه أرنولد ، ثم سافر إلى ألمانيا وأخذ من جامعة «ميونخ» الدكتوراه في الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن وحضر الامتحان النهائي في الحقوق ، وانتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد والسياسة في لندن وتخصص في المادتين ، ورجع إلى الهند سنة ١٩٠٨ م سالماً غانماً.

ولمّا مر بصقلية في طريقه إلى الهند سكب على ترابها دموعاً وقال قصيدة افتتحها بقوله: «ابكِ أيها الرجل أدمعاً لا دمعاً فهذا مدفن الحضارة الحجازية». ومن دواعي العجب أن كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عاماً من عمره واشتغل الشاعر الفلسفي والاقتصادي الخبير والسياسي الحاذق في عدة لغات بالمحاماة ولكن ما كان هواه في المحاماة.

كان يقضي أكثر أوقاته وجُل همه في تأليف الكتب وقرض الشعر. ثم نشبت الحرب البلقانية والطرابلسية سنة ١٩١٠ م وما يوم حليمة بسرٍّ ، فكان لها في نفسية الشاعر أعمق أثر ، جرحت عواطفه وقلبه ، فتحرك ساكنه وهاج خاطره وجعلت منه خصماً لدوداً للحضارة الغربية والإمبراطورية الغربية وأملى حزنه قصائد كلها دموع حارة في سبيل المسلمين ، وسهام مسمومة في صدور الأوربيين وتتجلى هذه الروح في جميع ما نظمه وقاله في هذه الفترة.

ثم انفجَرَ البركان الأوربي سنة ١٩١٤ م وحدث ما حدث فانقلب الشاعر

داعياً مجاهداً ، وحكيماً فيلسوفاً يتكهن بالأخبار ويقول الحقائق وينظم الحكم ، ويشب من حماسته نيراناً ، ويفجر إيمانه وثقته أنهاراً ، وجاش صدره وفاض خاطره وسالت قريحته ، وفي تلك المدة نظم غر قصائده.

ثم بدَأَ العهد الأخير الذي انتهى بوفاته ، وقد ازداد فكره نضجاً وأفق معارفه اتساعاً ، وقد انتظمت دعوته واتضحت رسالته فنشرت له عدة كتب فارسية وكان الشاعر يشتكي أدواء يغلبها وتغلبه ، وانحرفت صحته أخيراً ، وظلَّ أياماً طويلة رهين الفراش ، ولم يزل لسانه يفيض بالشعر ، ويملي الكتب والمقالات ، ويقابل الأصدقاء والزوار والعواد ويحادثهم في شؤون إسلامية وعلمية ، ومما نشر له في هذه الأيام مقالة مستفيضة في الرد على القومية ، تناقلتها الصحف وتحدث بها الناس.

وممّا قاله قبل وفاته بأيام: «جنة لأرباب الهمم وجنة للعباد والزهاد قل للمسلم الهندي: أبشر فإن في سبيل الله جنة أيضاً».

وقال قبيل وفاته بعشرة دقائق: «ليت شعري! هل تعود النغمة التي أرسلتها في الفضاء ، وهل تعود النفحة الحجازية ، قد أظلني موتي وحضرتني الوفاة فليت شعري! هل حكيم يخلفني؟ . . . .».

وقال وهو يجود بنفسه: «أنا لا أخشى الموت ، أنا مسلم ، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً» وكان ذلك آخر برهان أقامه على صدق إيمانه ويقينه ، ولفظ نفسه الأخير في حجر خادمه القديم على حين غفلة من العواد والأصدقاء والتلاميذ والإخوان في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، وغربت هذه الشمس التي ملأت القلوب حرارة ونوراً قبل أن تطلع شمس ٢١/ نيسان/ ١٩٢٨/ م[١].

* * *

(١) ملخَّص من كتاب «روائع إقبال» للعلامة أبي الحسن الندوي طبع دار ابن كثير ، دمشق.

الشباب المسلم
كما يراه الدكتور محمد إقبال

يقول العلاَّمة أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله ـ:

«إنَّ الدكتور محمد إقبال يتمنَّى للإسلام جيلاً جديداً ، شبابه طاهرٌ نقيٌّ، وضربه موجعٌ قويٌّ ، إذا كانت الحربُ فهو في صولته كأسد الشرى ، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمىٰ ، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع الأعداء ، وذاك مع الأولياء ، إذا تكلَّم كان رقيقاً رفيقاً ، وإذا جَدَّ في الطلب كان شديداً حفياً ، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفاً نزيهاً ، آمالُه قليلةٌ ، ومقاصدُه جليلةٌ ، غنيُّ القلب في الفقر ، فقيرُ الجسم والبيتِ في الغنى ، غيورٌ في العسر ، رؤوفٌ كريم عند اليسر ، يظمأُ إن أبدى له الماء منة ويموت جوعاً إن رَأى في الرزق ذلةً ، إذا كان بين الأَصدقاء كان حريراً في النُّعومة ، وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصَّلابة ، كان طلاً وندىً ، تَتَفَتَّحُ به الأزهارُ وتَرِفُّ به الأشجارُ وكان طوفاناً تصطرِعُ به الأمواجُ ، وترتعدُ له البحارُ ، إذا عَارَضَ في سيره صخوراً وجبالاً ، كان شلالاً ، وإن مَرَّ في طريقه بحدائق كان ماءاً سلسالاً ، يجمع بين جلال إيمان الصدِّيق وقوةِ علي ، فقر أبي ذرٍّ ، وصِدق سلمان ، يقينه بين أَوهام العصر كمصباح الرَّاهب في ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطه بحكمته وفراسته ، وبأذان السَّحَر ، الشهادة في سبيل الله أحبُّ إليه من الحكومات والغنائم ، يقتنصُ النجومَ ويصطادُ الأسودَ ويباري الملائكةَ ، ويتحدَّى الكفرَ والباطلَ أَينما كانا ، يرفع قيمته ويزيد في سعره ،

حتى لا يستطيع أن يشتريَه غير ربِّه ، شغلته مآربُه الجليلة وحياة الجد والجهاد عن زينة الجسم والتأنق في اللباس ، وشعر بإنسانيته ، فترفَّع عن تقليد الطاوُوس في لونه ، والعندليبِ في حسن صوته»[1] .

* * *

---

(١) من «روائع إقبال» للعلامة الندوي ص (٧٨ ـ ٨٩) .

كلمة إلى الجيل الجديد

إنَّ تَنْميقَ الكلامِ غَيْرُ مُجدِ | فالفؤادُ ما احتواهُ لَيْسَ يُبْدي
قلتُ قولاً ما عليهِ مِنْ حِجاب | ما تبقَّى مِنْهُ يَنْبُو عَنْ كتاب!
بالكلام كلُّ معنىً لي تَعَقَّدْ | ويزيدُ اللَّبْسُ مِنْ صَوْتٍ تَرَدَّد
أو أنيني وصداهُ في السَّحَرْ | نظرتي منها افهمنَّ ما اسْتَعَرْ[1]
دَرسَكَ الأولَ أمٌّ لَقَّنَتْ | بالنَّسِيْمِ بُرْعُماً قَدْ فَتَّحَتْ
ونسيمُ الأمِّ هذا عطَّرَكْ | فَعَزَزْتَ وبحسْنٍ صَوَّرَكْ
دولةٌ لِلْخُلْدِ منها نِلْتها | عَلَّمَتْكَ «لا إله» قُلْتَها
يا بُنيَّ أنْتَ خُذْ عنِّي النَّظَرْ | واحترقْ مِنْ «لا إله» في الشَّرَرْ
«لا إله» قُلْ ومِنْ روحٍ عَميقْ | ليكونَ الجسمُ كالمِسْكِ الفَتِيقْ[2]
إنَّها شمساً وبراً قد أدَارَتْ | شعلةً في القشِّ والأطوادِ صَارَتْ[3]
يا لها حرفينِ ليسا في الكلام | بَلْ هما في كفِّ مِضْرابٍ حُسَام[4]
إنَّها ضَرْبٌ أفدْ مِنْ ضربها | نارُها نصْرٌ مبينٌ عِشْ بها
مؤمنٌ دأبٌ له عَقْدُ النِّطاق | مؤمنٌ بالغَدْرِ يَرْضى والنِّفاق!
وَبِفلْسٍ شَعْبَهُ والدِّينَ باعا | أحْرَقَ الدَّارَ فَضَاعَتْ والمتاعا
في صَلاةِ البَقَاءُ والفَنَاء | وهما كانا دلالاً في الدعاء[5]

---

(١) استعر: اشتعل.

(٢) المسك الفتيق: المخلوط بشيء أدخل عليه؛ لتسطع رائحته.

(٣) كاه في الفارسية بمعنى قش، وكوه بمعنى جبل، وقد أراد الشاعر أن يتلاعب بهذين اللفظين.

(٤) المضراب: الكثير الضَّرب، والحُسَام: السيف.

(٥) يقول: إن لا إله هي البقاء والفناء في صلاته، كما أنَّها دلالٌ في دعائه.

إنَّ نـوراً مـا تبقَّـى فـي صَـلاتِـه والتَّجَلِّـي قـدْ نـأى عَـنْ كـائنـاتـه

كلُّ مَنْ يَعْبُدُ في الدُّنيا الحُطاما عَشِقَ المالَ كما خافَ الحِمَامَا

ما انتشى ما ذاقَ شيئاً منْ حُبُورْ وكتابُ الدِّينِ في جَوْفِ القُبُورْ[1]

ويقـولُ مـا يظُـنُّ اليَـوْمَ حقـاً عـنْ نَبِيَّيـن تَلَقَّـى مـا تَلَقَّـىٰ

منْ بلادِ الفُرْسِ هذا ، ذاكَ هِنْدي «حكم حجٍّ وجهادٍ لَيْسَ عندي»![2]

إنَّ حجَّـاً وجهـاداً واجبـان لصـلاةٍ أو لصـوم كـالجَنَـانِ[3]

إنَّ روحـاً فـي الصَّـلاةِ والصِّيـام إنْ نـأتْ فـالشَّعْـبُ مخْتَـلُّ النِّظـام

ليـس للقـرآن فـي القلـب الأثـر فيهمـا الآمـالُ خـابـت لِلْبَشَـر[4]!

قد طغى الماءُ فيا خضرُ المَدَدْ! مسلـمٌ عـن ذاتِـه تلـكَ انْفَـرَدْ[5]

سَجْـدةً ، والأرضُ منهـا زُلْـزِلَـتْ وأرادتْ ، فـالشُّمـوسُ أُجْـرِيَـتْ

والصُّخـورُ إنْ دَرَتْ عَنْهَـا الخَبَـرْ فهـي فـي الجـوِّ دُخـانٌ وانْتَثَـرْ[6]

ذاكَ عَصْـرٌ كان فيه خفضُ هام[7] دبَّ ضعفُ الشَّيْخِ منه في الحُطام

«ربـي الأعلـىٰ» أكـانَـتْ عِنْـدَنـا! ذَنْبُـه هـذاكَ أَوْ ذَنْـبٌ لَنَـا؟

فـي سبيـل كلُّنَـا قـد أسـرعـا فلـه النَّـاقـةُ جـافَـتْ مَهْيَعَـا[8]

العَجَـب ثـمَّ العَجَـب ثُـمَّ العَجَـبْ صاحبُ القرآن ما ذاقَ الطَّلَبْ!

إنْ بِفَضْـلِ الله فـاضَ عِلْمُكـا فسيـأتـي للـزَّمـان غَيْـرُكـا

لـم يَخَـفْ عقـلٌ وَقَلْـبٌ لَـمْ يَـذِبْ ما اسْتَحَتْ عَيْنٌ وغاصَتْ في الكَذِبْ

كـلُّ عِلْـم كـلُّ فـنٍّ كـلُّ ديـن لا تكُـفَّ عـن طـوافِ حَـوْلَ طيـن

---

(١) الحبور : البهجة .

(٢) ما بين قوسين كلام هذين الرجلين .

(٣) الجنان : القلب ، وفي الأصل : الروح .

(٤) أي أن أمثال هذين الرجلين الذين لم يذكر إقبال اسماً لهما .

(٥) انفرد : تنحى ، واعتزل . وهو يستنجد الخضر بعد أن طغى الماء وخيف الغرق .
والخضر هوالذي دل الإسكندر على ماء الحياة وقد أسلفنا الإشارة إلى خبره .

(٦) اي إن عرفت الصخور خبر تلك السجدة .

(٧) الهام : جمع هامة وهي الرأس .

(٨) جافت : أبعدت . والمهيع : الطريق الواسع .

آسيا أرضُ الشُّمُوسِ المُشْرِقَاتْ ... عينُها لِلْغَيْرِ ، ما كانتْ لِذَاتْ
لا جديدَ جدَّ لِلْقَلْبِ الغرير ... نِلْتُ منها الرِّيح أوْ حبَّ الشَّعِيرْ![1]
وحواها ذلكَ الدَّيرُ القديم ... في جُمُودٍ وخُمُودٍ لا تَرِيمْ[2]
صَيْدُ شيخٍ أوْ لسلطانٍ مَلَك ... فكرُها ظبيٌ ولكنْ في الشَّرَكْ
عَقْلُها والدِّيْنُ بَلْ حتَّى الشرف ... منْ ركاب «اللورد» كانت في طرف
فعلى أفكارِها كُنْتُ المغيرا ... وعنِ الأسرارِ مَزَّقْتُ السُّتورا
فَاضَ قَلْبي بالدِّما منْ فَرْطِ جَهْدي ... ثُمّ دُنْياها أنا غَيَّرتُ وَحْدي
وبطبعِ العَصْرِ قُلْتُ لفظتين ... إنَّ لي بحرينِ في قارورتين
لَفْظةٌ تَلْتَفُّ أخرىٰ تَلْسَعُ ... والعقولُ في شَراكي أجْمَعُ[3]
لفظةٌ كانتْ بمقياسِ الفِرَنْج ... نغمةً سكرى ومِنْ أوتارِ صَنْج[4]
أصلُ هذي الذِّكْرُ تِلْكَ بنتُ فِكْرِ ... قدْ ورثتَ ذا وهذا، لستَ تدري[5]؟
إنني نَهْرٌ ومِنْ نَبْعٍ لأصلي ... إنَّ فصلي كانَ فصلاً وهو وصلي[6]
طَبْعُ عصري ذاك لمَّا أنْ تغيَّر ... غَيَّرَ الأصداءَ صوتٌ لي تَحَرَّرْ
ظَمِئَ الفتيانُ ما في الكوبِ قَطْرَهْ ... عَقْلُهم نورٌ ، بروحٍ ليل حَسْرَهْ
شَكُّهم يربُو ويجتاحُ اليقينا ... ما رأوا شيئاً ، وكانوا البائسينا
يُنْكرونَ الذَّات! إيمانٌ بِغَيْرِ! ... رفعوا مِنْ تُرْبِهم بُنْيان دَيْرِ[7]
ليس يدري القَصْدَ منه المكتبُ ... أنْ تناسى ما بقلبٍ يُجْذَبُ
ومِنَ الأرواحِ يمحو نُورَ فِطْرَه ... غُصْنُه ما كانَ فيه قطُّ زَهْرَهْ

---

(١) الغرير: من لا تجربة له ، والشعير مضرب المثل في رخص القيمة . يقول: إنه لا يظفر منها إلا بالريح والشَّعير ، فكأنه لم يظفر منها بشيء .

(٢) رام: فارق المكان.

(٣) يشبه إحدى هاتين اللفظتين بالأفعى التي تلتف ، والأخرى بعقرب تلسع ، وهو يشير بذلك من طرفٍ خفي إلى كتاب له بالإنجلزية بعنوان إعادة بناء الفكر الدِّيني في الإسلام ، كما يريد بجمع العقول والقلوب في شراكه: إقناعها ، وجذبها .

(٤) الصنج: معزف ذو أوتار .

(٥) أي: لتكن وارثاً للذكر والفكر .

(٦) يريد بهذا المنبع هذين البحرين اللذين أسلف الإشارة إليهما .

(٧) الترب: التاب ، والبنيان: الجدار .

صَفَّ أحجارَ البناءِ لَيْسَ يدري — وطباعَ البَطِّ يَهْدي لابنِ صَقْر
وعلى وَقْدٍ إذا لم يَعْتَمِدْ — لذةً للواردات لَمْ يَجِدْ[1]
وبهِ شَرْحُ المَقَامِ كانَ غايَةْ — لم يكنْ حقّاً سوى تفسير آيه
وبنارِ الحسِّ طوعاً فاحْتَرَقْ — عَنْ لجينٍ لَكَ صُفْرٌ يَنْفرِقْ[2]
بادىء بالحسِّ يُنهى بالحضُور — آخرُ العلم أيبقى في الشُّعور!
كَمْ كتابٍ فيهِ أعْشَيْتُ البَصَرْ — خيرُ علمٍ ما عَرَفْتُ بالنَّظر[3]
إنَّ هذا العلمَ صَبُّ خمرةٍ — يا لها منْ بَعدُ رَشْفُ سَكْرَةٍ!
تُطْفىءُ المصباحَ أنفاسٌ لِفَجْرِ — وردةُ البستانِ منها كأسُ خَمْرٍ[4]
لا تُطِلْ في القَوْلِ واقْنَعْ بالغِرَارْ — حولَ ذاتي كنْ كَفِرْجارٍ مُدَارْ[5]
منكرُ اللهِ لدى شيخٍ كَفَرْ — منكرُ الذَّاتِ لديَّ مِنْهُ شَرّ[6]
منكرُ اللهِ بإنكارٍ عَجُولْ — ذا عجولٌ وظلومٌ بلْ جَهُولْ
وعلى الإخلاص شدِّد قَبْضَتَكْ — رهبةَ السُّلطانِ جَنِّبْ شيْمَتَكْ[7]
إرضَ عَنْ عَدْلِ القوي لا تَبْتَعدْ — في غناكَ بَلْ وفي الفَقْرِ اقْتَصد
يَصْعُبُ الحُكْمُ؟ حذارِ لا تؤوِّلْ — وعلى قلبك مصباحاً فَعَوِّلْ[8]
يحفظُ الأرواحَ ذِكْرٌ ثُمَّ فِكْرُ — يحفظُ الجِسْمَ لِتِلْكَ النَّفسِ أَسْرُ
كلُّ حكمٍ في انخفاضٍ وارتفاع — نالَهُ جسماً وروحاً منْ يُراعي
لذةٌ لِلسَّيْرِ غاياتُ السَّفَرْ — لا تَطِرْ إنْ خِطْتَ بالعِشِّ النَّظَر[9]

---

(١) الوقد: النار. والواردات: ما يرد على القلب من خواطر.
(٢) اللجين: الفضة. والصفر: النحاس الأصفر. انفرق عنه: انفصل.
(٣) أعشاه: جعله أعشى، أي لا يرى ليلاً.
(٤) يقول: إن نسيم الفجر يطفىء نور المصباح، كما يفتح البرعم، فيصبح زهرة ينسكب فيها الندى، فكأنها كأس خمر.
(٥) الغرار: القليل من النوم، والفرجار: آلة ذات ساقين ترسم الدوائر.
(٦) أي: أنَّ منكر الذات أشدُّ كفراً، وأكثر شرّاً من منكر الله.
(٧) جنب شيمته رهبة السلطان: أي أبعد طبعه عن الخوف من السلطان.
(٨) عول عليه: اعتمد عليه.
(٩) يقال في الفارسية: خاط عينه بكذا: أي حدَّق فيه، ولم يبعد عنه نظره. وفي الأصل: إن كانت لك نظرة على العش.

ويـدورُ البَـدْرُ يحظـى بـالمَقَـام ما المَقَـام عِنْـدَهُ غَيْـرُ الحَـرام[1]
أنْ تَطِيْـــرَ ، للحيـــاةِ متعـــةٌ والتـــزامُ العِـشْ فيهـا ضَيْعَـــةٌ
الغُـرابُ رزقُـه فـي جَـوْفِ قَبْـر عِنْدَ شَمْسٍ رزقُ شاهين ، وَبَدْر
إنَّ سـرَّ الـدِّيـن أكـلٌ لِلْحَـلالْ وهـو صِـدْقٌ والتَّملِّـي للجمـال[2]
كُـنْ قـويـاً وابـغِ بـالـدِّيـن اليقينا واربـطِ القَلْـبَ بـربِّ العَـالمينا[3]
بعض سر الدين مما ليس يظهر يا بنيَّ اسمعْ حَديثي عَنْ مُظَفَّر[4]
وهـو فـي أعمـالـه فَـرْدٌ فَـريـد فـي عُلُـوٍّ لِلمَقَـام بـايـزيـد
فـرسـاً كـان يُعِـزُّ كـالـوَلَـدْ منْ حروبٍ خاضَ أمسى في كَبَدْ[5]
أدْهَـمٌ مِـنْ خيـرِ أفْراسِ العَـرَب ونجيـبٌ وكـريـمٌ فـي النَّسـب[6]
ولـدى المـؤمـنِ عـزَّ أو نَفُـسْ الكتـابُ والحُسَـامُ والفَـرَسْ[7]
أيُّ وصـفٍ؟ إنَّـه خَيْـرُ الجيـاد مـرَّ ريحـاً بـالغـديـر والنِّجـاد![8]
فـي الحُـروْبِ مُشْبِـهٌ لَمْـحَ البَصَـرْ أوْ كـريـحٍ زَلْـزَلَـتْ طَـوْدَ الحَجَـرْ
عَـدْوُهُ مـوْرٌ وفـوْزٌ يَـوْمَ حَشْـر يَسْحَـقُ الحـافـرُ مِنْـهُ كـلَّ صَخْـر
أشبـهَ الإنسـانَ فـاعتـلَّ الجَـواد ذاتَ يـومٍ ، قيـل أضناهُ الكُبـاد[9]
أحضَـرَ البيطـارُ دَنّـاً مِـنْ شـراب وسقـاه فـانتفـى داءُ العَـذَابْ[10]

---

(١) المقام: هو المرحلة في الطريق الذي يسلكه الصُّوفي. وينبغي أن يمر بسبعة مقامات هي: التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا.
ويريد إقبال بالمقام هنا مطلق المنزلة العالية. أماالمقام بضم الميم فبمعنى الإقامة.

(٢) التملِّي: التمتع.

(٣) في الأصل: كنْ صلباً كالماس وأبْعِدْ عن نفسك الوسواس.

(٤) مُظفَّر: من سلاطين كجرت ، وهو ابن السلطان محمود الذي يسميه مسلمو الهند: بيكره.

(٥) في كبد: في تعب.

(٦) الأدهم: الأسود. وقد يكون هذا السواد شديداً أو هيناً.

(٧) عز: صار عزيزاً ، ونفس: صار نفيساً. والمراد بالكتاب: القرآن الكريم.

(٨) الغدير: النهر. والنجاد: جمع نجد ، هو ما ارتفع من الأرض.

(٩) اعتلَّ: مرض. والكباد: داء الكبد.

(١٠) البيطار طبيب الخيل. دَنُّ الشراب: جَرَّةُ الخمر: انتفى: طرد.

غَضِبَ العاهلُ قالَ لا أريد | ذا الجوادَ، فالتُّقَى مِنِّي بعيد
نِلْتَ مِنْ رَبِّكَ قلباً مِنْحَتْه | مسلمٌ هذا تأمَّل طَاعَتَهْ
إنَّما الدِّينُ احتراقٌ في الطَّلَبْ | وَهوَ عِشْقٌ ثُمَّ يتلوهُ الأدَبْ
وبلونِ عزَّ وَرْدٌ أو بِعِطْر | أدبٌ إنْ غابَ كانَ شرَّ إصْر[1]
إنْ رأيتُ الشَّابَّ هذا قَدْ فَقَدْ | فنهاري ضاعَ في لَيْلِ الأبَدْ
وتزيدُ حُرقةٌ كانتْ بِصَدْري | فَلأيَّام النَّبيِّ كانَ ذِكْري
وأتوبُ مِنْ زماني الحاضِرِ | لأغيبَ في الزَّمانِ الغَابِرِ
يَسْتُرُ المرأة زوجٌ أو تُرَاب | والرِّجالُ حِذْرَهم كانَ الصِّحاب[2]
تَنْطِقُ العوراءُ؟ ذا كلُّ الخطأ | كافِرٌ أو مُؤْمنٌ ربِّي برأ[3]
أنْتَ إنسانٌ؟ أخاكَ فاحْتَرِمْ | ليسَ منَّا غيْرَ هذا مَنْ عَلِمْ[4]
تربطُ الناسَ جميعاً عُرْوَةٌ | مِنْكَ في هذا الطريق خُطْوَةٌ؟
ولعبدِ العِشْقِ مِنْ ربٌ طَرِيْق | وعلى الكافِر والبَرِّ الشَّفِيْق[5]
ضمَّن الدِّين وكفراً قَلْبكا | وإذا ما الدِّينُ فرَّ ويلكا!
لَيْسَ هذا القَلْبُ إلا سجنُ طِيْن | إنَّ فيه كلَّ أفقٍ كالوَضين[6]
إنْ رأسْتَ القَوْمَ أو صِرْتَ الغنيَّا | فعلى الفَقْرِ احْرِصَنَّ يا بُنَيَّا[7]

(١) الإصر: الذنب.
(٢) يقول: إنَّ المرأة يسترها أن تتزوج أو تموت. كما يستر الرجل أنْ يأخذ حذرَه من أصدقاء السوء.
(٣) العوراء الكلمة القبيحة. وبرأ: خلق.
(٤) أي لا يعد إنساناً منَّا من تناسى وجوب احترام أخيه في الإنسانية.
(٥) البَرُّ: من يطيع الله.
(٦) الوضين: ما انطوى وانثنى.
(٧) الفقر من مقامات الصُّوفية. وهو ليس فقدان الغنى ليس إلا، بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه، فينبغي للصُّوفي أن يكون خالي اليد والقلب جميعاً، وعلى هذا المعنى لا يتعارض الفقر مع جاه بعض الصُّوفية، ورفعة قدرهم، وقد يكون لهم قدرٌ من المال، ولكن الله يخفي حقيقتهم عن أهل الظاهر. قيل: إنَّ الفقير هو الذي لا يملك ولا يملك، والذي استصفى نفسه في فقره تقرباً. كما قالوا: إن الفقر لباس المرسلين، وزينة الصالحين، وتاج المتقين، وغنيمة العارفين، ورغبة المريدين، ويؤثر عن الصوفية قولهم «الفقر فخري».

إنَّــه فــي الــرُّوحِ مِنْــكَ يَتَّقِــدْ ... عنْ أبٍ خمراً وَرِثْتَ بلْ وجَدْ[1]

لا تــؤمِّــل غَيْــرَ قلــبِ ذي أَلَــمْ ... أدعُ ربَّــاً وانــسَ كــلَّ مــنْ حَكَــمْ

كمْ حصيفٍ وهوَ بالحقِّ البَصير ... غَمَـرَتْـهُ نِعْمـةٌ فَهُـو الضَّـريـر[2]

فبهــا تِلْــكَ القلــوبُ أصْلَــدَتْ ... ودعــاءَ العَبْــدِ عنهــا أبْعَــدَتْ[3]

فـي البـلاد جُلْـتُ أعـواماً طِـوالاً ... لغنـيٍّ مـا رأيـتُ الـدَّمـع سـالا[4]

أهل فَقْرٍ منْ فَدَيْتُ طِبْتُ نَفْسَاً ... ويلَ مَنْ بالنِّعْمَةِ الرحمنَ يَنْسَىٰ

أتــرومُ الــذَّوْقَ عِنْــدَ المُسْلِمِيْنَــا ... وتُــريــدُ الشَّــوْقَ فيهــمْ واليَقيْنَــا

إنَّ لِلْقُــرآن علمــاً لَيْــسَ يُعْــرَف ... والــذئـابُ إنَّهـم أهْـلُ التَّصـوُّف!

الصِّيـاحُ والعَجِيْـجُ فـي الخـوانـقْ ... أيْـن خِمِّيـرٌ لِحُسْـنِ الله عَـاشِـقْ[5]

قلَّـدَ الإفـرنـجَ منَّـا المسلمـونـا ... مـنْ سـرابٍ كـوثـرٌ مـا يطلبـونـا

وبِســـرِّ دِيْنِنَـــا مـــا عِلْمُهُـــمْ؟ ... أهـــلُ حِقْـــدٍ وعـــداءٍ كُلُّهُـــمْ

كـــلُّ خيــرٍ لِلْخَــواصِّ كــالحَـرَام ... مـا رأيـتُ الصِّـدْقَ إلا في العَـوَام

التقـــيَّ مِـــنْ غَـــويٍّ مَيِّـــزَن ... مَـعَ أَهْـلِ الحـقِّ والفَضْـلِ اجْلِسَـنْ

إنَّمـــا النَّسْـــرُ تقــاليـــداً ألـــفْ ... سطـوةُ الشَّـاهِيْـنِ طـارَ ، تختلـف

رجـــلُ اللهِ يَلُـــوْحُ مِثْـــلَ بَـــرْق ... حطبـاً يَجْعـلُ مِـنْ غَـرْبٍ وَشَـرْق

نحـنُ كُنَّـا فـي ظـلام الكـائنـات ... وَهُـوَ ذو حِـذْقٍ بِحَـلِّ المُعْضـلات

والكليـــمُ والمسيـــحُ والخليـــلْ ... والنَّبـيُّ والكتـابُ ، جبـرئيـلْ[6]

إنَّ أهـلَ القلـبِ شَمْسُ الكـائنـات ... نــورُهــا وهَّــابُ هـاتِيْـكَ الحيـاة

وهـي فـي نـورٍ لهـا قَـدْ أحـرقَتْكـا ... ذلــكَ السُّلطــانَ بَعْــدُ علمتكــا

---

(١) يشبه الفقر بالخمر المعتقة. والخمر في مصطلح الصُّوفية نشوةُ العشق الإلهي.

(٢) الحصيف: العاقل.

(٣) أصلدت الأرض: صلبت.

(٤) يريد ليقول: إنه لم يصادف غنياً رقيق القلب يحزن لمصاب غيره.

(٥) الخوانق: جمع خانقاه، وهو المبنى الذي يقيم فيه الصوفية معتزلين متعبدين.
والخمير: مدمن الخمر. والمراد به الصُّوفي.

(٦) الكليم: موسى، والخليل: إبراهيم عليهما السلام. والكتاب هنا: هو القرآن الكريم.

نَحْـنُ بـالنَّـار لهـا أصحـابُ قَلْـب | أو فما ماءٌ وطينٌ مِثْلَ شَوْب![1]
أنْـتَ فـي عَصْـرٍ ولٰـكِـنْ أيُّ عَـصْـر | غارقٌ في الجسم، روحاً لَيْسَ يدري
قَحْـطُ رُوْحٍ سِعْـرُ جسـمٍ أنْقَصـا | رَجُـلُ اللهِ لـذاتٍ نكَّصـا[2]
إنَّ هـذا مـا درىٰ معنـى الطَّلَـبْ | وهـوَ بـالعَيْـنِ يَـرَىٰ يـا لَلْعَجَـبْ
ذوقُ ذاك البَحْـث لا تَتْـرُكْـهُ مـدَّهْ | ولْتُـوَاجِـهْ فـي الحيـاةِ ألـفَ عُقْـدَهْ
صُحْبـةَ النَّـدْب اللبيـبِ إنْ عَـدَمْتَـا | مـا لـديَّ عـن أبـي هـلاَّ أخَـذْتَـا
اجْعَلِ الرُّومِيْ رفيقاً في الطَّريق | يُنْعِـمُ اللهُ بمشبـوبِ الخُفُـوْق[3]
يَعْـرِفُ الـرُّومـي لُبَـاباً مِـنْ قَشُـور | في الطَّريق كانَ مَوْصُولَ المسير
فسَّـروهُ مـا درى المعنـى أحَـدْ | إنَّ معنـاه غَـزَالٌ قَـدْ شَـرَدْ
رَقْصَ جِسمٍ منه كانوا يَفْهَمُونا | رَقْصَـةَ الـرُّوح تنـاسـىٰ الغَـافِلـونـا
رقصـةُ الجِسْـمِ تَـدُورُ بـالتُّـراب | رَقْصةُ الرُّوح لها نَجْمُ السَّحَاب
رَقْصـةُ الأرواحِ عِلْـمٌ وهـي حُكْـمُ | وإلينـا الأرضُ والخضـرا تُضَـمُّ[4]

---

(١) الشوب: القطعة من العجين. والمراد بها جسم الإنسان.

(٢) نكص: أرجع، وفي الأصل: أنه اختفى في ذاته.

(٣) المشبوب: المشتعل.

(٤) الحكم: الحكمة. والخضراء: السماء. وإقبال هنا يحدّثنا عن رقص الدراويش المولوية أتباع جلال الدين الرومي المعروف بمولوي المتوفى بقونية في الأناضول عام ٦٨٣هـ. فقد كان مريدو جلال الدين الرومي يستعينون بالرقص والموسيقى على تحريك نشوة التصوُّف في قلوبهم. وجرت عادتهم بالاجتماع في ما يعرف بسماع خانه أي بيت السماع، وهو بهو متراحب الأرجاء في صدره مجلس للعازفين. ويحل الدراويش بالطويل من قلانسهم والضيق من سراويلهم. وبعد التسليم على شيخهم تبدأ رقصتهم، فيرفعون أذرعهم، وقد اتجهت راحة يده اليمنى إلى أعلى وراحة اليسرى إلى أسفل. ويدورون بعض أطراف أصابعهم دوران الرحى حول قطبها بينما ينفخ في الناي وتقرع الطبول ثم يصلون على النبي ﷺ واضعين أيديهم على صدورهم، ويحنون قامتهم، وبذلك تنتهي رقصتهم.

وفي رأي الصوفية أنَّ السماع وما يفضي إليه من رقص يرقق القلوب وينتزعهم من عالم الثرى ليسمو بها إلى العالم العلوي، كما يثير الطرب في النفوس والخوف عند التائبين. ويضرم نار المشتاقين. وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي (إذا ما ذكرت البحر وأمواجه، فما ذكرت شيئين متباينين، لأن أمواج البحر هي البحر نفسه، ولكن=

جـذبـةٌ لِلْفَـرْدِ منهـا كـالْكَلِيـمْ　　كلُّ شَعْبٍ كانَ ذا المَلِكُ العَظِيْم[1]
إنَّ هـذا ليس سهـلاً فـي التَّعَلُّـم　　وَلِغَيْـر اللهِ فـي القلـب التَّضَـرُّم[2]
وبنـار الحـرص إنْ قلبـاً حـرقتـا　　فبـروحٍ منـك قـطُّ مـا رَقَصْتَـا[3]
يُضْعِفُ الإيمانَ في الإنسانِ هَمْ　　يـا بنـيَّ إنَّـه نِصْـفُ الهَـرَمْ[4]
هَلْ عَلِمْتَ؟ الحرصُ فقرٌ حاضِرُ　　إنَّ مـولاي لـذاتـي قـاهِـرُ[5]
بكَ يا «جاويدُ» لي روحٌ تطيب　　آهِ لـو وافـاكَ مِـنْ هَـذَا نَصِيـبْ[6]
لَشَـرَحْـتُ دِيْـنَ خَيْـرِ الأنبيـاءِ　　وأطَلْتُ لكَ في قَبْرِي دعائي[7]

* * *

= في ارتفاع وانخفاض. والموجُ بَعْدَ هبوطه إلى البحر يعود. وما مَثَلُ البحر إلا مثل بني الإنسان، لأنَّهم أمواج الله. وإلى الله مرجعهم بعد موتهم).
ومن مستطرف ما يروى عن السُّلطان سليم العثماني، أنَّه مرَّ بإقليم قونية وعاصمته قونيه، فتعجب من كثرة الأعاصير، وقال له أحد رجاله متبسطاً إنَّ ما في تلك الأرض من تلال وأحجار وغبار يرقص رقصة المولوية.

(١) الكليم: هو موسى عليه السلام.
(٢) التضرُّم: اشتعال النار.
(٣) حرق: بمعنى أحرق.
(٤) قال النبيُّ ﷺ: «الهمُّ نصف الهرم».
(٥) يشير إقبال إلى قوله ﷺ: «إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر» وفي الأصل: إني عبدٌ لمن قهر ذاته.
(٦) جاويد اسم ابن إقبال الذي أهدى إليه المنظومة، والمراد بهذا في قوله هو رقص الروح. ووافاك: بمعنى أتاك.
(٧) من «ديوان محمد إقبال» الجزء الثاني، صفحة (١٢٥)، إعداد المُعِدِّ لهذا الكتاب، طبع دار ابن كثير، دمشق.

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية

أسباب حيرة الشباب وعلاجها

إنما الشباب هم أولئك الذين يقتنصون النجوم

إلى الشباب المسلم المقيم في ديار الغرب

بقلم

الداعية الحكيم، المربي الجليل

العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي



ترجمة
العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

هو الإمام ، المفكِّر ، الداعية ، الأديب العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله ـ الذي أقل ما يوصف به أنه كان بركة العصر ، وحكيم الهند ، والركن الركين لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

فأمّا أنه «بركة العصر» فيكفي أن نستحضر ما قاله فيه فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي إذ وصفه بقوله :

«وآتاه الله القلب الحي ، والعاطفة الجياشة بالحب لله العظيم ، ولرسوله الكريم ، ولدينه القويم ، فهو يحمل بين جنبيه نبعاً لا يغيض ، وشعلة لا تخبو ، وجمرة لا تتحوَّل إلى رماد .

هذا القلبُ الذي يعيش مع الله في حب وشوق ، راجياً خائفاً ، راغباً راهباً ، يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، كما يعيش في هموم الأمة على اتساعها ، ويحيا في آلامها وآمالها ، لا يشغله هم عن هم ، ولا بلد عن آخر ، ولا فئة من المسلمين عن الفئات الأخرى» .

وأمّا أنه حكيم الهند فقد استطاع بحكمته وحنكته ، وبمنهجه الفريد في الاعتدال والبُعد عن الغلو أن يُنجي المسلمين في الهند وهم وسط جزيرة من الأعداء الحاقدين ، وأقام جمعية «رسالة الإنسانية» فاستطاع أن يستل بها حقد كثير من الهندوس المتعصبين الذين انضموا إلى هذه الحركة ، وفيهم عدد كبير من ذوي المناصب العالية والمكانة المرموقة .

وأمّا أنه عماد رابطة الأدب الإسلامي العالمية وركنها الركين ، فهو الذي

سارت رابطة الأدب الإسلامي ببركة دعائه ، وحكمته وتوجيهه ، رعاها وليدة ، وغذاها ناشئة ، وظل يتعهدها بعد أن بلغت أشدّها وبعد أن أصبحت ثغراً من ثغور الإسلام ، وحصناً من حصونه المنيعة ، لن يؤتى الإسلام من قبله إن شاء الله تعالى .

وُلِدَ العلامة الندوي عام (١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٣ م) في قرية «تكية كلان» من مديرية «رأي بريلي» بولاية أترابرديش (الهند) .

نشأَ وتربَّى إلى التاسعة من عمره في حجر والده العظيم الشيخ عبد الحي الحسني (صاحب «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام») ، وبعد وفاة والده تعلَّم تحت إشراف أخيه الأكبرِ الدكتور عبد العلي الحسني ، وتربَّى عليه وعلى والدته ، التي كانت متعلِّمة وصالحة تقية ، فأحسنتْ تربيته إلى أن أكمل دراسته الابتدائية ، ثم التحق بجامعة ندوة العلماء ودرس على كبار أساتذتها في الشريعة واللغة العربية ، ومنهم الجدير بالذكر العلامة المحدِّث حيدر حسن خان الطونكي والعلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي .

وقضى فترةً من الزمن في دار العلوم الإسلامية (الواقعة في قرية «ديوبند») حيث قرأَ الحديث على الشيخ حسين أحمد المدني ، وكذلك قَضَى فترةً في معهد علوم القرآن بلاهور (التي كانت تجمع بلدي الهند وباكستان قبل انقسامهما) حيث قرأ تفسير القرآن الكريم بكامله على المفسِّر المشهور الشيخ أحمد علي اللاَّهوري .

تخصَّص العلاَّمةُ في التفسير والأدب العربي ، وعُيِّنَ أستاذاً لهما في دار العلوم ـ ندوة العلماء ، ثم قام مدةً بتدريس الحديث الشريف فيها .

ثم انخرَطَ في سلك جماعة الدعوة والتبليغ (لمؤسسها الداعية إلى الله الشيخ محمَّد إلياس الكاندهلوي) وبقي مشتغلاً فيها بعمل الدعوة إلى الله في الناس خطابةً وكتابةً ، وخرج في سبيل الدعوة مرات في الخافقين داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابي البنَّاء في كل مجال ، ودُعِيَ

محاضِراً ومفكِّراً وواعظاً وهادياً بالرأي والفكر في الجامعات العالمية والمجامع العلمية والمؤسَّسات الإسلامية والمؤتمرات والنَّدوات في مختلف بلدان العالم.

اختيرَ نائباً لرئيس اللجنة العليا للتعليم في دار العلوم ـ ندوة العلماء، ثم رئيساً، ثم أميناً عاماً لها، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته، وشغل بجانب ذلك المنصبِ مناصبَ الرئاسة والعضوية لطائفة من الجمعيات والمجالس في الهند وخارجها.

ـ كرئيس **مجلس الأمناء لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في جامعة** أكسفورد ببريطانيا.

ـ ورئيس **مجلس الأحوال الشخصية الإسلامية** لعموم الهند.

ـ ورئيس **المجمع الإسلامي العلمي** في لكهنؤ (الهند).

ـ ورئيس **رابطة الأدب الإسلامي العالمية** (الرياض).

ـ وعضو **المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة.

ـ وعضو **مجامع اللغة العربية** بدمشق والقاهرة والأردن.

توفي ـ رحمه الله ـ في الهند في ٢٢ من شهر رمضان المبارك ١٤٢٠ هـ (الموافق ٣١ من شهر ديسمبر ١٩٩٩ م) وذلك عقب نَوْبة قلبية مُفاجئة، رحمه الله وتغمَّده في واسع جناته.

وللعلاَّمة مؤلَّفات قيمة في الفكر والدعوة والأدب، منها الكبيرة الهامَّة والصغيرة المحدودة الحجم التي تقع في مئة صفحة، بل أكثر، ومن أشهرها:

١ ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟**

٢ ـ **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية.**

٣ ـ **رجال الفكر والدعوة في الإسلام** (أربع مجلَّدات).

٤ ـ **السيرة النبوية.**

٥ ـ الأركان الأربعة في ضوء القرآن والسنة.

٦ ـ المُرتضى.

٧ ـ مختارات من أدب العرب (مجلَّدان).

٨ ـ الطريق إلى المدينة.

٩ ـ إلى الإسلام من جديد.

١٠ ـ روائع إقبال.

١١ ـ العقيدة والعبادة والسلوك.

١٢ ـ إذا هبَّت ريح الإيمان.

١٣ ـ الإسلام: أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية.

١٤ ـ التَّربية الإسلامية الحرَّة.

١٥ ـ ربَّانية لا رهبانيَّة.

١٦ ـ قصص النَّبيين (للأطفال).

١٧ ـ سيرة خاتم النبيين ﷺ (للأطفال).

١٨ ـ قصص من التاريخ الإسلامي (للأطفال)[١].

* * *

---

(١) ملخَّصاً من الفصول الأربعة الأولى لكتاب «أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب» لمعدِّ هذا الكتاب، طبع دار ابن كثير، دمشق.

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية

بُعِثَ رسول الله ﷺ وقد بلغت شقاوة الإنسانية غاية ما وراءها غاية وكانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون لا يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا محنة ، لهم النعيم الحاضر والغد المضمون ، إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم في سبيل خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة ، ويعرضون نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر والضياع ، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم للتلف والكساد ، ويخيبون آمال آبائهم وأصدقائهم فيهم ، حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قومُ صالح ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾[1] .

إنَّه لا بقاءَ للإنسانية ولا قيامَ لدعوةٍ كريمةٍ بغير هؤلاء المجاهدين ، وبشقاء هذه الحفنةِ[2] من البشر في الدنيا ـ كما يعتقدُ كثير من معاصريهم ـ تنعمُ الإنسانيةُ وتسعدُ الأممُ ، ويتحوَّلُ تيار العالم من الشر إلى الخير ، ومن السَّعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم ، وتضيع أموالٌ وتكسدٌ تجارات لبعض الأفراد وتنجو نفوس وأرواح لا يُحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم .

علم الله عند بعثة الرسول ﷺ أنَّ الرُّومَ والفرس والأمم المتحضِّرة المتصرِّفة بزمام العالم المتمدن لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر وتتحمل المتاعب والمصائب في سبيل الدعوة والجهاد وخدمة الإنسانية البائسة ، ولا تستطيع أن تضحى بشيء من دقائق مدنيتها

---

(١) سورة هود : الآية : ٦٢ .

(٢) الحفنة : ملء الكفِّ أو ملء الكفَّين من شيء .

وتأنقاتها في الملبس والمأكل ، وأن تتنزَّل عن حظوظها ولذاتها وزخارفها فضلاً عن حاجاتها ، وأنه لا يُوجد فيها أفراد يقوون على قهر شهواتهم ، والحد من طموحهم ، والزهد في فضول الحياة ومطامع الدنيا ، والقناعة بالكفاف ، فاختار لرسالة الإسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام أمة تضطلع بأعباء الدعوة والجهاد وتقوى على التضحية والإيثار، تلك هي الأمة العربية القوية السليمة التي لم تبتلعها المدنيةُ ولم ينخرها البذخُ والترفُ ، وأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً.

قام الرسولُ بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها: من الجهاد في سبيلها وإيثارها على كل ما يقف في وجهها ، والعزوف عن الشهوات ومطامع الدنيا ، فكان في ذلك أسوةً وإماماً للعالم كله ، كلمه وفد قريش وعرض عليه كل ما يغري الشباب ويرضي الطامحين من رئاسة وشرف ومال عظيم وزواج كريم ، فرفض كل ذلك في صرامة وصراحة ، وكلمه عمه وحاول أن يحد من نشاطه في سبيل الدعوة فقال: **«يَا عَمِّ! وَاللهِ لَوْ وَضَعُوْا الشَّمْس فِي يَمِيْنِي والْقَمْرَ في يَسَارِيْ عَلىٰ أَنْ أَترُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهلكَ دُوْنَهُ مَا تَرْكتُهُ»**[1] ثم كان أسوة للناس في عصره وبعد عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد والإيثار ، والزهد وشظف العيش[2] وأقل قسط من العيش وأسباب الحياة ، فقد أوصد على نفسه الأبواب ، وسد في وجهه الطرق وتعدى ذلك إلى أسرته وأهل بيته والمتصلين به ، فكان أكثر الناس اتصالاً به وأَقربهم إليه أقلَّهم حظاً في الحياة ، وأَعظمهم نشباً في الجهاد والإيثار ، فإذا أراد أن يحرِّم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته وبيته ، وإذا سَنَّ حقاً أو فتح باباً لمنفعة ، قدم الآخرين وربما حرّمه على عشيرته الأقربين ، أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمه العباس بن عبد المطلب فوضعه كله ، وأراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأبطله ، وسن الزكاة وهي منفعة مالية عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بني هاشم إلى آخر

---

(١) سيرة ابن هشام ـ ج: ١ ، ص (٢٦٥ ـ ٢٦٦) طبع دار الجيل الجديد ، بيروت.
(٢) شظف العيش: ضيق العيش.

الأبد ، وكلمه علي بن أبي طالب يوم الفتح أن يجمع لبني هاشم الحجابة مع السقاية فأبى ، وطلب عثمان بن طلحة وناوله مفتاح الكعبة وقال: **هَاكِ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَان ، الْيومُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ ، وَقَالَ: خُذُوْهَا خَالِدَةً تَالِدةً فِيْكُمْ لاَ يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إلاَّ ظَالِمٌ»**[1] وحمل أزواجه على الزهد والقناعة وشظف العيش ، وخيرهن بين عشرتهن مع الفقر وضيق العيش ، ومفارقته مع السعة والرخاء ، وتلا عليهن قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[2] فاخترن الله والرسول ، وتأتيه فاطمة تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى وبلغها أنه جاءه رقيق فيوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ، ويقول لها إنه خير لها من خادم[3] ، وهكذا كان شأنه مع أهل بيته والمتصلين به فالأقرب ثم الأقرب.

وآمنَ به رجالٌ من قريش في مكة فاضطربتْ حياتُهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً وكسدتْ تجاراتُهم وحرم بعضهم رأس ماله الذي جمعه في حياته ، وحرم بعضهم أسباب الترف والرخاء وأناقة اللباس التي كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة وانصراف الزبائن عنه وحرم بعضهم نصيبه في ثروة أبيه.

ثم لمَّا هَاجَرَ الرسول إلى المدينة وتبعه الأنصارُ تأثرت بذلك بساتينهم ومزارعهم ، فلما أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها لم يسمح لهم بذلك وأنذرهم الله به فقال: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾[4].

---

(١) انظر «سيرة ابن هشام» ج ٥ ، ص : ٧٤ ، و«تفسير ابن كثير» ج: ١ ، ص: ٥١٧ ، طبع دار الفكر دمشق.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) زاد المعاد: لابن قيم الجوزية ، ص ٤٢٥ ، نقلاً عن طبقات سعد.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٩٥.

وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم ، فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد وخسائر النفوس والأموال أعظم من نصيب أي أمة في العالم ، وقد خاطبهم الله بقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] وقال : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[2] لأن السعادة البشرية إنما كانتْ تتوقف على ما يقدمونه من تضحية وإيثار ما يتحملون من خسائر ونكبات فقال : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[3] وقال : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[4] وكان إحجام العرب عن هذه المكرمة وترددهم في ذلك امتداداً لشقاء الإنسانية واستمراراً للأوضاع السيئة في العالم فقال : ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[5] .

وقد وقَفَ العالم في القرن السادس المسيحي على مفترق الطرق إمَّا أن يتقدم العرب ويعرضوا نفوسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يعزُّ عليهم للخطر ويزهدوا في مطامع الدنيا ويضحوا في سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم وتسقيم البشرية وتقوم سوق الجنة وتروج بضاعة الإيمان ، وإما أن يؤثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم الفرديـة على سعادة البشرية وصلاح العالم ، فيبقى العالم في حمأ الضلالة والشقاء إلى ما شاء الله ، وقد أراد الله بالإنسانية خيراً وتشجع العرب ـ بما نفخ فيهم محمد ﷺ من روح الإيمان والإيثار وحبب إليهم الدَّار الآخرة وثوابها ـ

(١) سورة التوبة الآية : ٢٤ .
(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٠ .
(٣) سورة البقرة الآية : ١٥٥ .
(٤) سورة العنكبوت : الآية : ٢ .
(٥) سورة الأنفال الآية : ٧٣ .

فقدموا أنفسَهم فداءً للإنسانية كلها وزهدوا في مطامع الدنيا طمعاً في ثواب الله وسعادة النوع الإنساني وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وضحوا بكل ما يحرص عليه الناس من مطامع وشهواتٍ وآمالٍ وأحلام وأخلصوا لله العمل والجهاد ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وقد اسْتَدَار الزمانُ كهيئة يوم بعث الرسول ووقف العالم على مفترق الطرق مرةً ثانيةً إمَّا أَن يتقدم العرب ـ وهم أمة الرسول وعشيرته ـ إلى الميدان ويُغامروا بنفوسهم وإمكانياتهم ومطامحهم ويُخاطروا فيما هم فيه من رَخاءٍ وثَراءٍ ، ودنيا واسعة ، وفرص متاحة للعيش ، وأسباب ميسورة فينهض العالم من عثاره وتتبدل الأرض غير الأرض. وإما أن يَستمرُّوا فيما هم فيه من طمعٍ وطموحٍ ، وتنافس في الوظائف والمرتبات وتفكر في كثرة الدخل والإيراد وزيادة غلة الأملاك وربح التجارات، والحصول على أسباب الترف والتنعيم ، فيبقى العالم في هذا المستنقع الذي يتردى فيه منذ قرون.

إنَّ العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكِفونَ على شهواتهم تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون في غيرهما ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلهما ، ولقد كان شبابُ بعض الأُمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادىء التي اعتنقوها أكبر منهم نفساً ، وأَوسع منهم ، بل كان الشاعر الجاهلي «امرؤ القيس» أعلى منهم همةً ، إذ قَالَ:

وَلَوْ أَنَّنِي أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيْشَةٍ ... كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيْلاً مِنَ الْمَالِ
وَلٰكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمؤثلُ أَمْثَالِيْ

إنَّ العالم لا يمكن أَن يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم ، إن الأرض لفي حاجةٍ إلى سماد[2] ، وسماد أرض البشرية الذي تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هي الشهواتُ والمطامعُ

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٤٨.
(٢) سَمَاد: مادة توضع في الأرض لإخصابها.

الفرديةُ التي يُضَحِّي بها الشباب العربي في سبيل عُلُوِّ الإسلام وبسط الأَمن والسلام على العالم وانتقال الناس من الطريق المُؤَدِّية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة.

إنه لثمن قليل جداً لسلعة غالية جداً[1].

* * *

(١) مأخوذ من «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للعلامة الندوي، ص ١١٠ ـ ١١٤ طبع دار ابن كثير بدمشق.

أسباب حيرة الشباب وعلاجها

إنِّي أُصارحكم أيها السادة! أني كنت مستغرباً جداً إذا لم يكن الشباب الإسلامي في حيرة كما تجدونه وتشعرون به ، إن الشجرة لا تلام على ثمرتها ، إن في إمكان البستاني أن لا يغرس شجرة من الشجرات ولكن ليس من المعقول وليس من الطبيعي أنه إذا غرس شجرة معينة ، ثم سهر عليها وغذاها ونماها ، وسقاها وأحيا ليالي متوالية ، وقف في وهج الشمس وفي البرد القارس ليحرس منها هذه الشجرة ولتؤتي أكلها بعد حين ، ثم إذا آتت أكلها الطبيعية لامها ونزل عليها غضباً وأنكر منها هذه الشجرة ، هذا شيء غير معقول وغير طبيعي ، لأن طبيعة الشجرة هي طبيعة الشجرة منذ خلق الله هذا الكون ، ومنذ خلق هذه الشجرة ، فشجرة الزيتون ستعطي ثمر الزيتون وشجرة الرمان ستعطي الرمان ، وهكذا.

---

(١) انعقدت ندوة علمية في عمان في ١٨/٨/٧٣م في قاعة الكلية العلمية الإسلامية ، وحضرها نخبة من الأساتذة الكبار والمثقفين وفضلاء البلد ، والمعنيين بالثقافة الإسلامية ، وكان العنوان: «دور الشباب المسلم في المجتمعات المعاصرة».
قدم الأستاذ محمد إبراهيم شقر للندوة مقدمة قيمة صور فيها واقع الشباب ووقوعهم فريسة لحيرة تورطوا فيها ، وصور العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه تصويراً دقيقاً شاملاً ، تعرض فيه للطاقات والفلسفات المتنافسة التي تتوزعه وتتحكم فيه ، ثم وجه السؤال الأول وهو:
أستاذنا! العالم الإسلامي بأسره اليوم يعيش حيرة مردية ، عقيدة وتصوراً وسلوكاً ، وأبرز ما تكون هذه الحيرة في الشباب المسلم في بلادنا خاصة ، فنريد أن نعرف أولاً ما هي الأسباب التي خلقت هذه الحيرة أو ساعدت على وجودها؟
وشرح العلامة الندوي أسباب حيرة الشباب وعلاجها.

إنَّ مِن أعظم الأسباب في هذه الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم بصفة خاصة وشباب العالم عامة ، هو التناقض في التوجيه والإعلام والتربية ، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه ، وبين ما يلقونه تلقيناً وبين ما يطلبه منهم علماء الدين ، هذا التناقض العجيب الذي سلط عليهم ومنوا به هو السر في هذه الحيرة ، هذه الحيرة المردية ، هنالك عقائد آمنوا بها كمسلم ولد في بيت إسلامي في أسرة إسلامية ، ونشأ على كثير من العقائد وتلقاها بوعي أو بغير وعي ، ثم إنه نشأ في بيئة دينية تؤمن بمبادىء الإسلام وقرأ التاريخ الإسلامي ـ إذا أكرمه الله بذلك وسنحت له هذه الفرصة الكريمة ـ وكان سعيداً بوجوده في بيئة واعية دينية ، ثم سيق ـ ومعذرتي إلى اختيار هذه الكلمة ، لأنه لا يزال في سن مبكرة وليس له خيار ـ إلى دور ثقافة يسمع فيها من أولئك الأساتذة الذين يجلهم لأنهم أصحاب اختصاص وأصحاب زعامة في كثير من العلوم ، كل ما ينقض ما أبرمته البيئة ، وكل ما غرسته في قلبه وعقله من التربية الإسلامية ، يسمع ويرى كل ما ينفي كل ذلك ، أو ما يقلل قيمته على الأقل ، فيقع في تناقض عجيب وفي صراع فكري عنيف ، وهذا الصراع الفكري يدوم معه إلى أن يشاء الله ، أو تحدث معجزة ، إنها حقاً في هذه البيئة التي نعيش فيها ، صراع من أدق أنواع الصراع ومن أصعب أنواعه ، الصراع بين القوى المتعارضة ، إنه قد يواجه الصراع في ساحة القتال ، ومدة ساعة القتال قصيرة وإن طالت ، ولكن هذا الصراع يعالجه دائماً ، إنه يعالجه في المسجد ، ويعالجه في المدرسة ، ويعالجه في البيت ، ويعالجه فيما بينه وبين نفسه ، هذا الصراع المرير الهائل العميق يتلقى من مؤسسة «الإعلام» ومؤسسة الصحافة بالمعنى العام ، ومن التلفزيون الذي جاء حديثاً ، يسمعون إذاعات وأحاديث وبرامج تقضي على البقية من آثار التربية القديمة ، وتحدث فيهم ثورة فكرية وقلقاً نفسياً ، والصحافة التي هي «صاحبة الجلالة» في نظر كثير من الناس تقدم إليهم في أول النهار الغذاء الفاسد العفن ، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف قبل أن يكسر الصفراء على تعبير إخواننا السوريين ، وقبل أن يتلو شيئاً من القرآن ، فأول ما يقع عليه نظرهم صورة عارية لفتاة ، وعناوين

مثيرة للغرائز أو مقالات مثيرة للشكوك مزعزعة للإيمان والثقة ، فيتلقون هذا في رغبة ونهامة ، وفي شوق واستجابة ، إنه يقع في أيدهم كتب علمية لها عناوين هائلة ، وأسماء مرعبة صادرة من أناس آمنوا بفضلهم وعبقريتهم ، فيرون ما يشككهم في مصادر الشريعة الإسلامية ، وحتى في مصادر اللغة والأدب الأولى ، ويشككهم في صلاحية هذه الأمة ، وفي خلود الرسالة التي يحملونها ، يشككهم في صلاحية اللغة العربية ، فيتلقون هذا المزيج العجيب ، وهذه الخميرة العجيبة ، من أفكار ومبادىء وإغراءات ومن نظريات علمية ، ويقعون من كل ذلك في حيرة لا تعدلها حيرة ، فخليق بكل هذا أن يوقع الإنسان ـ وإن كان ناضج الفكرة ، مختمر العقل حصيف الرأي ـ في حيرة ، فكيف بالشباب الناعم؟ وكيف لهذه البراغم الناعمة التي لم تفتح بعد ، كيف يرجى منهم أن يقفوا أمام التيارات المتصارعة؟!

إنَّ مثل ذلك أيها الإخوان السادة! كمثل عجلة أو مركبة ركب فيها فرس في الأمام وركب فيها فرس في الوراء وكلاهما قويان ، فكما أن هذه العجلة من المعقول جداً أن يكون ركابها في حيرة من أمرهم ، هذا يجرها إلى الأمام ، وهذا يجرها إلى الوراء ، فكذلك الشباب يتأرجحون في أرجوحة يميناً وشمالاً .

إنَّ الأدب الذي لم يزل يواجهنا منذ خمسين سنة على الأقل من العواصم العربية الكبرى ، التي كان لها التوجيه ، وكانت لها الزعامة الفكرية والدينية ، وهذه غرست في قلوب الناشئة وفي قلوب الشباب ، بل في قلوب كثير من الكهول بذوراً من الشك والاضطراب ، تشككوا حتى في وجودهم ، تشكَّكوا في كل ما تواتر واستفاض وأصبح من قبيل البديهيات ، إن هذه الكتب التي أريد من ورائها رزق أو شهرة ، أو زعامة فكرية ، أو هتاف وتصفيق حاد ، إن هذه كلها غرست في قلوب شبابنا الشك والحيرة والتناقض ، فأنا لا أستغرب هذا الوضع ، وهذا هو السبب الرئيسي والسر في حيرة الشباب .

ورداً على سؤال وجهه الأستاذ عن العلاج الصحيح لهذه الحيرة التي يقع فيها الشباب صرح سماحته: «إنني أعتقد أن أول خطوة نخطوها نحو إنقاذ الشباب من هذه الحيرة المردية هي توحيد نظام التعليم، ولستم في حاجة إلى شرح هذه النقطة، فإن المعسكر التعليمي موزع قسمين: المعسكر الديني، والمعسكر اللاديني أو العلماني، أو المعسكر القديم، والمعسكر الجديد، وهذه الثنوية أو الازدواجية في التعليم هي السبب الأكبر في خلق هذه الحيرة التي يعيشها الشباب، فأول خطوة نخطوها إلى الغاية الصحيحة لإزالة هذه الحيرة، هي تنسيق غايات التعليم ومواد التعليم، فهنالك كما قلت تناقض في المواد الدراسية فالذي يبنيه تعليم يهدمه تعليم آخر، فكذلك العلوم التي لم تكن لها صلة بالعقائد هي كذلك لها اتصال بالعقائد وما أصبح التعليم مجرداً أن اعتقاد أن من التعليم ما هو محائد وما هو نزيه كل النزاهة، وما هو بعيد كل البعد عن التأثير في العقيدة قد أصبحت نظرية قديمة ولا نصيب لها من الصحة، فالخطوة الأولى الخطوة الثورية الجذرية هي إحداث تنسيق في نظام التعليم، فلا قديم ولا جديد، ولا ديني بالمعنى اللاهوتي، وبالمعنى الكهنوتي المسيحي الأوربي، ولا بالمعنى الإسلامي الصحيح، فلا تعليم لاهوتي ولا تعليم دنيوي أو زمني أو علماني، بل التعليم وحدة لا تتجزأ، إنما ينقسم بين غايات ووسائل ولابد أن تكون بين هذه الوسائل وحدة تربطها وتخضعها للغاية الأساسية.

ثم إزالة النفاق يعني: هذا التناقض الذي يعبر عنه لسان السنة، ولسان القرآن بكلمة: «النفاق» لا أعني بالتنسيق التنسيق بين تعليم قطر وبين تعليم قطر آخر، إنما أعني به التنسيق في تعليم القطر، إن هذا يحتاج إلى قلب نظام التعليم رأساً على عقب، يعني إحداث نظام تعليمي كوحدة متكاملة متناسقة، وهذا يحتاج إلى ثورة عارمة، إلى ثورة جريئة ودقيقة وشاملة، وتحتاج طبعاً إلى أناس عندهم الأصالة الفكرية، لا يعيشون متطفلين على مائدة الغرب، إنه يحتاج إلى الاجتهاد في المواد الدراسية، وهذا يحتاج طبعاً إلى مشاريع عملاقة، وإلى جهود كبيرة واسعة النطاق عميقة الجذور، وتحتاج كذلك إلى أن تتبناها الحكومات الإسلامية والمجامع الإسلامية

الكبيرة فإذا نجحنا في تطوير نظام التعليم تطويراً جديداً ، وإذا نجحنا في إزالة النفاق عن هذا المجتمع الذي نعيش فيه إذاً من المؤمل أن ننقذ الشباب من هذه الحيرة المردية.

ثم الإخلاص والعزم الصادق والتضحية التي لا غنى عنها ، هذه كلها عوامل لوجود بيئة مناسبة أو الأجواء المناسبة لنمو الشخصية الإسلامية وإكمالها ووصولها إلى الغاية المطلوبة ، وهذه الغاية لا تتحقق إلا إذا مثّل الشباب دورهم كشباب مسلم في هذا المعترك الفكري الذي لم يشاهد تاريخ الإنسانية معتركاً فكرياً مثله ، إن الشباب طبقات وأقسام كثيرة ، ليس هناك طراز واحد من الشباب ، إننا شاهدنا عدداً كبيراً من الشباب يتلهفون شوقاً إلى أن يلعبوا دورهم ، وهم في استعداد تام وعندهم التألم الشديد مما هو واقع حولهم ، إن هؤلاء الشباب هم أمل اليوم وجيل المستقبل ، وفي الحقيقة : إن الشباب هم الذين يستطيعون أن يحولوا هذا التيار ، وعندي من المعلومات ما تؤكد لي أن في الشباب مجالاً واسعاً للعمل الإسلامي والفكر الإسلامي ، وعندهم قلق والقلق أول خطوات النمو والتقدم والتحسن ، إن الشباب قلقون اليوم وإن الحضارة الغربية قد عجزت عن تسليتهم وإرضائهم وإن هناك فراغاً لم يملأ ولا يمكن أن يملأ ، كما تفضل الأستاذ كامل الشريف ، إن هنالك ديناً واحداً يستطيع أن يملأ الفراغ الهائل الذي أحدثته أوربا بين القلب والروح والجسم والمادة ، وهذا من خصائص الحضارة الغربية التي لها تجارب خاصة ومراحل معينة مرت في رحلتها الطويلة ، ولكن ـ مع الأسف الشديد ومن سوء حظ الإنسانية ـ لما آلت القيادة إلى أوربا أثرت هذه التجارب في تفكير الأمم التي كانت في عزلة عن هذه التجارب ، تجارب مجتمع خاص كانت لدينه طبيعة خاصة ، وقد حدث فيه صراع بين الكنيسة والحكم وصراع بين تعليم الدين ، وصراع بين الكهنوت والعقل السليم والعلم الحديث ، هذا كله من تجارب الغرب وكان الشرق غنياً عن هذه التجارب ، لم يكن منها في عير ولا نفير ، ولكن فرض الغرب وفرضت الثقافة الغربية هذه التجارب وانطباعات هذه التجارب ، ومردود هذه التجارب ، وقيمة هذه التجارب ، فنظرية «الدين قضية شخصية»

و«الفصل بين الدين والسياسة» هذه كلها تجارب الأمم الأوربية لظروف خاصة ، وأجواء خاصة ، وللطبيعة المسيحية التي دانت بها أوربا ، ولكنها قد أشركت فيها الشعوب الشرقية من غير سبب ومن غير مبرر ، فهذا الفراغ موجود في الشباب ، والشباب بدؤوا يشعرون بهذا الفراغ ، وإن ما نشاهده من انحرافات وشذوذ ومن مبالغات ومن تطرف في حياة الشباب ، كل ذلك شعور لهذا الفراغ . وإني أستطيع أن أقول في ضوء تجاربي ومشاهداتي في الشرق وفي آسيا : إن الشباب فيهم قابلية واستعداد كبير ليكونوا قادة حركة جديدة ، وليخوضوا هذه المعركة .

ولكننا نعيش في عزلة عن الشباب وعندنا كثير من سوء تفاهم ، ومن إساءة ظن ومن جهل للوضع الذي يعيش فيه الشباب ، فإذا ملئت هذه الفجوة بين الكهول والشباب ، وبين الدعاة إلى الدين وبين الشباب الجامعيين والشباب المثقفين بالثقافة الغربية ، يمكن أن نجر عدداً كبيراً ونجعلهم مقتنعين مستجيبين لهذه الدعوة متحمسين لها ، ولكن ذلك يحتاج إلى مخططات دقيقة عميقة ، مخططات علمية مدروسة ، يحتاج ذلك إلى مكتبة جديدة ، يحتاج ذلك إلى أسلوب جديد في الحديث مع الشباب ، يحتاج ذلك إلى الحكمة التي أشار إليها القرآن بقوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] يحتاج ذلك إلى أن تكون عندنا أقلام قوية بليغة ، وأن تكون عندنا تلك المقدرة البيانية والطلاوة الأدبية وحلاوة التعبير التي لا يمكن لدعوة أن تشق طريقها إلى الأمام وأن تنفذ في عقول الشباب وفي نفوسهم من غير هذا الطريق .

إنّنا نرى ـ مع الأسف الشديد ـ أن كثيراً من علمائنا الأفاضل يعتبرون التضلع من آداب اللغة ، والحصول على تلك المقدرة البيانية ، والأسلوب البليغ الذي يدخل إلى قرارة النفوس ، من فضول واجبات العلماء وعلى هامشها ، وقد يعتبرون ذلك ابتعاداً عن وظيفتهم وانحرافاً عن جادتهم ، مع أننا نرى أن القرآن نوه بهذه الحقيقة ، وكلنا نؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو

---

(١) سورة النحل : الآية : ١٢٥ .

أغنى الأغنياء ، ولكنه أنزل كتابه في أسلوب معجز ، وفي لسان عربي مبين ولم ينزل في لسان عربي مبين فحسب ، بل نوه بهذه الناحية في غير موضع من مواضع القرآن ، فقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] فمعنى ذلك أن ناحية اللفظ وناحية الأسلوب وناحية البلاغة ناحية مهمة.
وإذا رجعنا إلى تاريخ الإصلاح والتجديد رأينا أن الذين كانوا على قمة الإخلاص وعلى ذروة الانقطاع إلى الله وإلى الربانية الصادقة كانوا لا يستهينون بهذه الناحية ، وإنما كانوا يهتمون بها كل الاهتمام ، ولا نضرب المثل بالنبي الكريم ﷺ في هذه المناسبة لأنه ﷺ أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء من غير شك وهذا معروف عند الجميع ، ولكني أضرب المثل بسيدنا علي بن أبي طالب ، إنه كان في قمة من البلاغة ، ونواصل سيرنا إلى آخر القرون الإسلامية ، فنرى أن من تبوأ القيادة أو الزعامة في الدعوة الإسلامية كانوا على جانب عظيم من البلاغة ومن فهم نفسية المخاطبين ، إنني في الحقيقة أوخذ بالحيرة ، إذا قرأت خطب سيدنا عبد القادر الجيلاني ، فأنا أرى أن هذا الرجل الذي اشتهر في العالم كله ، وفي جميع العصور بزهده وبقناعته وبربانيته ، وبإشراقه وتبتله ، إنه يخاطب الجيل المعاصر والمجتمع الذي كان يعيش فيه في بغداد ، البلد الذي ولد فيه الحريري وولد فيه ابن الجوزي ، وولد فيه الصابي ، وولد فيه هؤلاء الشعراء ، وتغنى فيه البحتري ، والشريف الرضي ، والمتنبي ، وأبو تمام ، والمعري.

كانت بغدادُ عاصمةَ عالم الإسلام ومركز الخلافة العباسية ، كانت محطة كل عبقري من جميع الأصناف ، فسيدنا عبد القادر الكيلاني نراه يخاطب الجيل المعاصر في بغداد بلسان يحلق في البلاغة ، ويخاطبهم بأسلوب ساحر ، بأسلوب يبلغ إلى الأعماق ، بأسلوب لا تزال له الصولة إلى الآن ، وإذا قرأنا خطبه التي دونها المدنون وحرصوا على نقل اللفظ الصحيح

---

(١) سورة الشعراء ، الآية: ١٩٣.

لاعتقادهم أن ما يصدر من القلب يدخل في القلب ، وهذا كان من دواعي الحرص على نقل الكلام بالحرف .

وهذا يعطينا الفكرةَ عن أهمية الأدب والأسلوب ، إننا إذا أردنا أن نوجه الشباب التوجيه الإسلامي العميق ، فعلينا أن نتسلح بذلك ، أن نعد له عدته ، وأن نستوفي تلك الشروط التي كانت لكل زمان ومكان ، وهي لا تزال لها قيمتها وأهميتها وتأثيرها ، وهو إحداث مكتبة إسلامية علمية تلائم عقلية الشباب وتؤثر فيها ، ويتقبلها الشباب بقبول حسن ، بل يتشوقون إليها ويمدون إليها يدهم ، فإذا وفينا هذه الشروط فإني واثق بأن الشباب مستعدون ليكونوا ، لا مؤمنين بهذه الفكرة فحسب ، بل دعاة متحمسين لهذه الفكرة والدعوة ، متفانين فيها ، متهالكين عليها ، لا يعدلون بها شيئاً .

* * *

إنما الشباب هم أولئك الذين يقتنصون النجوم

إخوتي الأعزاء! قد شعرتُ بوجودي بينكم ، وحضوري في مجلسكم هذا بسرورٍ ، لا يشعر به إلا العامل في مجال الدَّعوة الإسلاميَّة ، أو المدرِّس ، والأستاذ في مدرسةٍ إسلاميَّةٍ ، الذي استهلك مهجه في بناء الشباب الإسلاميِّ وعلى تربية البراعم في حديقة الإسلام ، ويتمنَّى أن لو أتيح له أن يقرَّ عينيه برؤية شبابٍ وَصَفَهُ الدكتور محمد إقبال في بيته البليغ :

«إنِّي إنَّما أحِبُّ الشبابَ الذين يقتنصونَ النُّجومَ والكواكبَ» .

وإنما طبتُ نفساً بهؤلاء الشباب الكرام لأنِّي أرى فيهم خيراً كبيراً ، أرى أنَّهم سوف يقفون حياتهم لخدمة الإسلام ولإعلاء كلمة الله ، ويلتزمون الصِّراط المستقيم .

الصِّراط المستقيم في دقّته وحدَّته كالصِّراط الذي يواجهه الجنّ والبشر يوم القيامة :

الصراط المستقيم ـ أيها السادة! قد يتحوَّل إلى «الصِّراط» الذي هو أحدُّ من السيف ، وأدقُّ من الشَّعر ، فالحمد لله الذي اختارنا لهذا العمل العظيم ، وأراد أن يكرمنا بنعمه ، وأن يشملنا بآلائه عن طريق هذا «الصِّراط» . . . . وقد جاء في الحديث الشريف أنَّه ـ حينما يكرم العبد المؤمن بالجزاء الأوفى ، والثواب المستوفى من ربّه الكريم الرحيم على ما

---

(١) ألقى العلامة الندوي هذه المحاضرة في ٢٥/ يوليو ١٩٧٨م بجامعة بنجاب بمدينة لاهور ، وكان هذا المخيَّم مخيّم جمعية الطلبة الإسلامية التربوي قد ضمّ خيرة الطلاب في مختلف الكليات المنتشرة في ولاية بنجاب ، والمسؤولين عن المخيَّم .

لاقاه من الشدائد في سبيله في الدُّنيا ـ يتمنَّى كلٌّ من يشهد هذا المشهد أن لو وفق إلى معاناة أمثال هذه المشاقِّ ، وقطعت جلودهم بالمقاريض ، ونشرت رؤوسهم بالمناشير . . . فلنحمد الله عزَّ وجلَّ على أنه جعلنا موضع اهتمامه ، وانتقانا من بين عباده ، لكي يغطِّينا بجميل كرمه .

وقد جرَّبتم ـ يا إخوتي التلاميذ ـ أنَّه إذا كان هناك طالب مجدٌّ وصل الليل بالنَّهار ، وعاش في مراجعة الموادِّ الدراسيَّة واستظهارها ، واستوفى ظمأ اجتهاده في الدِّراسة ، ثم حضر قاعة الامتحان ، ففاجأته أسئلةٌ سهلةٌ لا تحتاج الإجابة عليها إلى اجتهادٍ وإجهاد ، فيقلِّب كفَّيه ، ويتحسَّر على سوء حظه ، لأنه يرى في ذلك ضياعاً لجهده ، واستهانةً بقيمة سهره ليل نهار ، ويتمنَّى أن لو علم بحيلةٍ من ذي قبل أنَّ الأسئلة ستكون بهذه المكانة من السهولة ، أمَّا إذا استقبلته أسئلةٌ صعبةٌ تتطلَّب أعمال الجهد والفكر ، والإمعان والتقليب ، فيرى كأنَّه استوفى قيمة جهده .

إنَّ التسهيلات تُسَبِّبُ العقبات في طريق الحياة :

ومن فتور الهمَّة أن نشكو صعوبة الحياة ، وأن نقول : نحن نعيش في عصرٍ متأزِّم ، ونسير في طريقٍ مفروشٍ بالأشواك ، ومن بعد الهمة والطموح أن يشكو الإنسان السهولة ، يظنُّ في نفسه كأنه حُطّ من شأنه ، وغضَّ من مكانه ، ولم يُر أهلاً لمواجهة الشدائد ، ومنازعة العقبات ، ومصارعة الجنادل والصخور . . . ولو حفلت الحياة بالسهولة ، لغابت لذَّتها ، وفقد رواؤها ، ولقد صدق الشاعر الأرديُّ الذي قال :

«إنِّي أمضي في طريق حياتي أهزؤ بالشدائد المتموِّجة والمشاقِّ المتلاطمة ، ولو كانت الحياة كلها سهولة ؛ لكانت كلاً وعبئاً ثقيلاً لا يطاق» .

ربُّكم يخاطبُكم :

يا سادة! قد تلوتُ عليكم آيةً من سورة الكهف ، وثبت إلى لساني عفواً : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[1] ، و«الفتية» جمع فتى ، وهو

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٣

الشباب الحدث الناهض ، يقول الله تبارك وتعالى : إنَّ هؤلاء الشباب الطيبين الطاهرين أحكموا إيمانهم بالله ، وأوثقوا رباطهم مع ربِّهم ، فلما أتمُّوا هذه المرحلة الأولى من عند أنفسهم ، زدناهم نحن هدىً ، وقوَّينا قلوبهم ، وربطنا عليها .

إنَّ الآية الكريمة تحدد مسؤوليتنا نحن ، وتشير إشاراتٍ كبيرةٍ إلى أنَّه إذا ما قمنا بما يجب علينا إلى حدٍّ مستطاع فهنالك يأتي نصر الله ، وتستقبلنا رحمته . . . . . وهذا المعنى تؤكده كثيرٌ من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبويَّة الشريفة : ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[1] ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[2] ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾[3] وقد شكوا إلى النبيِّ ﷺ قلة الماء ، وكان له ﷺ أن يتضرَّع إلى الله ويستمطره رأساً ، لكنه لم يصنع ذلك ، بل دعا بالبقية الباقية من الماء ، فوضع فيه أصبعه ، فإذا به يفور فوراناً ، وقد شكي إليه قلة الغذاء ، فاستدعى بما بقي من ثمالة الطعام ، وتجمَّع لديه شيءٌ من التَّمر اليابس ، وكسرة الخبز البائتة ، وشيءٌ من الشعير ، وما إليه من الطعام ، فدعا الله عز وجل وتمسَّح به بيده المباركة ، فزاد زيادةً ملموسةً ، حتى كفى الجيش كلَّه ، وقد كان له أن يدعو الله تبارك وتعالى كسيدنا عيسى عليه السلام : ﴿رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[4] . لكنه ﷺ إنما لم يصنع ذلك لأنَّ أمته كانت مكلَّفة بإعمال مواهبها الذاتية ، وقوَّتها الإرادية ، وعزيمتها الشخصية ؛ قد كتب عليها الله أن تمرَّ بمراحل الحياة المتنوعة ، وأن تواجه من وضعيَّة الدعوة والزمان ما لم تواجهه أمة قبلها ، فلم يمكنها أن تجلس ضائعةً عاطلة ، وألاّ تحرك يديها ، ولا تمشي برجلها ، ولا تفكر بعقلها ، ولا تستخدم ساعديها ، ولا تحكَّ جلدها بظفرها .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٥٣ .
(٢) سورة محمد ، الآية : ٧ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٤٠ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ١١٤ .

ومن ثم ألقى عليها هذا الدرس الحكيم ، وقيل لها : تقدَّمي بما عندك نزده من عندنا ، وقد تجلَّت هذه الحكمة الدقيقة العميقة في بعض ما ظهر على يديه ﷺ من المعجزات ، فواجه بثلاثمئة وثلاثة عشر نفراً (وهم عزل عن الوسائل المادية) جحافل الكفار في ميدان بدر ، وقد كان له غناء في ان يردَّ الكفار بقوته المعنوية ، ويهزمهم بدعائه المستجاب ، وأن يقذف عليهم الحصى المقروء عليها ، وأن ينفثهم بالآيات القرآنية ، لكنه لم يجرب هذه الوسائل ، بل قطع مسافةً شاسعةً ، مسافة ٧٠ ـ ٨٠ ميلاً ، ونزل ببدر ، وصفَّف جيشه كعادة القواد في الحرب في عصره. . . فلنع هذا الدرس ، ولنكن على ذكرٍ منه دائماً.

كانت القضية قضية الرُّبوبية :

كانت الحكومةُ قد أحكمت قبضتها على موادِّ التموين ، وعلى كل وسائل الحياة والاقتصاد ، فما كان أحدٌ من الشعب يفوز منها بشيءٍ إلا الذي كانت تتكرَّم عليه الحكومة بعطفها ، وهي التي كانت توزِّع الوظائف كما تشاء ، وتوزِّع الثروة كما تشاء وتتصرَّف في وسائل الحياة كما تشاء ، كأنها صارت «ربّاً صناعيّاً» فيقول الله تبارك وتعالى : كان هناك فتيةٌ طموحون قد نهضوا ، وأعلنوا كفرهم بربوبيتها ، وأفردوا الله بالربوبية ، وأخلصوا له العبودية ، وقالوا بملء أفواههم في نشوةٍ واعتزازٍ : لن نخضع إلا لله الواحد القهار ، لأنَّه هو الذي يربينا ، ويرزقنا ، وهو الذي يهيء لنا وسائل الحياة ، وطريق المعاش ، وهو الذي يعزُّ ويذلُّ ، فينصر من يشاء ، ويخذل من يشاء ، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

فلمَّا عبروا هذه المرحلة في كل توفيق ونجاحٍ ، زادهم الله هدى. . . وقد دلَّت الآية : أنَّ الهداية مصدرها واحدٌ ، وهو الله الأحد الصمد ، ولا يمكن أحداً أن يكسب الهداية بذكائه ، أو قوَّته الفكرية والعقلية ، أو عن دراسته وكتاباته ، أو عن طريق خوضه في المكتبات ، وسيل المعلومات ، فقد نسب الله تعالى الهداية إلى نفسه ، واختار صيغة المجموع في الخطاب كالعظماء والسَّلاطين ، على كلٍّ فإنَّ هؤلاء الفتية الموفّقين ، السعداء

الصالحين ، قد بلغوا إلى هذه الذروة السامقة بلفتةٍ حانيةٍ من ربِّهم الكريم ، وما استحقُّوها إلا بعد ما أسلموا وجوههم له ، وانقطعوا إليه ، وكفروا بكلِّ الأرباب ، وضربوا بعبوديّة كلِّ الآلهة الكاذبة عرض الحائط ، واجتهدوا في معرفة الله وحده ، وتعمَّقوا في معرفة صفاته السَّامية ، وأسمائه الحسنى ، وأعملوا في ذلك جهدهم وفكرهم.

طموح الشباب وفعَّاليتهم:

وقد حدَثَ ذلك عندما نزحت النصرانية لأول مرَّة من سيناء مركزها الأصيل إلى روما ، التي كانت تحكمها حكومةٌ وثنيَّةٌ متزمِّتةٌ ، لما وصل إليها هؤلاء الفتية الدعاة بدأ الشباب يتأثرون بدعوتهم ، ويدلُّنا التاريخ على أن الشباب في كثير من الأحيان كانوا هم السابقين الأولين في الإساغة لدعوةٍ ، والتأثر بفكرةٍ ، لأنَّ الشيوخ والكهول ربما يكونون مثقلين بأعباء وأحمال وقيود وأغلال ، أغلال التقاليد والأعراف ، وأغلال العلاقات والصِّلات بالبلاد والشعب ، وأغلال القيم العائلية ، فكل ذلك يقف حجرة عثرة في طريقهم إلى منزلٍ آخر ، وعبورهم إلى شاطىء الصواب ، وذلك مثل من يكون مشدوداً بالأحجار ، أو يحمل الأمتعة والعروض لا يمكنه أن يسبح في الماء ، أو يعبر إلى الشطِّ ، في السهولة التي يعبر بها الرَّجل الأعزل الخفيف.

أمَّا الشباب: فلا تمنعهم جنادل وصخورٌ تعترض طريقهم من التوصل إلى المنزل بفضل فتوَّتهم ، وطموحهم ، وحماسهم الثائر ، ودمهم الفائر ، وهمَّتهم الوثَّابة ، وروح «اللااكتراث» التي هي من أخصِّ خصائص الشباب ، فما أن يقرع آذانهم صوت الحق إلا ويقولون: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ . . . ﴾[1] فكذلك كان أولئك الفتية المؤمنون ، ما كانت في أرجلهم قيود التقاليد والأعراف ، والصلات

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١٩٣.

والوشائج ، التي قد تثقل أرجل الطاعنين في السنِّ ، فهرعوا إلى صوت الحقِّ ولبُّوا نداء الصِّدق .

طريقٌ مفروشٌ بالأزهار وطريقٌ مفروشٌ بالأشواك :

ثم جاء دورُ المحنة والبلاء والتمحيص الذي يأتي طبعاً في طريق الدعوة ، فيواجه الداعي موقفين ، مؤدَّاهما واحدٌ ، أو طريقين كلاهما ينصبُّ في نهرٍ واحدٍ : طريق مفروش بالأشواك ، بل بالجذوات المتَّقدة ، والنار المحرقة ، وطريق الإغراء بالجوائز والصِّلات ، والمناصب والجاه ، والتسهيلات والامتيازات ، وكلاهما طريقان شاقَّان وعران تعترضهما وهدات الهلاك ، وهوى الدمار والبوار .

ويقول المحنَّكون : إنَّ الطريق المفروش بالأزهار أشدُّ وعورةً من الطريق المفروش بالأشواك ، فقد يفعل الترغيب ما لا يفعله الترهيب ، وقد أكَّد هذه الحقيقة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقد صمد أمام كلِّ التهديدات والترهيبات ، بل أنواع التعذيب التي قام بها المعتصم بالله فيما يتعلق بقضية كون القرآن مخلوقاً أو غير مخلوقٍ ، حتى ضُرِب بالسِّياط وانخلعت كتفه ، تلك السياط التي لو صبت على الفيلة لانهارت أمامها ، ولمَّا مات المعتصم ، وخلفه أخوه المتوكل ، وطلب الإمام إلى مقرِّه وبلاطه ـ وكان الإمام قد حمل معه الزاد ليسدَّ به رمقه ، وما كان يلوِّث يده بالطعام الرسمي ـ وجعل يبعث إليه الصرَّة من الدنانير ، فقال الإمام : إنها أشدُّ بلاءً من سياط المعتصم بالله .

والواقع أنَّ الحكومات تستخدم الوسيلتين حسب الضرورة والأوضاع ، فقد تعمل وسائل التهديد والتعذيب ، وقد تستعمل وسائل الإغراء والترغيب ، وقد تكون الثانية أشدَّ من الأولى ، ويكون الصُّمود أمامها أدقَّ وأحرج ، لأن الإنسان إذا تماسك بنفسه وتجالد ، فقد يخضع أمام إلحاح الأبوين اللذين قد يكون لهما اتصالٌ قويٌّ بالبلاط وبرجال الحكومة ، أو يشغلان مناصب حكوميَّةٍ ، إذاً فتضغط عليهما الحكومة أن يقنعا فلذة كبدهما بفكرة الحكومة ، وتفتنهما بوسائل الإغراء الكثيرة ، من المستقبل

الزاهر ، والمنصب الكبير ، والجاه العريض ، والمال الكثير ، وبأنَّه من يخلفهما في شأنهما ، ومكانهما ، إذا تنكر لهما ولده الوحيد الحبيب؟

ولكن حينما تخفق هذه الوسائل كلُّها ، وتنهار أمام صمود المؤمن المخلص تلتجىء الحكومة إلى التهديد ، وإلى التعذيب والتشديد ، والضرب بالنار والحديد ، وهنالك يحتاج إلى نصر الله يقوم بجانبه ، ويقوّي عضده ، ويمسك بيده.

وربطنا على قلوبهم:

وهنالك رَبَطَ الله على قلوبهم الخفَّاقة ، ونفوسهم المضطربة القلقة ، وألهمهم الثبات والصمود ، وأخرج من قلوبهم الجبن ، والحزن ، والخوف ، والحيرة ، والاضطراب ، وملأها شجاعةً ، وسكينةً ، وقوّةً ويقيناً ، ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] وليس المراد من القيام ، هو القيام المقابل للجلوس ، ولكن المراد هو انبعاث العزم في قلوبهم ، الذي بعثهم على التمرُّد على البيئة الفاسدة ، الدنسة المتعفِّنة ، التي اتخذت أرباباً وآلهةً كثيرة من دون الله ، فأعلنوا كفرهم بكلِّ الآلهة المصطنعة ، وقالوا: ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾[2] وقالوا: إنَّ هؤلاء أعضاء مجتمعنا ، وأبناء قومنا ، وبنو جلدتنا الذين يبدون جادِّين وقورين ، مجرِّبين محنَّكين ، أذكياء عاقلين ، ما لهم قد اتخذوا من دون الله الواحد الأحد الصمد آلهةً شتَّى ، ولا يملكون على ألوهيتها دليلاً واضحاً يستندون إليه ، وبرهاناً ساطعاً يعتمدون عليه ، إذاً فهم يفترون على الله ، وليس أحدٌ أظلم ممن افترى على الله كذباً. . . ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[3].

إخوتي الأعزاء! إنَّ هذه الآيات الكريمات من سورة الكهف تقول لنا

---

(١) سورة الكهف ، الآية: ١٤.
(٢) سورة الكهف ، الآية: ١٤.
(٣) سورة الكهف ، الآية: ١٥.

بالتأكيد أن نُحكم أولاً الإيمان بالله ، على بصيرةٍ ، وعن معرفةٍ بصفاته ، وفي صورة اقتناع العقل والقلب معاً.

والأمر الثاني الذي يجب أن نضعه في الاعتبار: هو أن نظلَّ على اتصالٍ دائمٍ بمنبع الهداية والإرشاد ، وأن نشعل جمرتنا الإيمانيَّة ، ونلهب غيرتنا الإسلاميَّة ، وأن نتلقَّى شحنةً جديدةً ، ودفعةً جديدة عن طريق دراسة الكتاب والسنة ، وأسوة الرسول عليه السلام ، وأصحابه البررة الكرام ، وأتباعهم العظام ، والمجاهدين المخلصين في سبيل الإسلام ، وأن نجدِّد إيماننا بكلِّ ذلك ، ونشحن قلوبنا بحرارةٍ إيمانيَّة جديدةٍ ، كما تشحن البطارية عند الفراغ.

إنَّنا نعيش في هذا العالم الماديّ ، وقد تتلمذ على أساتذةٍ لم تؤمن قلوبهم بهذه الحقائق الدِّينيَّة الغيبيَّة ، ونواجه على كلِّ خطوةٍ ما يحيد بالإنسان عن طريق الرحمن إلى طريق الشيطان ، نعيش في مجتمع تموج فيه أسباب الإلهاء عن الله.... من التلفاز ، إلى الراديو ، إلى الصحف ، والكتب الماجنة إلى السينما ، وإلى الأدب الخليع المتهتك ، حتى الأدب الذي كان يرجى أن يكون عذرياً بريئاً أو «حيادياً» على الأقل ، إنه عميل (AGENT) الفسق ، والفجور ، والخلاعة ، والمجون ، والإباحية والاستهتار ، والمثل الكاذبة ، والقيم الباطلة ، والعواطف النفسانية والأنانية والجنس والشهوانية ، إنَّ هذا الشرَّ الذي يموج من حولنا قد جعلنا كأنَّنا في خضمٍّ متدفِّقٍ متموِّجٍ ـ والفضل يرجع في ذلك إلى الأوضاع الجاهلية التي نعيشها ، والنظامُ التعليميِّ والتربويِّ الذي فرض علينا ـ ثم يقال لنا:

.... إيَّاك إيَّاك أن تبتلَّ بالماء[1]

وللتفادي من «الابتلال بالماء» نحتاج إلى أن نستزيد الهدي من الله

(١) قاله الحلاَّج ، المتوفى سنة ٣٠٩ هـ ، وقبله شطر ، وهو:
ألقاه فياليم مكتوفاً وقال له ....

﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[1] إنَّ وهج الجمرة الإيمانية ، وحرارة الحبِّ والحنان ، وقوة اليقين والإيمان ، هو الذي يذيب هذه الإغراءات الشهوانية المتنوِّعة ، كما يذيب وهج النار الشمعة ، إننا لن نستطيع أن نقاومها بنظام جماعيٍّ فارغ مجرَّدٍ ، أو بضابطةٍ خلقيَّةٍ ، أصارحكم أيها السادة ـ في ضوء التجارب ـ إنَّ الإنسان لا يمكنه أن يصمد أمام قوة الإغراء والفتنة العمياء إلا بقوَّة الإيمان والعقيدة ، والقوَّة التي يستمدُّها من سير الصحابة ، والتابعين ، والمؤمنين اللاحقين.

مقاومة المادِّيَّة المسلَّحة:

إنَّ هذه القوَّة لا تحصل إلا بالصَّلاة ، والدُّعاء ، والالتجاء إلى الله ، والصِّلة القويَّة بالله ، وتلاوة القرآن الكريم ، والفزع إلى الركوع والسجود ، والجلوس إلى عباد الله الصَّالحين الذين عضَّدوا صلتهم بربهم ، وأصلحوا بالهم ، وأخلصوا أعمالهم.

يا سادة! إذا حاولنا أن نقاوم هذه المادِّيَّة التي دجَّجتها أوربا وأمريكا بأحدث الأسلحة ، التي تزلُّ أمامها أقدام الأبطال المغاوير والشُّجعان الأقوياء ، فإنَّنا لن نملك أن نقاومها بالأنظمة ، أو نظم الأخلاق ، بل إنما نستطيع مقاومتها بقوَّة العقيدة والإيمان ، والعلاقة المتينة مع الله ، العلاقة التي تجعلنا إذا سجدنا سجدةً تضطرب لها الأرض ، كما يقول الدكتور محمد إقبال:

«إنَّ السَّجدة التي كانت تهتزُّ لها الأرض ، وترتعش ، تتطلَّع إليها المساجد والمحاريب».

ولا بأسَ إذا ارتعشت منها الأرض ، أو لم ترتعش ، ولكن المهمَّ أن ترتعش قلوبنا ، وتهتزَّ ضمائرنا ، إذا فزتم بمثل هذه السجدة ، فإنكم ستستطيعون أن تقاوموا المادِّيَّة ، وتحتاجون إلى كسب هذه السجدة إلى اتِّباع سيد الأنام ، سيدنا ، ومولانا محمَّد ﷺ ، وحبِّ الله ورسوله ، والتزام

---

(١) سورة الكهف ، الآية: ١٣.

السنن ، وإعطائها حقَّها من العمل والتطبيق ومن الذي لا يخطىء ، ولكنَّ المهمَّ ألا يكون منا الإصرار على الخطأ ، وأن نتصيَّد له الدلائل ، بل نرى في النَّبيِّ الأعظم ﷺ الأسوة الكاملة ، ونصبوا إلى محاكاته في الأعمال والأخلاق والسلوك ، وإذا ما صدرت منَّا أخطاءٌ فإنَّ التوبة الصَّادقة كفيلةٌ بمحوها إن شاء الله ، إنَّه لعصرٌ دقيقٌ متأزِّمٌ نعيش فيه نحن ، لو استطعنا فيه أن نتمسَّك بدين الله ، ونتشبَّث بشرائعه ، وأحكامه ، ونتَّبع سنة حبيبه وصفيِّه ، وسعينا لإعلاء كلمة الله ، ولأن تظلَّ راية الإسلام خفاقةً ، لنكون قد استحققنا رحمة الله في الدنيا والآخرة ، واستوفينا من الله الجزاء الذي لا يتصوَّر.

إنَّ الإسلام هو وحده الحريُّ بالإرشاد والقيادة:

وما نراه في الشباب من التحمُّس والانتصار للإسلام ، ليس من المصادفة ، بل هو قضاء الله المحتوم ، وأمره المبرم ، ألمس ذلك فيكم الآن ، وأنا في «لاهور»[1] ، كما لمسناه في الشباب أمثالكم في مصر والشام ، وفي الأقطار الأخرى ، قد رأينا فيهم ، ولا سيما في الشباب الجامعي ، وطلبة كليات الطبِّ والهندسة من العاطفة الإسلامية الجيَّاشة والغيرة الإيمانية الملتهبة ، ما قد لا نراه في الشباب الذين يتعلمون في المدارس ، ومراكز الثقافة الدينية الخالصة ، قد رأينا في الشام أنَّ الشباب الجامعي ولا سيما الطالبات أصبحن يعلنَّ ولاءهن للإسلام ويصرحن بالوقوف بجانبه ، والانتماء إليه ، والانتصار له ، ويقدِّمن في سبيله أعلى نوع من التضحية ، فقد أصررن على أنهن لا يحضرن في الجامعات والكليات إلا في الحجاب الشرعيِّ فإن قبلت الجامعات ودور التعليم والثقافة ذلك فبها ، وإلا فلا حاجة لنا في التعليم والثقافة.

وكذلك وضعيَّة باكستان اليوم قد أحدثت ردَّ فعل صالح جديد في الشباب مما يدلُّ على أنَّ الله يريد بالإسلام وأهله خيراً ، وأنَّ الله هو الذي

---

(١) لاهور: عاصمة ولاية بنجاب الواقعة في باكستان.

أراد هذا التحوُّل ، وأنَّه يريد أن يمسك هؤلاء الشباب بزمام الحكومة ، وأن يقودها إلى مسارٍ صحيح ، وإلا فأنَّىٰ هذا الحماس الإسلامي ، وهذه الحركة العجيبة ، والعاطفة الجديدة في الشباب الجامعي الذي عُرِف بتحرُّره ، وانطلاقه.

العناية بتربية السيرة:

إخوتي! وأريد أخيراً أن أضع أمامكم أموراً غربلتها تجاربي المحدودة. الأول: أن تعنوا بتربية السيرة عنايةً كاملةً ، لأنَّها كالدَّم في الجسم الإسلاميِّ أو الإيمانيِّ للحياة ، وأول وأهمُّ ما ينقص اليوم حركاتنا الدينية هو هذا العنصر الهام ، ومن هنا يسقط الشباب في وسط الطريق ، وتنهار أعصابهم ، وتخور قواهم ، ولو تمَّت تربية السيرة والسلوك فيهم على أساس الكتاب والسنة ، لتثبتوا إلى آخر الطريق ثبوت الجبال الراسيات.

العناية بنفسه قبل غيره:

والأمر الثاني: أن تبذلوا عنايتكم على أنفسكم قبل غيركم ، فقد عمَّ في هذا العصر أنَّ المرء لا يهمُّه أمر نفسه ، كما يهمه أمر غيره ، وهذه النفسيَّة المريضة قد خلفتها فلسفتنا الاجتماعية ، والسياسية المعاصرة ، فأصبح كلُّ إنسانٍ يقع نظره على عيوب غيره ، يحاسبها ، ويتتبعها ، ويعدِّدها ، ويعيب على كلِّ حزب ما صنعه ، وينعى على كلِّ طبقةٍ ما أنجزته ، ويأخذ على فلانٍ أنه قصرَّ في أداء واجبه ، ولا يدعه ذلك كله أن يرجع إلى نفسه ، فينهاها عن غيّها ، ويحاسبها على نقائصها ومعايبها ، فيستخدم الوسائل لإزالتها.

حذار أن يكون نصيب السَّلب أكثر من الإيجاب:

والأمر الثالث الذي يجب أن يكون في الاعتبار هو: ألا يطغى السَّلب على الإيجاب ، ولابدَّ أن يكون هناك توازنٌ فيما بين الأمرين ، فلا تُعَوِّدُنَّ أنفسكم على ألا تنظروا إلى شيءٍ إلاَّ نظرة الانتقاد ، فلو ذكّركم الجلوس إلى أحد بالله ، وزادكم إيماناً ويقيناً ، ورغَّبكم في الصَّلاة ، وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، فاغتنموا ذلك ، وقدِّروه حقَّ قدره ، ولا تقولوا: إنَّه لا فائدة في الجلوس إليه؛ لأنه لم يُوَفَّقْ لإقامة دولةٍ إسلاميَّة ، أو لم يناد

بتنفيذ النظام الإسلاميِّ من منبرٍ سياسيٍّ ، لأنكم إذا تعلمتم الصلاة ، والصيام ، ونجحتم في استيعاب الكيفية ، والمعنوية؛ التي تضفي عليها الحياة والنور ، فكأنّكم تعلمتم طريقة صياغة الحياة صياغةً إسلاميَّة ، وكان ذلك أساساً لكلِّ عملٍ إسلاميٍّ.

وسِّعوا دراستكم :

والأمر الرابع : أن توسِّعوا دراستكم ، وتعمِّقوها ، ولابدَّ لكم من الاطّلاع المباشر على مصادر الإسلام الأصلية ، ولابدَّ لكم من تعلُّم اللغة العربية؛ لأنَّها الوسيلة الوحيدة إلى فهم الكتاب والسنة ، ثم أحيطوا بالدراسة كلَّ نوع من الكتابات ما دامت لا تدعو إلى شذوذٍ وانحرافٍ ، ولا يصحُّ الاقتصار على نوعٍ واحدٍ من الكتابات الإسلامية ، وعلى طرازٍ واحدٍ من الكتب؛ التي تبحث في الإسلام ، و يصحُّ الظنُّ في شخصية ما بأنها النموذج الكامل ، فلا حاجة إلى غيرها ، لأنَّ النموذج الكامل ، والأسوة الحسنة إنَّما هي شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإن كان هناك أحدٌ يرى غير هذا الرأي ، فإنَّ ذلك لا يدلُّ إلا على السطحية ، وعلى قصر النظر ، وضيق التفكير ، وقلَّة الاطِّلاع ، وهذا ما لا يليق بشبابٍ مسلمٍ ، متفتِّح القلب ، وواسع الأفق.

وقد كنت أنا شغوفاً بتنويع الدراسة ، وكان من رأيي دائماً ألاَّ بأس من قراءة كلِّ نوع من الكتب والمؤلفات ما لم يكن مشوباً بالمفاسد ، والسموم التي تلحق الضرر بالعقيدة ، وبشرط أن يكون الدارس قد بلغ مبلغ التمييز بين الخير والشرِّ ، والصالح والفاسد.

إنَّكم موضع حبِّي واهتمامي :

يا شباب! إنَّ حضوري في مجلسكم لدليلٌ على أنِّي أمنحكم حبِّي ، وتقديري ، وقد ذكَّرني الموقف بقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد اجتمع حوله جمعٌ من الصحابة ، فعرض عليهم عمر رضي الله عنه ، أن يسأل كلُّ واحد منهم ربَّه ما يتمناه ، فقال بعضهم : نريد أن يكون لديَّ كمِّيَّة كذا من الفضة ، وأنفقها في سبيل الله ، كما تمنَّى بعضهم التوفيق

للعبادة ، وكذلك كلٌّ دعا لما أحبَّه ، فلما جاءت نوبة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمنَّى أن لو غصَّ بيته بأمثال خالد بن الوليد ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وفلان ، وفلان رضي الله عنهم ، فيبعث كلَّ واحدٍ منهم إلى جبهةٍ يناسبها ، وتكون كلمة الله هي العليا في أرجاء المعمورة ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وترفرف راية الإسلام على جميع البشرية على ظهر البسيطة. . . . أيها الإخوة! ولا يمكن أن نضع أمثال هذه الآمال اليوم إلا في أمثالكم.

وأخيراً لا آخراً ، أحمد الله العلي القدير على أنّه سبحانه أتاح لنا فرصة الاجتماع بكم ، والتحدُّث إليكم ، وأبتهل إليه سبحانه أن يجعلكم في حرزه ، ورعايته ، فما نالكم مكروه ، ولا أصابتكم عينٌ - بأوسع معانيها - فقد تصيب الإنسان عينه ، فيبتلى بإعجابٍ زائدٍ بالنفس والغرور ، ويوفقكم أن تضعوا مواهبكم في موضعها اللائق.

* * *

إلى الشباب المسلم المقيم في ديار الغرب[1]

إخواني الأعزاء!

تحياتي إليكم على بُعْدِ الدّار ومن وراء البِحَار ، تحياتٌ صادرةٌ من قرارة القلوب وأعماق النفوس ، مغمورةٌ بالحب والإخلاص وعاطفة الأخوة الإسلاميّة الصادقة.

إنَّ وجودكم في قلب أوربا أو أمريكا ، وفي مصدر الحضارة الغربية العالمية ، والنشاط الثقافيِّ أو الصناعيِّ الذي غزا العالم ، لا أعتبره حادثة اضطرارٍ لم تكن عن رضا واختيار ، ولا مأساةً تستحقُّ المواساة ، إنما أعتبره ـ مهما كانت الأسباب والدوافع لهذه الهجرة المؤقتة أو الدائمة ـ هبةً من الله ، وتيسيراً منه ، وفتحاً من الفتوح التي سعد بها الإسلام والمسلمون في تاريخهم الطويل.

إنَّها سعادةٌ ومكسبٌ لكم في حياتكم الشخصية المحدودة ، وسعادةٌ ومكسبٌ للمجتمع الذي تعيشون فيه ، المجتمع الذي قُدِّر له أن يسوق العالم ، ويملي عليه إرادته وهواه ، المجتمع الأوربي بالمعنى الواسع الذي يشمل بريطانيا ، وأمريكا ، والقارة الأوربية بأسرها.

إنَّها فرصةٌ تفتح فيكم كوة جديدة للإيمان والثِّقة بالإسلام ، والاقتناع بما حواه القرآن ، ودعوة الأنبياء في عصورهم ، ودعوة آخر الرسل في عصره الذي لا نهاية له إلا بنهاية هذا العالم ، ونهاية الحضارة البشرية ، كوة

(١) ألقى العلامة الندوي هذه المحاضرة خلال زيارته للندن بتاريخ ٢٧/ أكتوبر عام ١٩٦٤ م ، أمام الطلاب والشباب.

لا تنفتح إلا في مثل المجتمع الذي تعيشون فيه اليوم ، وفي «معمل» الحضارة الغربية الذي لا يوجد في الشرق وفي بلاد الإسلام ومهد الحضارة الإسلامية.

وهي تفتح كوةً جديدةً في المجتمع الأوربي ، تجربة جديدة في عالم الأفكار والقيم ، وصدمة للفكر الأوربي ، وتحريك له بعد ما جمد وتوقف عن الابتكار والثورة منذ زمن طويل ، واشتغل بالإعادة وعمل «الاجترار»[1] لا يطلب جديداً ، ولا يأتي بجديدٍ.

أمّا فيما يخصُّ أنفسكم ـ أيها الشباب المسلم المغترب ـ فقد قالوا: إنَّ المجتمع الإنساني المتمدِّن يمكن ، لا بل يجب أن يقوم على غير أساس الإيمان وتعاليم الأديان ، والقيم الخلقية ، والرسالات السماوية ، إنَّه يستطيع أن يقوم على أساس العلم ، والتنظيم ، والصناعة ، والاقتصاد ، والوعي السياسي ، والقومية ، والوطنية ، والاتفاقات ، والتعهُّدات الاجتماعية والدستورية ، وإنَّ المجتمع ليسعد ويترفه بالوسائل والآلات التي تمنحها علوم الطبيعة والكيمياء ، وتسخير الكون والطبيعة لصالح الإنسان ورغباته وطموحه ، وتذليل العقبات التي كانت نتيجة الجهل للعلوم الكونية والطاقات البشرية ، وإنَّ سر شقاء الإنسان في العصر الماضي صعوبةُ التعارف والتفاهم بين أعضاء الأسرة الإنسانية في أنحاء الأرض ، وفي مختلف القارات والأقاليم.

لقد ألَحَّ الغرب على هذا المعنى ، وتحمَّس له تحمس المؤمنين الجدد ، وكان هتافه «لا إله ولا دين ، ولا غيب ، ولا إيمان ، ولا روح ، ولا أخلاق ، ولا آخرة ، ولا مبادىء» فأصبحوا في الزمن الأخير يحاربون المتقيدين أو المحترمين للمبادى الدينية ، أو الخلقية ، ويسمونهم (Fundamentalists) (المبدئيين) ، وإنما هو حسٌّ وتجربة ، أو لذَّةٌ أو منفعةٌ ، أو قوميةٌ ووطنيةٌ ، أو غريزةٌ وعاطفةٌ ، أو ديمقراطيةٌ وجمهوريةٌ ،

---

(١) اجتر البعير: أعاد الأكل من بطنه ، فمضغة ثانية.

أو اشتراكيةٌ وشيوعيةٌ ، وبرز في الميدان أئمة هذه الفلسفات ، وأبطال هذه الدعوات وتلاميذهم ومعارضوهم على اختلاف فلسفاتهم ونزعاتهم وكثرة مذاهبهم ، وتوزعوا العالم الغربي ، وخضع لهم كلُّ شيءٍ ، وازدهرت مدارسهم مدَّةً طويلةً ، ولا تزال تسيطر على العقول والآداب ، ومراكز السياسة ودور الاختيار ، والمجتمع الأوربي المعاصر قد اقتبس من كلٍّ هؤلاء وتأثر بمجموعهم في قليلٍ أو كثير ، وآمن بالقدر المشترك بينهم وهو «المادية» .

منحت أوربا فرصة تحقيق هذه المبادىء التي آمنت بها في سخاء وحرية لا نظير لها في تاريخ الحضارات ، وهي أطول فرصةٍ مع أعظم مقدارٍ من الآلات والوسائل والتسهيلات التي تمنح القيادات في التاريخ ، على يد عمالقةٍ نوابغ عبقريين في العلم ، والاختبار ، والتنظيم ، والإدراة ، وليست على وجه الأرض قيادة تعارض هذه القيادة ، أو دولةٌ قويةٌ تعرقل سيرها ، وقد وضعت الكنيسة النصرانية أوزارها قديماً أمام طموح أوربا الماديِّ والفكري ، والنهضة العقلية الوثابة التي لا قبل لها بها ، وخضع الشرق الإسلامي لغزواتها السياسية والفكرية في القرن التاسع عشر المسيحيِّ، وخلا لها الجوُّ، ودان لها العالم بشرقه وغربه، وشماله وجنوبه.

لقد أمكن أوربا المادية أن تبرز جميع مواهبها ، وأن تمثل «المادية» على المسرح في جوٍّ مملوءٍ بالهتاف والتصفيق ، والتأييد والتصديق ، فإذا كان لمسرحيةٍ في العالم أن تنجح كان ذلك لهذه المسرحية التي يمثلها أبرعُ رجالٍ في أوفق أحوال .

ولكن ماذا كان؟ أخفقت هذه المسرحية التي كانت حصيلة أذكى عقولٍ بشريّةٍ ، وأغنى قرائح إنسانيةٍ في أهدافها ومراميها إخفاقاً لم يعرف في التاريخ .

عداءٌ داخليٌّ وخارجيٌّ ، وصراعٌ بين الأفراد والطبقات والشعوب ، غيوم الحرب الكثيفة التي تغشى العالم كله ، وبركان متهيِّىء للانفجار لأدنى مناسبة ، ونذرٌ صارخةٌ لنهاية البشر الأليمة ، وفقدان الثقة والهدوء والأمن

العاطفي ، وتسلط الذعر والفزع على الأعصاب ، وقلقٌ دائم ، وتفسخٌ خلقيٌّ فظيعٌ يتخطى القياس ، وفراغٌ روحيٌّ هائل لا يملؤه شيء ، وسآمةٌ لا نهاية لها ، ولا علاج ، وتشاؤمٌ ، ويأسٌ ، وحيرةٌ.

إنَّ قصة إخفاق الحضارة الغربية قصةٌ معادةٌ مكررةٌ ، ولكنَّها قصةٌ يجب أن تروى ، وتتلى ، وتعاد ، وتكرر ، وهي قصةٌ تهمُّ الإنسان في كلِّ مكانٍ ، وتتصل به وبحياته من أقرب طريق ، ولأنَّ في الشرق من لا يزال يؤمن بعصمة هذه الحضارة ، وقداستها ، ولا يصدِّق أنَّ مثلها يخفق ويخيب ، أو أنَّها قد أفلست في معنوياتها ، وهو يراها تبرهن على وجودها وقوتها في الشرق والغرب.

إنَّكم أيها الشباب المسلمون المغتربون ، بمسمع ومرأىً من هذه الحضارة تكتوون بنارها ، وتعيشون في وسطها ، وتشاهدون إخفاقها ، وتهيُّؤها للانهيار في كلِّ مكانٍ، تشاهدون ذلك في أخلاق الساسة وقسوتهم، وموت العاطفة الإنسانية في قلوبهم ، وفي أخلاق الشعب ، ورخص قيمة الأعراض في عينه ، وهدر الكرامة الإنسانية ، وضياع القيم الخلقية ، وفشوِّ الجنايات والسفالات في المجتمع ، وعجز قادة الفكر والسياسة عن إيجاد رسالةٍ إنسانية تنفخ روحاً جديدةً في المجتمع ، وتسوق الأمم نحو هدفٍ واحدٍ ، وتجمع شملها ، عن ملء الفراغ الرُّوحي ، وعن إعادة الهدوء والسلام والثقة بالإنسان ومستقبله ، إلى غير ذلك مما يتَّسم به هذا المجتمع الراقي الذي بلغ أوج الحضارة ، والتنظيم والوعي.

ويتجلَّى لكم بعد ما شاهدتم هذه الآثار أنَّ كلَّ مجتمعٍ لا يقوم على أساس «الإيمان» إنَّما هو مجتمعٌ يقوم على شفا جرفٍ هارٍ ، لابدَّ له أن ينهار ، وإن طال أمده ، واتَّسع سلطانه ، ولا سبيل إلى «الإيمان» إلا دعوة الأنبياء والرسل وسيرتهم؛ الذي يملؤون به الأمم الواسعة والجماهير الكثيرة بالروح الخلقية وقوة الإيمان والإنسانية السامية التي ليس فوقها إلا الصفات الإلهية ، ويشعلون قلوب الملايين ـ من غير مدارس ، وجامعات ، ومجامع علمية ، ووسائل للنشر والتأثير ـ إيماناً وحماساً وزهداً في المطامع

والزخارف ، وقوة مقاومةٍ للشهوات ، وإيثاراً للآخرة على العاجلة ، وإيثاراً لغيرهم على نفوسهم ، وحبّاً لله الذي لا يرونه بعيونهم ، ولا تتناوله حواسُّهم ، والتفاني في رضاه ، وهذه سيرتهم ، وكتب التاريخ تحكي عنهم وعن أتباعهم كلَّ غريب ، وكلَّ معجب ، ولولا التواتر ، ولولا الآثار لسارعت النفوس إلى تكذيبه والشكِّ فيه ، وهم الذين أنقذوا البقية الباقية من الحضارة والمجتمع البشري من الغرق في آخر لحظة ، وقيمها : التراث الحضاري وكل ما شاده البشر في آلاف من السنين ، وصانوا القيم الخلقية والمفاهيم الصالحة من الضياع والتلف إلى آخر الأبد ، ومدُّوا في أجل السلالة البشرية ومنحوها بجهادهم الطويل وإخلاصهم العميق حقَّ البقاء ، وجدارة الحياة.

ومن المقرَّر المشاهد الذي لا شكَّ فيه أنَّ هذه الأديان التي أسعفت الإنسانية في أزماتها ومحنها المختلفة ـ وفضلها لا ينسى في تاريخ المدنية ـ قد فقدت قوَّتها وحياتها مع امتداد الزمان وطوارق الحدثان ، وأصبحت فتيلة قد نفد زيتها واحترق خيطها ، أو كحبوب عصرت إلى آخر قطرةٍ ، فهي لا تُسمن ولا تغنى من جوع ، وهي ليست من القوة والحياة بمكان تستطيع فيه أن تقاوم هذه المدنية القوية وإغراءاتها الجازفة ، وليست في الذين لا يزالون يدينون بها ويحملون أسماءها ثقة بهذه الأديان وصلاحها لكل زمان ومكان ، وحماسة للدعوة إليها والجهاد في سبيلها ، ولمواجهة المدنية العصرية وتحدياتها ، وجلُّهم أو كلُّهم قد وضع أوزاره أمام المادية الغربية واعتزل المعترك ، وآمن بأن «المادية» لا تفرُّ منه ، وأنها مصير الإنسانية المحتوم.

إنما هنالك ـ أيها الإخوة المسلمون الشباب! ـ دينٌ لا يزال في حياته وأصالته ونقائه ، ولا يزال أهله يعتقدون أنَّهم مأمورون بتبليغ الرسالة وإنقاذ المدنية والحسبة على الإنسانية ، ومسؤولون أمام الله وأمام الخلق عن اتجاهات هذا العالم ، ويمتازون بين أهل الأديان بأربع ميزات بارزة:

الميزة الأولى: وجود هذا الكتاب العظيم المتدفق بالحياة ، الكفيل

بسعادة البشرية وتوجيهها ، يحمل أعظم علم وأعمقه بين دفتيه ، ويملك أعمق تأثير في القلوب والعقول ، وهو ثروة البشرية العظمى ، والمعين الذي لا ينضب ، والمدد الذي لا ينفد ، قد أحدث أعظم ثورة في تاريخ البشرية ، ويستطيع إذا أطلق له العنان وحكم في قيادة الإنسان أن يحدث أعظم ثورة مرَّة أخرى.

والميزة الثانية: هذه السيرة النبوية العطرة التي هي أجمل صورةٍ على الإطلاق في مجموع الصور البشرية الفنية ، وأعظم صفحة مشرقة في تاريخ البشر ، تعيد إلى الإنسانية كرامتها ومكانتها ، وتعيد الثقة والاعتزاز في نفس الإنسان بأشرفية النوع الإنساني ، الصورة التي لا يملك أمامها الإنسان ـ إذا لم يفقد حسَّ الجمال وحبَّ الكمال ـ إلا أن يفتخر بأنَّه من نوعه ومن بني جنسه ، ويتمنَّى أن يتسامى بتقليده للصور التي يجد فيها كل إنسان قوة ، وسكينة ، وأسوة ، وقدوة ، وحياة ، وتوجيهاً ، وجوانب مشرقةً تفتح منافذ جديدةً ، وتثير معاني جديدةً ، وهذه الصورة لا تزال بملامحها وقسماتها الأصيلة لم تطوها يد الزمان.

والميزة الثالثة: وجود الشريعة الإسلامية كما تركها صاحب الرسالة محفوظةً في أصلها وأساسها غنيةً في ثروتها الفقهية ، صلبةً مرنةً لا تتنازل عن القديم ، ولا تتجهم للجديد ، لا تخجل من ماضيها ، ولا تفرُّ من حاضرها ، تالدةً خالدةً ، صالحةً لكلِّ عصر وبيئة ، تعطي الأسس الحكيمة التي يقوم عليها مجتمعٌ جديدٌ وحضارة صالحة.

والميزة الرابعة: وجود العاطفة الدينية القوية في المسلمين على علاتهم ومواضع الضعف فيهم ، وانقيادهم للدعوة الدينية وخضوعهم لها ، إذا وجد الدعاة المخلصون ، وهذه قوة قد فقدها ، وأفلس فيها عامة الأمم الغربية ، وهي قوةٌ لا يعرف قيمتها إلا من اشتغل بالدعوة والتجديد الديني في أمةٍ من الأمم ، ومن رأى إخفاق هؤلاء الدعاة في إعادة الحياة الدينية والروح الدينية في هذه الأمم.

أنتم أيها الإخوة المسلمون المغتربون في أوربا وأمريكا! تشاركون هذه

الأمّة العظيمة في هذه الميزات ، وأنتم عضوٌ في هذه الأسرة العظيمة ورثتم كلَّ ما ورثته أسرتكم الإسلامية العالمية ، ليس بالمعنى الذي يفهمه الجهلاء من عضوية أسرة كريمةٍ فاضلة ، وليس بمفهوم التراث كما يتصوره كثيرٌ من الباحثين والمستشرقين ، فيضعون كتباً في التراث الإسلامي (Legacy of Islam) ولكن بالمعنى الرفيع العميق الذي يفهمه العقلاء من أعضاء أسرة مثلت دوراً ممتازاً في خدمة العلم والدين ، فعليكم أيها الإخوة الفضلاء! أن تدرسوا الإسلام من جديد ، وفي ضوء هذه الميزات التي عرضناها باختصار ، وأن تفقهوا الإسلام وتجيدوا فهمه وتتعمقوا في دراسته ، وأن تقبلوا على استعراض القرآن والتدبر فيه كأنه كتاب عرفتموه حديثاً ، وإن شئتم فقولوا نزل آنفاً جديداً ، وأن تدرسوا السيرة النبوية والحديث النبوي ، وتكثروا من قراءتها ، وتحاولوا أن تتصلوا بالرسول الأعظم ـ ﷺ ـ اتصالاً شخصياً ، اتصالاً مؤسساً على الدراسة ، والتفكير ، والحب ، والعاطفة ، والإجلال ، والتقدير ، والاتباع ، والتقليد.

ثم عليكم أن تمثلوا هذا «الإسلام» تمثيلاً صحيحاً في أوربا وتظهروا بالعقيدة الإسلامية ، وتحافظوا على فرائض الإسلام وأخلاقه وشعائره في شجاعةٍ وثقةٍ ، لأنكم تمثلون أفضل دينٍ وأصحَّ عقيدةٍ في بيئة تفتقر إليها أشدَّ افتقار ، وبذلك تحسنون إليها ، وتحسنون إلى الغير من زملائكم وإخوانكم المسلمين ، وإلى الذين هم في سنكم في الشرق الإسلاميّ الذين يخجلون من تمثيل الإسلام والظهور في مظهره في الحواضر الإسلامية ، والجامعات العربية ، وتسنون لهم سنةً حسنةً لكم أجرها وأجر من عمل بها ، وبهذه الحياة الإسلامية النزيهة العفيفة التي فيها الصلاح والتقوى ، والصدق والأمانة ، والذكر والعبادة ، والرضا والقناعة ، والنشاط والقوة ، ورقة العاطفة وإشراق الروح ، تستطيعون أن تجذبوا إلى الإسلام عدداً كبيراً من أصدقائكم وزملائكم وأساتذتكم وجيرانكم. وهكذا دخل العدد الأكبر من المنصفين والعقلاء في حضانة الإسلام في البلاد التي لم يغزها جيشٌ إسلاميٌّ ، ولم يلمع فيها سيف مجاهد.

قد تكونون أيها الإخوة الأعزة تلاميذ في جامعةٍ ، أو عاملين في مصنع ،

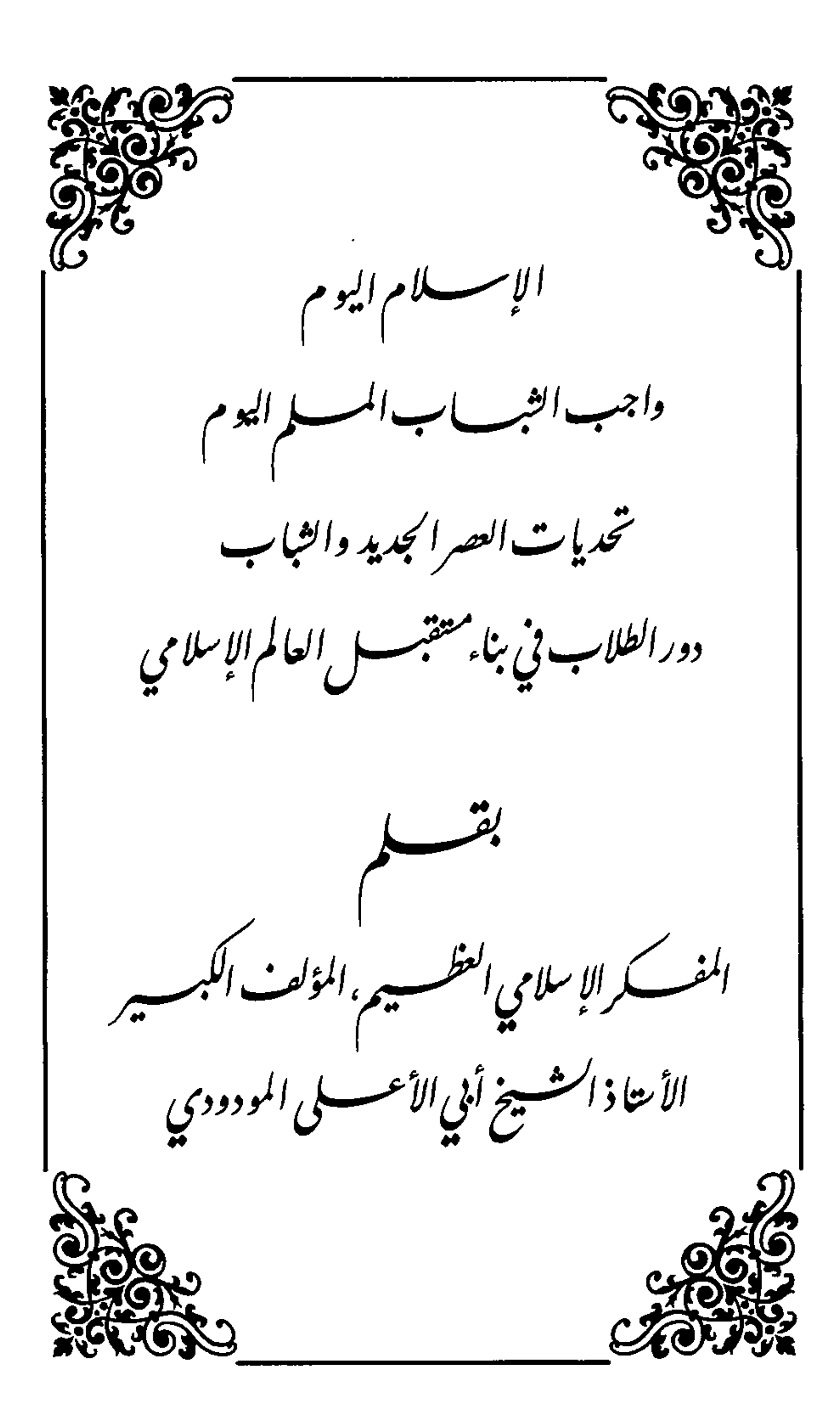
أو موظفين في مصلحةٍ ، وقد تكونون صغاراً في ثقافتكم ، أو وظيفتكم ، أو مكانتكم الاجتماعية ، ولكنكم كبارٌ في عقيدتكم ، ودعوتكم ، فأساتذتكم في الفنون التي تدرسونها أساتذةٌ وشيوخٌ ، لهم عليكم حقوقٌ وفضلٌ ، والإسلام أول من يعرف لصاحب الفضل فضله ، ولكنهم في حاجة إلى أن يفهموا الإسلام ويروه ممثلاً في شخصكم ، وأنتم بذلك في منزلة المرشد والموجه ، فاعرفوا قيمتكم ، وقدروا مسؤوليتكم ، وأدُّوا حقوقها ، وأحسنوا القيام بهما .

وأعود فأقول : إنَّ وجودكم في أوربا وأمريكا فرصةٌ غالية يجب أن تنتهزوها ، ويجب أن تستغلوها لصالح الإسلام ، ولصالح الإنسانية فوجودكم في هذه البلاد يقوى إيمانكم وثقتكم بالدين الذي أكرمكم الله به ، ويفتح طريقاً جديداً لتقدم الإسلام في هذه البلاد وانتشاره في هذه الناحية التي حرمت نعمة الإسلام من زمنٍ بعيد ، وتهيَّأت لها القيادة والسيطرة على العالم ، فكان في ذلك شقاؤها ، وشقاء الناس ، لأنها كانت من غير منهاجٍ نبويٍّ ، ورسالة سماويّةٍ عالميَّةٍ ، ومؤهلاتٍ خلقيَّةٍ وروحيةٍ ، ولعلَّ وجودكم وجهادكم يتداركان هذا الخلل ويملآن هذا الفراغ .

والله ولي التوفيق .

* * *





الإسلام اليوم

واجب الشباب المسلم اليوم

تحديات العصر الجديد والشباب

دور الطلاب في بناء مستقبل العالم الإسلامي

بقلم

المفكر الإسلامي العظيم، المؤلف الكبير

الأستاذ الشيخ أبي الأعلى المودودي



ترجمة
الشيخ أبي الأعلى المودودي

يقول عنه العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي «إنني لا أعرف رجلاً أثر في الجيل الإسلامي الجديد فكرياً وعلمياً مثل تأثير الأستاذ السيِّد أبي الأعلى المودودي ، لا في العمق ، ولا في السعة ، وقد كان السيد جمال الدين الأفغاني من أقوى الشخصيات الإسلامية التي نبغت في القرن الماضي ، وأكبرها نفوذاً في عقول الشباب المثقف ، وسيطرة ، بل سحراً عليها وتأثيراً في الفكر والاتجاهات والأساليب الأدبية ، والكتابية والخطابية ، حتى كان صانع جيل ومفتتح عهد ، ولكن الحق يقال إن سيطرته العقلية والنفسية كانت محدودة في السخط على الأوضاع السياسية القائمة ، والاستعمار الأجنبي ، وفي إثارة الأنفة والنخوة في الشعوب الإسلامية المحكومة في بلادها ، والعمل للجامعة الإسلامية لم ترافقها فكرة منسقة ، ولا دعوة واعية إيجابية تقوم على الدراسات الإسلامية العميقة ، والنقد والتحليل العلميين للحضارة الغربية المادية وقيمها وموازينها ، مع شدة حنق هذا النابغة الإسلامي وتلميذه العملاق الشيخ محمد عبده على الأمم الغربية التي قادت الحملة والزحف على العالم الإسلامي ، وفي مقدمتها وعلى رأسها الشعب الإنجليزي؛ والحكومة البريطانية ، وكانت دعوة سلبية أكثر منها إيجابية .

ولكن الأستاذ المودودي الذي قامت دعوته على أُسسٍ علميةٍ أعمق وأمتن من أسس تقوم عليها دعوات سياسية ، وردود فعل للاستعمار الأجنبي ، وكانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة

الغربية وفلسفتها للحياة ، وتحليلها تحليلاً علمياً قلما يوجد له نظير في الزمن القريب ، وقد عرض الإسلام ، ونظام حياته ، وأوضاع حضارته وحكمه ، وصياغته للمجتمع والحياة وقيادته للركب البشري ، والمسيرة الإنسانية ، في أسلوب علمي رصين وفي لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف ومستوى العصر العلمي ، ويملأ الفراغ الذي كان يوجد في الأدب الإسلامي المعاصر من زمن طويل ، ويقضي حاجة في نفس الشباب الطموح إلى مجد الإسلام والمسلمين ، وقيام دوله ومجتمعاته الشريفة المعتزة بنفسها ودينها ، ورسالتها ومقومات حياتها في الأقطار الإسلامية أولاً وفي العالم بالتالي.

وممّا يجب أن يسجل في مآثره الخالدة أنه قد كان لكتاباته فضل كبير في إعادة الثقة إلى نفوس الشباب المثقف الذكي بصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث ، بل لقيادته وللتغلب على مشكلاته الطريفة المعقدة ومعالجتها بل للمنع عن وقوعها ، ومحاربة «مركب النقص» في نفوس هؤلاء الشباب فيما يتصل بالعقائد ، والأخلاق ونظم الحياة الإسلامية. وقد بعثت كتاباته القوية ثم جهوده المتواصلة ، الرغبة القوية العارمة لقيام حكم إسلامي ، ونظام إسلامي ومجتمع أفضل في كل بلد إسلامي ، بل في كل بقعة من بقاع الأرض ، وقد ساهمه في ذلك وواكبه عدد من رجالات العالم الإسلامي ، ونتمنى أن يكون قد عرف بذكائه وتجاربه الواسعة أن الطريق إلى ذلك طويل شاق ، ومحفوف بالمكاره ، وأن الأرض في حاجة إلى تمهيد وتعبيد ، والمجتمع المسلم في حاجة إلى إعداد داخلي ، وشحنة إيمانية خلقية ، ليكون قادراً على حمل هذه الأمانة ، وهذا العبء الثقيل ، ولعله لو امتدت حياته ـ وأراد الله ـ لربما كان وفق لتوجيه عنايته إلى هذه التربية والإعداد النفسي بطريق أقوى وأكثر وضوحاً وتأثيراً. . . . . ».

وُلِدَ الأستاذ المودودي بالهند في مدينة «آونغ آباد» عام ١٣٢١ هـ ، ونشأ في أسرة كريمة طاهرة ، وفي رعاية والد عالم مؤمن ، لقَّنه كتاب الله وحديث الرسول في صغره تلقى الدراسة الابتدائية في بلده ، ولمّا كبُر عمل بالصحافة وكتب مقالات كان لها دوي في الأوساط العلمية والدينية ، ثم

أصدر مجلة شهرية باسم «ترجمان القرآن» أسَّس «الجماعة الإسلامية» في مدينة «لاهور» عام ١٩٤١ م وكان أولَ رئيس لها ، فلما قامت دولة باكستان هاجر إليها من الهند فأقام فيها حتى وافاه أجله المحتوم عام ١٣٩٩ هـ ، صلَّى عليه الشيخ يوسف القرضاوي بحشد عظيم في ساحة كبيرة.

وله أكثر من خمسين كتاباً: الأشهر منها:

١ ـ الجهاد في الإسلام.

٢ ـ الحجاب.

٣ ـ تفهيم القرآن.

٤ ـ مبادىء الإسلام.

٥ ـ المصطلحات الأربعة.

* * *

الإسلام اليوم[1]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ، وبعد :

أيها الإخوة الأعزاء ، من الطريف في الأمر أن العنوان الذي اختير للبحث الذي نحن فيه اليوم وضع باللغة الإنكليزية أي (Islam Today) بينما اللغة التي اختيرت للتحدث عنه هي الأورد. ولذلك قبل أن أدخل في صلب الموضوع ، أريد أن أحدد فحواه ، وأبين ما هو مدى نطاق البحث فيه ، وما هي النواحي التي تدخل فيه والتي لا تدخل فيه.

«الإسلام المعاصر» (Islam Today) إن هذا العنوان إذا أخذناه بمدلوله الإنكليزي أي المفهوم الذي يعبر عنه أهل الغرب لهذا العنوان فيكون معناه : «المسلمون المعاصرون» إذ إن أهل الغرب كثيراً ما يخلطون «الإسلام» «بالمسلم» فيستخدمون كلمة «الإسلام» حيث تستخدم كلمة «المسلم» ويصفون «المسلم» بما يوصف به «الإسلام» ولذلك يجب علينا قبل كل شيء أن نبعد عن أذهاننا المفهوم الخاطىء لهذا العنوان ونؤكد أنه لا يصح تفسير «الإسلام المعاصر» بواقع المسلمين في الوقت الحاضر ، وهناك مفهوم آخر لهذا العنوان يساور الأذهان وهو «إسلام العصر الحاضر» وبهذا المعنى يصبح هذا العنوان أيضاً كلاماً فارغاً واسماً لا مسمى له. لأن الإسلام لا يختص «بالماضي» أو «بالحاضر» بل إن الإسلام حقيقة خالدة أبدية ظلت

---

(١) ألقى الأستاذ المودودي هذه الكلمة في نادي (I do not Agree Club) براولبندي بدعوة من النادي ، في ١ كانون الأول عام ١٩٦٣ م ثم أعادها في اجتماع إسلامي (جمعية الطلبة) بكراتشي (المترجم).

ناصعة بديهية إلى ما قبل بلايين السنين وستظل في نفس النصاعة والبداهة ما دامت السماوات والأرض. كان من الحقيقة التي لا تقبل النقض ، قبل بلايين السنين ، أن إله هذا الكون واحد لا شريك له. وسيكون كذلك من الحقيقة المبرهنة بعد بلايين السنين أن ليس لهذا الكون إلا إله واحد. ومن الحقيقة الجاثمة الخالدة أن ليس للمخلوق من مناص إلا أن يعبد الخالق ويخضع له ، فحيثما وجد المخلوق يتحتم عليه اتباع طريق العبودية والخضوع والإخبات للخالق. ومن ثم لا ينشأ السؤال عن كون الإسلام متقيداً بقيود الأزمان من الأمس واليوم والماضي والحاضر والمستقبل.

إذن فليس لهذا العنوان إلا مفهومان اثنان لا ثالث لهما :

الأول: ما هو السلوك الذي يتبعه المسلمون تجاه الإسلام ، وما هو الموقف الذي يقفون منه في الوقت الحاضر ، وما هو مدى تأثير الإسلام في حياتهم الواقعية؟

والثاني: هل من المحتمل أن تعود البشرية اليوم إلى الإسلام وتسترشد بهديه أم هذا الاحتمال بعيد المنال؟ إذا كان الجواب بنعم فكيف يكون ذلك. وإذا بالغ أحد في تفسير هذا العنوان فله أن يقول مضافاً إلى التفسير الثاني: هل الإسلام صالح للتطبيق في الزمان الحاضر أم لا؟

هذان هما السؤالان اللذان يتضمنهما العنوان المطروح. وسأتحدث إليكم بما يجول في خاطري فيما يتعلق بهذين السؤالين. وذلك بقدر ما يتسع لي المجال في هذا المقام ، داعياً المولى الكريم أن يهديني إلى سواء السبيل.

المراحل الَّتي اجتازتها الأمةُ الإسلامية

فيما يتعلَّقُ بموقف المسلمين من الإسلام أو بالسلوك الذي يختارونه نحو الإسلام ، وبمدى تأثير الإسلام في حياتهم الواقعية في الوقت الحاضر فلابد لإدراك كل ذلك من أن نلقي نظرة عابرة على «الإسلام في الزمن الماضي» قبل أن نتناول «الإسلام في الزمن الحاضر». إذ إن الذي نحن عليه

اليوم إنما هو حصيلة ما كنا عليه في الأمس ، ولا نحصد اليوم إلا ما زرعناه بالأمس ، والذي سنكون عليه في المستقبل سيتمخض عما نأتي به اليوم ونزرعه. وبحكم هذا المنطق إذا أردنا أن نعرف موقف المسلمين اليوم من الإسلام بدقة وإمعان لابد لنا من أن نتعمق في الموقف الذي اتخذه المسلمون من الإسلام في الأمس الدابر. ومنه نعرف الجذور التاريخية التي يقوم عليها موقفنا الحاضر. كما نستطيع خلال هذه الدراسة أن نحدد الملامح التي سوف تسود موقف المسلمين من الإسلام في المستقبل ، وانطلاقاً من وجهة النظر هذه إذا استعرضنا تاريخنا وقلبنا صفحاته يتجلى لنا أن مسيرة الأمة الإسلامية اجتازت ثلاث مراحل من تاريخها ودخلت اليوم في المرحلة الرابعة.

المرحلة الأولى المثاليَّة من مراحل التَّاريخ الإسلامي

بدء المسيرة الإسلامية:

ابتدأتْ أولى مراحل تاريخنا ببزوغ فجر الإسلام في مكة حين بعث الله تعالى رجلاً من أهلها ، وأمره أن يشيد صرح الحياة الإنسانية على أسس من توحيد الله والإيمان بالآخرة واتباع الرسالة الإلهية ، وإن هذا الرجل العظيم ظل يعرض دعوته على خلق الله في مكة المكرمة ثلاثة عشرة سنة متوالية ، ولم يكتف بعرض دعوته بلسانه فقط ، بل كانت دعوته متجسدة في حياته الشخصية متمثلة في كل عمل من أعماله وكل موقف من مواقفه في الحياة الاجتماعية مصورة الإنسان المثالي الذي ينشده الإسلام ، والأخلاق السامية التي يصنعها الإسلام ، والسيرة التي يتوخاها الإسلام ، والسلوك الذي يجب أن يكون عليه في الحياة الدنيا كل من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً. فكل ما دعا الرسول ﷺ الناس إليه كان يتجلى في حياته العملية واقعاً حياً ملموساً.

وقد عاضده ﷺ في تنفيذ مهمته ـ بعد أن سمع دعوته من لسانه ورآها حقيقة متمثلة في واقع حياته ـ ناس آمنوا بدعوته بكل تجرد ونزاهة وفهم

ووعي. ولم ينضم أحد إلى دعوته ﷺ عن جهل وعمى وعدم تفهم لحقيقتها ومتطلباتها ، بل لم يعتنقها إلا وهو شاعر بجلالة الدعوة وضخامة مسؤوليتها ، وسرعان ما أفرغ حياته في نفس القالب الذي كانت تريده هذه الدعوة ، والذين قد دخلوا في دين الله هذه الفترة ، التي امتدت إلى ثلاث عشرة سنة ، حدث فعلاً في حياة كل فرد منهم انقلاب رائع كان الإسلام يستهدف إحداثه في حياة البشر ، ثم لم يقف الأمر عند ظهور هذا الانقلاب في نفوسهم فحسب ، بل جعلهم يكافحون بحماس واندفاع بالغَين كل قوة من القوى الداخلية والخارجية التي أصبحت حجر عثرة في سبيل امتداد المسيرة الإسلامية وإسعاد البشرية ببركاتها وخيراتها ، فإن رأيت ثَمَّ رأيتهم يقومون بأكبر تضحية يمكن لبشر أن يأتي بها في سبيل مبدأ من المبادىء : أنهم تكبدوا أفدح الخسائر المادية برحابة الصدر وارتياح النفس ، لأن أعظم قيمة من قيم الحياة الدنيا وأسماها في أعينهم هي ما نالوها بفضل الإسلام . فلم يرتضوا التنازل عنها مقابل أي شيء ، واستعدوا لأن يضحوا بعدها بكل شيء في الدنيا . بل فوق ذلك فجَّر الإيمان فيهم عاطفة دافقة لجعل العقيدة التي آمنوا بها تسود الدنيا وتحكمها ، وصمموا على تحطيم كل احتمال لتغلب نظرية من النظريات الباطلة عليهم ولو اقتضى الأمر إلى التضحية بالنفس والنفائس في هذا السبيل .

تأسيس الدولة الإسلامية :

وهكذا ، فإن الفئة القليلة من المجاهدين المستميتين التي أعدها الرسول عليه الصلاة والسلام وشملها بتربيته الربانية في خلال مدة ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة قد انتقل بها إلى يثرب (المدينة المنورة) وأنشأ فيها دولة إسلامية صغيرة جداً كانت مساحتها لا تزيد عن مساحة قرية صغيرة من قرى بلادكم ، وكان سكانها لا يتجاوزن ستة أو سبعة آلاف نفس . فقد قامت في هذه القرية الصغيرة دولة جعلت تتحدى الجزيرة العربية برمتها . والذي يدعو إلى العجب ويأخذ باللب هو أن تكون الجزيرة العربية الواسعة الأكناف الشاسعة الأرجاء في طرف وتكون هذه الدولة الصغيرة الناشئة في الطرف المقابل في هذه المعركة . ومع ذلك شرع النبي ﷺ في تكوين مجتمع بشري

فذ يختلف بحذافيره عن المجتمع الجاهلي آنذاك واستطاع في سنوات قليلة إعداد نموذج حضاري رفيع ، وعرضه على عالم العرب ، وأتاح بذلك لكل رجل أن يشاهد ، إذا شاء ، بأم عينيه ، القالب الذي يريد الإسلام إفراغ الحضارة البشرية فيه ، ويتبين الروح الخلقية الذي يستهدف بعثها فيها أن العدل الذي دعا إليه الإسلام أقيم فعلاً في تلك الدولة ، وأن المجتمع النزيه الذي يود الإسلام إنشاءه أنشىء فيها فعلاً وصار واقعاً ملموساً ماثلاً للعيون ، وإن الإصلاح الذي يتوخاه الإسلام في الحياة الاقتصادية وضع فعلاً موضع التنفيذ فيها. وهكذا فإن كل ما كان يدعو إليه الإسلام ويطلبه من الناس أبرزه النبي ﷺ إلى حيز الوجود وجسّمه في واقع الحياة ، لكي لا يكون إيمان الناس بالإسلام مقتصراً على ما سمعوه من لسانه بل ينظروا برأي العين: ما هو الإسلام ، وما هي بركاته ، وما هو الطريق لتطبيقه وجعله واقعاً حياً.

ومِن أروع معجزات التاريخ البشري أن الدولة التي أنشئت في قرية صغيرة من قرى العرب ، والتي كانت عبارة عن بضعة أميال مربعة في مساحتها ، وعن بضعة آلاف نفس في سكانها استطاعت أن تبسط سلطان الله في أكناف جزيرة العرب في غضون ثماني سنوات فقط. إنها في هذه المدة القصيرة غزت رقعة من الأرض كانت تحتوي على مليون ميل مربع فأكثر. وكان من بدائع هذا الفتح أن لم يصبح الناس مستسلمين للسلطان السياسي لهذه الدولة فحسب ، بل انقلبت بسببه نظراتهم إلى الأشياء رأساً على عقب ، وتغيرت مقاييسهم للقيم ، وتبدلت أخلاقهم وخصالهم ظهراً لبطن ، وحصل انقلاب جذري في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وطرأت على حضارتهم ومدنيتهم ثورة لم تغير وجهة تاريخهم فحسب ، بل غيرت مجرى تاريخ العالم بأسره. فانتهج الناس أفراداً وجماعات أسلوباً جديداً للتفكير ، ونمطاً جديداً من السلوك ، وغاية جديدة للحياة حرموها منذ مئات القرون في تاريخهم.

كان بحسب النبي ﷺ أن يقضي على القوى السياسية التي أنشبت أظفارها في الجزيرة من القرون المتطاولة ، ثم يخضعها لنظام سياسي موحد

فكيف وهو حقق ما يفوق ذلك آلاف المرات: حقق تلك الثورة الشاملة التي لم يشهد لها التاريخ مثلاً: ثورة في التفكير، ثورة في الأخلاق، ثورة في الحضارة، ثورة في المدنية، ومما يدعو إلى الأسف أن النهج الخاطىء لتدوين التاريخ قد تناول هذه الثورة الكبرى كأنها قامت نتيجة الغزوات فقط. وجاء المستشرقون الغربيون يصرخون ملء الفم: «إن الإسلام لم ينتشر إلا بقوة السيف». مع أن جميع الغزوات والمعارك التي اضطرمت نيرانها في زمن الرسول ﷺ تكاد لا تتجاوز قتلاها من الطرفين ألفاً وأربعمئة نفس. وعلى من له مسحة من العقل أن يتأمل فيما إذا كان من الممكن أن تحدث ثورة كهذه بقوة السيف على هذا القدر الضئيل من الدماء؟

سر نجاح هذه الدعوة في مدة قليلة:

إن السبب الحقيقي لحدوث هذه الثورة الكبرى هو غير ما قيل ويقال: لما كان النبي ﷺ في مكة يدعو إلى الإسلام ويعرضه على المشركين لم يدرك إلا القليلون منهم ما كانت تحمل هذه الدعوة في أحشائها من الطاقة الهائلة. ولم يفطن إليها إلا الذين كانوا على رصيد كبير من الذكاء والفطنة واللباقة وكانوا من أصحاب الذهن الوقاد والبصيرة النافذة، وكانوا يتمتعون بالقابلية التي استطاعوا معها أن يسموا بأنفسهم عن حمأة العصبيات الجاهلية ليعرفوا الحق فيؤمنوا به ـ لكونه حقاً وصدقاً ـ ويتبعوه في حياتهم الواقعية، ويقوموا برفع لوائه ونشره في العالم مهما غلا الثمن وعظمت التضحية.

ولمّا برزت إلى حيز الوجود جماعة هذه سماتها وتلك عزائمها شرع النبي ﷺ على سواعدها ببناء مجتمع إسلامي منشود، وبعد أن تولى زمام دولته الإسلامية المستقلة أخذ يطبق في هذا المجتمع ما أوحاه الله إليه من خطة إصلاحية للحياة الإنسانية. وما كان للأوضاع القائمة والظروف السائدة آنذاك إزاء هذه الخطة إلا أن تتبدد بين عشية وضحاها.

وأخيراً شاهدت الدنيا بأم أعينها نتائج هذه الجهود وصاحت قائلة: ما أتم السلام في هذا المجتمع! وما أرسخ قواعد الصلاح وخشية الله في قلوب أهله! وما أعم ظواهر الصدق والإيمان فيه! وما أنظف العدل فيه!

وما أبعد الفوارق الطبقية فيه! وما أبرز المساواة والإخوة فيه! وما أطهر الحياة الاقتصادية فيه من المعضلات والتعقيدات والنقائص! وما أجمل الحياة الاجتماعية فيه وأطهرها من الأوساخ الخلقية!

وما استطاع إزاء ذلك من وهبهم الله عيونا مبصرة أن ينكروا ذلك النور الساطع الذي كانوا يرونه يملأ الدنيا ضياء وسعادة ، ولا سيما أنهم كانوا قد خبروا عصر الجاهلية وجنوا ثمارها المرة ، ذلك العصر الذي كان الإنسان فيه يبتلع الإنسان ، وكانت حوادث القتل والنهب والسلب والإغارة من الأمور العادية ، وكان الناس غارقين في إدمان الخمر ، والزنا ، والقمار ، والسرقة ، وقطع الطريق ، وما إلى ذلك من الرذائل الخلقية حتى أنوفهم. ولكنهم أصبحوا يشهدون الآن تلك القناديل النورانية من السلام والعدل والصلاح والشرف والنزاهة والسمو تملأ أرجاء الدولة الإسلامية ضياء وبهاء ، وتضفي عليها حللا قشيبة من الجمال والنضرة. ولم يبق بعد ذلك إلا نزر يسير ممن غشيت أبصارهم لم تعجبهم إلا ظلمات الجاهلية ، كالخفاش الذي لا ينظر إلا في الظلام. وما عدا هؤلاء الشذاذ آمن بصدق رسالة النبي ﷺ في نهاية المطاف جميع من كانوا يضعون العراقيل في طريقه ، وكانوا يقاتلونه أعنف المقاتلة: آمن به خالد بن الوليد ، وخضع له عكرمة بن أبي جهل ، واعترف بدعوته عمرو بن العاص ، حتى إن أبا سفيان وزوجته هند: آكلة كبد حمزة أعلنا بأن الدعوة التي تؤتي هذا النوع من الثمار لا تكون إلا دعوة حق وصدق ، وذلك لأنهم رأوا الحق متلألئا في واقع الحياة أمامهم. ولم يعد الإسلام فكرة مجردة معروضة عليهم في شكل دعوة جوفاء ، بل أصبح يتفاعل في الحياة الإنسانية ويؤتى ثمراته الحلوة ونتائجه الشهية في الواقع الملموس.

ومن حصيلة هذه الثورة أن رسول الله ﷺ كوّن أمة بكاملها كانت ترجمة حية للإسلام: كانت عقائدها وأفكارها ونظرياتها مشبعة بالإسلام ، وكان الدين الذي اعتنقته لا تشوبه شائبة من العبودية لغير الله الواحد الصمد. وكان سلوكها الفردي وأخلاقها الاجتماعية قد انصاغت في قالب الإسلام ، بعد أن تطهرت من نتن الجاهلية وعفونتها ، وكانت الحضارة والمدنية اللتان

رفعت لواءهما تفسيراً حياً للإسلام ، وكان نظام دولتها يسير فوق قانون الإسلام ، إن هذه الأمة قررت ألا تحيا إلا لأجل الإسلام ، ولا تموت إلا في سبيله ، وقد اتخذت إعلاء كلمة الله في الأرض شعارها القومي ، وكان من مبادئها الأساسية تشييد صرح الحياة الإنسانية على دعائم الإسلام في كل بقعة تخضع لسلطانها ، ومتابعة نشر دعوة الإسلام فيما لا يخضع لسلطانها من البقاع ، وهكذا تهيأت في العالم الأمة المتكاملة العناصر التي تطبق الإسلام في حياتها الواقعية ، وتستهدف نشره على وجه الأرض كجزء من أجزاء مهمتها القومية. كما أن الدولة بعناصرها الشاملة قد برزت إلى مسرح الوجود، وكان الإسلام متجسداً في نظامها الداخلي بجميع مبادئها وأسسها في جانب ، وفي الجانب الآخر رفعت لواء الإسلام في أدنى الأرض وأقصاها.

انتشار الإسلام في العالم:

وبعد أن قامت في الدنيا أمة هذه سماتها وخلالها ، وتأسست دولة هذه خصائصها ومزاياها بدأ الإسلام ينتشر في أرجاء الدنيا في عصر الخلافة الراشدة بسرعة وصفت في التاريخ بكلمة «الانفجار» (Explosion) أي مثل السرعة الهائلة التي أخذ بها الإسلام في الانتشار والازدهار كمثل انفجار المتفجرات. ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى امتدت المسيرة الإسلامية من بلاد الأفغان والتركستان شرقاً إلى أفريقية الشمالية غرباً. ونتيجة أي شيء كان هذا الانفجار الرائع يا ترى! ولكم أن تذهبوا إلى جزيرة العرب اليوم لتنظروا كم نسبة العمالقة فيها؟ وما هي مصادر الثروة المادية في هذه الجزيرة؟ دعوا البترول فإنه لم يكتشف إلا مؤخراً. ماذا فيها من الوسائل المادية بعد البترول؟ وانظروا كذلك إلى عددهم: يكاد لا يزيد عددهم في جزيرة العرب بأسرها على عشرة ملايين من النفوس. ومن المؤكد أن كان عددهم في عصر الخلافة الراشدة أقل بكثير من هذا. فهيمنة شعب كهذا ، على هذا القدر من المساحة الأرضية ، وبهذه الصورة الفجائية لم تكن في الواقع حصيلة تفوقه على غيره في القوة المادية ، بل السبب الذي مكنه لإخضاع رقاب العالم كله يكمن في ذلك السلوك الرائع الفريد الذي سلكه

كل فرد من المسلمين بصفته الفردية، والأمة الإسلامية بصفتها الجماعية في الصلح ، والحرب ، وإدارة البلاد المفتوحة ، وحسن المعاملة مع شعوبها.

إنَّ الذين عاشوا تحت الإمبراطورية الفارسية ، والإمبراطورية الرومية كرعايا لم يكونوا يتصورون ، بله أن يشهدوا ، ذلك النوع الفريد من الولاة الذين يمشون على الأقدام في الشوارع ، يعيشون عيشة عامة السكان ، ويتركون أبوابهم مفتوحة على مصراعيها في وجه كل من مسته الحاجة ، ويضع يده في عنقهم كل من دهمته الداهية ليطلب منهم إزالة شكواه. إن سكان فارس والروم ما رأوا هذا النمط الرائع من الحكام في الأحلام ، فضلاً عن أن يروه في اليقظة ، بل لم يكن يدور بخلدهم احتمال بوجود هذا النوع الفريد من رجال الحكم والإدارة ، إلا أنه لما دخل النظام الإسلامي بسموه ونظافته أرض هذه البلدان ، وقدم لسكانها هذا النوع من الولاة فمن ذا عسى أن يكون منهم من يمنعه التعصب الأعمى من أن لا يعترف بهذا التفوق الخلقي والسمو الإنساني اللذين يتفرد بهما الإسلام. اللهم إلا شرذمة قليلة طمس الباطل معالم فطرتها وعميت أبصارها عن رؤية الحق.

ومن النماذج الرائعة في السمو الخلقي الذي عرضته الجنود الإسلامية على الدنيا ، أنها كانت تدخل مدينة تفتحها ، وتجوب في شوارعها ونساء هذه المدينة واقفات في الشرفات في أبهى ثياب التبرج والإغراء يتطلعن إلى المواكب ، ولم يحاول جندي من هؤلاء الجنود البواسل أن يرفع رأسه وينظر إليهن ولو بنظرة عابرة. تقطع المواكب الشوارع بدون أن تعلم ما إذا كان هناك من النساء يطللن عليها من الشرفات. الأمر الذي كان يختلف تماما عما جربته تلك الأمم المغلوبة من ويلات الغزاة فيما خلت من القرون ، وما تناقله الناس من القصص والحكايات عن الأمم الغازية ، إذ كان من السنة المتبعة أنه كلما وطىء الغزاة أرض قوم عاثوا فيها فساداً ، ولم يتركوا عرض امرأة منهم إلا وانتهكوه ، وارتكبوا معها الفظائع ، فبعد هذه المواقف الفذة مع أهالي البلاد المفتوحة كيف كان من الممكن أن لا تكسب الجيوش الإسلامية قلوبها: الجيوش التي تكتسح المناطق بدون أن تنتهك حرمة أحد أو تمس بكرامة أحد.

وكذلك من روائع الأخلاق التي تقدم بها هؤلاء الفاتحون الربانيون الجدد أمام الدنيا أنهم إذا اضطروا إلى سحب جيوشهم من منطقة من المناطق المفتوحة أعادوا إلى أهاليها كل ما أخذوه منهم من الضرائب والأموال لدعم الأمن فيها ، قائلين: إن هذه الضرائب إنما أخذناها منكم للقيام بواجب حراستكم إلا أننا اضطررنا للانسحاب، ولا نتمكن من القيام بهذه المسؤولية فهذه بضاعتكم ردت إليكم. هذا في الوقت الذي لم يكن الناس يعرفون من الغزاة إلا الذين إذا اضطروا للجلاء من بلد من البلدان المحتلة فبدلاً من أن يردوا إلى أهاليها ما كانوا جلبوه منهم من الأموال كانوا ينهبون ما تبقى عندهم من الأموال ، فلم يكن أحد من الناس يتوقع من الحكام والولاة أن يحتذوا ما عرف عن أنبياء الله وأوليائه من السجايا والفضائل ، ويحتلوا هذه المكانة السامية من الأمانة والنزاهة حتى في مجال السياسة والحكم.

هذه هي الطاقة الهائلة التي كان يتمتع بها المسلمون في صدر الإسلام فغزوا بفضلها القسم الأكبر من العالم. ومن الحقيقة التي لا يكابر فيها أحد أن الذي حققته أخلاقهم السامية وسلوكهم النزيه من المعجزات لا يقارن بما أنجزته سيوفهم ، لأن من اعتنق منهم الإسلام اعتنقه بعد إدراكه الكامل لحقيقته ومقتضياته ثم صاغ فيه شخصيته وسيرته وسلوكه. ولذلك أيما عمل قاموا به مثلوا فيه الإسلام بكامل الوجه. وبهذه الخاصية الربانية لم تستطع أية قوة في العالم أن تصمد في وجههم. وكان يسبق تأثير أخلاقهم في قلوب الناس مضاء سيوفهم في عنقهم. ولهذا السبب نفسه نرى أن الأقطار التي فتحوها لم يكتف سكانها بالخضوع لقوتهم السياسية بل أصبحوا من المولعين بهم والمريدين لهم: اعتنقوا دينهم ، واتبعوا حضارتهم ، وارتضوا لغتهم ، وها هي الأقطار التي فتحها المسلمون الأوائل ما زال سكانها يعتبرونهم ، على مدار التاريخ ، أبطالهم ، وروادهم ، ولا يحبون أن يرجعوا بأواصرهم إلى أسلافهم الكافرين أو ينسبوا إليهم ماضيهم التليد. فهل لسيف أن يحقق هذه المعجزة في العالم؟

هذه هي المرحلة الأولى من مراحل التاريخ الإسلامي ، ولا أريد في

هذا المقام سرد المعلومات التفصيلية عن هذه المرحلة. وإنما الذي يهمني أن أؤكد لكم أن الإسلام إذا تمكن من بسط سلطانه المدهش على القسم الأكبر من العالم لم يتمكن من ذلك إلا لأجل أن الأمة بكاملها قد آمنت بالإسلام إيماناً صادقاً، وتمسكت به بعزيمة ماضية وتفهم صادق وإخلاص عميق، وصار نور الإسلام يتلألأ في سلوك أفرادها الفردي والجماعي بمنتهى النصوع والكمال. وقد برزت إلى الوجود دولة تبنت الإسلام هدفاً رئيساً لها، وهبّت تستنفذ كل ما تملك من الوسائل والإمكانيات لتغليب كلمته في العالم، وهكذا تيسرت للإسلام في أولى مراحله حركة مستميتة قوية ما زالت آثارها في التاريخ واضحة المعالم، جلية الملامح حتى اليوم وبعد مرور ثلاثة عشر قرنا على إنشائها. وتستطيعون أن تشاهدوا مع هذه الحالة التعيسة التي تدنت إليها الأمة الإسلامية آثار الطابع الذي انطبعت به الأمة الإسلامية في أولى مراحل تاريخها. إن أي فرد من المسلمين مهما فسد أمره وساءت أخلاقه إذا استشففت ذات نفسه وجسست نبضه تعلم أنه لا يحن إلا إلى نفس المجتمع المثالي الذي أسسه محمد ﷺ وخلفاؤه الراشدون. وهذا هو الهدف الذي يطمح إليه دائماً ولا يتناساه أبداً كأن هذا المجتمع شمس تشرق أمامه بنورها الساطع بصفة دائمة، لا يدعها تغيب عن نظره. إن كل فرد من المسلمين يرى هذه المرحلة الذهبية نموذجاً وقدوة، ويولع بها لحد الغرام، ويتمنى رؤيتها متمثلة في الواقع مرة ثانية. وما انفك الإسلام يشع بنوره على العالم من عصر الخلافة الراشدة إلى هذا اليوم. ولم يبق صقع من أصقاع العالم إلا قد تغلغلت إليه أشعته. وقد نال هذا الازدهار على رغم ما منيت به هذه الأمة من الأمراء المنغمسين في حياة الترف والبذخ، ونكبت بالطغاة والجبابرة، ولم تعدم متعاطي المنكرات في يوم من الأيام. ولم تعد منذ مدة غير قصيرة أمة مثالية تحتذى، وتنجذب إليها قلوب الناس. ولكن رغم كل ذلك لم تقف دعوة الإسلام من الانتشار، وليس مرجعه كون المسلمين على طريقة مثلى في الحياة تستهوي الناس إلى دينهم، بل الذين يعتنقون الإسلام من غير المسلمين لا يعتنقونه إلا بعد أن يتأكدوا من أن الإسلام ليس الذي يتمثل في واقع المسلمين وإنما

الإسلام الحقيقي هو الذي جاء به محمد ﷺ وأصحابه ، ثم إنما يوجد اليوم في واقع المسلمين من بعض السمو والنظافة وجوانب الخير في تفكيرهم وأعمالهم وسلوكهم وخلقهم فليس كل ذلك إلا البقية الباقية من الآثار التي تركها الإسلام فيهم ، ولا تزال تعمل عملها على مرور أربعة عشر قرنا. وبكلمة أخرى إن المرحلة الأولى من تاريخنا كانت تبلغ من حيويتها درجة استحال معها أن يزول أثر طابعها على التاريخ. بل إن الحيوية التي تشاهدونها اليوم في العمل الإسلامي هي ناتجة عن تلك الحركة المثالية التي أنشأها الإسلام في أولى مراحله.

المرحلة الثانية: عصر الملكية

هيا بنا نأخذ الآن المرحلة الثانية من مراحل التاريخ الإسلامي. إن هذه المرحلة تبدأ من عهد امتد فيه الإسلام إلى جنبات الأرض وانتشر نوره في أرجائها بسرعة تفوق التصور وقد دخل في حظيرته العدد الهائل من خلق الله إلى أن تعذر على المسلمين الأوائل العناية الكافية بتربية هذا العدد الضخم تربية إسلامية، وتثقيفه ثقافة إسلامية، مع أنه كان في المسلمين رجال الصلاح والتقوى، ولم يكن الناس يقبلون على الإسلام إلا لإعجابهم بما كانوا عليه من سلوك حسن وعمل صالح وخلق كريم ، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً. ولم يكن من السهل الميسور بتاتاً أن يحدث في حياة هذا البحر الخضم من البشر نفس الانقلاب الذي حصل في حياة المسلمين الأولين من حيث الكم والكيف. الأمر الذي تسبب في تقلص عدد المسلمين في الدنيا رويداً رويداً، من ذلك النمط المثالي الرائع ، الذي كان مسلماً حقاً واعياً وكان قوله يطابق فعله. فانخفضت نسبة هذا النمط من المسلمين في المجتمع من جهة ، ومن جهة أخرى تصاعدت نسبة الذين وإن كانوا قد دخلوا في الإسلام إعجاباً بمبادئه وأسسه ، وخضعوا له بتجرد وإخلاص إلا أن الناحية المسلكية فيهم لم تكن منطبعة كلياً بطابع الإسلام ، ولم يكونوا موفوري الرصيد من الفهم للدين والتعمق فيه وهذه الظاهرة أدت إلى انقلاب خطير في مجرى التاريخ الإسلامي ، وهو تحويل نظام الخلافة إلى نظام الملكية.

ونسرد أسباباً كثيرة ساعدت في هذا التحول ، غير أن السبب الرئيسي لهذا التحول في نظري هو تناقص عدد المسلمين المتعمقين الواعين في المجتمع الإسلامي في ذلك الحين. إن الذين كانت حياتهم الواقعية ترجمة حية للإسلام أخذ عددهم في انحسار وتقلص. بينما الذين كان ينقصهم الفهم الحقيقي للإسلام وكان لا يتلاءم سلوكهم مع الإسلام قد تصاعدت نسبتهم إلى درجة أصبح معها من المستحيل تخليص المجتمع الإسلامي من المتناقضات المنبثقة من فقدان الوعي الإسلامي الصحيح فيهم ، وأصبح معها من المستحيل المحافظة على المجتمع من آثار عاهاتهم الخلقية ، ونتيجة لذلك حلت الملكية محل الخلافة ، وانفرط عقد النظام الذي أقامه المسلمون الأوائل ببذل مهجتهم. وطالت هذه المرحلة من مراحل تاريخنا قروناً طويلة. ولا يسمح لي المقام أن أتناول بالبحث مخلفات هذه المرحلة وما كان وراءها من العوامل بتفصيل واف. وإنما أذكر لكم الآن أربعة أو خمسة من أهم نتائجها التي لا يزال طابعها ثابتاً ملموساً على وضعنا الحاضر. وبكلمة أخرى لا تزال ملامح تلك المرحلة من «ماضينا» تتجلى في «حاضرنا».

انقسام القيادة:

إنَّ أول ضرر من الأضرار الرئيسية التي نكبت بها الأمة الإسلامية من جراء النظام الملكي هو أن تقسمت قيادة الأمة المسلمة إلى قسمين ، بعد أن كانت هذه القيادة في عهد النبي ﷺ وعهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم موحدة تستقطب جميع نواحي الحياة الروحية والعلمية والفكرية والسياسية حول محور واحد ، بحيث كانت التوجيهات السياسية والتدابير القضائية والتعليمات الإدارية والتنظيمات العسكرية وشؤون الحرب أو الصلح تنطلق من مصدر بعينه. ونفس القادة الذين كانوا يوجهون هذه النواحي هم الذين كانوا في الوقت نفسه قادة المسلمين في إصلاح الأخلاق ، وقادتهم في الفكر والعلم ، وقادتهم في التربية الروحية. إن هذه القيادة بجميع نواحيها كانت تدور حول محور بعينه ، إلا أنه لما نجم قرن الملكية اعترى القيادة الانقسام ، وانشقت إلى شقين ، ففيما يتعلق بالشؤون السياسية استأثر به

الحكام ، وفيما يرجع إلى النواحي الخلقية والفكرية والروحية انتقلت أزمته إلى رجال العلم والفقه والتصوف: أصبح فقهاء المسلمين وعلماؤهم روادهم في الشؤون الروحية والخلقية والدينية ، وأصبح الملوك والأمراء قادتهم في الشؤون السياسية ، وكان هذا الانقسام في القيادة في حد ذاته فتنة مدمرة كان من المحتوم أن تعكس آثارها السيئة في المجتمع. ثم زادت الطين بلة طبيعة القيادة السياسية ، إذ من مقتضاها الطبيعي أن تقحم نفسها في كل شأن من شؤون الحياة وتدس أنفها في كل أمر من أمورها. وانطلاقا من هذه الطبيعة هبت القيادة السياسية تفرض سلطانها على كلتا الناحيتين من الحياة: الدينية والخلقية. بينما كان أصحاب العلم والفقه والتصوف لم يكونوا ليرضوا وما كان ينبغي لهم أن يرضوا بحال من الأحوال تدخل القيادة السياسية في شؤون الدين والأخلاق كي لا يشوه وجه الدين ، ولا يغير الفكر الإسلامي ، ولا تمسخ المبادىء الخلقية. فنجم عن كل ذلك التباعد في هاتين القيادتين ، واتسع الصدع بينهما ، ثم شرع التناحر والتصارع بينهما بدلاً من التعاون والتلاحم ، ولا نزال نشاهد هذه الظاهرة الغربية على قدم وساق في تاريخ الإسلام المعاصر ، ومما لا يستحق الجدل أن عصر الملكية في التاريخ الإسلامي لا يقاس أبداً بعصور الملكية في تاريخ الشعوب الأخرى ، لأن الملكية في تاريخنا الإسلامي مهما كانت مشحونة بكثير من السيئات والويلات إلا أنك سوف لن تر عبر التاريخ الإسلامي تلك العصور المظلمة التي هي علائم بارزة في تاريخ الأمم الأخرى. ولا أملك نفسي في هذه المناسبة إلا لأسجل إعجابي واستحساني لما توافر في التاريخ الإسلامي من الملوك الأنقياء الصالحين ، وما استطاع أي شعب أن ينجب هذا العدد الوفير من الملوك الصالحين. وبرغم إعرابي عن خالص تقديري لوجود هؤلاء الأفراد الصالحين في وسط النظام الملكي ، لا أملك إلا القول كذلك إن الذي نجم عن هذا النظام من نتائجه الفطرية وآثاره الحتمية جلب على الأمة الأضرار الباهظة. أبرزها أن الحكومات الإسلامية تخلت عن فريضة الدعوة إلى الإسلام ، وحمل مشاعله في الدنيا. بل اقتصر أمرها في

أكثر الأحايين على فتح البلاد وجباية الأموال ، وانتهى بها المطاف إلى ما نعانيه اليوم في وضعنا الراهن.

ونرى فيكم اليوم عدداً هائلاً من الذين هاجروا إلى باكستان من المناطق التي حكمها المسلمون طيلة ثمانية قرون كبلدة «دلهي» وضواحيها ، ومنطقة شرقي بنجاب ، ومقاطعات الهند الوسطى ، وولاية حيدر آباد الدكن. كان الحكم في هذه المناطق كلها بيد المسلمين. ولو كانت حكوماتهم التي تعاقبت عليها داعية إلى الإسلام رافعة لواءه ، وجاعلة نصب أعينها تبليغه في أرجاء المعمورة لتوطدت فيها دعائم الإسلام ، ولكان هو وحده يعم أرجاءها ، ويبدل الوثنيين فيها بالموحدين. نعم ، لو كان الأمر كذلك لما انتهى الأمر بكم اليوم إلى هجرتها تاركين دياركم وأموالكم فيها. ولكن لجوءكم إلى باكستان يصرخ ، بلسان الحال ، إن حكام تلك المناطق لم يؤدوا مسؤولياتهم نحو الإسلام ولم يوفوا بحقه كحكام مسلمين مخلصين. وإذا قدر الله للإسلام أن ينتشر في تلك الأقطار على رغم ذلك فلم ينتشر إلا بفضل الجهود التي كرسها الفقهاء والمصلحون. أما الحكام فبدلا من أن يكون لهم ضلع في انتشاره وامتداده ، غالباً ما وقفوا في وجهه عقبة كأداء ، أو وقفوا غير مشجعين لانتشاره على الأقل. وهم بسبب استخدامهم وسائل البطش والإرهاب والقهر لتوطيد حكمهم ، وانغماسهم في حياة الترف والبذخ ، وظهورهم في مظهر الأخلاق الرذيلة صاروا منفرين الناس من الإسلام. والأعمال التي كان من شأنها تحبيب الإسلام إلى القلوب لم يأتوا بها إلا في النادر القليل. وأعود فأقول إن الحكام الذين كانوا على رصيد كبير من التقوى والصلاح أتقدم إليهم بالثناء العاطر والتقدير البالغ إلا أن النظام الملكي في مجموعه لم يثمر إلا عواقب وخيمة وانحرافات خطيرة ، ولا سيما في عهد الملوك الذين لم يبق لديهم من حركة الإسلام الأولى إلا كباقي الوشم على ظهر اليد ، ومن الحقيقة بدون منازع أن كل ما تحقق للإسلام من الانتشار والازدهار ما كان إلا بفضل الجهود الجهيدة من جماعات راشدة من أهل العلم والفقه والتصوف ، ولم يكن في وسعهم أكثر من أن يستميلوا الناس إلى الإسلام بطيب الكلام ونبيل الأخلاق وصالح

الأعمال ، وينيروا لهم طريق الحق بالدروس والمواعظ وبطريقتهم المثلى ، ولم يكن بمقدورهم أن يتخذوا التدابير اللازمة لتربية الملايين من البشر الذين كانوا يدخلون حظيرة الإسلام تربية إسلامية كافية ، لأن الحكومات هي التي كانت مدعوة إلى أداء هذا الواجب ولكنها لم تعر أي اهتمام بهذه الناحية ، ولو كان هناك من حكومة تدعم هؤلاء الدعاة وتشد أزرهم وتقدر مساعيهم أو أن تبذل عنايتها ـ في أقل الاحتمالات ـ على أوسع نطاق بتربية وتوعية الموجات البشرية التي كانت تدخل في دين الله متجاوبة مع المحاولات الفردية من جهة هؤلاء الدعاة لكان الأمر عكس ما تراه اليوم ، ولكن لم يحدث هذا ويا للأسف ولم يتجاوز الأمر أن يهب عبد من عباد الله يعرض على الناس الإسلام ويقدم لهم نماذجه العلمية من خلال نظافة حياته وسمو سلوكه وطهارة ذيله : النماذج الرائعة التي تضرب على أوتار قلوبهم ، وتستهويها لدعوته فإذا بهم يتقدمون إليه في غمرة من الانفعال يطلبون منه إدخالهم في نفس الدين الذي سما به إلى هذا المستوى من طهارة الخلق ونزاهة العيش. فهذا العبد الصالح ـ على غرار المئات من أمثاله ـ يلقن الناس كلمة الشهادة ، ويبدل أسماءهم الكافرة بالأسماء الإسلامية ، ويعلمهم ما يلزم من الآداب والطرائق للحياة الإسلامية ، فماذا عسى بوسعهم أن يأتي به هؤلاء الدعاة أكثر مما أتوا به. وكان من واجب حكومات المسلمين أن تشعر بمسؤوليتها وتزود المسلمين حديثي العهد بالإسلام بما يجعلهم عنصراً حيوياً نافعاً في المجتمع الإسلامي ، ولكن مع الأسف إن الحكومات المسلمة تقاصرت عن إدراك مسؤوليتها نحوهم. نعم إن رجال الجود والإحسان في الأمة حاولوا ملء هذا الفراغ بصفتهم الفردية بوقف أموالهم وعقاراتهم في مختلف العهود ، فأنشئت المعاهد والزوايا لتأمين المطالب التعليمية والتربوية ، وكان لتلك المواقف أجمل الآثار وأعظم النتائج إلا أنه ما دامت الحكومات متهاونة في أداء مسؤوليتها في هذا الباب ومتخلفة عن توعية عامة السكان فإن انتزاع المسلمين الجدد من براثن الجاهلية ورواسبها وجعلهم مسلمين واقعيين يتمثل الإسلام في حياتهم حياً ملموساً كان من باب المستحيل.

ومن الحقِّ أن نقول إن وضعنا الحاضر هو أيضاً مطبوع بنفس الطابع الذي يرجع إلى هذه المرحلة الثانية من مراحل التاريخ الإسلامي. وما أشبه الليلة بالبارحة، فها قد تستطيعون أن تشاهدوا عشرات الملايين من المسلمين في المدن والقرى: ما أغرقهم في تقاليد الجاهلية وأعمال الشرك! وما أفرغهم من الوعي الإسلامي! وما أصبرهم على الخزعبلات الهندكية على كونهم مسلمين! وما أدنس حياتهم بآثار الديانة البوذية! وما أرضاهم بالآثار التي امتازت بها المجتمعات الجاهلية قبل الإسلام، في مجتمعاتهم! وملخص القول أن أوضاعنا الحاضرة لا تزال متسمة بنفس الطابع الذي أوجدته المرحلة الثانية من مراحل تاريخنا. وإن شئت فقل: إن الذي نحصده في «العالم المعاصر» هو ما غرس في «ماضينا الغابر» وهذه هي سنة الله في الكون، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ازدهار العصبيّات:

ومن سيئات هذه المرحلة أن نجم فيها قرن العصبيات الجنسية والقبلية والوطنية والجغرافية مرة أخرى بعد أن أفلت نجومها بطلوع شمس الإسلام. وقد كانت هذه العصبيات رفعت رأسها في العصر الأموي من جديد، ثم ما فتئت تشتد وتترعرع في المجتمعات الإسلامية وتنتشر فيها انتشار الأمراض المعدية كأوبئة الطاعون والكوليرا. وتؤتي حصادها المر، وإذا تأملتم في صفحات ماضيكم وجدتم الكثير من الإمبراطوريات ناطحت هذه الصخور فتكسرت وأصبحت أثراً بعد عين. وهذا الداء الوبيل هو الذي هوى بالحكم الأموي إلى الانهيار، وهو الموضوع الرئيسي في قصص الصراع الذي استعر أواره بين القبائل العربية في ذلك العهد، وإليه يرجع الدور الأكبر في تدمير العرش الأموي في الأندلس والقضاء على الكيان الإسلامي فيها. وما يوم سقوط الإمبراطورية المغولية والحكومات الإسلامية في ولاية حيدر آباد الدكن[1] في الهند ببعيد، وما يوم حليمة بسر، وخلاصة القول:

---

(١) والتي كانت من أغنى البلاد الإسلامية، احتلتها الهند بعد تقسيم الهند كدولتين (الهند=

إنكم حيثما سرحتم النظر وجدتم في دمار المسلمين وذهاب حكوماتهم العظيمة ضلعا كبيراً لهذا الداء الفتاك. إن المسلمين بالرغم من أن الله قد ألف بينهم، وجمعهم على كلمة التقوى، وجعلهم بنعمته إخواناً تناسوا هذه النعمة الجليلة من وقت لآخر، فعاودتهم النوازع العصبية التي سوغت لهم اللجوء إلى الشعارات القبلية والألوية الجنسية والفوارق العنصرية كالعربية والفارسية والأفغانية والتركية والمغولية والهندية، فالتهمتهم غوائلها ونهشتهم عواديها في النهاية، وهذا هو السر في تدهور المسلمين وانفكاك عراهم إرباً إرباً، وتمزق صفوفهم شذر مذر في التاريخ. وهو من مساوىء الملكية التي توارثها المسلمون. إن الملوك في عصور الملكية كانوا يستغلون هذه العصبيات لتحقيق مصالحهم الشخصية فانتعشت حركة بني العباس تقاوم بني أمية، وتؤلب عليهم الفرس باستغلال العصبية القومية. لماذا؟ لتحقيق مآربهم وإقامة عرشهم ولا غير.

وهكذا هذه الداهية النكر ـ داهية العصبيات الجاهلية ـ قد أناخت بكلكلها في المرحلة الثانية من تاريخنا. ولا نزال نشعر بمرارتها ونعاني من ويلاتها في «حياتنا المعاصرة».

وأسرد إليكم، كالجملة المعترضة، مثلاً من تاريخنا المعاصر، إنكم أيها المسلمون، قد جمعتم شملكم تحت لواء الإسلام فنصركم الله نصراً مؤزراً وكتب لكم النجاح والتوفيق في إنشاء باكستان: بلد إسلامي مستقل تعيشون فيه أحراراً مكرمين. ولكن بعد هذا الفتح المبين والنجاح الباهر، تشرعون تستذكرون أصول الجاهلية فهذا ينادى بالعنصرية البشتوية، وآخر يعلن بأنه بنغالى، وثالث يهتف بجنسية السندية، ورابع يدعو قومه إلى شعار البلوشية، وخامس يعتز بكونه بنجابيا إن هي إلا إحدى الكبر، نذير للبشر، وأشراط الساعة، والساعة أدهى وأمر.

= وباكستان)، وإليها يرجع الفضل في إخراج التراث العربي والإسلامي بطباعة المخطوطات النادرة من دائرة المعارف (حيدر آباد ـ دكن).

الأثرة وعبادة النفس:

وهناك داء آخر تولد في ذلك العصر أيضاً ، وتفاقم خطبه واستفحل أمره على مر الزمان. وهو أنه قد طويت صحف جميع النواحي من الولاء الإسلامي في المسلمين ، ولم يبق إلا ولاء الرجل لنفسه أو لقبيلته فقط. بينما الإسلام قد وضع تحت قدميه جميع الأنواع من الولاء ، سواء أكان للجنس أو اللون أو التراب أو اللغة ، إلا الولاء لله ولرسوله ولدينه. وهذا هو الولاء الذي كان ينصاغ فيه سلوك المسلم إن فردياً أو جماعياً ، فأخذ هذا الولاء يتضاءل في عصر الملكية رويداً رويداً. ولما أخذ هذا الولاء الذي كان من ركائز معنوياتهم ومقومات تفوقهم الخلقي ينخر ويضمحل. حلّت محله ـ طبيعياً ـ الأنانية واتباع الهوى. ومن طبيعة البشر أنه إذا لم يسعفه الولاء الأعلى لا يضحى بنفسه ونفيسه في سبيل مبدأ من المبادىء ، مهما شرف وعظم بل كان ما يصدر منه بعد ذلك يكون مبعثه إما مصلحته الذاتية أو مصلحة قبيلته وأسرته. وكان من جراء هذا الأمر أن نشأت في المجتمع الإسلامي فئة مرتزقة (Mercenaries) من الجنود والضباط والإداريين ، قد تدنوا خلقياً لدرجة أن كل من سوّلت له نفسه أن يشتري ذممهم ، ويساوم ضمائرهم مقابل ثمن زهيد كان له ما أراد ، وكان مثلهم كمثل الوحش الأليف الذي إذا أكلته يتبعك ثم إذا أغريته بأحد يعدو عليه ليفترسه ويفتك به. وخذوا ـ مثلاً ـ ما جرى في تاريخ بلادكم: على أي مدى كان الشعب المسلم يؤمن للحكومات المتعاقبة جماعات من الجنود المرتزقين ، أرى أنه لا يخفى عليكم أن دولة المرهتا التي كانت ألد أعداء المسلمين ولم تُصن من تطاولها أموال المسلمين وأنفسهم وأعراضهم. إن هذه الدولة أيضاً كانت في جيشها فرق من الجنود المسلمين ممن كان لهم كعب عال في ضرب المدافع وإلقاء القنابل. ولما دخل الإنكليز هذه البلاد ظفروا هم الآخرون أيضاً من الشعب المسلم نفسه بحشود كبيرة من الجنود المأجورين الذين أتموا لهم الاحتلال وحققوا لهم ما أرادوا لدرجة أن الإنكليز أصبحوا في غنى عن استقدام القوات من الخارج. لأنهم وجدوا من هذه البلاد نفسها من أكمل لهم الغزو العسكري ، وأصبح لهم الساعد الأيمن في استتباب الأمن

وتنظيم شؤون البلاد. ولم يكن أحد من هؤلاء المرتزقين يستشعر فداحة دوره ويتفكر: في مصلحة مَنْ يجند طاقاته وكفاءاته؟ وأي بلد نهض يغزوه مع الغزاة؟ ولأجل أية جهة يتولى شؤون الإدارة والتنظيم؟ هل تفكرتم لماذا كان كل ذلك؟ لأن جميع أنواع الولاء النبيلة انعدمت فيهم ، وآخر ولاء كان من شأنه أن ينقذهم من النذالة والهوان (وهو الولاء لله ورسوله ودينه) قد أتوا عليه أيضاً. ولم يبق فيهم إلا الولاء للنفس الأمّارة بالسوء. وهل من ولاء ، غير الولاء للنفس ، أن يحمل صاحبه على ذلك النوع من الأعمال الخسيسة التي يرفضها العقل ويمجها الذوق.

وعلى هذا ، فإن جميع الحكومات الإسلامية من جزر الفلبين شرقاً إلى المغرب العربي غرباً شرعت تذهب أي سبا واحدة تلو الأخرى. وفرض الاستعمار الغربي سيطرته عليها. وليست سيطرة الاستعمار الغربي على الشعوب الإسلامية وليدة الصدفة بل مردّها إلى جذور تاريخية عميقة لا يسمح لي المقام أن استعرضها بالتفصيل. وإنما أذكر لكم ، متوخياً الإيجاز ، الدوافع التي شكلت المرحلة الثالثة من مراحل تاريخنا. أي المرحلة التي أضحت فيها جميع الشعوب الإسلامية ضحية الجشع الاستعماري بدون استثناء ، وإن بقيت دولة أو دولتان بمنجاة من الاستعمار فآل أمرها أيضاً إلى أسوأ مما كانت عليه الدولة المحتلة ، فبقاء تركيا أو إيران أو أفغانستان مثلاً بمنجاة من تطاول الاستعمار لم يكسبها موقفاً محسوداً ، بل انحدرت إلى ما هو أسوأ حالاً وأردى وضعاً من البلاد المحتلة نفسها.

المرحلة الثالثة: دور الاستعباد وآثاره السيِّئة

ولنأخذ الآن المرحلة الثالثة والأوضاع التي مررنا بها في هذه المرحلة. ولسنا بحاجة إلى الدراسة التفصيلية عن هذه المرحلة. إذ إننا لسنا ببعيدي العهد بها بل قد اجتزناها قبل عشرين سنة فقط ، والذين كانوا في ميعة الشباب في تلك الفترة هم شهدوها عياناً ، فلا يخفى عليهم ما مر عليهم من الأطوار والأحوال. اللهم إلا الذين كانوا في تلك الأيام في سن الطفولة.

وهم إن كانوا لا يستذكرون أحداث هذه المرحلة بحكم سنهم غير أنهم قد سمعوا من آبائهم وإخوانهم ما جعلهم في غنى عن الدراسة التفصيلية.

إن الاستعمار الغربي بعد تعميق مخالبه في البلاد الإسلامية جعل يصب على المسلمين وابلاً من الظلم والعدوان والبطش والتنكيل، وأنزل بهم ضروباً من الفتن كقطع الليل المظلم. كما دك حكوماتهم، واحتل أراضيهم الخصبة، وسيطر على أوقافهم، وتلاعب بأنفسهم وأموالهم وأعراضهم. بيد أن جميع هذه الأعمال الإجرامية لا تساوي ظلماً ارتكبه الاستعمار حين فرض علينا النظام التربوي الحديث الغريب عن معتقداتنا والبعيد عن قيمنا، قسراً، هذا في جانب، وفي الجانب الآخر عطّل نظامنا التليد للتعليم والتربية وحوله إلى حالة العقم، وجعله في وضع يُرثىٰ له، وحاول بهذه الطريقة أن ينشىء منا أجيالاً تتنكر لشخصيتها الإسلامية، وتبغض دينها، وتجهل تقاليدها، وتنظر إلى تاريخها الحافل بالأمجاد بنظرة الاستحقار، وتعتبر حضارتها الرائعة شيئاً أكل عليه الدهر وشرب، وتقتنع بأن ثقافتها تقادم عليها العهد، وتؤمن بأن نظامها للفكر والعمل لا يصلح للعصر الحاضر، ويترسخ في ذهنها وقلبها أنه إذا كانت هناك معارف فهي التي تدون في الغرب، وإذا كانت هناك حضارة فهي التي مهدها الغرب، وإذا كانت هناك أخلاق فهي التي يتخلق بها الغرب، وموجز القول أنه إذا كان هناك شيء يتسم بالمثالية الجديرة بالتأسي، وبالتصور الإنساني الرفيع الحقيق بالتقدير والاعتناء فهو ما عند الغرب كما قال الشاعر:

إذا قالتْ حذام[1] فصدّقوها — فإنّ القول ما قالت حذام[2]

هذا هو أعظم ظلم مارسه الاستعمار في حقنا. أما النظام التربوي الذي كان يوجهنا إلى ديننا، ويربطنا بتقاليدنا، ويوطد صلتنا بحضارتنا فقد عاد نظاماً مرفوضاً لا يجد سوقاً رائجة. ولأجل ذلك فإن أي فرد من المسلمين كان يتوق إلى التقدم المادي صار يرغب عنه وينبذه وراء ظهره، ويتلهث

---

(١) حذام: اسم زوج الشاعر.
(٢) قاله وهو ديسم بن طارق، وقيل: قاله لجيم بن صعب.

وراء النظام الحديث الخلاب. فكانت لهذا التحول آثار بعيدة الأغوار في مجتمعنا ، وما لبث أن مال إلى هذا النظام التربوي النخبة الممتازة من هذه الأمة ، المتمثلة في ذوي الثراء والفطانة والنباهة ، وفيمن كانوا يتمتعون بقسط وافر من المواهب والحيوية وقوة العمل والتفكير وقابلية التوجيه ، إن جميع تلك العناصر الصالحة اندفعت إلى نظام الاستعمار للتربية والتعليم تحت ضغط منطق الظروف. مع العلم أن هذا النظام لم يكن ليبعدنا عن ديننا وتاريخنا وحضارتنا فحسب بل ليكوّن منا أمة تتقزز من تراثها العقائدي وتنفر من قيمها الحضارية.

تحول قيادي:

وتعميقاً لهذه السياسة قصر الاستعمار جميع مجالات التقدم ، وفرض الرق على الذين كانوا يتخرجون من هذا التعليم ، لأن الاستعمار قد أتى بخطة محكمة الدرس ومتقنة الأداء في هذا الصدد ، كان من نتائجها الطبيعية أن الذي أراد أن ينال في الدنيا عيشاً رغيداً ووضعاً مزدهراً ، لا بل حتى الذي أراد الحياة فقط لا يتأتى له ذلك إلا أن يسلم أولاده لنظام التعليم الحديث لينزعهم من دينهم وقيمهم. نفذ الاستعمار هذه الخطة على المدى البعيد ، وفي جميع البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً ، أي حيثما ألقى عصاه لجأ إلى هذه الخطة الممقوتة. وليس الاستعمار الإنكليزي بأوحد في هذا الأمر ، بل تلتقى عليه جميع القوى الاستعمارية كالاستعمار الهولندي والبلجيكي والفرنسي والألماني. وعلى كل ، فإن كل بلد من البلدان الإسلامية دخلته الشعوب الاستعمارية طبقت فيها نفس المكيدة.

ثم إنَّ السياسة التي اتبعها الاستعمار فعلاً في توظيف المتخرجين من هذا النظام في تسيير دفة الحكومة وفي المجالات الاقتصادية كانت تملي أنه قدر ما يكون المرء متجرداً من آثار الإسلام قدر ما يتقلد أرقى المناصب. ولا شك أن هذه السياسة الإجرامية لم تدون ولم تطبق في شكل القانون ولم يكن الأمر يحتاج إلى صياغتها وإدراجها في لوائح الموظفين. بيد أن الوضع السائد والتخطيط الإدراي كانا يتجهان ، جملة وتفصيلا ، إلى أن الموظف

كلما ينسلخ في حياته العملية من الصبغة الإسلامية ، وينطبع بطابع الحياة الغربية ، يجد الفرص مواتية والحظوظ حليفة في إحراز التقدم . وهكذا تجد المستعمرين يستدرجون الأمر حتى يتربع على المناصب الرئيسية الحكومية «المسلمون» الذين وإن كانوا يحملون أسماء إسلامية ولكنهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه . وسرعان ما رأينا نتيجة لذلك أن جميع المناصب الرئيسية تحولت إلى هذا الضرب من المسلمين ، وجميع القطاعات الاقتصادية (أي العصب الحساس) لا تفتح أبوابها إلا على وجههم . وشوهدت هذه السياسة نفسها متَّبعة في جميع البلدان الإسلامية . وأينما توجهت في البلدان الإسلامية ، تفاجئك هذه السياسة بقضها وقضيضها وويلاتها وثبورها .

الحركات التحريرية :

ولمّا أطلت الحركات التحريرية برأسها في البلدان الإسلامية ، وبدأت في قلوب الناس تلتهب جذوة تحرير الوطن بعد أن درسوا المؤلفات الغربية وتاريخ الشعوب الغربية ، وتفطنوا لوضعهم المزري اقتضى منطق الأوضاع أن يتولى قيادة هذه الحركات الزعماء الذين كانوا يعرفون لغة الشعب الغازي ، وكانوا يدركون طبائعه وطرائقه ، وكانوا يفهمون منافذ الدخول إليه . هذا النمط من القيادة إنما فرضها منطق الأوضاع على الشعوب الإسلامية الطامحة للتحرير ، ولم يكن لها بد من التسليم لها والاعتراف بها . أما خريجوا المعاهد الدينية ـ والأصح خريجوا النظام القديم للتعليم ـ فلم يكونوا يصلحون لقيادة المسلمين بل لم يكن باستطاعتهم أن يتحملوا عبء قيادة الشعوب وخوض غمار المعارك التحريرية . فاتجه الناس في عجز واضطرار إلى النوع الأول من الزعماء ، وألقوا إليهم مقاليد القيادة ، وشرعوا الحروب التحريرية ضد الاستعمار تحت إشرافهم وتوجيههم . ولذلك فإنك إذا أجلت نظرك في أي قطر من الأقطار الإسلامية ، وفي أية رقعة من الأرض ، طيلة هذه المرحلة ، وجدت أن الذين يقودون الحركات التحريرية ويضطلعون بالدور الطليعي فيها في شرق الأرض وغربها هم الزعماء من النوع الأول . كما رأيتهم في خلال المعارك يلجؤون إلى إذكاء عواطف المسلمين الإسلامية ومناشدتها ، لأنهم ما كانوا يستطيعون تصعيد

العمل التحريري بدون إثارة هذه الجذوة: أهاب هؤلاء الزعماء بالشعوب الإسلامية باسم الإسلام ، في كل أرض إسلامية قامت فيها معارك تحريرية، معلنين: أن هذه الحرب إنما هي حرب فاصلة بين الإسلام والكفر. وعليكم يا معشر المسلمين أن لا تألوا جهداً في التضحية بأنفسكم وأموالكم ومواهبكم وأوقاتكم حتى يتحقق النصر، ويكون الأمر كله لله، وتعود المياه إلى مجاريها ويعود للإسلام مجده التليد، وتشرق الأرض بنور ربها.

إنَّ هذه الظاهرة لم تلعب دورها في بلد واحد فقط بل أي بلد من المسلمين تدرسون تاريخه تجدون نفس الظاهرة تتحكم في الأوضاع، وأضرب لكم مثلاً من الجزائر التي نالت الاستقلال إلى عهد قريب، بعد أن خاضت غمار الحروب الدامية. إن نفس الظاهرة لعبت دورها فيها. ولا أقول ذلك جزافا، بل توصلت إلى هذه الرأي عن الجزائر بعد دراساتي القريبة لأوضاع هذا القطر الإسلامي. إذ كنت متتبعاً لتطور الأحداث فيه، ثم ناقشت في هذا الموضوع، أكثر من مرة، القادة الجزائريين في الوقت الذي كانت الحرب حامية الوطيس فلم يسعهم إلا أن يصدقوا وجهة نظري، ويقولوا بصراحة: إنهم إذا لم يؤكدوا للرجل العادي من الجزائر أن المعركة التحريرية التي ألهبنا نيرانها هي معركة الإسلام والكفر، هي الجهاد في سبيل الله الذي أمرنا به الله ورسوله، ومن استشهد فيه دخل الجنة، إذا لم نقل له ذلك لا يستجيب لنا ولا يلبي نداءنا ولا يتقدم إلى ساحة القتال واضعاً رأسه على راحته. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشعب الجزائري لم يندفع إلى المعركة التحريرية إلا باسم الإسلام، امتثالاً لما يأمر به الدين وينادى به الله ورسوله. ثم تعرض لما تعرض من أنواع البطش والتعذيب، وتكبد ما تكبد من الخسائر، وسجل ما سجل من التضحيات والبطولات مما يحير الألباب ويأخذ بمجامع القلوب، ويجعل الإنسان يستغرب كيف أن شعباً أعزل يستطيع أن يحقق كل ذلك في هذا العصر ضد الاستعمار المدجج بأحدث السلاح وأفتكه.

وخُذْ لذلك مثلاً آخر من تركيا، لما غزا اليونان آسيا الوسطى بعد الحرب العالمية الأولى ذهب مصطفى كمال يقحم نفسه في الجيوش التركية

وفي يده مصحف وناشدهم بحماس دافق: أيها الأتراك: هل تعلمون ما هذا الكتاب الذي بيدي؟ فيجيبونه: إنه المصحف الشريف فيقول لهم: إنكم إذا لم تخرجوا معي للحرب مع اليونان فلن يكون لهذا الكتاب بقاء في هذه الأرض وهكذا فإن مصطفى كمال حرّض المسلمين الأتراك على الجهاد، الذين خرجوا واضعين رؤوسهم على أكفهم، وطردوا اليونان من أرضهم مسجلين التضحيات الجسام على ما كانوا عليه من قلة العتاد الحربي ونقص الإمكانيات المادية وكان اليونان يساندها الحلفاء.

وكلٌّ بلد إسلامي درست تايخه تجد نفس هذه الظاهرة تلعب دورها: تجد الذين بيدهم أزمة القيادة والتوجيه بعيدين عن الإسلام، جاهلين به، لا يعرفون عنه شيئاً ولا يجدون في أنفسهم ميلاً إلى تطبيقه لأنهم تثقفوا ثقافة تبدلت بها مقاييسهم للقيم، وتبدلت بها أذواقهم، وتبدلت بها خصالهم، وبهرت عيونهم حضارة أخرى غير حضارة الإسلام، وأخذ بمجامع قلوبهم منهاج غير منهاج الإسلام. وكانت الجماهير الإسلامية مضطرة كما قلنا إلى إسناد القيادة إليهم طوعا أو كرها. ثم إن هؤلاء القوم كل ما حققوه من الانتصارات حققوها باستثارة جذوة المسلمين الإسلامية، وما من معركة تحريرية تحقق انتصارها إلا بهذه الطريقة نفسها.

المرحلة الرابعة: عهدُ الاستقلال

وقد انتهت المرحلةُ الثالثةُ إلى ما ألمحنا إليه من الأوضاع. وها نحن دخلنا اليوم المرحلة الرابعة من تاريخنا. وهي المرحلة التي قد نالت فيها جميع البلاد الإسلامية الاستقلال في فترات متباعدات.

المأساة الحديثة:

والذي تعيشه المرحلة الرابعة من أوضاع هي: أنه يتولى في كل بلد وفي كل قطر أزمة الحكم وشؤون الحياة الاقتصادية رجال يخلون من الوعي الإسلامي والتفهم الصحيح للدين، بل ينظرون إلى تقاليد المسلمين المتوارثة بنظرة الازدراء والاستحقار، ويعتقدون أنهم إذا اتبعوا الحياة

الإسلامية ، وتمسكوا بأهداب القيم والمبادىء الإسلامية تصيبهم الذلة والمهانة في الدنيا ، ويسقطون من عيون الدنيا ، ولا تقوم لهم فيها قائمة ، ويحرمون من التقدم والنهضة نحو ما تصبوا إليه أنفسهم. وإنهم إذا أرادوا اللحاق بالركب الحضاري فلن يكون ذلك البتة بدون أن يعتنقوا الأفكار والمبادىء الغربية ويتبعوها بنصها وفصها ويقلدوها بحذافيرها.

ووِجْهات النظر هذه ليس عفوية قائمة على المجازفة والاعتباط بل هي وجهات مدروسة نشأ القوم عليها وترعرعوا فيها. وهم الذين اختيروا ليحتلوا مكانة الصدارة في جميع المجالات الحيوية ، وما زالوا هم مصدر التوجيه والإرشاد في كل شعبة من شعب الحياة وفي كل قطر من الأقطار الإسلامية بصورة عامة.

وهل هناك من شيء أغرب من أن تضطرم معركة التحرير باسم الإسلام ، ويضرب فيها المسلمون، باسم الإسلام الرقم القياسي في تسجيل البطولات، ثم إذا تحقق لهم ما أرادوا يعود الإسلام أول ضحية من ضحايا قادتهم: يتنكرون له ويلفظونه لفظ النواة. . . . الإسلام الذي باسمه وببركته وبقوته تحقق اندحار القوى وانتصار الضعيف. هل هناك من موقف أغرب من هذا؟

وها أمامكم الجزائر أحدث مثال لذلك ، وسبق أن قلت إن الجزائريين لم يظفروا بحسناء الاستقلال إلا بعد أن ضحوا في سبيله بأرواح الآلاف المؤلفة من البشر ، وبعد أن تقدموا بالقرابين المدهشة من براءة الصغير وطراوة الشاب وكهولة الشيخ ونعومة المرأة ، تشهد بذلك وديان الجزائر وجبالها ومدنها ودساكرها. ومن يخطب الحسناء يعطي مهرها. ثم إذا رفرفت على البلاد أعلام الاستقلال فإن أول ما بشر به المسلمون فيها: إن الجزائر ستكون «الجمهورية الاشتراكية» ونفس المسرحية أقيمت في تركيا وفي باكستان وفي تونس وفي مصر. ودلوني على بلد إسلامي لم تلعب فيه هذه المهزلة دورها المشؤوم. وأضرب لكم مثالاً ثانياً من تونس: تعالت فيها صرخات تحرير الوطن باسم الإسلام ، وسارع المسلمون لبذل أرواحهم وأموالهم إلى ساحة الجهاد في سبيل الله ولما نالت تونس

الاستقلال في آخر الأمر على جماجم الشهداء وأشلائهم ، يأتي زعيمها يطلع على الدنيا أن الصيام في شهر رمضان يسبب انخفاضاً في الإنتاج ، كأن الأمر الذي يلقيه الشيوعيون في روسيا في روع المسلمين فيها أصبح السيد بورقيبة أيضاً يردده وينسج على منوالهم ويأمر الذين يشتغلون في حقول الإنتاج أن لا يصوموا شهر رمضان كيلا تتناقص نسبة الإنتاج. ومن الظاهر أن الذين كبرت بهم السن لا يطيقون الصيام. فهم معذورون بحكم الشريعة. وأما الشباب فما داموا يعملون لزيادة الإنتاج في مصانع بورقيبة فلا صوم عليهم في شريعة بورقيبة. إذن على الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة السلام!

هذا النوع من الرجال يشكلون طبقة مستقلة بذاتها بيدها صلاحيات النقض والإبرام ومقاليد الحكم، وهناك طبقة أخرى توصف بالطبقة الدينية، وهذه الطبقة حقاً إنها تضطلع بأحكام الدين ، وتعلم ما أمر الله به وما نهى عنه ، وتدرك ما هي الحضارة الإسلامية. إلا أن هذه الطبقة لم تتمكن من الحصول على الثقافة العصرية مما يجعلها موضع ثقة المسلمين فيما إذا كانوا قد انتزعوا أزمة الحكم والتوجيه من أيدي الطبقة الأولى الحاكمة وحولوها إلى الطبقة الأخيرة لتبرهن جدارتها في تسيير دفة الدولة والقيام بالدور القيادي على أفضل منهج وأكمل وجه. وحقاً إن الطبقة الثانية أقرب الطبقات إلى أحاسيس المسلمين وأكثرها التحاماً مع مشاعرهم الدينية وإن المسلمين يضعون فيها ثقتهم فيما إذا ولوها الحكم لا تخرب دينهم، ولا تحطم تقاليدهم ولا تسلط عليهم أنظمة الكفر والفسوق ولكنهم لا يتوقعون منها أن تسجل دهاءها وقدرتها في تسيير شؤون الدولة العصرية في وجهها الصحيح ، أو تثبت كفاءتها في قيادة الشعب في العواصف العاتية من الحضارة الغربية ، أو تستطيع تنظيم شؤون القضاء والاقتصاد والداخلية والخارجية وما إلى ذلك بموجب مقتضى العصر. إن هذه الأمور لا يرى المسلمون ـ ورأيهم قائم على الحجة والمنطق ـ أن تنتظم بصورة مرضية على أيدي الطبقة الثانية.

العقدة الرئيسية:

إنَّ عامة المسلمين يقفون حيارى مشدوهين أمام هاتين الطبقتين وصحيح

قد يسودهم الجهل ، وربما فسدت عاداتهم وتفككت أخلاقهم ولكننا نجد ، كما ألمحنا إليه سابقاً ، أن القوة الهائلة التي كانت تملكها الحركة الإسلامية الأولى لم يستطع أحد محو آثارها الخالدة من كيان الأمة الإسلامية ، ولأجل ذلك فإن أي فرد من عامة المسلمين مهما بلغ من الفساد قمته إذا سألته عما إذا كان الخمر حلالاً أم حراماً لا يقول أبداً بأنه حلال. وكذلك إذا استوضحت رأيه عن الزنا أو عن القمار: هل هما حلال في الإسلام أم حرام فلن يقول بحلهما. سله عن جميع المنكرات والسيئات تجده يستقبحها لماذا؟ لأن القيم الإسلامية التي يؤمن بها ما تبدلت لديه إلى هذه الدرجة ، ولا يزال ينظر إليها نظرة الإجلال والتقديس ، ويشعر بسموها وجلالتها على رغم ما طرأ على عاداته وسلوكه من التفسخ والفساد ، لأن هذه القيم غذّي بها من لبان أمه ، وتجري في نفسه مجرى الدم وكذلك إذا سألت أحداً من المسلمين عما إذا كان من مظاهر الحضارة الإسلامية أن ترقص فتاة شبه عارية على المسرح؟ يأبى ذلك بدون ما تأمل ، بل لن يخطر بباله كون هذا النشاط يمتّ إلى الإسلام بصلة ، وحقاً إنه يجهل الإسلام ، وحقاً إنه لا يفهم القرآن ، وحقاً إنه لا يلمّ بما في كتب السنة ، ولكن كيف للتصورات التي توارثها كابراً عن كابر عن الحضارة الإسلامية أن تندثر من مخيلته وتروح من سليقته؟ بل هو على رغم قلة معرفته بالإسلام يستعرض كل ما يتعرض له من الأوضاع والقضايا في ضوء تقاليده وقيمه الإسلامية ولا يقرر رأياً إلا في حدود إطارهما. وكل مسلم من عامة المسلمين يكون في ذهنه تصور إجمالي عن الإسلام ونظامه ومقتضياته ، ولك أن تجول في أكناف العالم الإسلامي ، لن تجد الجمهور من المسلمين إلا على نفس ما أشرت إليه من عواطف وأحاسيس لا يختلف في ذلك المسلمون في باكستان عن المسلمين في تركيا ، ولا مسلموا إيران عن مسلمي مصر ، ولا مسلموا الجزائر عن مسلمي شقيقاتها ، حيثما توجهت رأيتهم لا يؤمنون إلا بنفس القيم الإسلامية ولا يحبون إلا إياها ولا يحنون إلا إليها ، وليس في مقدور أحد أن يقنعهم أن «القيم الإسلامية» هي تلك التي جاءتنا من الغرب ووجدنا عليها سادتنا الغربيين!!

والأمر الثاني: أن المسلم العادي وإن كان لا يعلم عن الإسلام إلا علماً مبسطاً إلا أنه يحبه حب الولهان. وإنك لشاهد بعينيك في التاريخ الحاضر كيف استحثه قادته باسم الإسلام خلال الحروب التحريرية، ثم كيف كتب صفحات ذهبية من بذل النفس والنفيس. ولا يمكن استثارته إلا باسم الإسلام، ولا يمكن أن يرحب بالموت ويقارعه إلا بعد أن يتأكد من أنه ينال بذلك الشهادة في سبيل الله، ويكرمه الله تعالى بجنّته. وإذا أعوزه هذا المستوى من اليقين والقناعة فلا تجد أحداً من الناس أجبن منه في مواجهة الموت، ولا تنتظر منه أبداً أن يريق دمه، أو يقدم على ذات الشوكة، أو يسلك طريقاً محفوفاً بالمكاره. هذا ما عليه المسلم العادي. ولكن الويل كل الويل في الطبقة التي تملك أزمة التوجيه والحكم في معظم الأقطار الإسلامية، هذه الطبقة لا تزال تحاول دفع قطار الحياة القومية إلى جهة تعاكس جهة الإسلام، وتخالف آمال الأمة وأحلامها وعواطفها وأحاسيسها. وهي حيناً تنادي باللادينية علناً وعلى رؤوس الأشهاد، كما شوهد في تركيا الكمالية، وحيناً آخر تستغل الإسلام لتحقيق مطامعها وتتستر وراءه ولكن بعد تشويه حقيقته ومسخ ديباجته: كأن تحتضن الحضارة الغربية بما تحويه من شرور وآلام ثم تغلفها بغلاف الإسلام. هذا ما نشاهده اليوم في كل بلد يضج بالشعارات المستوردة والمبادىء الهدامة التي تبعد عن الإسلام بعد السماء عن الأرض ولكن عامة المسلمين ليسوا على هذه الدرجة من الحمق والبلاهة حتى يسلّموا بهذا الزيف، وهذه الكارثة لا تخص باكستان بل تعم أرجاء العالم الإسلامي. إذ في كل ناحية من نواحيه تتكرر هذه الطبقة وتتشابه قلوبها وتتجانس معالمها وتتوحد نوازعها. هذه الطبقة انهزمت أمام الغرب، تتربع على كرسي الحكم في بلادنا، وتملك مقاليد حياتنا الاقتصادية، وترغم الأمة الإسلامية قسرا على اتباع النظام الغربي للحياة. بينما الأمة تأبى هذا التحويل وترفض هذا الطريق المنحرف.

من الواقع أننا لا نستطيع أن نتصور: كم استخدم من الوسائل الجهنمية لجعل المسلمين غير مسلمين في تركيا وروسيا. إذ في تركيا وحدها قد أريقت فيها دماء الآلاف من المسلمين لا ذنب لهم إلا أنهم عارضوا استبدال

القبعة بالطربوش ، كأن هذا الأمر أيضاً من الإصلاحات الجذرية التي ما كانت لتتم إلا به ، ومن الطريف في الأمر أن قادة الإصلاح المزعومين لما لم يجدوا الكمية الوافرة من القبعات الأوروبية استوردوا من أوربا أكواماً من القبعات المعدمة لاستيفاء حاجة الشعب التركي إلى القبعات ، وكان هذا الإصلاح من الأهمية بمكان في نظر القادة حتى لجأوا لتطبيقه إلى وسائل الحديد والنار وإلى إعلان الحكم العرفي في البلاد ، ولكن مع كل ذلك ظل الأتراك على نفس ما كانوا عليه من حبهم للإسلام ومن تحمسهم له لم يطرأ عليه أي شيء من التغيير والتحوير ، إذن من الواضح جلياً أن هذه الطبقة لا تستطيع أن تحول الشعب الإسلامي عن الإسلام ، ولا تستطيع أن تسوغ له الكفر مهما أقامت الدنيا وأقعدتها.

الصراع الحديث:

أمّا الحالة الراهنة التي نحن عليها اليوم فخلاصتها أن الحكومات تأبى أن تتبع النهج الذي تريد الأمة الإسلامية ، والأمة ترفض أن تتبع الوجهة التي تتجه إليها الحكومات. فهناك صراع مستمر عنيف بين الشعوب والحكومات في جميع البلدان الإسلامية. وهذه الحالة تمثل: «الإسلام المعاصر» تبذل الجهود الجبارة ويستنفد آخر ما في الجعبة من السهم في جعل المسلمين غير مسلمين ، وتجند لذلك جميع الوسائل والإمكانيات. ويستخدم لذلك مجال التعليم والتربية بصفة خاصة؟ فتوضع مناهج من شأنها أن تقضى على جميع ما يوجد في المسلمين من القيم الإسلامية ، وتفسد أخلاقهم وأذواقهم ، وتبعدهم عما توارثوه من التقاليد ، كما تشجع فيهم ثقافة تدمر كل شيء من البقايا الخلقية ، وتروج فيهم العلوم الغربية لتثير فيهم الشبهات حول الإسلام. ولا ينتهي هذا الأمر إلا أن يطرأ الضعف والوهن والخور والانحلال على سلوك المسلمين ويصبحوا قوماً فاقدي الشخصية ، وهذا ليس من المستحيل. وإنما المستحيل أن ينسلخوا عن الإسلام عمداً ويكوّنوا لهم دولة لا دينية عن طواعية أنفسهم.

والذي تقاسيه البلدان الإسلامية من وخيم العواقب من هذا الصراع

حسبك لمعرفة أبعاده أن تنظر في نسبة الأرقام التي حققتها هذه البلدان في مجال النهضة. هل تنظر أي مجال من مجالات الحياة حصل فيها التقدم؟ وهاك تركيا التي تعيش كدولة مستقلة ذات كيان وسيادة من عام ١٩٢٤ م ، إلى أي مدى أنعشت فيها الصناعة؟ وكم جاوزت من الأشواط في باب التجارة؟ بينما اليابان التي من لدات تركيا في الاستقلال قد بلغت من النهضة المادية شأوها البعيد. والسبب في ذلك ليس بخاف على أولي الألباب. إن تركيا تنكبت الصراط السوي ، وتحولت إلى حلبة الصراع الداخلي: حاولت الحكومات المتعاقبة إظهار الشعب التركي في مظهر الشعب غير المسلم ، وأبى الشعب التركي أن يتحول شعباً غير مسلم ، بل يود أن يولي وجهه شطر الإسلام. مما أثار بين الحكومة والشعب صراعاً مستمراً مستعراً فكيف لتركيا بعد ذلك أن تخطو نحو الأمام وتحرز التقدم المادي. وبلغ الأمر ذروته في الفترة الأخيرة حين تسرب التصدع إلى الجيش أيضاً. فأقصى منه حتى اليوم ستة آلاف ضابط، والذي يقال عن تركيا يقال عن البلدان الإسلامية الأخرى.

وتأكّدوا ، أيها الإخوان! أنه حيثما يحدث التعارض بل التناحر بين ضمير الشعب وسياسة الحكومة ، ينشب الركود أظفاره ولا يدع الشعب يتخطى نحو الإمام ولو شبراً واحداً ، ولا تأخذ حوافز التقدم سبيلها إليه ، ولا يمكن لأية حكومة أن توفر لنفسها القوة والمنعة إلا إذا حصل التناسق والتلاحم بين ضمير الشعب وسياسة الحكومة بحيث إن كل ما تضع الحكومة من سياسة تباركها أحاسيس الشعب ومشاعره ، وإذا وضعت هذه السياسة موضع التنفيذ يستميت الشعب في إنجاحها. هذا هو الطريق الوحيد لجعل الشعب شعباً ناهضاً متطلعاً ، أما إذا ظل الأمر عكس ذلك. وظل الشعب في واد والحكومة في واد ، فلا يتأتى له أي تقدم للأبد. ولنفترض أن الشعب على رغم عدم محاربة الحكومة لرغباته ، لا يعلن الخروج عليها ، ولكن عدم مناصرة الشعب للحكومة ومساندته إياها يكفي لسوق البلاد إلى الدمار المحقق ، إذن إن عدم ارتياح الشعب لحكومته هو أمر خطير ووضع رهيب في حد ذاته.

وإصرار هؤلاء القوم على هذا الاتجاه المعاكس ليس مبعثه غير أنانيتهم

وأثرتهم واتباعهم لسلطان الأهواء مع أنهم لا يجهلون ما يريد شعبهم ، كما أن تجاربهم الماضية خير شاهد على أن هذا الشعب لم ينتفض ولم يسجل دوره البطولي في المعارك التحريريه إلا باسم الإسلام. وأن انتفاضته المنبثقة من الإسلام قد أوصلتهم إلى شاطىء الحرية وإلى منصة الحكم. ولذلك فإن هؤلاء الناس لا يجهلون أبداً صلة شعبهم الوثيقة الأكيدة بالإسلام. وبما أنهم ربطوا مصيرهم ومصير أولادهم بالغرب وحاضرته وسرابه ، وانغمسوا في الحضارة الغربية وطبعوا عاداتهم وأذواقهم بطابعها ، لا يريدون اتباع طريق الإسلام. وتحول أنانيتهم دون أي عمل إسلامي. والمنطق الذي يستندون إليه في ذلك هو: «أنهم هم الذين كتب لهم أن يحكموا شعوبهم البائسة التعيسة على كل حال ، ولا يروقهم الإسلام: دين هذه الشعوب. إذن على الشعوب أن تتخلى عن دينها الإسلام». هذه هي القاعدة الكلية التي اتخذوها أساساً لجميع نشاطاتهم واتجاهاتهم.

هذا هو «الإسلام اليوم». والآن أوجز لكم القول عما ينبغي أن يكون عليه «الإسلام في المستقبل» (Islam Tomorrow).

مستقبل العالم الإسلامي:

إنَّ مستقبل العالم الإسلامي يتوقف على ما سيختاره العالم الإسلامي من السلوك نحو الإسلام. أما إذا استمر العالم الإسلامي فيما هو عليه اليوم من موقف مبنيٍّ على النفاق والتمويه والازدواج ، وواصل سلوكه المعادي للإسلام أخشى أن لا تتمكن الشعوب الإسلامية من المحافظة على استقلالها وصونه من الضياع ، بل ستنكب ـ ولا سمح الله ـ بأغلال الاستعباد ثانياً وتصير إلى حالة أسوأ مما عاشت فيما سبق من عهد الاستعباد ، نعم إذا عاد إلى القادة الذين يملكون أزمة الحكم في العالم الإسلامي رشدهم قبل فوات الأوان ، وعملوا لاستعادة الحياة الديمقراطية النزيهة فيه ، ورجع أمر انتخاب أهل الحكم إلى الجماهير لتنتخب من تشاء وتلقى مقاليد الحكم إلى من تحب بإرادتها الحرة ، ووضعت أنظمة السياسة والاقتصاد والتعليم

منسجمة مع مبادىء الإسلام وأهدافه وحضارته ، فإني على مثل اليقين أن الشعوب الإسلامية سرعان ما تتحول إلى قوة كبيرة في العالم بل تملك ميزان القوة في المجالات الأممية ، وتكون لها الكلمة الحاسمة. إن وجود كتلة الشعوب الإسلامية ليس بأمر يستهان به ، إن الكتلة التي تتسع أطرافها من الأندونيسيا شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً وتملك من الوسائل والإمكانيات ما لا حصر له ، وتتمتع بالقدر الهائل من الطاقات البشرية (Man Power) إذا انتفضت هذه الكتلة تتبع مبادىء الإسلام وتتضامن على أسسه فهل لقوة في الدنيا غربية كانت أم شرقية أن تصمد في وجهها؟

مدى قابلية الإسلام لقيادة العصر الحاضر :

وأتناولُ الآن السؤال الثاني الذي أثرته في مفتتح الحديث وأرد عليه بكلمات موجزة. وهذا السؤال هو: هل بإمكان الإسلام أن يسود الدنيا في هذا العصر أم لا؟ وهل من المحتمل أن ترجع إليه الأمم العالمية؟ وإذا ترجح احتمال رجوعها إليه فكيف يكون ذلك؟ وهل الإسلام قابل للتطبيق في العصر الحديث؟ هذه هي عدة نواحٍ من السؤال الذي يكثر عنه الحديث في هذه الأيام.

وأقول: لم يعلن الدهر من تلقاء نفسه في أي عصر من عصور التاريخ بأنه مستعد للاستمساك بالإسلام ، وأكبر برهان على ذلك هو عصر النبي ﷺ نفسه ، لما أعلن ﷺ دعوته في المجتمع العربي الجاهلي ، فمتى كان الدهر يقوم مستجيباً لدعوته ملبياً لندائه قائلاً: «رضيت بك ، يا محمد رسولاً وبالله ربا» ؟ بل الأمر يقتصر على قوة الداعية وصموده وبسالته وإبائه ، الذي يقول للدهر: أيها الدهر إذا لم تبتغ السير معي طائعاً فأنا أرغمك على السير معي». أين الشيوعية من الإسلام ، بينهما ما بين الأرض والسماء.

إلا أني أقول لكم ، على سبيل المناقشة ، انظروا إلى الانتصارات التي حققتها الشيوعية ، بينما الإسلام لا يريد انقلاباً متطرفاً يقلب الأمر من الأساس (Radieal Change) ، كما فعلت الشيوعية التي حاربت الفطرة البشرية ، فألغت الملكية الفردية نهائياً ، وجعلت الحكومة تسيطر على

أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم ، واستجمعت الثروة القومية برمتها في يد واحدة. هذه الثورة إنما هي تطرف وتدمير يتحاشاه الإسلام ويقلب وجهها معكوساً. إن الإسلام دعوة تتجاوب مع فطرة الإنسان الذي يتوخى البناء والإصلاح. وكل دعوة إذا لم تجد العزائم الماضية والجهود المضنية والنيات الحسنة تبوء بالفشل. وقد نجحت دعوة الإسلام لما قام جماعة من الناس يعقدون العزائم على تغليبها فكان لهم ما أرادوا وأصبح الدهر ينساق وراءهم.

وكذلك السؤال عن قابلية الإسلام للتطبيق اليوم فهو من لغو القول. إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان. أثبت قابليته في الماضي ، ويحظى بنفس القابلية اليوم ، وسيظل كذلك أبد الدهر. وإنما الأمر يتوقف على وجود شعب في الدنيا ينهض للأخذ به كاملاً غير منقوص. وكما قلت في مطلع الحديث إن تاريخنا ابتدأ باستعداد الأمة العربية لأن تقيم بناء نظامها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والحضاري على دعائم الإسلام ، وأن تصهر حياة الناس الفردية وأوضاعهم الجماعية في قالب الإسلام ، فآلت هذه الأمة على نفسها أن تخرج إلى الدنيا رافعة للواء الإسلام مبلغة دعوته في أقاصي العالم ، ولا تحيا إلا لأجله ولا تموت إلا في سبيله.

ولمّا تهيأت في الدنيا أمة كهذه رأيتم كيف تفجرت ، بطاقاتها وحيويتها وأصالتها ، على العالم انفجار القنبلة ، وكيف رسمت على وجه المعمورة آثارها التي لا تزال خالدة باقية حتى اليوم. نعم ، إذا خرجت اليوم أمة بهذه السمات تأخذ بالإسلام ، وتسيّر وفقه نظام حياتها ، وتقرر حياته ومماته لله رب العالمين فليس من المستبعد أن تجد الدنيا نفسها مستعدة للاستمساك بالإسلام والاستظلال بظله الوارف والاستنارة بهديه الكريم. وليس من المعقول أن يرى الناس الإسلام متمثلاً نابضاً في الواقع البشري ثم يتلعثمون في قبوله. غير أنكم إذا لم تجاوزوا نشر الإسلام بالمواعظ والكتب والمحاضرات فمهما انهمكتم في هذا «العمل الشريف» إلى قيام الساعة لا تكاد الدنيا تقتنع بقابلية الإسلام وصلاحه لقيادة الحياة الدنيا الإنسانية العملية.

وفي الختام أريد أن أعرب لكم عما في نفسي من أمل. بما أن الله تعالى خلقني في هذا الشعب أي الشعب الباكستاني المسلم لذلك أود أن يكون هذا الشعب هو الشعب المنتظر الذي يعيد إلى الإسلام مجده وبهاءه. وإذا كانت لي سياسة فهذا الأمل منطلقها وإذا كان لي ديني فهذا مطلبه. إن جميع مجهوداتي تتركز على أن شعبي الذي خلقني الله فيه وجعلني أحد أفراده، يشعر بمسؤوليته نحو الإسلام، ويرفع لواءه، ويمثّل الإسلام في واقعه الحي الملموس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

واجب الشباب المسلم اليوم(١)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد: إخواني الكرام . . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسُرُّني في هذه اللحظة المباركة ، التعبير عن عظيم شكري وغبطتي بهذه الفرصة السعيدة ، التي أتيحت لي اليوم لأن ألقي كلمتي المتواضعة أمام مجموعة طيبة من الشباب المؤمن المخلص الذين جاؤوا إلى هذا البلد الأمين من كل فج عميق ، ليذكروا اسم الله في أيام معلومات ، ويشهدوا منافع لهم ، وبتعبير أشمل لحضور اجتماع المؤتمر الإسلامي السنوي الكبير.

والهدف من كلمتي هذه هو إحاطة الشباب المؤمن علماً بمنهاج الدعوة الإسلامية الذي تقتضيه الظروف الحاضرة في العالم الإسلامي. وسأنتهز هذه الفرصة الثمينة لإخراج كل ما يضمره قلبي ، ويخفيه صدري ، لتكونوا على بصيرة تامة ومعرفة دقيقة بالوضع الراهن في البلاد الإسلامية ، ثم تبادروا إلى اللجوء إلى كل وسيلة تصلح ـ على حد علمي ـ لإعادة المياه إلى مجاريها ، بكل حكمة وتبصر وجرأة وصمود. وإذا وجدتم ، أيها الإخوان ، في كلمتي هذه ما ترون فيه نفعاً للإسلام والمسلمين فاسمعوا

---

(١) هذه محاضرة ألقاها الأستاذ المودودي أمام جمع من الشباب المسلم في مسجد الدهلوي بمكة المكرمة في موسم الحج عام ١٣٨١ الهجري الموافق ١٩٦٣ الميلادي (المترجم).

وعوا ، وليبلغ الشاهد الغائب ، لعلي لا أجد في المستقبل مثل هذه الفرصة السعيدة ، في مثل هذه الأيام المباركة ، في مثل هذا المقام الكريم.

وأدعو الله تعالى أن يوفقني وإياكم لما في مرضاته ، وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

المسلمون أغلبية وأقلية:

أيها الإخوة الكرام . . . إن الأمر الذي يجب عليكم أن تعلموه قبل كل شيء ، هو أن العالم الإسلامي ينقسم إلى قسمين: قسمٌ المسلمون فيه أقلية ، وأزمة الحكم فيه بأيدي غيرهم. وقسمٌ المسلمون فيه أغلبية ، وهم الذين يقومون فيه بحكم أنفسهم.

ومما لا جدال فيه أن القسم الثاني من هذين القسمين هو أكثر أهمية من القسم الأول بحكم الطبيعة ، إذ إن مصير المسلمين في الدنيا يتوقف في ازدهاره أو اضمحلاله ، إلى حد كبير ، على ما يختاره القسم الثاني من المنهاج في حياته الاجتماعية.

ولا أنكر ما للقسم الأول من الأهمية والمكانة في حد ذاته ، بل أقيم له وزنه ، وذلك لأن مجرد وجود المؤمنين بفكرة وعقيدة ونظام للحياة في سائر أنحاء العالم ، بحيث يتجاوز عددهم آلافاً مؤلفة ليكون أكبر وسيلة ، وأقوى عامل لتشجيع الذين يؤمنون بتلك الفكرة والعقيدة والنظام للحياة فعلاً ، ويرفعون لواءها. إلا أنه من الظاهر البيِّن أن تلك العقيدة وتلك الفكرة ، وتلك الدعوة إذا صارت مغلوبة الشأن ومهانة المكانة في عقر دارها ، فإن المؤمنين بها المتفرقين في شتى بقاع العالم لن تقلهم الأرض ولن تظلهم السماء إلى أجل غير مسمى ، وإلى أمد غير قصير . . . ولذلك لا نكون خاطئين إذا قلنا: إن المصير الذي ستلقاه الأمة الإسلامية في الدنيا إنما هو نفس المصير الذي ستواجهه البلاد الإسلامية التي تتسع رقعتها من أندونيسيا والملايو شرقاً ، إلى مراكش ونيجيريا غرباً. هذا هو منطق الفكر ، وهذا هو ما تشير إليه الأسباب الظاهرة. أما إن كان هناك من الحوادث الخارقة للعادة ما يتوارى عن عيوننا ، ولكن الحكمة الإلهية ،

والقدرة الربانية تريد الإتيان به فليس ذلك من المستبعد عقلاً ، والمستحيل وقوعاً ، لأن الله تعالى قادر على أن يفجر الأنهار من الأحجار الصم ، ويبدل الصحارى القاحلة الجرداء حدائق جميلة غناءة رنانة في لمح البصر. وسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

فبناء على ما فرضنا آنفاً بصدد مستقبل الأمة الإسلامية حيث قلنا: إن مستقبلها مرتبط في خيره أو شره بمستقبل البلاد الإسلامية ، نستعرض الآن: ما هي الأوضاع التي تسود اليوم البلاد الإسلامية ، وما هي أسبابها ودواعيها ، وما هو المنهاج الذي ينبغي أن يسلكه العاملون للإسلام فيها؟ .

وقوع الأمة المسلمة في براثن الاستعمار:

ممَّا لا يخفى عليكم ، أيها الإخوان ، أن البلاد الإسلامية قد وقعت في براثن الاستعمار آخر الأمر ، بعد أن بقيت مصابة إلى مدة غير يسيرة بالتدهور الفكري والجمود العقلي والانهيار الخلقي والاضطراب السياسي ، وكان الاستعمار قد ألقى عصاه في البلاد الإسلامية في القرن الثامن عشر للميلاد ، وبلغ أوجه في أوائل القرن الحاضر ، حيث سيطر على البلاد الإسلامية كلها ما عدا النزر اليسير الذي بقي بمنجاة من الاستعباد المباشر للمستعمرين. إلا أن الهزائم تلو الهزائم التي أصابته قد جعلته لا يختلف في ذله واستكانته عما آل إليه أمر من حوله من البلاد الإسلامية ، بل صار أكثر شعوراً بالنقص، وأشد ذعراً من الذي سلبه الاستعمار حريته سلباً كلياً.

وإنَّ من أفظع النتائج التي انتهينا إليها على يد الاستعمار الغربي هو ما تردينا فيه من الانهزام الفكري والانحلال الخلقي ، والتبعية الثقافية للغرب.

أيها الإخوة الكرام . . . إن المستعمرين الغربيين لو سلبوا أموالنا سلباً ، ونهبوا ثرواتنا المادية نهباً ، وقتّلونا تقتيلاً ، وأبادوا أولادنا عن بكرة أبيهم ، ودمروا بيوتنا تدميراً ، لما كان هذا الظلم أشنع نوعاً وأشد قسوة وأفدح نتيجة من الظلم الذي اقترفوه نحونا ببث سموم حضارتهم المادية ، وثقافتهم الإلحادية ، وأخلاقهم المنهارة في مجتمعنا.

أساليب الاستعمار في تحطيم المسلمين:

وكان من سياستهم الاستعمارية أنه كلما تمت لهم السيطرة والانتصار في قطر من الأقطار الإسلامية قضوا على نظامنا التعليمي والتربوي نهائياً ـ إن أمكن لهم ـ أو جعلوا المتخرجين منه سقط المتاع وشيئاً لا مقام له إلا في سلة المهملات. كما أنهم ، حسب خطتهم المدروسة لم يدعوا للغات الشعوب المسلمة المنهزمة مكانتها المرموقة ، بل طردوها من دوائر التعليم والتربية، ولم يبقوها أداة لإدارة الحكومة، وأقاموا على أنقاضها صرح لغتهم وجعلوها هي الأخرى أداة التعليم وإدارة الحكومة. وطبق هذه الخطة البشعة في البلاد الإسلامية جميع الفاتحين الغربيين ، من الهولنديين والإنكليز إلى الفرنسيين والإيطاليين ، وكأنهم كانوا على اتفاق بينهم في هذا الشأن.

ثم إنَّ المستعمرين الغربيين أنشأوا في الشعوب الإسلامية ، طبقاً لخطتهم المرسومة ، جيلاً جديداً يجهل الإسلام بمعظم تعاليمه السامية وعقائده الأساسية وشرائعه السمحاء وتاريخه المجيد وتقاليده الذهبية من ناحية ، ومن ناحية أخرى قد صبغ من جهة عقليته وأسلوب تفكيره ونظره إلى طبائع الأشياء في القوالب الغربية المادية. ثم بدأت تتولد من هذا الجيل المتفرنج أجيال متعاقبة كان كل لاحق منها أبعد تمسكاً بالإسلام من سابقه ، وأكثر اندفاعاً وراء الحضارة المادية ، وأشد شغفاً بالثقافة الغربية وأخلص إيماناً بفلسفة الغرب للحياة الإنسانية. وقد بلغ هؤلاء من الانهزام الفكري مبلغه ، حيث عادوا يعتبرون التحدث بلغتهم القومية وصمة عار في جبينهم ، بينما يعتبرون التحدث بلغة الفاتحين مفخرة من المفاخر. وكان جبين أحدهم يندى بسبب كونه فرداً من أفراد المسلمين ، بينما المستعمرون كانوا متعصبين لدينهم المسيحي ومعتزين باعتناقه. وكذلك كان المتفرنجون من المسلمين يفتخرون بمروقهم من الدين واستهتارهم بأحكامه ، ويكيلون لتقاليدهم الذهبية كل سبة ويعتبرون كل ذلك وسيلة لازدياد كرامتهم ، وعلو مكانتهم ، وارتفاع شأنهم في المجتمع ، بينما احتفظ الفاتحون الغربيون بكرامة تقاليدهم البالية المبتذلة ، واعتصموا بحبل عقيدتهم الواهية.

إنَّ الفاتحين لم يرضوا ولا ليوم واحد التزى بأزياء المسلمين وانتهاج طرازهم للحياة العامة ـ رغم بقائهم في البلاد الإسلامية مدى حياة أحدهم ـ أما القوم المتفرنجون فحدث عنهم ولا حرج ، إنهم ما ادخروا جهداً في تقليد الغربيين في كل صغيرة وكبيرة من أساليبهم في الأكل والشرب إلى عاداتهم للنهوض والقعود. وأخيراً قد دخلوا كل جحر دخله الغربيون ـ رغم كونهم في بلادهم وفي بيئاتهم وبين بني جلدتهم ـ وليت الأمر وقف عند هذا الحد. ولكنهم اندفعوا وراء سنن الغربيين واقتفاء لكل أثر من آثارهم ، قد نهلوا من سموم أفكارهم المادية والإلحادية ـ كالعصبيات الجاهلية والإباحة الخلقية والمجون والخلاعة ـ حتى الثمالة.

وقد رسخ في أذهانهم أن كل ما يجيء من الغرب حق وصواب والإيمان به واجب ، والعمل بمقتضاه من أمارات التقدمية ، والإعراض عنه تخلف ورجعية وحماقة وسفاهة. ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون.

أيها الإخوة الأحباء... كان من خطط الاستعمار المدروسة ضد المسلمين أن كل من كان منهم يحوز قصب السبق في اصطباغه بالصبغة الغربية وابتعاده عن السمات الإسلامية يحوز المكانة المرموقة في المجتمع والدوائر الرسمية ، المدنية منها والعسكرية. كما أصبحت لأمثال هؤلاء الناس الأهمية كل الأهمية في الميادين السياسية والمجالات الاجتماعية ، ثم هم الذين تزعموا الحركات السياسية وهم الذين وقع عليهم الاختيار للتمثيل في المجالس النيابية ، وختام القول أنهم هم الذين كان قد خلا لهم الجو في الحياة الاجتماعية فباضوا فيها وفرخوا....

ثم إنَّ البلاد الإسلامية لما رفعت فيها حركات التحرير رأسها كان من المحتوم بحكم الطبيعة أن ترجع أزمة زعامتها إلى أيديهم ، إذ إنهم هم الذين كانوا مضطلعين بلغة القوم وعارفين بطبيعتهم بسبب كونهم أقرب الناس إليهم. فلذلك لما بدأت البلاد الإسلامية ينكمش فيها ظل الاستعمار وتتحطم فيها أغلاله ، وتتمتع بالاستقلال والحرية انتقلت إليهم أزمة الحكم وسلطات الحل والعقد. فصاروا الخلفاء المستعمرين في الأرض.

الظروف التي واجهها المسلمون بعد الاستقلال:

إنَّ لتاريخ الاستعمار منذ توغله في البلاد الإسلامية إلى توليه عنها وبداية عهد الاستقلال والحرية عدة نواح، لابد لنا أن نضعها أمام أعيننا خلال دراستنا للأوضاع الراهنة في البلاد الإسلامية، إذ لا يمكننا دراسة تلك الأوضاع وتحليلها بكل دقة بعد صرف النظر عن تلك النواحي. فهاكم بعضها.

ضعف الجماهير المسلمة:

الأولى: إن المستعمرين لم يتمكنوا من إزاحة عامة المسلمين من طريق الإسلام طول مدة استيلائهم على البلاد الإسلامية على رغم جهودهم في هذا الغرض. لا شك أن المستعمرين قد طبقوا عليهم الجهل، وعكروا صفو أخلاقهم الزكية، ونفذوا فيهم قوانينهم المستوردة بدلاً من أحكام الإسلام، وجعلوهم متعوّدين على حياة غير إسلامية، إلا أنهم ما استطاعوا إثارتهم ضد الإسلام وتقاليده. والدليل على ذلك هو أن عامة المسلمين حتى الساعة ما زالوا مولعين بالإسلام، كما كانوا في الماضي، وستجدهم مؤمنين به من صميم قلوبهم، وإخلاص في نيتهم، وصدق في عزيمتهم، حيث لا يرضون دونه ديناً ولا نظاماً للحياة، مع أنهم لا يعرفونه كل المعرفة، ولا يتفقهون في أحكامه وتعاليمه. ولا جدال في أن أخلاقهم قد انهارت، وعاداتهم قد ساءت، وأذواقهم قد فسدت، إلا أنهم لم تتبدل لديهم مقاييس القيم للأخلاق.

نعم..... من المُمكِن أن يأكلوا الربا، ويقترفوا الزنا ويتعاطوا الخمر. بل وهم يفعلون كل ذلك فعلا، إلا أنك لا تجد فيهم من يؤمن بجواز هذه المحرمات ما عدا الشرذمة القليلة من المتفرنجين الذين أحلوا ما حرمه الله وحرموا ما أحله الله. إن عامة المسلمين لم يعتبروا الرقص والغناء والسهرات بالملاهي والفجور من أصل الثقافة وصميم الحضارة ـ وإن لم يستطيعوا ترك الاستلذاذ بها، وتثاقلوا إلى الأرض عندما دعوا إلى تزكية أنفسهم ـ كما أنهم ما زالوا يعيشون خلفاً عن سلف تحت القوانين

الغربية ، ولكنهم لم يرسخ في أذهانهم أن هذه القوانين على شيء من الحق والصحة ، وأن قوانين الإسلام قد أكل عليها الدهر وشرب ، ولم تعد تصلح لمسايرة العصر الحاضر. إن الأقلية القليلة من المفتتنين بالحضارة الغربية قد أخذوا ببريقها وآمنوا بقوانينها، ونظمها الوضعية، إلا أن عامة المسلمين لا يؤمنون إلا بالإسلام ، ولا يطالبون إلا بتطبيق قوانينه في بلادهم.

عجز العلماء:

الثانية: إنَّ العلماء في البلاد الإسلامية لهم احتكاك مستمر بعامة المسلمين ومخالطة دائمة معهم، في أفراحهم وأتراحهم ، حيث لا يتكلمون إلا بما يتكلم به عامة المسلمين ، ولا يمثلون إلا بما يعتقدونه من دين. . . . إلا أن هؤلاء الناس ـ أي العلماء ـ بحكم بقائهم مبعدين عن أزمة الحكم منعزلين عن مزاولة الشؤون السياسية والاجتماعية ، إلى أمد غير يسير لم يعودوا يصلحون لتوجيه المسلمين من ناحية السياسة. ولهذا السبب نفسه ما استطاعوا التربع على مناصب الزعامة لحركات الكفاح والتحرير التي قامت في السنوات الأخيرة في كل قطر من الأقطار الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار. كما أنهم لم يتمكنوا في عهد الاستقلال من الإسهام المباشر في إدارة الدولة. وإن مهمتهم في حياتنا الاجتماعية الحاضرة لا تعدو وظيفة (الفرملة) في جهاز السيارة حيث يحولون ، إلى حد ما ، دون سرعة سيارة الحياة الاجتماعية. غير أن هذه (الفرملة) قد تكسرت في بعض الأقطار الإسلامية. أما السائق ـ وهو الفئة الحاكمة المولعة بالغرب ـ فهو يهوي بها إلى الدرك الأسفل ، بسرعة مدهشة ، ومع ذلك فإنه يظن أنه يعرج بها إلى الجهة العليا ، ويحسب أنه يحسن بذلك صنعاً.

الإسلام روح الحركات التحريرية:

الثالثة : إنَّ الحركات التحريرية التي قامت في الأقطار الإسلامية وإن كان يتولى قيادتها الفئة المتفرنجة. إلا أنه من الجدير بالذكر أنها لم تستطع تحريك عامة المسلمين وتشحيذ هممهم وإذكاء مشاعرهم لدفعهم وراء حركاتهم وجعلهم يستميتون فيها إلا باسم الدين وباسم استعادة المجد

الإسلامي ، فلم يدخروا وسعاً في مناشدة الشعوب الإسلامية باسم الله ورسوله، ومن إثبات دعوتهم صراعاً بين الإسلام والكفر ، لأجل استمالتهم إلى دعوتهم وتحريضاً لهم على إفراغ جهدهم وبذل مهجهم في سبيلها. وذلك ، لأنهم ما رأوا نجاحهم في إشراك المسلمين في ركبهم وحثهم على الاستجابة لدعوتهم واتباع خطواتهم ، والانضواء تحت لوائهم بدون الالتجاء إلى هذه الوسيلة الناجحة.

ومِن أدهى الدواهي وأفجع الكوارث أنه لما تحقق لهم المقصود وتم للبلاد استقلالها ، نبذوا عهودهم وراء ظهورهم وتناسوا كل ما كانوا يبذلون من التصريحات والبيانات أثناء معركة التحرير ، بل لقد كان الإسلام أول ضحية لخيانتهم بعد الاستقلال ، ذلك الإسلام الذي باسمه كانت هذه الفئة تقيم الدنيا وتقعدها ، وبفضله تكللت معاركهم بالنجاح.

أليس هذا أيها الإخوان! من أكبر الخيانات التي شوهدت في تاريخ الإسلام ، وأعظم أكذوبة ظهرت في مضمار السياسة ، وأبشع انحراف رأته عين السماء!؟

لمثلِ هـذا يـذوبُ القلبُ من كَمَدٍ   إن كان فـي القلبِ إسـلامٌ وإيمانُ

استعمار أهلي بعد استعمار أجنبي:

الرابعة: الأخيرة.... إن الاستقلال الذي حصل للبلاد الإسلامية تحت زعامة هذه الفئة ، وبجهود عامة المسلمين ، إنما هو استقلال سياسي فقط. وإنما الفرق كل الفرق بين الاستعمار الغابر والاستقلال الحاضر يتلخص في أن السيطرة التي كانت للأجانب فيما مضى أصبح يتمتع بها (الأقارب) في الحاضر. حيث لا خلاف بينهما ، في ميولهما واتجاهاتهما وفلسفتهما للأخلاق والاجتماع والاقتصاد ، كما أن موقفهما من الإسلام متقارب ، حتى إن الأسس التي وضعها المستعمرون لنظام التعليم والتربية تحقيقاً لمصالحهم الخاصة لا يزال يأخذ بها المستعمرون الجدد ، وإن القوانين التي وضعها المستعمرون الأجانب لا تزال تطبق ، بل أضف إلى هذا أن التشريع الجديد لا يزال ينتهج نفس المنهج الذي كان ينتهجه في عهد

الأجانب من جهة أسسه وفكرته ونظمه. وزاد الطين بلة أن الأحوال الشخصية التي لم يقدر الأجانب على التعرض لها ، نرى الآن محاولات مشؤومة للقضاء عليها أو إدخال التعديلات عليها باسم التقدم ومسايرة الحاجات العصرية ، في عهد الاستقلال. . . . عهد الاستعمار الجديد.

أمَّا الحضارة الغربية ، والأسس الخلقية المادية ، التي خلفها المستعمرون الغربيون بعد مغادرتهم البلاد الإسلامية ، فهؤلاء المتفرنجون من المسلمين لا يعضون عليها بالنواجذ فحسب ، بل قد شمروا عن ساق جدهم لتعويد شعوبهم عليها أكثر مما تعودت عليها في عهد الاستعمار. إن هؤلاء المساكين لا يقدرون أن يتصوروا نظاماً للحياة الاجتماعية لا يقوم على أسس القومية والوطنية والمبادئ المستوردة وما إلى ذلك من النظم الحديثة.

وقد انتهى بهم الأمر إلى أنهم شتتوا شمل المسلمين باسم القومية ومزقوا جمعهم وفرقوا كلمتهم باسم الوحدة القومية ، فجعلوهم يقتل بعضهم بعضاً ، ويأكل قويهم ضعيفهم ـ كل ذلك باسم القومية. كما قد بلغ الإلحاد من أذهانهم مبلغه ، وأشربوا في قلوبهم العلمانية ، وعادوا ينتهزون كل فرصة سانحة لإفساد الجيل الحاضر وتعكير صفو أخلاقه ودينه والانحراف به عن جادة الإسلام وتعاليمه ، بل وتشجيعه على الاستهتار بالعقائد الإسلامية من البعث والنشور والجنة والنار والثواب والعقاب. ونشطوا في إشاعة الإباحية التي هم منغمسون فيها إلى آذانهم ـ تحت إشرافهم ورعايتهم تحت ستار الإصلاح والحرية الفردية والتقدم وتنوير الرأي العام.

إنَّ الذي لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ، هو أن هؤلاء المتفرنجيَن مهما ناصبوا الاستعمار الغربي عداءهم ، ومهما أثاروا ضده الضجات. إلا أن المستعمرين أحب لديهم من كل شيء. بدليل أن كل بادرة من بوادر الغرب تأخذ بمجامع قلوبهم ، وكل ظاهرة من ظواهره تبهر عيونهم ، وكل ما يأتي إليهم من الغرب يعتبرونه مقياساً للحق ومعياراً للتقدم ، ويقلدونه في كل صغير وكبير ، مستطر وغير مستطر ، مع الفارق

أن الغرب مجتهد فيما يعمل ، وهم مقلدون لا رأي لديهم ولا تفكير ، وأن الغرب يهلك عن بينة وهم يهلكون عن عمى. خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

نتائج الصراع بين الشعوب وحكامها من أبنائها:

إنَّ هذه النواحي التي عرضتها عليكم يمكنكم في ضوئها دراسة الأوضاع الراهنة في البلاد الإسلامية على أكمل وجه ، وتسهل عليكم معرفة مواطن الداء فيها ووصف الدواء له.

ألا ترون أن جميع الحكومات الإسلامية في الدنيا قد طرأ عليها الوهن ، وتغلغل فيها الضعف ، وصارت كأنها خشب مسندة. فما السبب في ذلك؟ إنما السبب الوحيد في ذلك هو أنها تعارض ضمائر المسلمين وعواطفهم وعقائدهم... يريد المسلمون الرجوع إلى الإسلام وشريعته السمحة ونظامه المحكم ، بينما الحكومات ترغمهم على الاستمساك بأذيال الغرب والالتحاق بمعسكره. ومن نتائج هذا الصراع المستمر أن عامة المسلمين لا يسايرون حكوماتهم بقلوبهم. ومن الواضح ، واقعياً أن أية دولة لا يمكن أن يتوفر لها أسباب القوة والسلطان وعوامل الرقى والنهوض ، إذا كانت حكومتها في واد وشعبها في واد آخر لا يتكاتفان في تحقيق مطالب الرقي وأسباب الوصول إلى ذروة المجد: لا الحكومة بأيديها الأمينة وتصرفاتها الصحيحة ولا الشعب بقلبه النابض وعزيمته الصادقة ، وإذا كان الأمر كذلك ـ وكان الصراع على قدم وساق بين الحكومة والشعب ، أو بين الأيدي والقلوب إن صح هذا التعبير ـ فمن المحال البتة أن تخطو الحكومة خطوة إلى الأمام وتتقدم البلاد ولو قيد شعرة. لأن سائر الجهود والطاقات بسبب هذا الصراع الداخلي تذهب أدراج الرياح ، وتصير هباء منثوراً.

ومن جرَّاء هذا الوضع المؤلم ، الذي بينته لكم آنفاً ، فإن البلاد الإسلامية لا تزال تصيبها كوارث الدكتاتوريات. وإذا سبرت غور هذه الكوارث يتبين لك مايلي:

الدكتاتوريّات السياسية:

إنَّ الفئة المتفرنجة التي جعلها المستعمر خلفاء له في البلاد تعلم علم اليقين بأن نظام الحكم إذا قام على أساس الانتخاب العام فإن زمامه لن يبقى في أيديها الخائنة إلى مدة طويلة، بل سينتقل عاجلاً أو آجلاً إلى الذين يطالبون بإقامة نظام الحكم على ما يختاره الشعب من عقيدة وما يحمله من فكرة وما يرثه من مقدسات. فنظراً لذلك فإن هذه الفئة لا تسمح للقيم الديمقراطية أن تظهر، ولا تدعها تكتمل وتسير سيرها الطبيعي، بل هي تبادر إلى فرض الحكم الدكتاتوري محل النظام الديمقراطي. ولكنها تسمي دكتاتوريتها باسم الديمقرطية لخدع الناس وإظهار نفسها بمظهر أنصار الديمقراطية. وهم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم وهم لا يشعرون.

الدكتاتوريات العسكرية:

وقد قام بهذه الدكتاتوريات في بداية الأمر الزعماء السياسيون من الفئة المتفرنجة، ثم تطورت الأمور تطورها الطبيعي وسارت الأشياء إلى طريقها المحتوم، وتنبهت الجيوش في البلاد الإسلامية لحقيقة القضية، ورأت أن النظام الدكتاتوري لا يقوم إلا على أكتافها ولا ينفّذ مخططه إلا بسلاحها، فجاء هذا الشعور بالضباط العسكريين من معسكراتهم وثكناتهم إلى ميادين السياسة وبدأوا يحيكون خيوط المؤامرة لقلب نظام الحكم، وبدأوا يفرضون على الشعب الدكتاتورية العسكرية بدلاً من الدكتاتورية السياسية بعد إزاحة الزعماء السياسيين من الحكم والزجّ بهم في السجون أو تحديد إقامتهم في دورهم، وها نحن أولاء نرى اليوم أن الجيوش في البلاد الإسلامية صارت بلاء على شعوبها، وآفة في حق بلادها ولم تعد وظيفتها الدفاع عن الوطن وجهاد الأعداء، بلى صار شغلها الشاغل فتح بلاد نفسها عنوة. واستعملت لذلك الغرض، نفس السلاح الذي سلمه الشعب المسكين للدفاع عنه وحمايته، وها قد أتى على البلاد الإسلامية حين من الدهر لا تحل فيه قضاياها الخطيرة ومشاكلها الشائكة في البرلمانات والمجالس النيابية وبالانتخاب العام أو الاستفتاء الشعبي بل تحل في

المعسكرات وبالدبابات والمسدسات والرشاشات. وإن تعجب فعجب أن الجيوش أيضاً لا تتفق كلمتها على زعيم واحد أو قائد بعينه ، بل ينتهز كل ضابط من الضباط فرصة لتمهيد السبيل لفرض دكتاتوريته والاستبداد بكرسي الحكم بعد تحطيم غيره. ومن المضحكات المبكيات أنه إذا تم لواحد منهم السيطرة على البلاد فهو يعتبر ضالّة الشعب ومنقذ الشعب والزعيم الأوحد ورجل الساعة ، حتى إذا واجهه مصيره المحتوم أصبح أكبر خائن وألد عدوّ الشعب. أما الشعوب الإسلامية فشأنها اليوم شأن الدمى في أيدي الأطفال لا دخل لها في شأن من شؤون بلادها.

والأمرُ الوحيدُ الذي يتفق عليه كل من الدكتاتوريين السياسيين والعسكريين مع تضارب مصالحهم واختلاف أغراضهم هو أنه كلما أتيحت لأحد منهم الفرصة للسيطرة على البلاد واستخدام وسائلها لم يتأخروا في بث سموم الإلحاد والفجور وإطلاق أيدي دعاة الخلاعة والمجون ليلعبوا دورهم في طمس معالم الفضيلة وصرف الشباب عن الأهداف السامية في الأخلاق وعن الدين إلى متعة العيش والشهوة الدنيئة.

بوارق أمل:

أيها الإخوة الكرام..... إن هناك بارقة أمل ، في هذا الظلام الحالك ، تلمع في ضوئها حقيقتان:

أولاهما: أن الله تعالى أذاق أنصار الإلحاد والفسوق ودعاة الإباحية والمجون وبال أمرهم ، فألبسهم شيعاً يذيق بعضهم بأس بعض ، وهذا من فضل الله على الأمة ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[1] إذ لو أنهم كانوا يرمون من قوس واحدة لأصبحوا للأمة الإسلامية داء عضالاً لا علاج له ولكنهم اتخذوا الشيطان وليهم. ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٥١.
(٢) سورة النساء ، الآية: ٧٦.

ثانيتهما: أن قلوب عامة المسلمين لا ينقصها التحمس للدين والفضيلة ولا يروقهم ما يقوم به الزعماء والقادة المصطنعون من عملية الهدم والتخريب. وإن هناك لشواهد تدل على أنه إذا قامت جماعة راشدة تتوفر فيها شروط الأهلية والكفاءة للقيام بدور الزعامة والتوجيه في جانب، وفي الجانب الآخر تكون على إيمان راسخ بالإسلام وعلى عقيدة قوية بمبادئه وعلى عزيمة صارمة للتضحية بكل غال ورخيص في سبيله. فلا شك أن هذه الجماعة هي التي سيؤول إليها زمام الشعوب الإسلامية آخر الأمر، وهي التي سيكتب الله لها الانتصار في المعركة الفاصلة بين الحق والباطل، وهي التي ستتولى تطهير تلك الشعوب من أدناس الإلحاد والفسق والفجور، وترجع بها إلى ما كانت عليه في القرون الماضية من الفضيلة والسعادة والرفاهية ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

واجب الشباب المسلم:

ويهمُّني، في ختام كلمتي، أن ألخص للشباب المؤمن، ولا سيما المثقفين منهم ثقافة عصرية، الأمور التي يجب عليهم الأخذ بها للقيام بالعمل الجدي للإسلام في الظروف الحاضرة:

- **معرفة الإسلام**:

لابدَّ لكم، قبل كل شيء، من معرفة دقيقة بحقيقة الإسلام، لتكونوا مسلمين علماً وتفكيراً كما أنتم مسلمون قلباً وعاطفة، ولتكونوا على قسط كبير من القدرة الكافية والكفاءة اللازمة لتسيير الشؤون الاجتماعية في العصر الحاضر وفقاً لأحكام الإسلام ومصالحه وقواعده.

- **أداء شهادة الحق قولاً وعملاً**:

عليكم أن تبادروا إلى تقويم ما اعوجّ، وإصلاح ما فسد، من أخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للإسلام الذي شهدتموه من

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

قبل شهادة قولية ، واعلموا أن التناقض في قول الإنسان وعمله يزرع بذور النفاق في القلوب ويزيل ثقة الناس به. وإن نجاحكم ليتوقف على الإخلاص في النية ، والصدق في العزيمة وعلى أن توافق أعمالكم أقوالكم. إن الرجل الذي يقول ما لا يفعل يضر بدعوته أكبر ضرر. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1].

● إبراز محاسن الإسلام:

أن لا تدخروا جهداً في بذل كل ما تستطيعون من قوة فكرية وعملية أودعها الله إياكم في سبيل الدعوة بالكتابة والخطابة ، وأن تقوموا بدراسة أسس الحضارة الغربية وانتقادها وتمييز خبيثها من طيبها حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم من تبعية الغرب ، وحتى تحطموا أصنام النظريات الغربية التي استحوذت على قلوب جماعة من المسلمين من زمن طويل. هذا في جانب ، وفي الجانب الآخر عليكم أن تقوموا بتدوين وعرض قوانين الإسلام للحياة الإنسانية بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بأن نظام الإسلام من شأنه أنه إذا أخذ به شعب من شعوب العالم لا يتقدم فحسب ، بل يسبق الآخرين في كل ناحية من نواحي الحياة. إن هذا العمل بقدر ما يتسع نطاقه ويتجه إلى خطوط مستقيمة يزداد عدد العاملين للدعوة الإسلامية وأنصارها والمتأثرين بها في كل شعبة من شعبة الحياة. ولابد من إطالة هذا العمل لمدة غير يسيرة حتى يأتي على الدعوة يوم ينضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من المؤمنين بها ، الذين نحتاج إليهم لتشييد صرح البلاد على دعائم النظام الإسلامي. ومن العبث أن نتوقع انقلاباً إسلامياً شاملاً قبل أن تسبقه عملية الإعداد والتحضير. وإذا حصل هذا ، بطريقة صناعية وبدون إعداد كامل فلن يدوم ولن تتأصل له في الأرض جذور.

---

(١) سورة الصف ، الآية: ٣.

● **تنظيم العناصر الصالحة :**

أنْ تضموا إلى أسرتكم كل من يتأثر بدعوتكم الإسلامية وتكّونوا منهم جماعة قوية ذات نظام متين ودستور محكم حتى لا يمكن للضعف والخور أن يأخذا إلى صفوفها سبيلا . إن مجرد تكوين جماعة من الناس الذين أبدوا اتفاقهم على مبدأ معين دون تنظيم دقيق محكم يقوم أمره على السمع والطاعة عمل مبتور لا يجدي بشيء ، الأمر الذي تؤكده التجارب الماضية ـ ولا ينبئكم مثل خبير .

● **تزويد الدعوة بين عامة المسلمين :**

عليكم أن تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تبددوا ظلام جهلهم ، وتجعلوهم على بينة من أمر دينهم ، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب. كما يجب عليكم أن تهتموا بإصلاح أخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الإسلامي ليقفوا سداً منيعاً في وجه السيل العارم من الإلحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الإسلامية بمساعدة وتشجيع من حكوماتها الفاسدة. وذلك لأن الشعوب التي ألهتها شهواتها وملذاتها لا يمكنها أن تكون أرضاً طيبة لأن تقوم فيها دولة إسلامية ، ولأنه بقدر ما تفشو الميوعة وتنتشر الخلاعة بين عامة الناس يصبح من المستحيل إقامة نظام إسلامي فيهم. وإن الكذابين والخونة والفسقة والفجرة بقدر ما يصلحون لنظام كافر لا يصلحون لنظام إسلامي.

● **انتهاج طريق سليم :**

لا تحاولوا إقامة نظام إسلامي على أسس غير سليمة ، وعلى دعائم ضعيفة وقواعد متزلزلة ، بل يجب عليكم الصبر في هذا الشأن لأن الأهداف التي نريد تحقيقها إنما هي أهداف ضخمة كبيرة ترمي إلى تصحيح القيم الإنسانية في أفهام الناس ، وإلى إعادتهم إلى حظيرة الإسلام بعد الردة التي وقعوا فيها منذ زمان طويل. ومثل هذا العمل الجليل يحتاج إلى مثابرة ومصابرة وإلى تفكير عميق. كما أنه يجب عليكم أن تخطوا كل خطوة بحساب وبحكمة وتبصر ، ولا تخطو خطوة جديدة إلا بعد أن تراجعوا نتائج

خطوتكم السابقة وتدرسوا ثمارها: هل هي سارت في الطريق المرسوم، وهل جاءتكم بالنتائج المرجوة. ومن المشاهد المسلم أن الاستعجال أمر غير مأمون العاقبة. فاشتراكنا مثلاً ـ في وزارة غير صحيحة وغير مؤمنة بمبادئنا ـ على رجاء ان مشاركتنا فيها خطوة تقربنا إلى غاياتنا لأمر خاطىء، لأن التجارب العملية تؤكد بأن مثل هذا العمل لا يُجنى منه الثمار الطيبة، إذ إن الذين يسيطرون على الحكم هم الذين يتولون رسم سياسته الداخلية والخارجية ويقومون بتنفيذها حسب ما توحي مصالحهم وأهواؤهم. وأما الذين يشاركونهم بغية تحقيق الأهداف النبيلة التي يضعونها نصب أعينهم، فلابد لهم من مسايرتهم، ومعنى ذلك أنهم يصبحون آخر الأمر أبواقاً لهم وآلة في أيديهم يفعلون بهم ما يشاؤون، ويستغلونهم كما يريدون.

نصيحة هامة:

أيها الإخوة الكرام. . . . . وأود أن أوجه إليكم في الختام نصيحة وهي: أن لا تقوموا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الأهداف، وأن تتحاشوا استخدام العنف والسلاح لتغيير الأوضاع، لأن هذا الطريق أيضاً نوع من الاستعجال، الذي لا يجدي بشيء، ومحاولة للوصول إلى الغاية بأقصر طريق إن هذا الطريق أسوأ عاقبة وأكثر ضرراً من كل صورة أخرى. وإن الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي ـ وسيحصل كذلك في المستقبل ـ بعمل علني واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. فعليكم أن تنشروا دعوتكم علناً، وتقوموا بإصلاح قلوب الناس وعقولهم بأوسع نطاق، وتسخروا الناس لغاياتكم المثلى بسلاح من الخلق العذب والشمائل الكريمة والسلوك الحسن والموعظة الحسنة والحكمة البالغة، وأن تواجهوا كل ما يقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الأبطال. هذا هو الطريق الذي سيمكننا من عمل انقلاب عميق الجذور، راسخ الأسس قوى الدعائم كبير النفع في حق هذه الأمة المسكينة، ومثل هذا الانقلاب لا يمكن لأي قوة معادية أن تقف في وجهه وأقول إن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها. أما إذا استعجلتم في الأمر وقمتم بعمل الانقلاب بوسائل العنف، ثم

نجحتم في هذا الشأن إلى حدما ، فسيكون مثله كمثل الهواء الذي دخل من الباب ليخرج من النافذة.

هذه هي النصيحة التي أحببت توجيهها لكل من يقوم بأمر الدعوة الإسلامية ، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأقول كما قال الشاعر :

فـدت نفسـي ومـا ملكـت يمينـي فـوارس صـدقـوا فيهـم ظنـونـي

واسألُ الله تعالى أن يسدد خطانا ويلهمنا السداد والرشاد ويوفقنا لإعلاء كلمته بالطريق الذي يرتضيه لنا إنه نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

* * *

تحديات العصر الجديد والشباب (١)

إخواني الأعزاء!

اشترك في هذا اللقاء الذي نظمته «الجمعية الإسلامية للطلبة» وقلبي مغمور في موجة عارمة من الارتياح والاغتباط. وأصبحت أذكر تلك الساعة التاريخية التي أسس فيها حفنة قليلة من الشباب تلك الجمعية إلى ما قبل ثمانية وعشرين عاماً. ولم يكن يخطر ببال أحد في تلك الساعة أن تلك الجمعية ستشكل قوة هائلة وقوة حاسمة في البلاد، وبقينا نعيش حالة من اليأس والتشاؤم إلى أمد طويل نشك في تقدم الجمعية ومستقبلها. ولكن كان من محض فضل الله ولطفه أنه استجاب لإخلاص شباب الجمعية وإيمانهم في النهاية، وبارك في جهودهم، وأفاض عليهم بالتوفيق والعزيمة الصارمة حتى نرى اليوم بفضل تلك الجهود الصادقة أن الجمعية هي التي تحرز الانتصار تلو الانتصار في الانتخابات في أغلب المؤسسات التعليمية في البلاد. وتنم تلك الانتخابات بدون شك عن ظاهرة ملموسة هي أن الأغلبية الساحقة للشباب في البلاد تتفاعل اليوم مع الحركة التي تقودها الجمعية، وترفع لواءها، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يمن عليكم بمزيد من الإخلاص، وأن يكتب لكم مزيداً من التوفيق، وأن يغشاكم بمزيد من رحمته وتأييده، وأن يوجه جهودكم في صرف النشىء الجديد من مسالك

---

(١) عقدت الجمعيةُ الإسلاميةُ لطلبة باكستان مؤتمرها السنوي في المنصورة بلاهور في ١٤ شوال المكرم عام ١٣٩٦ الهجري الموافق ٢٠ اكتوبر عام ١٩٧٥ الميلادي. وألقى فيه الأستاذ المودودي هذا الخطاب (المترجم).

اللادينية ومسارب الإلحاد والإباحية إلى سبل الربانية والتقوى والصدق ، ليتم على يديه قيام النظام الإسلامي في هذه الربوع .

والموضوع الذي اختير لكلمتي في هذا اللقاء هو : «تحديات العصر الجديد والشباب» .

ما معنى «العصر الجديد» ؟ :

يجب عليكم قبل كل شيء أن تتفكروا : «ما هو العصر الجديد»؟ إن الإنسان في كل عصر اعتبر عصره «عصراً جديداً» وظن العصور السالفة عصوراً بائدة كانت تخلو من المزايا والمحاسن ، وكان الناس فيها مصابين بالجهل والرجعية . أما عصره فهو جديد وأبناؤه متنورون متحضرون متحلون بالعلوم والفنون ، ويملكون من الأشياء ما لم يحظ به الأولون . هذا الظن الخاطىء وقع فيه الإنسان في كل عصر . مع أننا إذا أغمضنا النظر عن الابتكارات العلمية والتطورات التقنية ـ التي قد فتح الله أبوابها على الإنسان رويداً رويداً ـ رأينا أن الإنسان لم يدخل عليه أي تبدل منذ الإنسان الأول (آدم عليه السلام) إلى يومنا هذا : ظل قالب ذهنه نفس القالب ، وظلت مواهبه الفكرية نفس المواهب ، وظلت أهواء نفسه نفس الأهواء ، وظلت متطلبات جسده نفس المتطلبات ، وظل نمط تفكيره نفس النمط ، لم يحصل أي فرق جوهري في تلك الجوانب أبداً . وذلك أن الفطرة التي فطر عليها الإنسان ما زالت نفس الفطرة التي فطر عليها سيدنا آدم عليه السلام . وهذا هو السر في أن المنكر الذي أصيب به قوم لوط إلى ما قبل أربعة آلاف سنة ـ مثلاً ـ نرى اليوم وبعد أربعة آلاف من السنين يصاب به البلد البالغ في التحضر والتطور مثل أمريكا التي تدعي أنه لا يقارعها بلد في العالم كله في نهضتها ورقيها ـ ونرى فيها ورثة قوم لوط يربو عددهم على عشرين مليون نفر . فأي فرق يا ترى قد طرأ على الإنسان في فطرته في تلك المئات من القرون؟ وهكذا إذا قال فرعون ـ في قديم الأزمان ـ لوزيره : فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى . أين هو؟ ومن هو؟ وكيف هو؟ نرى اليوم وبعد ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة مضت على تلك القولة أنه لما ارتفع القمر

الصناعي الأول الذي أطلقته روسيا على مسافة مئة وخمسين أو مئتين ميلاً من الأرض إلى الفضاء انفجر رئيس وزرائها آنذاك المستر خروشيف قائلاً: اطلعنا إلى الآفاق السماوية فلم نجد فيها أي وجود للإله؟! ويعلم من ذلك بداهة أنه لم يدخل أي تعديل على عقلية الإنسان في تلك الحقبة الطويلة من الزمان التي تشتمل على ثلاثة آلاف وخمسمئة من السنين. لم يتبدل أسلوب تفكيره ونظره إلى الأشياء. نعم، إذا حصل هناك فرق في هذا الباب فهو أن فرعون ما كان يقدر في ذلك العصر إلا أن يبنى عمارة شامخة لتحقيق غايته إلى أكثر الحد. أما منكروا العصر الحاضر وفراعنته فقد تمكنوا من صنع الأقمار الصناعية وغزو الفضاء. أي حصل تطور في التكنولوجيا فقط. ولم يحصل أي تطور من الناحية العقلية. وكما أن الدهرية وجدوا في سالف الأزمان كذلك يوجدون في العصر الحاضر. وكما كان دعاة الفجور والمجون ومقترفوا السوء والفاحشة برزوا على مسرح الحياة في الأحقاب الخالية كذلك شوهدوا اليوم في العصر الحاضر. إلى أن لم يدخل أي بون حتى في نوعية مجونهم وفجورهم، هكذا وكما كانت الدنيا رأت أناساً عرفوا الحق، وآمنوا به، وجاهدوا في سبيله في زمن نوح عليه السلام كذلك ترى الدنيا اليوم وفي العصر الحاضر جماعات من البشر من حملة الحق ودعاته تكافح في سبيل الحق. فما زال الخير هو الخير بنصه وفصه. وما زال الشر هو الشر بقضه وقضيضه. ومن تقدم وسائل الإنسان وأساليبه، واكتشافاته العلمية، واستخدام تلك الاكتشافات في مجالات الحياة إذا طرأ على طبيعة الإنسان فرق فليس ذلك الفرق أساسياً وجوهرياً وإنما هو فرق في التقنية والأسلوب.

ولا يغيبنَّ عن البال أيضاً أن الناس في كل عصر من العصور اعتبروا معالم التقدم فيه نقطة النهاية وخاتمة المطاف. ولكن لم يلبث أن تحول ذلك العصر بتقدمه وبهيله وهيلمانه إلى عصر بائد نعت بالبلى والخلوقة. ثم وقع الناس في العصور التالية في نفس الفكرة الخاطئة التي وقع فيها أسلافهم من العصور الأولى. وإلى نهاية القرن الماضي وجد في الدنيا العلماء والفلاسفة الذين كانوا يرون أن الجهاز الحديدي أو أي شيء يكون أثقل من الهواء

لا يستطيع التحليق في الجو. وكانوا يرون ذلك أمراً مستحيلاً ، غير أنه لم يمض على هذه الفكرة فترة طويلة إلا وصارت الأجهزة الحديدية تحلق في السماء في العشر الأول من القرن العشرين. وثبت من ذلك أن الذين كانوا إلى ما قبل عشرة أو خمس عشرة سنة يقولون باستحالة ذلك كانوا رجعيين ، هذه هي حقيقة ما اصطلحوا عليه «العصر الجديد» أي ظن الإنسان في كل عصر من عصور التاريخ أنه بلغ من التقدم أقصاه. ولكن العصر الذي لحقه انفتح فيه المزيد من أبواب التقدم ، وتحقق فيه من الرقي حتى أصبح العصر الذي سبقه فترة رجعية بالنسبة إليه. إن الفلسفة ليست اليوم في المستوى الذي كانت في مفتتح هذا القرن. ونفس القول ينطبق على العلوم الطبيعية. إذ إن الوضع الذي كانت عليه العلوم الطبيعية في القرن الماضي يختلف كثيراً عن وضعها الراهن. وقل مثل ذلك في باب الأخلاق فإن مظاهر العري والتفسخ التي كانت توصف في مستهل هذا القرن بمنتهى الحرية توصف اليوم بالرجعية وهلمّ جرا.

ما هو المُراد من الشباب ؟ :

وبعد أن أدركتم حقيقة «العصر الجديد» إدراكاً جيداً خذوا الآن النقطة الثانية من البحث ، وهي: ما هو المراد من الشباب.

الشباب ليس خيراً محضاً أو شراً محضاً. الشباب عبارة عن الدم الفائر ، عن قابلية اكتساب كل ما هو حديث ، عن كائن إذا اقتنع بشيء ورآه جديراً بالاكتساب لا يتأخر عن التضحية بالنفس في سبيله ، بغض النظر عما إذا كان ذلك الشيء سيئاً أو حسناً. وقوة الشباب هذه مثلها كمثل حد السيف سواء أيستخدمه المجاهد في سبيل الله أو قاطع الطرق. إن الشباب هم الذين كانوا دعاة المساوىء والمنكرات في أقدم العصور كما كانوا هم الجيش العرمرم لرفع ألوية الخير والصلاح. حسنة كانت أو سيئة ، إن الشباب هم أسرع اندفاعاً إليها من الشيوخ. وهذه الظاهرة لا تخص بعصر دون عصر. بل عمت جميع العصور وشملت كل الدهور. إن القبائح الخلقية التي تنتشر اليوم في أرجاء العالم الشباب هم أول المقبلين عليها. وهم الذين يزيدونها

انتشاراً ورواجاً أكثر من غيرهم. بل هم الذين يتفننون في ابتكار المساوىء الجديدة في الحياة الاجتماعية. ولأجل ذلك أقول: إن الشباب ليس عبارة عن الخير المحض، كما أنه ليس عبارة عن الشر المحض. إنه إذا رغب في شيء من الخير، واطمأن إلى كونه خيراً وجد في نفسه ما يجعله يضحي في هذا السبيل بنفسه ونفيسه، ويقارع كل قوة ضده مهما بلغ شأنها وعظم أمرها، وتنشط مواهبه في ترويجه بعلمه وعمله.

مثل من سيدنا يوسف عليه السلام:

خذوا حضارة مصر القديمة. إن أوضاعها في عصر سيدنا يوسف عليه السلام لم تكن تختلف عما عليه حضارة أمريكا وأوروبا اليوم. ولكن قام شاب وحيد ـ يوسف عليه السلام ـ يحارب كل ما تضمنته تلك الحضارة من ضلالات وانحرافات بصمود وإباء، ويرفض كل ما تحتوى عليه من مغريات ومطامع. إنه جعل السيدات المتحضرات اللائي كدن يفتحن له أحضانهن، ويغرينه على السوء جعلهن يلهجن بسمو خلقه ونزاهة ذيله. وأعلن، وهو في غياهب السجن، رفضه لآلهة مصر الباطلة المزيفة، وإقراره بوحدانية الله الواحد القهار. وفتح البلاد المصرية كلها، لا بجيش مدجج بالسلاح، بل بمحض ما كان عليه من طهارة الأخلاق وما أوتي من العلم والذكاء حيث قال: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾[1]. فتجاوب له من كانت بيده تلك الخزائن بدون تلكؤ قائلاً: هذه هي الخزائن. وإنك لأنت الأمين الذي تفوض إليه الخزائن وتسلم إليه المقاليد.

مثل آخر من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام:

لقد رأينا في الرسول عليه الصلاة والسلام أنه لما قام ﷺ يدعو الناس إلى الحق تنهد رؤساء مكة يحاربون دعوته ويصدونه عن سبيل الله فصار الشاب في طليعة المستميتين في هذا الصراع في كلا الطرفين: طرف الحق وطرف الباطل. ففي جانب كان الشباب من الكفار ظلوا يؤذون رسول الله ﷺ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

وأصحابه ويصبون عليهم أنواعاً من العذاب والتنكيل بتحريض من سراتهم. من كان أولئك الذين سحبوا بلال على رمال ملتهبة؟ ألم يكونوا شباب مكة الذين سلكوا هذا الطريق المعوج بوحي من شيوخهم! وفي الجانب الآخر، نرى الذين تولوا نصرة الحق والذود عن حياضه هم كانوا أيضاً شباب مكة نفسها من الذين آمنوا بدعوة رسول الله ﷺ الصادقة بإخلاص وتجرد. ثم تناهوا في الاستماتة والتضحية في سبيلها. خذوا القائمة بأسماء أصحاب الرسول الأوائل. لا تجدوا فيها إلا بضعة أشخاص ممن كانوا أكبر سناً من رسول الله ﷺ والباقون كلهم كانوا أصغر منه سناً. منهم من كان في السنة العاشرة من عمره. ومنهم من لم يتجاوز عمره خمسة عشر عاماً ومنهم من لم يبلغ إلا ثمانية عشر عاماً. ومنهم من بلغ من عمره عشرين أو واحداً وعشرين ربيعاً فقط. وكان أكبرهم سناً لم يتجاوز عمره ثمانية وثلاثين سنة وهؤلاء الشباب هم الذين تواثبوا إلى نيران النماردة بدون توقف. كانوا يرون بأم أعينهم نيران العسف تتلظى، كانوا يعلمون علم اليقين أن اعتناق الإسلام عبارة عن تأليب الوحوش الكاسرة عليهم لتنهشهم نهشاً ولكنهم على رغم ذلك قاموا وأعلنوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يكترثوا أبداً بعواقب هذا الإعلان فتكبّدوا كل محنة وعذّبوا، استقبلوا كل ظلم واضطهاد. ولما ضاقت عليهم أرض مكة تركوا ديارهم وأموالهم، أقاربهم وأهليهم وهاجروا إلى الحبشة والمدينة، بدون أن يمر بخلدهم ماذا عسى أن يجابههم في المهجر من محن وشدائد. الشباب هم الذين سجلوا هذه التضحيات الجسام في سبيل الحق، بما فيهم فتيات وفتيان. وهؤلاء كانوا أبناء الأسر التي كان رؤساؤها ألد أعداء الإسلام، وأخيراً وبفضل تضحياتهم الجسيمة وبطولاتهم الرائعة رفرف علم الإسلام فوق المعمورة، إنهم بمسايرتهم لرسول الله ﷺ وأتباعه أحدثوا في العالم انقلاباً عظيماً دام قروناً طويلة ولا يزال قائماً وسيبقى ما دامت السموات والأرض بإذن الله العلي الكبير.

ولتلقوا نظرة عابرة على هذا «العصر الجديد» الذي يقال عنه بمنتهى الاعتزاز والمباهاة إنه عصر التقدم والرقي، إنه عصر الفكر المتنور. ومما يمتاز به هذا العصر هو تقدمه العلمي وهو على كونه أمراً جديراً بالتقدير

والإجلال يستغل استغلالاً فاحشاً في دمار البشرية وهلاكها وبؤسها وشقائها أكثر من أن يستغل في سعادتها وصلاحها ، وبواسطة هذا التقدم العلمي يبتكر اليوم لإبادة الشعوب بأسرها أخطر ما يمكن من الأسلحة والأدوات ، ويعد لتنكيل الإنسان وتشويه شخصيته من المعدات ما لا مثيل له في تاريخ الشيطنة ، وتكتشف للجاسوسية أساليب لم يبق أمامها أي معنى لحياة الإنسان الخاصة ، وتكرس الدراسات لتوليد الإنسان بطريقة يتولد الإنسان بعدها في معامل العلم (Laboratories) بدون اتصال الأب والأم بطريقة فطرية. وطبعاً المتولدون بتلك الطريقة العلمية سوف لا ينتمون إلى أسرة من الأسر ولا يميل بعضهم إلى بعض أو إلى غيرهم من الإنسان ميلاً فطرياً ، ولا يرتبطون بماض له التقاليد المتوارثة أو الجذور الممتدة. وسوف تجهز المصانع الأوادم من كل لون من الألوان وكل صورة من الصورة وكل شيمة من الشيم وكل قابلية من القابليات حسب مبدأ الطلب والعرض في الأسواق. وتبيعهم للأشخاص أو للشركات والحكومات بالمفرد أو بالجملة. وهكذا يريد تمرد العلماء الملحدين أن يبلغ من التدهور نهايته ليفتح على البشرية أحدث عصور الاستعباد وأسوأها ، ينحط فيه الإنسان إلى درجة الأغنام والأبقار. بل لعل المصانع سوف تعد للأنظمة المناوئة لكرامة الإنسان في العالم أوادم عند الطلب يكونون أشد افتراساً من الوحوش الضارية. هذا هو التقدم العلمي الذي يفتخر به غاية الافتخار ويدعى أنه قد سما بالإنسان إلى آفاق السماء. مع أنه من الحقيقة أن هذا التقدم قدر ما رفع الإنسان قدر ما هبط به وأنه جلب على الإنسان الويل والثبور أكثر مما وفر له الخير والحبور.

الفلسفات الحديثة:

وكذلك خذوا الفلسفات الحديثة ، إنها تقدم نظرياتها ومقوماتها معززة بالدعاوى العقلية الطويلة العريضة في سياج جميل من المصطلحات والتعبيرات ولكنها باستثناء الفارق الظاهر من ناحية جمال العرض وروعة المنطق تتخبط من جهة النتائج في نفس الضلالات التي تاهت فيها البشرية في القرون القديمة.

ويتصوَّرُ الفلاسفة أن الإنسان في أصله وتكوينه حيوان. ومن الحيوان تطور تدريجيا إلى الحالة الراهنة. فالإنسان الذي يتصور عن أصله-أن آباءه وأجداده فيما مضى كانوا قروداً أو غوريلا ، وبفضل مبدأ التطور والنشوء قد بلغ اليوم حالة الإنسانية فإنه لا جرم يبحث عن نظم حياته في حياة الحيوانات ، ولذلك فإن علم الاجتماع عندنا يوجه اليوم في نفس الجهة ، حيث يجري القياس على حياة الحيوانات لتقرير حقيقة فطرة الإنسان مع أن فطرة الإنسان بينها وبين فطرة الحيوان ما بين السماء والأرض. وبينما يقول الإسلام للإنسان بأن الله تعالى جعله خليفته في الأرض ، تأتي الفلسفة الحديثة والعلوم الحديثة تخبران الإنسان بأنك تطورت من الحيوان إلى الإنسان ، وليس هناك فرق أساسي بينك وبين الحيوان سوى أنك مستقيم القامة وتكونت يداك ورجلاك بشكل سهل عليك القيام بالأعمال التي لا يستطيع الحيوان القيام بها. هذه هي الفكرة الحيوانية التي بموجبها أصبحت نظرة الإنسان إلى الأشياء تأخذ نفس الوجهة التي كان تقدم بها مزدك إلى ما قبل ألف وخمسمئة سنة. وكما أنه جعل المرأة والمال والأرض مشاعة بين البشر كذلك تروج اليوم أفكار تنادي بجعلها مشاعة بين جميع البشر. إن الفكرة التي قدمها مزدك عن المرأة لكم أن تروها بقضها وقضيضها مطبقة في أوربا وأمريكا اليوم. بل الذين يحسبون أنفسهم من سلالات الحيوان يمارسون الاتصال الجنسي كالحيوانات على مرأى ومسمع من الناس. إذ إنهم يرون أنه لا داعي لمراعاة حدود الحلال والحرام عند الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة ، سواء أكان الرجل ابنا والمرأة أما ، أو كان الرجل أخا والمرأة اختا ، أو كان الرجل أبا والمرأة بنتا ، ولذلك فإن الممارسة الجنسية بين الأخ والأخت ، والعم وابنة الأخ ، وبين الخال وابنة الأخت أصبحت تنتشر بكثرة كاثرة. ولا يندر حادث وقوع الممارسة الجنسية بين الأب وبنته. وتفاقم الأمر إلى حد أن قدسية الآصرة بين الأم وابنها أوشكت على الانتهاء ، إذن قد نزل الإنسان إلى مستوى من الذل والانحطاط لم يكن للإنسان الكريم أن يتصور ذلك. ومن المؤسف أن في بلادنا أيضاً بدأت العناصر التي تريد استيراد نفس الحضارة النجسة ترفع

رأسها. كما تبذل المحاولات في تعزيز نفس الاتجاهات وإبداع نفس الأساليب للتفكير. وصارت الانحرافات الخلقية تأخذ نفس الاتجاه الذي نستطيع أن نرى نقطته النهائية في مجتمعات أوروبا وأمريكا، وإذا لم تتخذ التدابير لوقف هذه الحركة ولتغيير هذا التصور الخلقي الغريب فليس من المستبعد أن نرى قريباً في بلادنا أيضاً أناساً مطبوعين بسجايا الحيوانية يمارسون نفس المخازي التي تمارسها أوروبا وأمريكا.

الاشتراكيّة والشيوعيّة:

هذا، ومما يقال به اليوم بمنتهى التفاخر إن فلسفة الشيوعية والاشتراكية، التي عرضها ماركس وروّجها لينين فلسفة تقدمية، وكل شيء يخالفها رجعي. ولكن أميطوا اللثام عن وجه هذه الفلسفة، تروا بوضوح أن التقدمية التي جاءت بها تلك الفلسفة هي في الحقيقة تستكمل ما فرطته القيصرية والرأسمالية والإقطاعية من جعل الإنسان عبداً ذليلاً مهانا للإنسان. فوسائل الإنتاج التي كانت موزعة بين كثير من الرأسماليين وأصحاب المصانع وملاك الأراضي، ووسائل التوزيع التي كانت مقسمة في أيدي الكثير من الناس من الطبقات المختلفة، تسيطر عليها في النظام الشيوعي حفنة قليلة من الأفراد. وبيد نفس الأفراد تتركز جميع السلطات التي كان القياصرة يسيطرون عليها من الجيش والبوليس والقضاء والسجن والتشريع. ولا يقدر أحد إزاءهم أن يفكر تفكيراً معاكساً فضلاً من أن يجهر به. وإذا شمّوا من شخص، ولو إلى حد الشبهة الضئيلة، أنه يخالف أفكارهم، يقبض عليه، ويزج به في دور التعذيب التابعة للبوليس السياسي، وتصب عليه أقسى ألوان التعذيب والتنكيل مما يعجز اللسان عن بيانها، تنزع منه اعترافات باقتراف أقبح الجرائم وأبشعها، ثم ترفع قضيته إلى المهازل التي تسمى المحاكم لتدينه بأعنف العقوبات وأفظعها. وإذا كان ذلك المسكين من رجال العلم والرأي يوضع في مستشفى الأمراض العقلية. إذ إن قادة النظام الشيوعي يؤمنون بنظرية تقول: «إن الذي يكون أسلوب تفكيره متبايناً لأسلوب تفكيرهم ليس إلا مجنوناً معتوهاً» إن هذا النظام سواء أيوصف بالنظام الاشتراكي أو النظام الشيوعي لا مكان فيه لأي نوع من الحرية البشرية، وليس من فارق بين الاشتراكية

والشيوعية سوى أن إحداهما، وهي الشيوعية تقيم نظامها قسراً. بينما الأخرى تزعم أنها تختار لذلك طريق الديموقراطية ، وكلتاهما تلتقي على هدف بعينه. وهو تركيز وسائل الإنتاج بيد الحكومة. ثم هي التي تتولى توزيع ضرورات الحياة. وليس المراد من الحكومة طبعاً الكتاب في المكاتب أو الجنود في مراكز الشرطة. إنما الحكومة تتمثل في أشخاص هم في مركز القيادة ، ويضعون مخططات للحياة الاجتماعية كلها ، ثم يستخدمون لتنفيذ مخططاتهم صلاحيات الحكم. وهؤلاء الأشخاص سواء أتولوا أزمة الأمور عن طريق الثورة الدموية ، أو عن طريق الكفاح الديمقراطي ، فإن الدكتاتورية تتحقق تلقائياً بدون ما ريب. وهذه الدكتاتورية هي التي لا يوجد لها مثيل في تاريخ البشرية. إن الشيطان ابتكر أعتى أنواع الفراعنة ، وجاء بأقبح أقسام النماردة في العالم إلا أن الفراعنة والنماردة الذين يحكمون البلدان الاشتراكية في عصرنا الحاضر لا يشق غبارهم لا الأولون ولا الآخرون من الفراعنة والنماردة. ومن سوء حظنا للغاية أن هذا النظام المجرب الذي تكشف للعيان ما يضمره من فتن كقطع الليل ، تبذل المحاولات لتنفيذه في بلدنا الذي أسس على الإسلام ومن الطريف أن يقال للمسلمين ، ذراً للرماد في عيونهم ، إن هذا النظام الذي يراد تنفيذه هو «اشتراكية إسلامية» وأتساءل: هل هؤلاء القوم افترضوا أن سكان هذا البلد جهال أغبياء لا يستطيعون إدراك تضليلهم وخداعهم.

الدكتاتورية بلباس الدِّيمقراطية:

ثم عليكم أن تتفكروا يسيراً: قد شهد التاريخ القديم أبرز الفراعنة المتغطرسين وأشهر النماردة المتجبرين. ولا نجد أمراً قام به الجبابرة القدامى ولم يقم به الجبابرة المعاصرون. فالأولون والمعاصرون من هذه الناحية يخرجون عن قوس واحدة. ولكن الذي يلفت النظر هو أن «الجبارية القديمة» إن صح هذا التعبير. كانت أمراً مكشوفاً غير ملثم. إنها لم تتستر بستار الديمقراطية لتخدع الجماهير بأنها تولت الحكم بإرادة الشعب وباسم الشعب ، وتعمل كل ما تعمل لأجل الشعب. أما الجبارية العصرية فإنها ـ عكس الجبارية القديمة ـ تقوم بفرية تسميها «الانتخاب» وبشتى أنواع

الدجل والتلبيس والإرهاب تسيطر على أزمة الحكم قسراً. ثم تمارس دكتاتوريتها بأشنع الأساليب، ولكن باسم الديمقراطية وبذر الرماد في عيون الجماهير. وبكلمة أخرى تكون الديمقراطية هي هيكلاً شكلياً لصنم الطاغية يدخل فيه روح الدكتاتورية.

ثم أصبح فن كسب الانتخاب بطريقة قسرية مستكمل العناصر والأدوات، حيث أصبح من المستحيل أن تدع الحكومة أحداً ينجح في الانتخاب ضدها. وحقاً هذا الأسلوب رجعة قهقرى إلى عصر فرعون ونمرود. ولكن التقدم الذي اختص بالعصر الحاضر دون عصر فرعون ونمرود، هو أن رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء، أو قائد الشعب أو الزعيم الأوحد أو منقذ الشعب في العصر الحاضر يستخدم لتعميق قواعد دكتاتوريته الأساليب التي لم يحلم بها أحد من الفراعنة والنماردة في أي عصر من العصور البائدة.

تحديات العصر الحاضر:

هذا هو العصر الجديد الذي تريدون أن تسألوني عن ما هي تحدياته وما هو الطريق لمواجهتها. فقد ألقيت الأضواء بإيجاز على العديد من جوانبه ومناحيه لكي تدركوا جيداً نوعية تحدياته، ولتعلموا أيضاً أي نوع من الشباب يواجه أي نوع من التحديات.

تحديات العصر الحاضر بالنسبة لدعاة السوء:

ضرب من الشباب يستقبلون برحابة الصدر كل لون من الإغراء والانحراف والأحابيل الشيطانية، ويندفعون وراء كل اللذائذ والمطامع والمغريات التي يحتوي عليها العصر الحاضر. فتحدياته بالنسبة لهذا الضرب من الشباب أيهم أكثر قدرة على ضرب الرقم القياسي في اتباع الضلال والزيغ والانحراف، وأيهم أوفر شرطاً لأن يصير إمام المفسدين بدلا من أن يبقى مأموم المفسدين.

تحديات العصر الحاضر بالنسبة لدعاة الخير:

ونمطٌ آخرٌ من الشباب لا يريدون الشر والسوء، بل يبتغون الخير

والصلاح ، يؤمنون بالله ورسوله ، ويؤمنون بالدين القيم ، ويشعرون لكونهم مؤمنين مسلمين بأن حيوية الشباب التي أودعها الله فيهم يحاسبون عليها أمام الله. فالعصر الحاضر يتحدى في صرخات تلو الصرخات هذا النمط من الشباب: من ذا الذي يقوم في وجه الضلال ويمنع انتشاره ، ويروج مكانه الهدى؟ من ذا الذي يغير وجهة التقدم العلمي والتكنولوجي من دمار البشرية وهلاكها إلى سعادة البشرية وصلاحها؟ من ذا الذي ينهض بالعقيدة الإسلامية ويهزم جميع تلك الفلسفات التي تحول الإنسان إلى الحيوان؟ من هو الكيس الذي يجعل نهج الإسلام للحياة يتغلب ويسود بعد تنكيس المزدكية المعاصرة والاشتراكية الراهنة؟ من هو البطل الذي يكسر مخالب حكم الظلم والاضطهاد إرباً إرباً ويقيم مكانه حكما ملؤه العدل والقسط؟ ومن هو الموجِّه القدير الذي يبرز إلى مسرح الحياة وينقذ أبناء آدم من التردي في أسفل السافلين؟ هذه هي التحديات التي يوجهها العصر الجديد نحو الشباب الذي آمنوا بالله ورسوله.

بماذا نواجه تلك التحديات ؟ :

إذا عقدتم العزم على مواجهة تحديات العصر الحاضر التي اشرت إليها فلا مناص لكم من أمرين.

أولهما : أن تدركوا إدراكا تاماً الهداية التي أنزلها الله على رسوله ﷺ وأن تؤمنوا بها بصدق وإخلاص ، ثم اجعلوا نصب حياتكم تغليبها على العالم. لتكون كلمة الله هي العليا وكلمات الكفر السفلى.

وثانيهما : أن تتسلحوا بطاقة خلقية ينهزم أمامها دعاة الضلال في نهاية المطاف. ويرجع أتباعهم إلى الحق الذي هو الطريق المستقيم لفطرة الإنسان.

ودائماً قلت : إن دعاة السوء والضلال إذا ملكوا خمسة وتسعين في المئة من الوسائل المادية ، ودعاة الخير والحق لم يملكوا إلا خمسة في المئة منها فإن دعاة الحق والخير يقدرون على دحر دعاة السوء والضلال بفضل صدق عقيدتهم وقوة أخلاقهم. بل أقول : ولو بلغت تلك النسبة إلى واحد في المئة فإن الانتصار ليس إلا حليف دعاة الحق بإذن الله. وذلك بشرط أن يكونوا

حائزين على أكبر قدر من القوة العقيدية والقوة الخلقية، وأن يكونوا مدججين بالسلاح الذي يفتح القلوب ويكسب الأذهان.

كيف قام الانقلاب الإسلامي في جزيرة العرب؟ :

لقد كان رسول الله ﷺ قلب الشعب العربي بأسره ظهر المجن في مدة لا تتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة فقط. أخضع البلد بكامله وكانت مساحته لا تقل عن مليون وربع مليون ميلاً مربعاً. أحدث في حياة الناس انقلابا رائعاً أصبح بتأثيره قطاع الطرق أمناء أنقياء، وأصبح الطواغيت قائمين بالقسط، وأصبح الذين لا يخافون الله يشفقون من خشيته، وأصبح الذين كانوا مثالاً للآلام لخلق الله مدعاة رأفة له. نتيجة أي شيء كان هذا التحول العظيم يا ترى. كان مرد كل ذلك إلى أن الرسول ﷺ عرض على الناس دين الله القيم بدلائل كانت في القوة والإقناع والروعة حيث لم تستقم للباطل أمامها حجة، ولم تستطع العصبيات الجاهلية أن تستقر في وجهها، واستحالت مقارعتها بأي مظهر من مظاهر العنت والعناد والعنف والقسوة. جاء ﷺ بالدلائل التي لم تخاطب قلبا إلا سخّره ولم تفاتح ذهنا إلا طوعه. إلى أن جاء اليوم الذي عنت له ﷺ جباه ألد أعدائه وأعند خصومه. هذا في ناحية. وفي الناحية الأخرى كانت تصرفاته ﷺ في نزاهة وطهارة، وأخلاقه في كرم وشرف، وسلوكه في سمو ورفعة حيث كل من انجذب إليه ودخل في رحابه تحول من التراب ذهباً إبريزا، ومن الذرة شمساً منيراً، وحقاً أن هاتين القوتين ـ قوة الإقناع وقوة الأخلاق ـ هما اللتان أخضع النبي ﷺ بهما جزيرة العرب بكاملها، وأحدث في الحياة العربية آنذاك انقلاباً بلغ من الروعة قمته ومن العظمة منتهاه والجدير بالذكر أن كان دور السيف في هذا الانقلاب من الضآلة حيث إن كل الحروب والمعارك التي خاضها النبي ﷺ لكسر شوكة القوى المعادية لم يبلغ عدد الذين استشهدوا فيها من المسلمين أو قتلوا فيها من المشركين والكفار بضعة مئات نفر، وبحق نستطيع أن نطلق على هذا الانقلاب ثورة بيضاء أو ثورة غير دامية (Bloodless Revolution) ثم إن هذا الانقلاب قد حدث بشكل أن قوة الأعداء الحربية في الأعوام العشرين الأولى كانت أكبر من قوة النبي ﷺ الحربية بدرجات كثيرة في العدة والعتاد.

كيف نستطيع أن نحدث نفس الانقلاب في العصر الحاضر ؟ :

هل أنتم إلا ورثة نفس دعوة الحق الذي جاء به النبي ﷺ ؟ ولا يزال ذلك الحق باقيا كما هو متمثل في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفي سنة النبي ﷺ وهديه ، وفي آثار أصحابه الكرام. لم يمازجه شيء من الباطل. والدلائل التي عرض به ذلك الحق في أول أمره هي كذلك موجودة بنفس النصاعة والقناعة وقوة التأثير. وكل ما في الأمر هو أن تدركوها إدراكاً جيداً ، ثم تنقلوها إلى البشر بلغة يستطيع الإنسان العصري فهمها. ثم إن أي مادة تتعلمونها يجب أن تضطلعوا بها اضطلاعاً قوياً وتطيلوا فيها باعكم ، وأن تستخدموا المواهب العقلية والذهنية التي حباها الله إياكم في فرز الحقائق (Facts) من النظريات (Theories) لكي تروا: كيف أن كل حقيقة تتكشف نتيجة أحدث الاكتشافات العلمية تؤكد صدق الحقائق التي جاء بها الإسلام بدلائل أقوى وحجج أنصع. وهكذا إذا درستم العلوم الإنسانية (Humanities) أو العلوم الاجتماعية (Social Sciences) دراسة نقدية في ضوء الكتاب والسنة تتمكنون بها من الدلائل والبراهين ما تثبتون به أن توجيه الإسلام هو الصحيح والحق في كل شعبة من شعب الحياة البشرية. وبقدر ما تتناولون بالبحث الواسع والتأمل العميق حضارة الغرب وثقافته بنظرة مشبعة بالإسلام بقدر ما تسعفكم قوة الحجة والتدليل على إقناع كل ذي لب على أن أنماط الحياة البشرية التي أخذ بها الغرب خطأ وضلال وخراب وتباب ، وإنما السلامة كل السلامة في أن يتبع الإنسان النهج الذي جاء به الإسلام. وإذا كان دأبكم الاجتهاد والبحث يسهل عليكم إعداد مخطط تفصيلي يعكس توجيه الإسلام لكل من شعب الحياة ، مخطط يجعل كل من رآه من أصحاب العقول السديدة يؤمن بأن نظام الإسلام للحياة هو الذي يعالج جميع المعضلات العصرية علاجاً أحسن وأنجع من أي نظام آخر. وإذا اتخذتم هذا النمط من التبليغ والدعوة تدين لكم حتماً أذهان العالم ، وتضطر الإنسانية إلى الاعتراف بأن ما تقدمونه هو الحق ، وليس هناك من حق سواه وأن سعادة الإنسان وفلاحه ليس مصدرهما إلا هذا الحق نفسه.

حالة الغرب واليّابان:

الوضع الذي تعيش فيه اليوم أمريكا وأوروبا هو أن الناس صاروا يتمردون على دينهم الذي ورثوه عن آبائهم. وحتى قادتها الدينيون أصبحوا لا يرتاحون إلى العقائد التي يتلقونها من كنيستهم ناهيك عن الجماهير. فصارت الكنائس تخرب، وتعرض الكنائس العاطلة للبيع. والمبشرون الذين يزاولون التبشير كمهنة لأجل الرزق والحفاظ على المنصب أصبح عدد لا يستهان به منهم يدخل مستشفى الأمراض العقلية. لأن التعليم الذي يقدمونه للناس لا يطمئن ضميرهم أنفسهم ولا يقتنع به قلبهم أنفسهم. وهذا الصدام المستمر بين ضميرهم ومهنتهم يكاد يخل باتزانهم الذهني. والمارقون عن دينهم اختاروا طريق الإلحاد والدهرية، وأرادوا أن يروحوا عن أنفسهم بالانغماس في الخمر والمجون، ولكن هيهات أن ينالوا الطمأنينة، ونرى الكثيرين منهم الآن قد شمروا عن ساق الجد لقلب حضارتهم ومجتمعهم رأساً على عقب، لأن حضارتهم وإن وفرت لهم أسباب الترف وسبل الرخاء ولكنها سلبتهم ثروة الطمأنينة القلبية. وفي وسط هذه الفوضى بدأ ذووا العقل منهم يديرون أنظارهم إلى كل جهة باحثين عن الحق. إلا أن الكراهية غرست في قلوبهم وأذهانهم من أيام الحروب الصليبية نحو الإسلام والقرآن ومحمد ﷺ، والشبهات التي روجت حول دين الله القيّم لا تدعهم يتجهون إلى الإسلام إلا بصعوبة كبيرة وبعد الكثير من الإقدام والإحجام، وبعد أن يتيهوا زمناً في كل واد. وإن هذه العقبات إذا أزحناها عن الطريق بالحكمة والعلم والرزانة، وعرضنا عليهم الإسلام بالدليل والحجة نستطيع أن نكسب تلك الشعوب التي تحكم العالم اليوم، على غرار ما كسب الإسلام في بداية أمره الشعوب العربية ثم الشعوب الرومية والعجمية.

ونفس المنطق ينطبق على اليابان. إن الصنم الذي كان قائماً عليه ذلك البلد الشرقي حطمته الحرب العالمية الثانية شذر مذر. ثم جاءت المسيحية تستنفد جهودها لجلبه إليها، ولكن المسيحية التي انهزمت في عقر دارها

أنى لها أن تستميل قلوب اليابانيين؟ وكذلك المادية المحضة فهي ما دامت فشلت في إدخال الاطمئنان في قلوب الغرب لن تقدر أبداً على تطمين أكثر الشعوب الشرقية تقدماً وهي اليابان. أما نحن المسلمين فلا تواجهنا الصعوبات مع اليابان إذ إن الشعب الياباني لا يضمر حقداً أو عصبية ضد الإسلام. ولذلك إقناع اليابان على الإسلام بقوة الدليل من السهولة بمكان بشرط أن يتصدى لهذا الأمر جماعة من عباد الله المخلصين مشمرين عن ساق الجد والاجتهاد.

إصلاح باكستان أولاً:

هذا ما يخصُّ البلدان الأخرى التي تستغيث أرضها غيث رحمة الإسلام بلسان حالها. ولكن أي جهد تبذلونه في تلك البلدان لا يكاد يثمر ما دام بلدكم أنتم الذي أنشىء على أساس الإسلام منغمساً في ضلالات الحضارة الغربية وانحرافاتها الفكرية وويلاتها الخلقية، وتنشر علنا دعوة الانصراف من الاهتداء بهدى محمد ﷺ إلى تبعية ماركس وماوتسي تونغ. ولذلك يجب عليكم قبل كل شيء أن تبددوا هذه الضلالات والانحرافات تبديداً كلياً، وتهزموها هزيمة نكراء في بلدكم، وأن تنكسوا بسلاح العلم والحجة كل من تسول له نفسه اتباع الباطل بصورة لا يستطيع أن يرفع رأسه ثانياً. ولو استطعتم كسب أذهان ذوي الرأي والفكر لا يقف في وجهكم طويلاً بعد ذلك أي عنصر من عناصر الشعب والفوضوية، ولو استند بدون ما حياء، إلى أساليب الظلم والعدوان والاضطهاد.

الطريق إلى الانتصار:

في هذا الصراع المستمر بين الحق والباطل لابد لكم من أن تمارسوا قوة الأخلاق مضافاً إلى قوة المنطق احتذاء برسول الله ﷺ في هذا الباب. والمجتمع الذي تعيشون فيه تستخدم فيه أساليب السباب والفسوق والافتراء والكذب والخيانة والتضليل والغشم بكثرة لا يستطيع معها شخص غير ناضج أن ينهض رافعاً لواء الحق، وإذا نهض لا يدوم طويلاً. هذا الأمر يتطلب همة عالية، ونفساً طويلاً، وطبعاً كريماً، وصبراً لا ينفد، وحلماً

لا يخون ، وصدقاً لا يعرف اللين ، وعزيمة لا تقهر. فلا تقابلوا ـ مثلاً ـ الشتم بمثله. ولا تردوا الكذب بمثله أبداً ولا تستعملوا سلاح المكر والتضليل والخيانة لكسب المعركة. ولا تتخلوا أبداً عن خصلة الكرم والنبل ضد خصمكم مهما تمادى في الغي وسوء التصرف معكم. ولا ينجحن طاغية لإخضاع رأسكم له مهما تناهى في العدوان والطغيان. ولا يقبلن ضميركم صفقة بيعه ولو عرضت عليه أموال طائلة. وتكون أخلاقكم في سمو ، وسلوككم في نزاهة ، وتصرفكم في استقامة وأمركم مع عباد الله في عطف مما يجعل المجتمعات التي حولكم تنظر إليكم بنظرة التقدير والاستحسان ، وتنحني لكم احتراماً وإجلالاً ، وتوليكم الثقة ، وتدرك مدى ما يكون المسلم الصادق يتمتع بالإنسانية. وفرّوا مرة هذه القوة الخلقية في أنفسكم تشهد لكم التجارب تلقائيا: كيف تتبدد شراسة القوة المناوئة ، وكيف تذهب ريحها وتنكسر شوكتها ، وكيف تطاوعكم القلوب والأذهان ، وكيف يتسع نطاق انتصارات الحق اتساعا مستمراً.

هاتان القوّتان هما اللتان بفضلهما تتمكنون من مواجهة تحديات العصر الحاضر ببالغ النجاح والتوفيق في داخل البلاد وخارجها. ولكن كما أشرت لكم آنفاً إن انتصاركم في البلاد الأخرى منوط إلى حد كبير بأن تجعلوا بلادكم أولاً دولة إسلامية بما لهذه الكلمة من معان. ولذلك القيام بالانقلاب الإسلامي في بلادنا له الأولوية والأفضلية على أي أمر آخر. ولا يتحقق هذا الانقلاب إلا بنفس القوتين المذكورتين أعلاه وإن كانت نسبتكم في البلاد تقل من الواحد في الألف من السكان. بل أقول: من الواحد في المائة ألف. وهكذا بالنسبة إلى الوسائل والإمكانيات المادية فمهما كانت إمكانيات المعارضين تفوق كل النسب لإمكانياتكم لا يأخذن القلق إليكم سبيلاً. وكذلك لا تبالوا إن كان الخصم يملك أجهزة الإذاعة ، ولا تقلقوا إن كان هو يستبد بأجهزة التلفاز ، ولا تنزعجوا إن كان هو يسيطر على جميع وسائل الإعلام ، ولا تنزعجوا إن كان هو المتصرف الوحيد في ثروات البلاد كلها ، ولا تيأسوا إن كان هو المتسلط على أبواب الرزق ، ولا داعي إلى التشاؤم إن كان القانون قانونه والجيش جيشه والبوليس بوليسه

والسجن سجنه. ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كان السكان كافة أصبحوا عاجزين أمامه منقادين له بحجة أنه قضى على جميع الاحتمالات في تبديل نظام الحكم بطرق سلمية وبإرادة الشعب الحرة. إني ـ أيها الشباب! ـ رغم كل ذلك أؤكد لكم أنكم تقدرون على هزيمته إذا قمتم مدججين بسلاحين آنفي الذكر، السلاحين الذين بهما فتح النبي ﷺ العرب كله وحيداً فريداً، وعبأ الأمة المسلمة بطاقة سادت بها البلاد والعباد في أكبر رقعة من العالم من حدود الصين شرقاً إلى المغرب والأندلس غرباً. لم يكن هذا الانقلاب أمراً مصادفاً يستحيل حدوث هذا من المصادفات (Chances) ثانياً. بل يمكن تكراره في العصر الحاضر بنفس العوامل التي سببت حدوثه في الأمس الدابر. ولا يعقل أن قد تبدلت النواميس الإلهية التي ساعدت النبي ﷺ في إحراز الانتصار العظيم في القرن الأول من الإسلام. بل بقيت ـ ولا تزال ـ النواميس الإلهية تسير على سننها لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً. فالمؤثرات التي كانت نجمت عن العلم الصحيح والمنطق السليم في قديم الأزمان لابد أن تنجم عنهما اليوم حتما. وكذلك النتائج الطبيعية التي كانت تسفر عن الضلال وسوء التصرف في الماضي لا يمنع شيء من أن تسفر عنهما في الحاضر. ولا عليكم إلا أن تواصلوا جهودكم وتبذلوا مهجكم في كسب الأذهان بسلاح الصبر والمصابرة وبقوة المنطق القاهرة، وفي كسب القلوب بخلق أرق من النسيم وأزكى من السحب في كبد السماء. وحتما أن تظهر بعد ذلك النتائج المقصودة أمامكم وفق قانون العلة والمعلول. والذين يعادونكم اليوم ويقاومونكم أعنف المقاومة ويضعون العراقيل في سبيلكم إمّا هم يصبحون لكم غداً مؤيدين ومناصرين، وإمّا يودى بهم سيل الزمن إلى مكان سحيق. والألسنة التي تشتغل ضدكم كالمقاريض إما تشتغل بعدها في تأييدكم، وإما تفقد قوة نطقها وتعبيرها، والوسائل الإعلامية التي تكرس في نشر الكذب والفساد والمجون سوف تستقيم الأيدي التي تستخدمها وتأتى نفسها توجهها في إعلان كلمة الحق والجهر بالحسن من القول. وسوف لا يحتاجون إلى إقامة الجامعات الشامخة والكليات الفخمة إذ إن الذي يحصل هو أن الآخرين يقيمون تلك الجمعيات والكليات وأنتم

بكسبكم المدرسين والمتعلمين فيها تستخدمون نفس الجامعات والكليات في تحقيق غايتكم. وكذلك لا تمسكم الحاجة إلى توفير العلماء الجدد بل يأتيكم العلماء طائعين بعد أن تغيروا أذهانهم وتكسبوا قلوبهم، لا تدعو لكم الحاجة إلى إعداد الأخصائيين والخبراء الجدد بل سوف ترون أن الأخصائيين والخبراء الموجودين هم ينقادون إليكم، ويشكلون ثروة إنسانية نافعة بفضل تبليغكم الصادق المتمثل في سلوككم النزيه ومنطقكم المستقيم. وأخيراً، لا عليكم - يا أبنائي الأعزاء - إلا أن تضطلعوا بعلم «كسب الإنسان» الذي يعلمنا به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويتبني من خلال سيرته، وأؤكد لكم بعد ذلك: أنه لابد أن يحدث الانقلاب الإسلامي المنشود عاجلاً أو آجلاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

دور الطلاب في بناء مستقبل العالم الإسلامي[1]

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى . أما بعد :

قبل أن أدخُلَ في صلب الموضوع الذي أريد أن أتحدَّث إليكم عنه أودُّ أن أُعرب عن السرور الذي يساور قلبي لما أُشاهد في جميع الجامعات والكليات في العالم الإسلامي ، بل وفي العالم غير الإسلامي إلى حدٍّ ما ، من وجود مجموعة طيبة من الشباب الذين استنارت قلوبهم بنور العقيدة ، والذين يقدِّرون مسؤولياتهم في الدنيا كمسلمين ، ويبذلون قصارى جهدهم في بعث الروح الإسلامية في المعاهد التعليمية ، وهذه ظاهرة لا يتمالك كل من في قلبه حبٌّ وإخلاص للعالم الإسلامي إلا أن يقدرِّها وينظر إليها بنظرة الرضا والإعجاب . وإن من فضل الله على هذه الأمة البائسة أن يوجد في المعاهد التعليمية ، وفي الحقول التربوية شباب يعرفون واجبهم ويؤدونه بنشاط ووعي ، رغم ما يسود النظام التعليمي والتربوي في كافة البلاد الإسلامية من أفكار وتقاليد غربيتين .

أمَّا الموضوع الذي أريد أن أحدثكم فيه فهو : ما هو الدور الذي يجب أن يقوم به الشباب ، ولا سيما الطلبة منهم في بناء العالم الإسلامي؟ .

أوضاع متجانسة ومشكلة واحدة :

ويجب أن تُثبتوا في قرارة أذهانكم ، قبل كل شيء ، أن كلمتي هذه موجَّهة إلى الطلبة في جميع البلاد الإسلامية . تلك البلاد التي ـ بعد بقائها

---

(١) ألقى الشيخ المودودي هذا الخطاب في الاحتفال السنوي الذي عقدته جمعية الطلبة الإسلامية في مدينة «ملتان» بباكستان عام ١٩٦٥ م.

مدة من الزمن تحت الاستعمار الغربي المباشر ، وانهزامها أمام الأمم الغربية في كافة مجالات الحياة ـ استسلمت في النهاية للفكر الغربي والحضارة الغربية ، وعادت كل شعبة من شعب حياتها ـ بما فيها شعبة التعليم والتربية ـ تمثل النظريات والمناهج التي تلقتها من الغرب ، إن الظروف والأوضاع التي يعيش فيها العالم الإسلامي بأسره اليوم هي ظروف وأوضاع متماثلة متجانسة ، ولذلك فإن الطلبة في العالم الإسلامي جميعه يواجهون مشكلة واحدة.

الأمة الإسلامية لا البلاد الإسلامية:

والأمر الثاني الذي يجب أن لا يغيب عن بالكم كذلك هو أن ليس مرادي بالبلاد الإسلامية حدودها الإقليمية ، أو جبالها الشامخة ، أو أنهارها الجارية ، أو شلالاتها الهادرة. بل هي عبارة عن أشخاص يعيشون في حدودها. ومن المعلوم أن الإنسان دائماً عرضة للفناء ، ولكل منهم أجل مسمى ، إذن فإننا إذا أردنا أن تخلد في هذه البلاد حضارتنا وثقافتنا ، وتدوم فيها مدنيتنا ومنهاج حياتنا فلن يتحقق هذا إلا أن ننقل بأمانة ونزاهة وصدق ما توارثناه عن أسلافنا من ميراث إلى أجيالنا القادمة ، لا هذا فحسب ، بل أن نجعل أجيالنا القادمة كذلك تصلح لحمل هذه الأمانة بكل كفاءة وشعور لتتمكن هي كذلك بدورها من نقل هذه الأمانة إلى ما يعقبها من الأجيال.

حقيقة فناء الأمم وبقائها:

إنَّ الأمم التي بادت واندثرت في الدنيا حيث لم يبق لها أثر ، ما بادت واندثرت بمعنى انقطاع جنسها ، بل إنها بادت بمعنى أن كيانها القومي انهار وزال من الوجود ، ونحن إذا قلنا ـ مثلاً ـ إن الأمة البابلية هلكت أو إن الأمة الفرعونية بادت ، نريد بذلك أن الحضارة التي كان أهل بابل والفراعنة يرفعون لواءها انمحت خصائصها ، وذهبت سماتها المميزة هباء منثوراً ، أما الجيل البابلي فهو لا يزال يتناسل ويتوالد إلا أن شخصيته القومية اندثرت ، وكذلك جنس المصريين القدامى لا يزال على وجه الأرض يتناسل ويتوالد ، ولكن الحضارة التي عرفت بالحضارة الفرعونية فلا نرى

لها أثراً. لأن أجيالهم التي توالت فقدت الكفاءة التي تستطيع بها نقل ما توارثته عن أسلافها إلى أخلافها ، وقد ثبت من ذلك أن أجيال شعب من الشعوب إذا فقدت شخصيتها القومية وانصهرت في بوتقة شخصية أخرى فهذا يعني أنها قد اندثرت وفنيت ، ومما يشهد عليه التاريخ أنه غابت اثنتا عشرة قبيلة من بني إسرائيل عن الوجود ولم يعثر لها التاريخ حتى هذه الساعة على أثر ، فلا يفسر ذلك بأنها قتلت عن آخرها أو اقتلعت جذورها من الأرض إلى الأبد ، بل المراد من ذلك أنها قد مات فيها الوعي الإسرائيلي ، ولم ينتقل هذا الوعي إلى أجيالها المتعاقبة ، ثم لما اندثرت فيها الخصائص الإسرائيلية والحضارة والمدنية الإسرائيلية التي كانت تميزها عن غيرها ذابت في الشعوب الأخرى في الدنيا ، حتى لا يعلم أبناؤها اليوم بأنهم إسرائيليون ، ومن ثمَّ فالذي تتوقف عليه حياة شعب من الشعوب ويرجع إليه بقاؤه واستمراره على المعمورة هو عنايته بإعداد جيل قادم على مستوى يجعله كفؤاً للمحافظة على شخصيته القومية ، وبما أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان أريد أن أشرحه لكم بشيء من التفصيل.

واجب تحويل التراث الحضاري إلى الأجيال القادمة:

إنَّ هذه الأرض التي تعيشون عليها كان قد فتحها أسلافنا لتتمثل فيها الحضارة الإسلامية، ويطبّق فيها نظام الحياة الذي كانوا يؤمنون به، وتحكمها القوانين التي كانوا رأوها صحيحة ، ومناهج العمل التي اعتبروها صالحة ، وإن استمرار الأجيال الإسلامية يعتمد كلياً على سعي الجيل الحاضر لنقل التمدن والحضارة الإسلامية في منهجها الرباني الراشد ـ الذي توارثناه عن أسلافنا الكرام وتميزنا به عن أمم العالم أجمع ـ ننقله إلى الجيل الناشيء.

لا يمكن أن يدوم الأفراد المسلمون ، ولكنه من الممكن أن تدوم الأمة الإسلامية طوال القرون ، بشرط أن تتوفر فيها الكفاءة اللازمة في كل دور من أدوراها لنقل التراث الحضاري إلى الأجيال القادمة ، وأن تستمر عملية نقل التراث هذه على مرّ الأجيال. وأما إذا لم نقدر على إبقاء خصائص الحضارة المميزة لأمتنا ، وأصبحت أجيالنا الناشئة تصطبغ بالحضارة

الأمريكية مثلاً؛ وتفتتن بها ، وتنصاغ في قالبها بدلاً من الحضارة الإسلامية ، فإن هذه الأرض لن تبقى أرضاً إسلامية ، وإنما تتحوَّل أرضاً أمريكية عاجلاً أو آجلاً. نعم ستوجد أجيالنا على وجهها ولكن متمثلة في قالب أمريكي ، ولا يعني ذلك بقاء الحضارة الإسلامية التي لأجلها أخذت هذه الأرض ، بل يعني ذلك بقاء الحضارة الأخرى ، التي تقضي على شخصيتنا القومية ، أو بالأحرى شخصيتنا الإسلامية.

ولكم أن تتبينوا من ذلك طبيعة المسألة التي يواجهها الطلبة وتدركوا أهميتها ودَورها في التاريخ. إن هذه المسألة ليست مسألة التعليم فقط ، بل هي مسألة لها علاقة مباشرة بكيان الشخصية الإسلامية وبقائها واستمرارها. ونحن لا نستطيع أن نبقى كأمة إسلامية إلا أن يبقى النشء الجديد الذي يجتاز اليوم دور التكوين والإعداد في المعاهد التعليمية والتربوية. . . يبقى هذا النشء متمسكاً بالحضارة الإسلامية وحاملاً لواءها وداعياً إليها.

طريقتان لعملية نقل التراث الحضاري:

ولا تتحقق هذه الغاية إلا بطريقتين:

الطريقة الأولى: أن ينهض الطلبة أنفسهم لتحقيقها.

الطريقة الأخرى: أن تضع الحكومة نظاماً للتعليم والتربية يحقق هذه الغاية. وألقي الأضواء بإيجاز على هاتين الطريقتين فيما يلي:

طريقة تخص الطلبة:

إنَّ الطلبة الذين يدرسون في الجامعات والكليات يبلغون سن الرشد ، ويتمتعون بالنضوج والوعي ، ويستطيعون أن يميزوا الخبيث من الطيب ، والخير من الشر. وإن التعليم الذي يحصلون عليه بإمكانه كذلك أن يجعلهم يعرفون شخصياتهم إن أرادوا ، ويشقون الطريق إلى الأمام إن نهضوا. ومن ثمَّ فإن كل الثقل في هذا الشأن لا يكون على عاتق الحكومة وحدها ، بل على عاتق الطلبة أنفسهم كذلك. ويجب أن يكون الطلبة الشباب على شعور تام بأنهم مسلمون ، وأنهم مدعوّون لأن يعيشوا على هذه الأرض حياة إسلامية ، ويحتم ذلك أن تلتهب في نفوسهم جذوة الشوق إلى معرفة ما هو

المنهاج الذي يضمن لهم البقاء ، وما هي الخصائص البارزة المميزة للأمة الإسلامية ، أي الخصائص التي إذا تخلوا عنها ، وفقدوها ، ينهار كيان شخصية الأمة الإسلامية وتصبح خاوية على عروشها .

مبادىء الإسلام الأساسية :

إنَّ جوهر الإسلام وأساس بنائه عقيدة التوحيد ، وعقيدة الرسالة ، وعقيدة البعث ، ويجب أن يكون كل رجل من المسلمين على معرفة بهذه العقائد أو الدعائم الثلاث . ويجب أن يكون كذلك على معرفة بأن هذه العقائد إذا تسرَّب إليها الشك ، أو تغلغل إليها الضعف ، لا يمكن له أن يعيش بعد ذلك في الدنيا في ظلال الحضارة الإسلامية .

إنَّ أي شيء يدخل الشك أو الوهن على هذه العقائد والأسس الجوهرية يستأصل الحضارة الإسلامية من جذورها . إن هذه الأرض لن تبقى أرضاً إسلامية إن لم تبقَ فيها الحضارة الإسلامية . كما أن الحضارة الإسلامية في الدنيا لن تبقى أبداً إذا لم تدعمها المبادىء الثلاثة : مبدأ التوحيد ، ومبدأ الرسالة ، ومبدأ البعث بعد الموت .

ضرورة تركيز الجهود للمحافظة على هذه المبادىء :

إنَّ الذي يجب العناية به أكثر من غيره هو أن ينهض الطلبة الذين يتمتعون بالشعور الإسلامي لمقاومة كل حركة أو دعوة تدعو إلى الإلحاد والمادية ، وتعمل للتشكيك في العقائد الإسلامية وتوهن الإيمان بها . فلا يسمحون لحركة من شأنها القضاء على هذه العقائد أن ترفع رأسها وتزدهر ، وتشق طريقها إلى الأمام بينهم . يجب أن يقاوموها متخذين أية وسيلة من الوسائل الممكنة ، حرصاً على بقاء الشخصية الإسلامية في الأرض . والرجل الذي يبثّ في أذهان الناس شبهات حول هذه العقائد في الأرض الإسلامية فإنه لا يقترف جريمة الكفر فقط ، أو يقترف جريمة الارتداد فقط ، بل هو يرتكب الخيانة الكبرى في حق الأرض الإسلامية ، ويقصد استئصال شأفتها .

هذه حقيقةٌ يجب أن تسجلوها على لوح قلوبكم ، وإن كان فرَّط أحد منكم في هذا الأمر فليحذره في المستقبل . ومن هنا فلا يترك للأفكار

والمبادىء الإلحادية أن تنبت وتترعرع وتستوي على سوقها في معهد من المعاهد ، أو في كلية من الكليات ، أو في جامعة من الجامعات ، أو في مدرسة من المدارس في البلاد الإسلامية. ولا يتاح لفلسفة من الفلسفات أن تهدم دعائم الإسلام الأساسية ، وتدخل الشك على مبادىء الإسلام الأصيلة ، أن تتأصل أصولها ، وتثمر ثمارها الخبيثة ، وتنتج نتائجها المرّة.

ضرورة الاستمساك بالأخلاق الإسلامية والحضارة الإسلامية :

والأمر الثاني الهام الذي يجب أن يلتفت إليه إخواننا الطلبة الشباب هو أن يعلموا أن بقاءنا ، كما يتوقف على عقيدة الإسلام ، كذلك يتوقف على الأخلاق والقيم الإسلامية. فهناك علاقة عميقة وثيقة بين العقيدة والأخلاق ، ووجود أحدهما يستلزم وجود الآخر ، وإن العقيدة الإسلامية هي التي تطلب منا الأخلاق والقيم المخصوصة. ومما شوهد منذ فترة طويلة أن معاهدنا التعليمية تهاونت ، أو تغافلت ، في تنشئة الأخلاق الإسلامية في الطلبة. بل مما زاد الطين بلة الاعتناء بزرع بذور الثقافة التي تعارض جميع التطورات الإسلامية ، وتناوىء سائر المبادىء الإسلامية للأخلاق فيها. ولنكن على ذكرٍ أن الأخلاق والقيم التي تستطيع أن تنهض على أساسها أمة من الأمم الغربية لا نستطيع نحن أن ننهض عليها ، بل نحن لا نقدر على النهوض والتقدم والرفعة والسيادة في العالم إلا بالمبادىء الخلقية التي جاءنا بها الإسلام وهدانا الله ورسوله إليها ، ويمكن لرجل من الغرب أن يضحي بنفسه ونفيسه دفاعاً عن وطنه ، وهو يعيش راقصاً مطرباً ومدمناً للخمر ، وممارساً لجميع المنكرات والفواحش الأخلاقية. وذلك لأن الفلسفة التي تقوم على أساسها أخلاقه المادية لا تعارض هذه المنكرات والفواحش. إلاَّ أن المسلم الذي يعلم كل العلم أن هذه الأشياء قد حرَّمها الله ورسوله ، لا يمكنه أن يتبع هذا النوع من الحياة ويختار هذا الطراز من الثقافة إلا إذا أعرض عن تعاليم الإسلام الأساسية ، ونبذها وراء ظهره. إنَّ الرجل الغربي إذا اقترف هذه الموبقات فهو لا يتعارض مع ما لديه من المبادىء الخلقية والقيم الحضارية. غير أننا باقترافنا هذه الموبقات نجد أننا قد نقضنا جميع المبادىء التي تتأسس عليها أخلاقنا وقيمنا. إن المسلم إن

تناول الخمر فموقفه يختلف تماماً عما إذا تناوله الغربي. إن الأضرار التي تولدها الخمر في جسد الإنسان ونفسيته يتساوى فيها سائر الناس ولا فرق في ذلك بين المسلم والكافر. وبما أن الخمر ليست بحرام في ديانة الكافر، فإنه إذا ما تعاطاها لا يضر إلاَّ جسده ونفسيته، أما عقيدته وديانته فتظلان مصونتين. وعلى عكسٍ من ذلك حال المسلم فإنه لا يرتكب هذا السوء والحرام إلا بعد أن ينشأ في ضميره دافع التمرد على الله ورسوله، وعدم الاكتراث باليوم الذي يحاسب فيه عن مثقال ذرة من خير أو شر، ثم إنه لا يقف بعد ذلك عند حد انتهاك حرمة واحدة، بل يتجاوز ذلك ويمضي في انتهاك جميع الحرمات ونقض جميع القيود والالتزامات الخلقية، حتى يأتي عليه يوم لا يبقى في نظره أمر من أمور الإسلام يستحق التقديس والتكريم، ويتحرج من تمريغه في الوحل ودسّه في التراب.

مدى أضرار الحضارة غير الإسلامية في المجتمع الإسلامي:

ولكم أن تقدِّروا من ذلك: أن الحضارة غير الإسلامية إذا راجت في الأمة الإسلامية، فإن أضرارها وويلاتها ستكون أكثر مما إذا راجت في أمة غير مسلمة. وذلك لأن الآثار السيئة التي تتولد منها في الأمم غير الإسلامية هي من نوع الآثار التي تتولد في فرد من الأفراد، من شرب الخمر أو من اقتراف فعلٍ سيءٍ مثلاً. أما نحن المسلمين إذا أخذنا بالحضارة الفاجرة واتبعناها فإنها تعود على عقيدتنا ومبادئنا الإيمانية أيضاً بالأضرار، وتزلزل دعائمها، وتضعف أصولها في قلوبنا، وتثير في قلوبنا أسباب التمرد على الله ورسوله، وتبعثنا على الخروج عن دينه. ولا يمكن بعد نشوء هذه الأسباب أن نثبت على طاعة نظام من النظم وعلى ولائنا له في الدنيا، لأن المرجع الذي كان أحق أن نطيعه ونستسلم له قد تمردنا عليه وأعرضنا عنه. ولأجل هذا السبب نفسه إن المسلم إذا بدأ في مخالفة الأحكام الإسلامية فلا يقف عند حد مخالفة أو مخالفتين بل ينزلق في المخالفات تلو المخالفات حتى لا يبقى في ضميره أي شيء من قبيل الشعور بالمسوؤلية، ولا يبقى في نظره لقانون من القوانين أي احترام، ولا يقف انهياره الخلقي عند حد من الحدود. ولكم أن تتبيّنوا كذلك أن الرجل المسلم الذي رغم إيمانه بالله رباً

وبمحمد رسولاً وبالقرآن كتاباً ، يأتي العمل الذي يعلم أن الله قد نهاه عنه ، وأن رسوله قد ذمّه وأن القرآن عدّه من المحرمات ، ووعد مرتكبه بعذاب يوم القيامة. فأي شيء بعد هذا وذاك يستطيع أن يدفعه إلى تقديس أي من القيم الخلقية واحترامها؟ وأنّى له أن يلتزم بقانون شرعته هيئة تشريعية وهو لا يؤمن بألوهيتها وربوبيتها؟ وأنى له أن يضحي بنفسه ومصالحه الذاتية في سبيل شعب أو وطن لا يعتبره معبوداً يُعبد؟ وبما أنه يكون قد تعوّد على انتهاك حرمة أقدس شيء وهو شريعة الله ، وأصابه الداء العضال لمخالفة القانون ، والتمرد على أسمى قانون باعتبار عقيدته ، تصبح مخالفة القانون عادة من عاداته ولا يرجى منه بعد ذلك الالتزام بقانون من القوانين في ناحية من نواحي الحياة. ورجلٌ مثله لا يصلح أن يكون عضواً في أي مجتمع متحضر ، فضلاً أن يكون عضواً في مجتمع إسلامي.

جريمة الذين ينشرون الثقافات العاهرة في الشباب الإسلامي:

إنَّ الإنسان إذا فهم هذه الحقيقة الناصعة ، وأدرك أبعادها تمام الإدراك فلا بد له من أن يستشعر فداحة الجريمة التي يقترفها الناس الذين يجعلون من شبابنا في المعاهد قوماً مترفين ، وينفخون في روعهم الولوع بالرقص والطرب والمجون والاستهتار بالقيم ، ويزينون لهم الثقافة العاهرة ، ويجعلونهم صرعى الغواني ، ويولدون فيهم مرض تحطيم قيود الأخلاق الإسلامية ، فما أعظم جريمة هؤلاء الناس في حق البلاد الإسلامية ، وما أفدح خيانتهم لها! إذن ، يجب على شبابنا الطلبة أن يشعروا بنتائج هذه الأعمال. وإذا وقع مَن بيدهم أزمة الأمور في هذا الخطأ عن جهلهم وغباوتهم وحمقهم يجب على الطلبة أن يجتنبوه ويصونوا أنفسهم عن التدنس ما أمكنهم ذلك ، وعليهم أن يخلقوا في محيطهم الطلابي رأياً عاماً ووعياً شاملاً يجنبّهم الوقوع فريسة الثقافة الفاسدة الفاجرة السائدة ، ويضيق الخناق عليها. ونتساءل: لو كان نشأ في الطلبة أنفسهم شعور يدفعهم إلى معارضة هذه الثقافة العاهرة ، فأي قوة بعد ذلك تقدر أن تنفّذ الحضارة الإلحادية والثقافة الماجنة في المعاهد بوسائل القسر والإرغام؟. ومما لا جدال فيه أيضاً أنكم إذا لم تحبوا الرقص مثلاً فليس لسلطة من السلطات

أن تقهركم عليه. وإنما هناك تشويق وتدجيل من الشيطان يغري الناس على ما يغري من المنكرات ، ويفسد عليهم عاداتهم وأذواقهم وميولهم. ولكن الطلبة إذا انتبهوا بأنفسهم إلى أن هذه الثقافة العاهرة إنما هي داء وبيل يدخل في نفوسهم من الخارج ، بإمكانهم أن يحذروه ، ويتقوه ، ويقاوموا محاولات بثّه في المعاهد. وأودّ أن يبذل الجهد في خلق الوعي المقاوم لهذه المنكرات في المحيط الطلابي.

هذان أمران من الأمور التي تتعلق بالطلبة أنفسهم ، وهم إن أَخذوا بهما يستطيعون أن يقضوا على المنكرات التي تنتشر في معاهدنا التعليمية وتسبِّب الكثير من الأضرار في الأفكار والأخلاق.

هذا ، والآن أَبحث بإيجاز فيما يعود على الحكومة من الواجبات والمسؤوليات في هذا المجال.

مدى خطورة انتشار الخيانة في المجتمع:

إنَّ أَول شيء يجب على الحكومة أَن تتفكر فيه وتسبر غوره هو: ما السبب في تفاقم أَمر ما يسمى بالإنكليزية (Corruption) ويعبّر عنه في اللغة العربية: بالفساد والخيانة والتلف والرشوة. وما هي البواعث التي تعمل وراء ذلك ، وتجعل كل جهد للقضاء عليها واقتلاع جذورها يذهب سدى؟ هذه ظاهرة تعم الأمة الإسلامية في هذا العصر ، وتجعل كل نظام من نظم التشريع شيئاً لا يجدي ، لأن كل قانون يوضع لإصلاح الفساد يكاد يعطله تماماً فساد الهيئات التنفيذية نفسها ، بل إن كل التزام صادر من المشرّعين يفتح باباً جديداً من الرشوة ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل بفضل هذه الرشوة يهرِّب المهربون أغلى الأشياء إلى الخارج ، ويبيعونها للأعداء ، بل يهرِّبون الأشياء التي تكون البلاد في أشد الحاجة إليها ، كأن الرشوة تربّي أعداءنا على حسابنا. ولكم أن تتقدموا خطوة أخرى فتفكروا: إن الرجل الذي يتعاطى الغش مع أبناء وطنه مقابل مائة روبية مثلاً هل يتحرج من بيع أسرار الدولة للأعداء إذا كوفيء على ذلك بعشرة آلاف روبية مثلاً؟ فحين ينتشر في البلاد وباء الخيانة وبيع الذمم ويصاب به الآلاف من الأفراد

فيستعدون لأن يضحوا بدينهم وعقيدتهم وأمانتهم ووطنهم في سبيل المصالح الشخصية. في هذه الحالة يستطيع محترفوا الفساد من أبناء بلادنا أن يستخدموهم في تحقيق مآربهم، كما يستطيع الأعداء كذلك أن يستخدموهم ويتخذوهم أداة طيّعة لتدمير كيان الأمة.

مصدر انتشار الخيانة:

تفكَّروا قليلاً، أي شيء يعمل عمله وراء هذه الظاهرة المؤلمة؟ من الواضح البيِّن أن الذين يمارسون هذه الظاهرة المؤلمة من الخيانة والرشوة والغش وما شابهها هم ليسوا إلا جماعة المثقفين في بلادنا ومن إخواننا، وهم الذين بيدهم أزمة تسيير دفة الحكومة، لا بيد القرويين الأميين. وهؤلاء كذلك تخرجوا من معاهدنا الحاضرة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجود نقص في نظامنا للتعليم، يخرّج هذا العدد الهائل من الأفراد المصابين بداء الخيانة والرشوة.

وإذا تأمّلنا في هذا النظام علمنا أن من النقائص الأساسية فيه أن الدعائم التي تقوم عليها عقائدنا وحضارتنا وأخلاقنا بدل أن يحكمها ويثبتها فإنه يوهنها وينخر فيها: يثير حولها الشبهات، ويدفع بعض الأفراد حتى إلى إنكار هذه العقائد. وقليل أولئك الذين يخرجون من هذا النظام بصحة وسلامة بدون أن يتزعزع بناء العقيدة في قلوبهم. والذي يدعونا إلى التفكر، والأمر كما قلت، هو أنه إذا صارت عقائد أغلبية المثقفين واهية مهلهلة فأي شيء نملكه بعد ذلك لنجعلهم قائمين على المبادىء والقيم الخلقية؟ والذي لا يخاف الله ولا يتقي عذاب يوم القيامة فأي شيء يستطيع أن يردعه عن أن يتحوّل خائناً كاذباً ومتهاوناً في المسؤولية؟ إن الذي أصبح لا يدين بالولاء لما هو أبعد من ذاته أو خارج مصلحته، كيف لكم أن تقنعوه بالتضحية بمصالحه الشخصية في سبيل فضيلة من الفضائل؟ إذ لا بد للاقتناع بالتضحية بالنفس والمال من الولاء لسلطة عليا. وليس للمسلم من الولاء الأساسي إلا ولاءه لله ورسوله والملَّة الإسلامية. فإذا أضعفنا هذا الولاء في قلوب الناس وجعلناه أوهن من بيت العنكبوت، فلا بد أن تنشأ

فيهم الأثرة والأنانية ، ويصبحوا لا يتحرجون من التضحية بأغلى شيء وأثمنه وأقدسه في سبيل مصالحهم الشخصية.

قوة المبادىء الإسلامية في إصلاح الأمة:

وبمجرَّد تثبيت هذا الولاء في ضمائرهم يمكنكم أن تنشئوا فيهم ما يجعلهم قائمين بالعدل والقسط ، وثابتين على الحق والصدق ، ويجعلهم يتخلون عن كل المكاسب غير المشروعة في الدنيا بدافع من خشية الله وشعور بالمسؤولية أمام الله يوم القيامة ، ويجعلهم يتحملون بكل ارتياح أية تضحية في الدنيا مهما كانت غالية ، مدفوعين بدافع الولاءِ لله ورسوله ودينه. إن للناس الآخرين من غير المسلمين قيماً أخرى ومراجع للولاء أخرى يبنون عليها أخلاقهم. فإذا أردتم أن تنشئوا في أمتكم حب مصادر الولاء الأخرى لا بد لكم من مدة خمسين سنة لهذه العملية التحويلية أي لجعل أمتكم أُمة غير مسلمة. ولا بد لكم من خمسين سنة أخرى كذلك لجعلها أمة إفرنجية كاملة الوجوه مثلاً. وقبل هذه المدة لا تستطيعون أن تنشئوا فيها نفس الأخلاق القومية التي ترونها في الأمم الغربية ، وتفتتنون بها. أما إذا أردتم بناء هذه الأمة على الأخلاق الإسلامية فيمكنكم أن تبدأوا العمل لذلك من هذه الساعة ، وتقطفوا ثماره خلال سنوات معدودة. لأن العقائد الإسلامية المتمثلة في التوحيد والرسالة والإيمان بالآخرة إنما توارثها شبابنا المسلمون عن آبائهم ، كما أنها تجري مجرى الدم في بيئة المجتمع المسلم وفي تقاليد المسلمين القومية. وإن هذه الجذور التي تتأصل في الأرض الإسلامية من قديم إذا سقيتموها ولو بقليل من الماء أنبتت ، وأثمرت ثمارها. إن الاستعمار ما كان يعتني بحضارتنا وبأخلاقنا ، بل إنه كان يعتبر كوننا مسلمين مخلصين للإسلام متحلين بالأخلاق الإسلامية خطراً عليه. لذلك طبق في البلاد الإسلامية التي احتلها نظاماً للتعليم والتربية يمتاز بزلزلة قواعد الإيمان في قلوبنا ، ويمتاز بإثارة الشبهات حول عقائدنا الإسلامية ، ويمتاز بالاستخفاف بحضارتنا وتهوينها بل وتحقيرها في عيوننا. وكانت مطامع الاستعمار السياسية هي التي تفرض عليه أن ينحرف بنا عن الإسلام جهد طاقته. ولكننا ، إذا أخذنا بالنظام

الاستعماري للتعليم والتربية ، بعد أن تخلصنا من نير عبوديته وتولينا أمرنا بأنفسنا ، فمعناه أننا عازمون على الانتحار! .

الأساتذة المشبوهون خطر كبير على الإسلام:

وفي معاهدنا التعليمية جماعة من الأساتذة يبذرون في قلوب الطلبة بذور الشبهات حول الإسلام ، ويواصلون جهدهم في إقناعهم بأن الإسلام دين ليست له حضارة ، وليست له مدنية ، وليست له مبادىء سياسية ، وليس له نظام اقتصادي. وإذا كان ، فلا يلائم مقتضيات العصر الحاضر. والقوانين الإسلامية أكل عليها الدهر وشرب ، وأصبحت لا تصلح للعصر الحاضر المتحضر ، ولم يحقق المسلمون عبر تاريخهم عملاً بطولياً ، وكل الأبطال الذين نسمع عنهم كانوا من غير المسلمين ، وكل أئمة أنواع العلوم وألوان الفنون والآداب وأصحاب الاختراعات كانوا من غير المسلمين وأقول بصراحة: إن الأساتذة الذين يدرِّسون شبابنا هذا النوع من الدروس ، ويعبئون أذهانهم بهذا اللون من الأفكار هم خونة ، بل هم أشد الناس خيانة وعداوة للبلاد الإسلامية، لأنهم يقضون على الحضارة الإسلامية، وبالتالي يعملون على تدمير البلاد. وما أسوأ طالع الشعب الذي تنشأ أجياله على أيدي مثل هؤلاء الخونة. ومما يزيد الأمر خطورة أن هناك أقساماً عديدة في المعاهد في بعض المعاهد الإسلامية يتولاها الأساتذة الأمريكيون والمستشرقون ، ولا سيما أقسام التربية وعلم الاجتماع ، وهم لا يدّخرون جهدهم في إفساد أفكار جيلنا فيما يتعلق بالتعليم والاجتماع. أليس هذا انتحاراً؟

نقص المناهج التعليمية:

وكذلك يجب على حكومتنا أن تفكر: كيف نزيل النقائص التي توجد في نظامنا للتعليم والتربية! . أما العلوم والفنون التي تدرس في البلاد الإسلامية فهي ليست ناقصة في حد ذاتها ، والفساد كل الفساد يكمن في أن الذين دوّنوها هم لا يؤمنون بالله ورسوله. ولذلك هم دوّنوها بطريقة ينشأ بها تلقائياً في أذهان الطلبة تصور إلحادي عن الكون وما فيه. حيث هم يصوّرون الكون بأنه تكوّن بدون إرادة مدبرة ، ويسير بدون أن يسيّره أحد ،

وليس هناك من إله خلقه ودّبر أمره ونظم سيره. وكذلك فإن التصوُّر الذي وضعت عليه هذه العلوم وأُقيم عليه بناؤها هو: أن الإنسان سيد نفسه وموجِّه نفسه، ولا يفتقر إلى إله يهديه بل لا تأتيه الهداية من إله. وهذان التصوران يقتلعان أصل الحضارة الإسلامية. وعلينا أن نبدّل هذا الاتجاه في تدوين العلوم باتجاه جديد يقوم على أساس الإيمان بالله. ومما لا يختلف فيه اثنان أننا مدعوون إلى أن ندرس جميع المعارف من العلم والفلسفة والاجتماع، ومدعوون إلى أن ندرس كل فرع من فروعها ونفيد من المعلومات التي وصل إليها الإنسان في أدوار التاريخ. ولكننا إذا أردنا أن نحيا ونبقى مسلمين يجب أن لا ندرس هذه العلوم إلا بعد أن نجعلها (إسلامية). ولا شك في أن هذه العلوم في إطارها الراهن تجعلنا (غير مسلمين) في النهاية شئنا أم أبينا. هذه هي المسألة الأساسية لنظام تعليمنا الحاضر، وكلما بادرنا إلى إدراك أهميتها ومعالجتها كلما اقتربنا من الخير والسعادة.

وكثيرٌ من الناس تساورهم الحيرة والقلق إذا سمعوا هذه الفكرة، ويقولون: هل للعلوم التجريبية علاقة بالإسلام يقولون هذا مع أنهم يشاهدون بأم أعينهم ما جرى في روسيا التي تدعو إلى الفكرة السوفييتية بالنسبة للعلوم التجريبية. فقولوا لي بالله: إذا لم تكن للعلوم التجريبية علاقة بالإسلام فهل لها علاقة بالماركسية؟. لا يحب شيوعي أن يدرّس أي فرد من أفراد مجتمعه العلوم البورجوازية، والفلسفة البورجوازية، والتاريخ البورجوازي، والاقتصاد البوجوازي، بل إنه يدرس جميع هذه العلوم والآداب مصبغة بالماركسية حتى يتوفر في مجتمعه علماء اشتراكيون وأخصائيون اشتراكيون، لن يبقى المجتمع الاشتراكي قائماً على قواعده لو سمح فيه بتدريس العلوم التي دوّنت من وجهة نظر بورجوازية، بل من الطبيعي أن كل رجل يملك حضارة مخصوصة ويملك منهجاً خاصاً للحياة لا يرضى أن يعلّم نشأه الجديد علوماً وفنوناً دوّنها رجال يعارضون حضارته ومنهجه للحياة، لأن معناه القضاء على شخصيته، والذوبان في قوالب غيره.

العلوم التجريبية لها ناحيتان:

أمّا القول بأن العلوم التجريبية علوم عالمية لا تنحاز لدين من الأديان،

فهذه غلطة كبيرة ، وجهل فاحش. إن العلوم التجريبية لها ناحيتان: الأولى عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعة التي تعرَّف عليها الإنسان بعد أن اجتاز مراحل عديدة من التجربة والاختبار والمشاهدة ، وهذه الناحية لا يشك أحد في كونها عالمية ، والناحية الثانية تتمثل في العقلية التي تدوّن هذه الحقائق والمعلومات ، وتضع على أساسها النظريات ، كما تتمثل الناحية الثانية في اللغة التي تختارها هذه العقلية كأداة للتعبير عن هذه النظريات، فهذه الناحية ليست شيئاً عالمياً ، بل لكل داع من دعاة الحضارات المنوعة في العالم أسلوب يخصه وينفرد به ، وهذا أمر طبيعي ، ونحن إذا دعونا إلى التغيير في العلوم التجريبية لا نريد الناحية الأولى ، وإنما نريد الناحية الثانية فقط.

وأضربُ لكم مثلاً: من الحقائق العلمية ، أن كل شيء في العالم حينما يبرد يتقلص ما عدا الماء ، فإنه إذا أخذ في التجمّد يمتدّ ، وإذا تحوّل إلى ثلج يخف وزناً ، ولهذا السبب نفسه يطفو الثلج على سطح الماء. هذا أمر يدل عليه الواقع العلمي أو التجريبي. وهناك شخصان ، يعلّل أحدهما الظاهرة بأن الماء له هذه الخاصية ، وهذا واقعه ، والثاني يقول في تعليله: أن الله أودع في الماء هذه الخاصية بحكمته البالغة وربوبيته الشاملة لكي يستطيع أن يعيش ما في الأحواض والأنهار من مخلوقات ، وأنه لو لم يعط الماء هذه الخاصية لكان الماء كلما تجمّد رسب إلى الأسفل وانتهى به الأمر إلى تحول الأحواض والأنهار والبحار بأسرها صخوراً من الثلوج المتراكمة ، وما استطاع كائن حي أن يعيش فيها.

تفكَّروا: واقع بعينه يعبر عنه شخصان بأسلوبين مختلفين ووفق فكرتين متباينتين: كلٌّ من هذين الأسلوبين يترك في ذهن القارىء أو الطالب أثرين مختلفين: أسلوب يعبر عن الواقع ، ويثبت في الوقت نفسه في ذهن الطالب عقيدة وحدانية الله وحكمته وربوبيته ، وأسلوب آخر يعبر كذلك عن الواقع ، إلا أن الفرد لا يمكنه أن يستمد منه تصوراً للإله ، بل فوق ذلك يصور هذا الأسلوب في الفرد فكرة تقول: إن الذي يجري في هذا الكون يجري بنفسه ، لا يد فيه لحكمة الصانع الحكيم ، ولربوبية الرب القدير.

ولكم أن تعرفوا من ذلك كيف أن إحدى الطريقتين لتدريس العلوم التجريبية تعدّ العلماء الماديين ، بينما الثانية تعدّ العلماء المسلمين.

والواقع أن ليس هناك قسم من أقسام العلوم التجريبية إلا وفي إمكانه أن يرسخ في قلوب الناس الإيمان بالله رسوخاً عميقاً. خذوا من هذه الأقسام مثلاً الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم وظائف الأعضاء ، وعلم التشريح ، وعلم أسباب الحياة وأحوالها ، وعلم الفلك ، تجدونها تكشف عن الحقائق المدهشة التي فيها الكفاية ، لأن يكون الإنسان مؤمناً بالله ، صادق الإيمان ، وليس من شيء أدعى إلى الإيمان بالله من حقائق العلم. وهذه هي الآيات البيّنات التي يكرر القرآن الإشارة إليها بين حين وآخر. وبما أن العلماء الكافرين دوّنوا هذه الحقائق من وجهة نظرهم انقلب الأمر ظهراً لبطن ، فبدل أن يرجع منها الطالب بعقيدة التوحيد يصير مادياً ومنكراً لوجود الله تعالى. ويضحك من التصوُّر القائل بوجود الإله؛ ويسخر منه.

وأُريد من الحكومات المسلمة أن تكون على بيِّنة من الفروق بين هاتين الناحيتين وتحاول بلوغ سرّ القضية. لا نستطيع أن نعدَّ رجالاً يؤمنون بالله ورسوله ومعاهدنا تدرّس العلم الذي ينكر الله ، والفلسفة التي ترفض الاعتراف بوجود الإله ، والعلوم الاجتماعية التي تكفر بالخالق ، وإذا أردنا لأنفسنا حياة إسلامية فعلينا أن نبادر إلى إنشاء مؤسسة بدون ما تأخير تقوم بتبديل الترتيب التأليفي الحاضر للعلوم والفنون ، وتضع كتباً منهجية جديدة تدون فيها العلوم والآداب حسب الفكرة الإسلامية ، وما لم يتحقق هذا العمل فنحن مهدّدون في ديننا وعقيدتنا ، مهددون في بلادنا كبلاد إسلامية.

واجب الحكومات في التربية الخلقية:

والأمر الثاني الذي أرى من الواجب لفت نظر الحكومة إليه هو ضرورة العناية بالتربية الخلقية. إن هذه التربية وإن افتقرت إليها كل مؤسسة من المؤسسات التعليمية إلا أن المؤسسات التي تقوم بإعداد الموظفين الحكوميين هي أحوج إليها من غيرها. سواء أكانت هذه المؤسسات تختص بتدريب جنود الجيش ، أو تدريب الشرطة ، أو تدريب الموظفين

المدنيين ، يجب أن تدرّس في هذه المؤسسات الأخلاق الإسلامية والثقافة الإسلامية كمادة أساسية ، وأن ترسخ في أذهان المتدربين العقائد الإسلامية ، وأن يربّوا على الالتزام بالأحكام الإسلامية ، وأن تسد جميع منافذ تسرب الفسق والاستهتار إلى هذه المؤسسات. هذا هو الشيء الذي يدعم البلاد ويحكم كيانها. أما ما نحن عليه الآن فهو أننا ندرّب شرطياً ـ مثلاً ـ ونظن أنه ما دام يسمى (بعبد الله) أو (عبد الرحمن) يلزم أن يكون مسلماً. فلا ندربه إلّا من ناحية يحتاج إليها لأداء الوظيفة ، ولا نشعر بالحاجة إلى أن نعمل على جعله (شرطياً مسلماً صادق الإيمان). إن نظامنا للتدريب لا يختلف عما في الدنيا من النظم لتدريب الشرطة بل هو يحذو حذوها تماماً. ومن نتائج هذا النظام أن يتخرج الشرطي من معهد التدريب ولا يكون متحلّياً بالأخلاق الإسلامية بالقدر الذي يجعله صالحاً للقيام بمهام رجل الأمن إلّا أن يكون ممن رحم ربي. والذي يكون ـ رغم تهاوننا ـ على شيء من الأخلاق الإسلامية ، ففضل ذلك لا يرجع إلى تدريبنا ، بل إن كان متزوّداً بها من قبل ومن مصدر آخر ، فلا تشكوا بعد ذلك إذا كان رجال شرطتنا مصابين بداء الرشوة ، وتنتشر الجرائم والفضائح تحت إشرافهم ، ويزدهر التهريب في ظلّهم لأنكم ما دبرتم شيئاً يحلّي هؤلاء الرجال بمكارم الأخلاق والفضائل الإسلامية.

ضرورة التربية العسكرية على مبادىء الإسلام:

أمّا ما يتعلّق بالتربية العسكرية في البلاد الإسلامية فإنكم إذا شاهدتم في بعض المعارك من بعض الجنود والضباط العسكريين أعمالاً بطولية ، ولمستم فيهم عاطفة عارمة للجهاد المقدس ، وشوقاً متدفقاً للاستشهاد في سبيل الله ، واستعداداً مدهشاً للاستماتة ، فليس مصدر هذا النوع من التربية هو معاهد التدريب! إنما مصدر هذا النوع من التربية هو حضن الأمهات المسلمات اللواتي ألقين في روع هؤلاء المجاهدين البواسل اسم الله ورسوله في نعومة أظفارهم ، أو مصدرها المجتمع الإسلامي الذي رسمت البقية الباقية من تقاليده في قلوب هؤلاء البواسل تصور الإله ، وتصور الرسول ، وتصور الجهاد المقدس ، وتصور الشهادة في سبيل الله ، وبذرت في

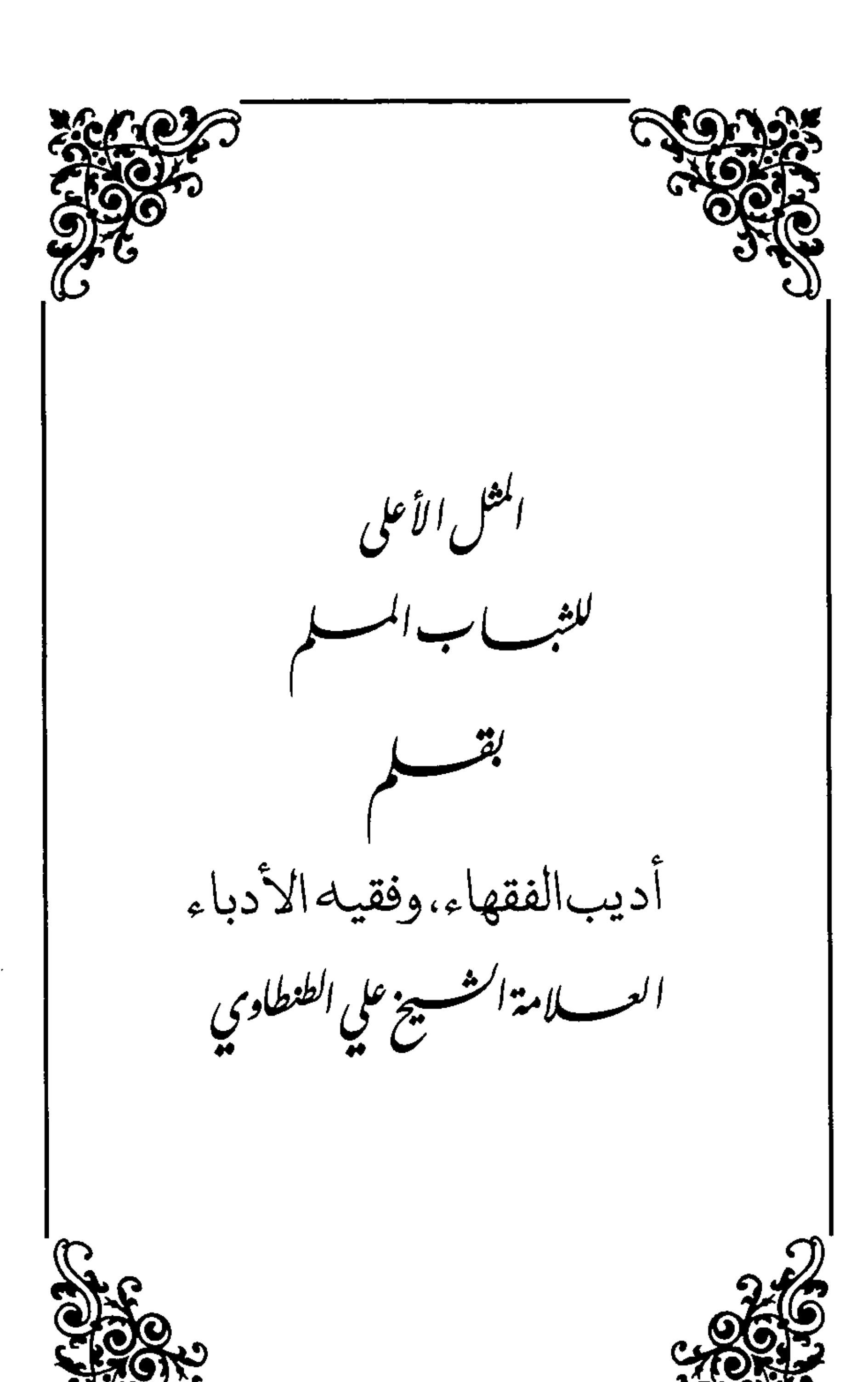
أذهانهم بذور الإسلام ، الأمر الذي يخلو منه نظامنا للتدريب .

إلاَّ أنَّنا إذا واصلنا جهودنا في إفساد المجتمع الإسلامي فإلامَ تبقى هذه التصورات الإسلامية وآثارها الطيبة؟ من المحتوم أن ينقص نصيب الأجيال القادمة من ذلك، لأن الفتيان اللائي يتخرجن من معاهدنا التعليمية في الوقت الحاضر لا نأمل أن يكون الجيل الذي سيتربى في أحضانهن متحلياً بهذه التصورات والآثار إلا في النادر ، لأن هذه التصورات والآثار لا ينطبع عليها إلا من شاهد أُمه تصلي وتصوم وتتلو القرآن ، ومن سمع منها ذكر الله ورسوله ، أما هؤلاء أمهات المستقبل فلا يجري على لسانهن إلا أسماء الممثلات السينمائيات والراقصات والغانيات، والتعليق على الأفلام الجديدة، والحديث عن الملاهي والألعاب، ويندر أن يرطب لسان إحداهن بذكر الله ورسوله. فهل الذين يترعرعون في أحضانهن ترجون منهم أن يناضلوا باسم الله ورسوله ، ويستميتوا في سبيلهما ، ويحتضنون نفس عواطف الجهاد والاستشهاد التي يحتضنها بعض شبابنا اليوم والتي تدفعهم بين حين وآخر إلى البطولات النادرة والتضحيات الرائعة. ونحن بحق إذا كنا نريد أن نعدّ شباباً يسترخصون النفس والنفيس في سبيل الإسلام ، ويقارعون الموت ، ويرحبون به في الدفاع عن البلاد الإسلامية ، وعن نظام الحياة الإسلامية ، فلا مناص لنا من أن نتفكر في تربيتهم الإسلامية على أعلى مستوى ـ بجانب تدريبهم العسكري الرفيع ـ تلك التربية التي تعمق جذور الإيمان في قلوبهم ، وتنشىء فيهم العقائد والأخلاق التي تؤهلهم للإقدام على أكبر تضحية يتصوَّرها المسلم في سبيل الله. وهذا هو الدرع الوحيد الذي يمكن أن يحمينا من عدوّنا الذي هو أكبر منا قوة أضعافاً مضاعفة ، وهو الحصن الحصين الذي يحرسنا ويمكِّننا من الحياة الكريمة في الدنيا المليئة بأعدائنا الذين يخططون لإبادتنا ومحونا من الوجود ، لا قدّر الله .

وآخر دَعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين .

* * *





المثل الأعلى للشباب المسلم

بقلم

أديب الفقهاء، وفقيه الأدباء

العلامة الشيخ علي الطنطاوي



ترجمة
العلامة علي الطنطاوي

كان عالماً ، وفقيهاً ، وأديباً ، وخطيباً ، ومحدِّثاً ، كان نسيج وحده بين الأعلام والعمالقة ، والمفكرين ، والأدباء ، قدم للأمة العربية والإسلامية خدمات لا تُنسى ، في الجهاد الوطني ، ونصرة الدين ، وإعلاء شأن الأدب ، حياته حلقات متصلة ، من الكفاح ضد المستعمر ، والدفاع عن الدين ، والفضيلة ، وخدمة اللغة والأدب ، كتب مئات المقالات ، وألَّف عدداً كبيراً من الكتب ، وألقى عشرات من المحاضرات ، في مختلف الأقطار العربية الإسلامية ، أسلوبه أحلى من السكر ، وأشهى من العسل ، يأسر القارىء ويقيِّده ويشدُّه إليه.

وُلِدَ بدمشق في العام ١٩٠٩م ، تلقى أول دُروسه في أحد كتاتيبها ، ثم غادرها إلى المدرسة الأهلية ، ومنها إلى المدرسة السلطانية ، حيث أكمل دراسته الثانوية ، ودخل بعد ذلك كلية الحقوق وفاز بإجازتها.

نشأ في بيت علمٍ وأدبٍ ، اعتاد منذ صغره أن يتناول من مكتبة والده الكبيرة ما يروق له من الكتب ، وكان يقرأ بنهمٍ شديدٍ ، ويتمتع بذاكرةٍ قويةٍ ، تحفظ كل ما يمرُّ عليها.

مارسَ التدريس في معاهد وجامعات دمشق ، ثم ولّي القضاء ، فكان قاضي دمشق ، ورئيس المحكمة الكبرى.

وكان مِن أوائل مَن عمل في حقل الدعوة الإسلامية داعيةً وخطيباً ومؤلِّفاً ، جاهد بالقلم واللسان ضد الاستعمار الفرنسي ، على منابر المساجد والنوادي والصحف وجميع وسائل الإعلام ، وأسهم بالدفاع عن

قضايا المسلمين في الشام ومصر وباكستان وأندونيسيا والجزائر وغيرها في البلدان العربية والإسلامية.

أصدر في عام ١٩٣٠ م مجلَّة شهرية باسم «البعث» فكانت أول مجلة إسلامية تصدر في سورية، وسافر إلى مصر تلبيةً لدعوة خاله العظيم الأستاذ محبّ الدين الخطيب، فعمل في مجلتيه «الزهراء» و«الفتح» وأسهم في تحريرهما، ثم عاد إلى دمشق ومارس مهنة التدريس في بغداد وموصل وبيروت.

وفي العام ١٩٦٣ لمّا تبدلت الحال والأحوال آثر العلامةُ الإقامةَ في مكة المكرمة، فتفتحت له في السعودية أبواب جديدة للنشاط الديني، فأخذ يقوم في إذاعتها برامج دينية يومية، قوبلت باستحسان وتقدير كافة طبقات المملكة، وما جاورها من دول الخليج. فبقي يخدم الدين واللغة باللسان والقلم إلى أن توفي عام ١٩٩٩ بجدة ودُفن في مكة المكرمة.

أول كتاب ظهر له يحمل اسم «الهيثميات» كان ذلك في العام ١٩٣٠ م وكان يُكنى بأبي الهيثم، وفي هذا الكتاب جمع عدداً من مقالاته وأبحاثه، وهو في عنفوان الشباب، وأصدر بعده كتابه «أبو بكر الصديق» ثم «عمر بن الخطاب» ثم «أخبار عمر» ثم كتباً لا كتاباً كلها معروفة أكثر ما تعرف لدى قراءة العربية.

* * *

المثل الأعلى للشباب المسلم[1]

كلَّما أراد الشاعر الفرنسي الأشهر بول فاليري أن يحاضر ، بدأ بتعريف مدلول الكلمات التي يتألف منها عنوان المحاضرة. وهذه هي عادة أجدادنا ، إذا أخذوا في الكلام على علم من العلوم ، أو مطلب من المطالب ، فليس عليَّ إذن من بأس ، إذا اتبعتها هذه الليلة ، فأبدأ محاضرتي بتعريف المثل الأعلى ، والكلام على صفات الشباب الأساسية ، وتلخيص القول في الإسلام.

إنَّه ليس فيكم (أيها السادة) من هو راضٍ عن حالته ، مطمئن إليها ، وليس فيكم من لا يتصوَّر حالة خيراً منها ، فإن كان عالماً فكر فيمن هو أعلم منه ، وإن كان غنياً تصوَّر من هو أغنى ، فإذا صار مثل من يتصوره من الأغنياء ، أو يفكر فيه من العلماء ، طمح إلى درجة أعلى ، ومنزلة أسمى ، لا يكاد يبلغها حتى يزهد فيها ، ويطمع فيما وراءها.

وإذا أنتم استعرضتم أعلم العلماء ، وأجمل الفتيات ، وأبهى الرياض ، وأبرع الصور ، وأفخم البنى ، لرأيتم الذهن البشري ، يتخيل على أهون سبيل ، عالماً أكبر ، وفتاة أجمل ، وروضة أبهى ، وبنية أفخم ، وصورة أبرع.. ثم يبالغ في التخيل حتى يستقر على مرتبة ، ويثبت في منزلة ، لا يرى فوقها منزلة ، فتكون هي (المثل الأعلى).

فالمثل الأعلى إذن ، هو أسمى ما يتصوره العقل البشري.. والمُثُل تتعدد بعدد الناس ، فلكلٍ مثله الأعلى في الحياة ، وعدد الأشياء فلكلٍ

---

(١) خلاصة تلك المحاضرة التي ألقاها العلامة الطنطاوي في بيروت عام ١٩٣٧ م.

صورته الكاملة ، ولكنها تجتمع كلها على افتراقها ، وتتحد على تعددها ، في أشياء ثلاثة نبّه إليها أفلاطون وأخذ بها الناس في كل عصر ومصر ، وأجمعوا على إجلالها ، واتخاذها مثلهم العليا ، وغاياتهم السامية؛ وهنَّ: الحق والخير والجمال.

هذا هو (المثل الأعلى).

أمّا الشباب . . وهل أحتاج إلى تعريف الشباب؟.

الشباب الحياة ، والحياة الشباب ، (روائح الجنة في الشباب)[1].

خَلَقٌ[2] العيش في المشيب ولو كا   ن نضيراً وفي الشباب جديده[3]

الشباب يا سادتي الواحة الفريدة في صحراء الحياة ، وهو الربيع في سنة العمر ، هو البسمة الوامضة على ثغر الزمان القاطب.

لستُ أعني هذا الشباب الغض الغريض ، الحلو الناعم ، الذي يجرح خدَّيه لمس النسيم ، ويدمي بنانه مسُّ الحرير ، والذي تَرِقُّ عنده الحياة ، حتى تسيل من العيون نظرات ساحرة مغرية ، وتدق جلائل الأعمال فيها حتى تستحيل إلى فكرة ، تطير كالفراشة بين أزهار الجمال ، في روضة الحب ، أو نسمة معطرة تهب من حواشي فتاة فتانة ، أو قبلة فيها خمر وعسل ، تجمع لذائذ الدنيا في رشفة مسكرة . .

لستُ أعني هذا الشباب الفاتن المتأنث الذي يعيش للهوى والأحلام ، ويبدأ تاريخ حياته بالحاء (ح) فلا يلبث أن ينتهي بالباء (ب).

إنّما أعني الشباب الحيَّ العامل ، القوي المتين ، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من العيش ، ونظم نفسه حلقة في سلسلة شعبه ، واتخذ له مطمحاً ، ومثلاً عالياً ، ثم عمل على بلوغه ، وسعى إليه باندفاع الصواعق

---

(١) أبو العتاهية.

(٢) والخَلَقُ: العتيق.

(٣) قاله البحتري ، كان شاعراً كبيراً يُقال لشعره «سلاسل الذهب» ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري، مات بمنبج سنة ٢٨٤ هـ.

المنقضة ، وقوة العواصف العاتية ، وثبات الطبيعة ، وألقى في سفر حياته الراء بين الحاء والباء؛ وهل الحياة إلا حرب دائمة ونضال مستمر ، وتنازع على البقاء ، وتسابق إلى العلاء.

لا يبقى غير الصالح ، ولا يصلح غير القوي... هذه هي الحقيقة الباهرة ، هذا هو القانون المقدس الذي لا يلغيه برلمان ، ولا يعبث به إنسان ، ولا يخرج عليه إنس ولا جان ولا حيوان ، لأنه من قوانين الله التي كتبها على صفحة الوجود ، يوم أخرجه من العدم ، وقال له: كن. فكان.

الجراد يأكل البعوض ، والعصفور يفترس الجراد ، والحية تصطاد العصافير ، والقنفذ يقتل الحية ، والثعلب يأكل القنفذ ، والذئب يفترس الثعلب ، والأسد يقتل الذئب ، والإنسان يصطاد الأسد ، والبعوض يميت الإنسان... هذه هي السلسلة الخالدة لا تبديل لها ولا تغيير.

إمّا أن تقتل الأسد ، وإما أن يقتلك البعوض.

فيا شباب! لا يغلبكم البعوض ، ولكن اغلبوا الأسود!

* * *

الحقُّ ثقيل ، ولكن الحق أحق أن يقال ، فأرجو ألا يغضب مَن ههنا ممن يحسبون أنفسهم شيوخاً إن خاطبت الشباب ، وقلت: إن المستقبل للشباب.

ولكن من هم الشباب؟:

يصف أندريه موروا الشباب بالرغبة الأكيدة في حياة العاطفة والحب ، وحياة الحماسة والبطولة ، أي بالمجون والاستهتار ، والميل إلى الإصلاح ، والإخلاص للمبدأ والزعيم ، والاندماج والفناء في المجموع (في الجمعية أو الحزب أو الأمة) ، وبأنهم أدنى إلى المثل العليا ، وبأن شعارهم الإقدام والتعجل والسرعة وبعض الأناة والانتظار[1].

---

(١) أندره موروا ، في كتاب (طريق السعادة) وهو مجموعة من محاضرات في السعادة والزواج والأسرة.

الشباب بهذه الصفات ، ليس الشباب بورقة النفوس وسجل الميلاد ، فكل من مات قلبه ، وانطفأت شعلة حماسته ، وضاعت مثله العليا ، وأحسَّ بأنه قد بلغ مأمله فلم يعدْ له أمل ، فهو شيخ ولو كان في العشرين من سنه . وكل من كان له قلب ، وكانت له آمال ومطامح ، وكل متحمس مندفع شابٌّ ولو شاب! .

فلا تغضبوا يا سادتي الكهول إذا قلت إن المستقبل للشباب ، ورفعت من شأن الشباب ، فإن فيكم شباباً ولو ابيضَّت لحاهم ورؤوسهم ، وانحنت ظهورهم ، وتجعدت جباههم. هم شباب العزائم والقلوب! وهؤلاء الخاملون من الشباب هم الشيوخ. لا تعجبوا يا سادتي ، فلقد كان شوقي شيخاً في مطلع شبابه يوم كان شاعر الأمير ، ثم عاد شوقي شاباً في كهولته يوم صار شاعر الآمال والآلام ، شاعر العروبة والإسلام. . .

* * *

بقي عليَّ تعريف الإسلام ، ولكن من العبث يا سادتي أن أعرِّف الإسلام ، وأنا أحاضر قوماً هم بحمد الله مسلمون ، ولا يكون مسلماً من لا يعرف ما هو الإسلام ، ولا صلة له بعلومه ، ولا اطِّلاع له على أحكامه ، ولا وقوف له على أمره ونهيه ، وعند أمره ونهيه .

إنَّ من العبث أن أقول لكم: إن ديننا إيمان وعقائد ، وإسلام وعبادات ، وإحسان وأخلاق ، وسياسة وشريعة ، وإن له في كل جانب من جوانب الحياة مصباحاً يضيء ، ومناراً يهدي. وإنه لا يفارق المسلم أبداً ، ولا يدعه لحظة. إن كان وحده ، منفرداً بنفسه كان معه الإسلام يأمره بأن يحاسب نفسه ، ويتوب من ذنبه ، ويتأمل في بديع صنع الله في نفسه وفي العالم ، ويستدل بالصنعة على الصانع ، وبالأثر على المؤثر. ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أكبر الدلائل ، وأقوى الحجج ، ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ؟﴾ أولا يتفكر هؤلاء الجاحدون ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ؟﴾. ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ

أَنفُسِهِمْ ؟ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ، ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[1] .

وإنْ كان المسلم في المجتمع كان معه الإسلام ، يبيِّن له سبيل الحكمة ، ويدله على صراط الأخلاق المستقيم ، ويأمره بأن يحسن استعمال هذه القوى التي وهبها له الله ، فلا يتبع بها ما ليس له به علم ، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [2]، ولكن يستعملها في سبيل العلم ، العلم كله حتى الفلك والجيولوجيا وعلم الأجناس ، هذه العلوم من آيات الله . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [3]، ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[4] .

ينظم الإسلام العلاقة الاجتماعية خير تنظيم ، ويبني الأمة أمتن بناء ، يبدأ بإنشاء الأسرة فيجعل لها رأساً مسؤولاً ، له حق الطاعة لينتظم الأمر ، وتتم المصلحة ، وعليه واجب العدل والعمل ، وجعل الرجل هو الرأس[5] لطبيعة تكوينه وخلقته ونوع عمله وغايته ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[6] وجعل على النساء واجباً ، ولكنه أعطاهنَّ حقاً مثله ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[7] ، ورفع من شأن التربية ، وجعل للمربين الأولين ، للوالدين ، أرفع مقام ، وجعل طاعتهما مقرونة بالتوحيد الذي هو رأس الدين وبيت قصيده ودعامة بيته .

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٨ ـ ٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الروم ، الآية : ٢٢ .

(٤) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

(٥) ومن آيات الله في ملكوته أن الرأس لا يكون إلا مذكراً في اللغة وفي الحياة ، ولكن أكثر الناس غفلوا عن الآيات فأنَّثوه فقالوا بأقلامهم في صحفهم : هذه الرأس ، وقالوا بأفعالهم في بيوتهم : هي الرأس .

(٦) سورة النساء ، الآية : ٣٤ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨ .

قال عزّ من قائل: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(١) ووضَع خير القواعد وأحكمها للزواج والطلاق والإرث.

وينظم الإسلام أمور الأمة، ويقيمها على أساس من الفضيلة والعدل. ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾(٢).

ويشرع لها القوانين الثابتة المحكمة في معاملاتها، والقواعد الأخلاقية السامية في علاقاتها الخاصة.

ويدعو إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والدليل الواضح والبرهان القاطع، لا بالإرهاب ولا بالترغيب. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾(٣) ودعا المخالفين إلى المحاجَّة والمناظرة، وإقامة الأدلة ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾(٤) ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾(٥). وعاب الإسلام التقليد والجمود واتباع الآباء والأجداد، وإهمال العقل، ودفع الناس إلى التفكير، وإقامة البراهين العقلية والأدلة اليقينة، أي أنه دعا منذ (١٤٠٠) سنة إلى الطريقة العلمية التي يفخر بها علماء اليوم ويظنونها من ابتكارهم وأثراً من آثار حضارتهم. قال تعالى يذم أهل الجمود وينعي عليهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٦).

إنكم تعرفون هذا كله أيها السادة لأنكم مسلمون، وإن من العيب أن ألقيه عليكم فما جئت لأعرِّف الإسلام ولا أردت تعريفه. ولكن أحببت أن أوجه أبصاركم إلى مسألتين مهمتين:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١١١.
(٥) سورة النمل، الآية: ٦٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

أما المسألة الأولى: فهي أن ديناً يضع للعقل قواعد التفكير، ويشرع للعلم طريق البحث، وينظم حياة الفرد وحياة الأسرة، ويكون هو القانون المدني والجزائي، والقانون الدولي، والأخلاق والفلسفة؛ إن ديناً هذا شأنه، لا يصح أن يعدَّ مع الأديان التي لا تتجاوز أحكامها عتبات معابدها، ولا يجوز أن نطلق عليه ما يطلقونه عليها من أحكام.

فإذا قبلنا بمبدأ فصل الدين عن السياسة مثلاً، فلا يصح أن نستنتج منه وجوب فصل الإسلام عن السياسة، لأن الإسلام ليس ديناً فقط، ولكنه دين وسياسة، هل تستطيعون يا سادتي أن تحذفوا سورة براءة مثلاً من القرآن لأنها سياسة...؟.

وإنْ قبلنا مبدأ استقلال العلم عن الدين، لأن الدين لا يستند إلى البحث العلمي، ولا إلى العقل، فلا يصح أن نسحب هذا الحكم على الإسلام، لأن الإسلام ليس ديناً وسياسة فقط. ولكنه دين وسياسة ومنطق وعلم...

هذه يا سادتي حقيقة ظاهرة ظهور الشمس، ولكن أكثر شبابنا لا يرونها، خفيت عنهم، وغربت هذه الشمس من أفق تفكيرهم، فتخبَّطوا في ظلام لَيْلٍ أَلْيَلَ، فلذلك ترونهم يأخذون كل ما يقوله الإفرنج عن دينهم فيطبقونه على الإسلام، على الاختلاف بينهما، والتباين بين طبيعتيهما...

ولعلَّ من هذا الباب تسمية العلماء برجال الدين، وإنها لتسمية باطلة، فَشَتْ على الألسنة، وعمَّ بلاؤها. ونسي المسلمون أنهم كلهم رجال الدين، دين الإسلام، دين المساواة والسمو والعمل، ليس فيه طبقات مميزات من طبقات، وليس أحد أحق به من أحد، وليس فيه جماعة هم وكلاء الله، يحلون ويحرمون، وهم أصحابه الأدنون وأهلوه الأقربون، وغيرهم الأبعدون، ولكن المسلمين كلهم (أبناء النبي وعترته والفارسيين والصينيين، وكل من قال لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله...) لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى والعلم والقيمة الشخصية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ

﴿أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى»[2] . . . «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً»[3].

فلا تقولوا للعلماء رجال الدين، ولا تحملوهم وحدهم واجبات الدين، فإن رجال الدين هم المسلمين كافة. ليس عندنا إلا العلم والتقوى، فمن كان عالماً عظَّمناه وسألناه، ومن كان تقياً أحببناه وأجللْناه، ومن أخطأ وحرَّف رددناه أو ردعناه، كائناً من كان ذلك المخطىء وذلك الناقد. ليس الناقد بأقل من تلك العجوز، وليس المنقود بأجلَّ من عمر!.

هذه المسألة الأولى.

أما المسألة الثانية: التي أحب أن أوجه إليها أنظاركم، فهي أن الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوربا هو الذي ينظم علاقة الإنسان بالله، وبما خلق الله من المخلوقات المغيبات وراء المادة وبالعالم الآخر، فلا علاقة له بالحياة السياسية ولا الأوضاع الاجتماعية، ولا بالقوانين والنظم، ولا يصح أن تبنى عليه الجامعة القومية.

هذا ما يقرِّره العلماء الذين بحثوا في هذه الجامعة وطبيعتها وقيمتها، وفي مقدمتهم (رينان) في محاضرته المشهورة التي ألقاها في الصربون سنة ١٨٨٢. وهذا صحيح في الأديان ولكنه ليس بصحيح في الإسلام، لأن الإسلام ذاته قومية، ورابطة اجتماعية معنوية، ليست قائمة على لغة ولا على أرض. ولكن على ما مثل ما يسميه (أرنست رينان) بالإرادة المشتركة ويجعله أساس الرابطة الوطنية.

فليس وطن المسلم مكة ولا المدينة وحدهما ولا البلد الذي ولد فيه،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي نصرة، (٢٢٣٩١).
(٣) حديث مرفوع، أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، رقم الحديث (٢٥٤٨)، وفي المناقب (٣٢٦٤)، وفي تفسير القرآن (٤٣٩٨)، ومسلم في الإيمان (٣٠٣).

ولكن وطن المسلم المبادىء الإسلامية ، فحيثما وجدت هذه المبادىء ، وحيثما كان أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فثمَّ وطن المسلم.

وعندي أن هذه الرابطة الإسلامية رابطة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] معجزة من أعظم معجزات الإسلام ، لأنه أقر منذ أربعة عشر قرناً المبدأ الذي اهتدى إليه العقل البشري سنة ١٨٨٢ م ، وسار منذ أربعة عشر قرناً في الاتّجاه الذي يسير فيه العالم اليوم. ولقد سقط اليوم مبدأ القوميات الذي دعا إليه الرئيس (وِلْسُنْ) بعد الحرب، ونهضت المبادىء الفكرية الاقتصادية، فانقسم العالم كما ترون إلى جبهات ثلاث: الديمقراطية والشيوعية والفاشية[2]. وكما أن الشيوعي الفرنسي أخو الشيوعي الروسي ولو تناءت الديار وتباينت اللغات واختلفت الأجناس فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان وكيفما كان.

لقد انتهينا من تعريف المثل الأعلى والشباب والإسلام ، فلنشرع في الموضوع:

قلتُ إن أندريه موروا وصف الشباب بصفتين أساسيتين: هما الحب والبطولة ، أما الحب فهو عماد الحياة وركنها وأساسها ، لا معدى عنه ، ولا منجى منه. وأحسب أن الشباب الحاضرين ، بل وكثيراً من الشيوخ يصفرون لي وينزلونني عن المنبر ، إذا أنا قلت لهم: «لا تحبُّوا» وكيف أقولها؟ أجننت حتى أقولها؟ أنا لا أقول: حطّموا القلوب ، ودوسوا العاطفة. وماذا يبقى لنا إذا خسرنا العاطفة؟.

لقد خسر إدوار عرش بريطانيا العظمى ، ولكنه ربح العاطفة فلم يخسر شيئاً. لقد أنسته عينا مدام سمبسون مُلْكَ إنكلترا ، فهل كان ينسيه هذا الملك الضخم ، وهذا التاج المرصع ، عيني سمبسون لو أنه هجرها[3]؟.

---

(١) سورة الحجرات ، الآية: ١٠.

(٢) ذهبت الفاشية وستتبعها الأخريان. أقول الآن: وقد تبعتها الأخرى والثالثة على الطريق.

(٣) سلوه الآن لتروا كيف يعضُّ أصبع الندامة ، على أن باع مجد العمر بلذة ساعة. وترك واقعاً ملموساً لوهم ، وحقيقة قائمة لحلم!.

العاطفة هي التي تدير دولاب حياتنا ، وتسيِّر أمورنا كلها ، أما العقل فلا يصنع وحده شيئاً. ومن يذكر منكم أنه مشى خطوة واحدة برأي العقل وحده؟.

العقل يا سادتي فيلسوف أعمى ، حكيم مقعد ، ينادي بصوت خافت ضعيف. . . أما العاطفة فهي القوة ، هي النشاط ، هي الحياة.

أنا لا أقول: اقتلوا العاطفة، لأن في موتها موتنا، ولكن أقول إن العاطفة تضيق حتى لا تشمل إلا شخصاً واحداً ، وتنحط حتى تنزل من قلب هذا الشخص إلى ما تحت القلب ، إلى ما تحت. . . السرَّة! وتسمو حتى تحيط بالمثل الإنسانية العالية، وتعمُّ حتى تشمل الأمة كلها، بل الإنسانية جمعاء.

فاسموا بعواطفكم عن مواطن شهواتكم ، واخرجوا بها من ذواتكم ، وقِفُوها على أمتكم وبلادكم.

أحبوا ، فإن الذي لا يحب لا يكون إنساناً ، واذكروا واحلموا وتأملوا. . . ولكن افهموا الحب بمعناه الواسع الذي يشمل كل ما هو حق وخيِّر وجميل. . . لا المعنى الضيق العقيم ، الذي لا يتجاوز حدود جسم امرأة.

أحبوا ، ولكن ابقوا مسلمين.

إنَّ للمسلم قلباً ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ[1] أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ[2]﴾ ، ولكن المسلمين يغضُّون عيونهم وقلوبهم وفروجهم ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[3].

أحبوا ، ولكن ابقوا رجالاً.

إنَّ الرجل إذا أحب لم يبكِ ويتذلل ويأرق الليل ، ولم يلق شفتيه على

---

(١) مهما كان معنى القلب هنا.

(٢) سورة ق ، الآية: ٣٧.

(٣) سورة المؤمنون ، الآية: ٦ ـ ٧.

قدمي المرأة ، كما كان يفعل لامارتين ، ولكنه يقوم قائماً على مشط رجله ، ثم يقول لها ، بعينيه النافذتين ، وعضلاته الحجرية ، وإرادته الماضية ، ورجولته البادية : «تعالي!».

أحبوا ، ولكن ابقوا أفراداً من هذه المجموعة البشرية التي هي الأمة ، لا يقطعكم الحب منها ، ويُعِدْكم إلى الحياة الفردية الوحشية ، فتنكروا كل شيء ، وتنسوا الدنيا ، وتتجاهلوا الحياة إلا إذا أشرقت عليها نظرة المرأة ، وأضاءت في أرجائها كلمة منها.

ولا تقيموا الدنيا وتقعدوها ، وتغرقوا الأرض بالدموع لأن الحبيبة المحترمة لم تمنح قبلة وعدت بها ، ولم تصل وقد لوَّحت بالوصل ، تنظمون الأشعار في هذه الكارثة ، وتنشئون فيها الفصول ، تبكون وتستبكون ، ثم تنامون آمنين مطمئنين ، والنار من حولكم تأكل البلاد والعباد.

الشعر شعور ، فأي شعور وأي حس فيمن يرى أمة كريمة مجيدة بقضِّها وقضيضها ، ومفاخرها وتاريخها وحياتها وأمجادها تطرد من ديارها وتخرج من بيتها ـ وهي أمته ، وأفرادها إخوته ـ لتعطى مساكنها إلى أمة من أسقط الأمم : أمة ضربت عليها الذلة والمسكنة وباءت بغضب من الله ، وغضب من الناس ومن الحق والفضيلة والتاريخ ، ويرى صدورها مفتحة للرصاص ، وشيوخها مسوقين إلى حبال المشانق ، وشبابها في شعاف الجبال وبطون الأودية يدفعون الظلم بالدم ، وأطفالها ونساءها بين لِصَّين : لص ديار ، ولص أعراض ، لص يحارب بالذهب ، ولص يقاتل بالبارود ، ثم لا يحس بهذا كله ، ولا يدري به ، ولا يفكر فيه لماذا؟ لأن الشاعر المسكين مصاب متألم.

ما له؟ ما مصابه؟ إن حبيبته لم تعطه خدها ليقبله. إن العاطفة إذا بلغت هذا المبلغ كانت جريمة.

* * *

وما دُمنا في حديث الحب فلنوفِ الحديث حقَّه.

إنَّ لي تعريفاً قديماً للحب، هو أنه المُرْقِد (البنج) الذي وضعه الله لتمام عملية التناسل التي لا بد منها لبقاء النوع البشري، والتي لا يصبر الإنسان على احتمال قذارتها وآلامها لولا هذا المخدر، فأول الحب إذاً ووسطه وآخره الاجتماع الجنسي والسلام.

أمَّا الحب العذري الأفلاطوني العفيف، فليس إلا إحدى الأكاذيب الجميلة، التي لا يصدق بها عاقل.

مِن أجل ذلك يشك العقلاء في عفاف المرأة المحبوبة، وينظر المسلمون إلى الحب (إلاّ لمن تحل له) نظر الريبة.

إنِّي لألحظ في وجوهكم معنى الاستنكار والاعتراض، وأرى فيها بوادر الثورة.

لا يا سادتي.. أنا لا أنتقد الحب، ولا أشك في جماله، ولكن أسألكم وأرجو أن تجيبوني بإنصاف: من هو الذي يسمح فيكم أن أحب زوجته أو أخته؟

لا تغضبوا يا سادتي.. فما أردت إلا التمثيل فجاء المثل غليظاً نابياً وإني ليسرني أن تستهجنوه، لأن هذا دليل على أنكم للحقيقة أشد استهجاناً.

فلنعلن إذاً أن هذا الحب المعروف اليوم، مما يأباه الإسلام ويتنافى مع المثل الأعلى للشابِّ المسلم، ولكن ماذا يصنع الشباب؟.

الجواب: يتزوجون.

نعم يتزوَّجون.

إنَّ حياة العزب حياة خطرة على نفسه وعلى المجتمع.

إنه صندوق (ديناميت) يوشك أن ينفجر في كل لحظة فيدمِّر سعادة أسرة من الأسر، وينقض دعامة من دعائم الوطن. إن حياة العزب حياة فارغة من كل شيء لأنها فارغة من الزوجة ولو امتلأت بكثير من النساء (غير الزوجات).

إنَّ أفكار العزب ، مهما اختلفت مناحيها وتعددت ، متوجهة إلى وجهة واحدة ، تسعى إليها بشدة وعنف كما تسعى السيول من كل جهة إلى قعر الوادي ، إنه لا يجتمع عزبان إلا نظما مؤامرة على الأخلاق والعفاف .

وإنَّ قسطاً كبيراً من ثقل التبعة يقع على عاتق الآباء ، فهل فيكم أب مسلم له بنات يكون قدوة طيبة للآباء المسلمين الطيبين ، فيفتش عن شاب صالح جاد فيزوجه بما يستطيع من المهر والنفقات : بخمسين ليرة سورية[1] بثلاثين ، لم لا؟ أهي تجارة؟ أتريد زوجاً لبنتك صالحاً تسعد به ويسعد بها ، وينشئان أسرة شريفة مستورة أم تريد ذهباً تبيع به ابنتك؟ .

هذا دواء هذا المرض العضال .

هذا حلُّ المشكلة . فإذا لم تحلوها اليوم لا تنحل أبداً ، إذا لم تداووا المرض يموت المريض .

فيا وجهاء هذا البلد ، الوجاهة بالعمل النافع ، وبالتقوى والإصلاح ، لا بالمال ولا بالفخفخة الفارغة ، ولا بالعظمة الجوفاء ولا بالمراتب العالية ، فاعملوا أو فتنحَّوا عن أماكنكم لمن يعمل! .

وإنَّ من الحماقة التي ليس وراءها حماقة أن تبنى الأسرة الثابتة على عاطفة متبدلة متحولة .

ومن الحماقة أن يبنى الزواج على الحب .

من ذا الذي يبني داره على كثيب من الملح في طريق السيل؟

الحبُّ فراشة حلوة ، فيها أجمل الألوان ولكنها لا تعيش إلا يوماً واحداً .

الحبُّ زهرة فوَّاحة ليس لها في الروض مثيل ، ولكنها تذبل عند أول لمسة .

مِن رأيي في الحب أنه لا يكون إلا إذا كان أمل ، وكان مع الأمل

---

(١) كانت الخمسون ليرة يومئذ تعدل في الصرف عشر ليرات ذهبية وكان كيلو الخبز بثلاثة قروش! والليرة مئة قرش .

حرمان ، كالكهرباء لا تضيء المصباح إلا إذا التقى فيها القطبان المختلفان. أنت تحب المرأة لأنك لا تقدر عليها ، فتسبغ عليها من خيالك ثوباً تراها فيه أجمل الناس ، فإذا قدرت عليها ، وخلعت هذا الثوب عنها ، عادت امرأة كسائر النساء.

انظروا إلى الزوجين الحبيبين في شهر العسل ، وقد ذهبا يسيحان ينعمان بالخلوة الحلوة ، في أجمل البقاع ، أو أكبر المدن ، تحسبوا أن السعادة قد جمعت لهما من أطرافها ، ولكن اقتربوا منهما تروا أنها لا تمر إلا أيام حتى لا يجدا ما يتحدثان به ، إلا حديث الأيام الأولى ، يوم كان أمل وكان حرمان ، ثم تمضي الليالي ، وتبلى جدَّة هذا الحديث ، فلا يبقى بينهما كلام.

وماذا في لغة الحب ، غير (أحبُّكِ) و(أحبُّكَ)؟.

ردِّدوها مئة مرة فإنكم تنامون.

فلنُعلِن إذاً أن بناء الزواج على الحب وحده لا يرضاه الإسلام ، لأنه لا يرضاه العقل. فهل نعود إذاً إلى طريقتنا الأولى: تخطب لي عمتي أو خالتي ، وتنتقي لي الزوجة على رأيها ، وأنزل أنا على حكمها ، وأعلق مستقبلي بها ، وأُمضي العقد وأمشي إلى حفلة العرس ، وأنا لا أعرف ما لون عين العروس وما شكل أنفها؟.

هذه طريقةٌ سقيمةٌ عقيمةٌ ، فماذا نصنع إذاً؟.

ما هي الطريقة المثلى؟.

هي يا سادتي طريقة الإسلام. إن الإسلام منح الخاطب (بعد أن يتم الرضى عنه ، ويرجح جانب قبوله صهراً) أن يرى وجه المرأة وكفَّيها ، أن يجلس معها (بحضور وليِّها) هذه هي سنّة الدين ، ولكن الآباء جاهلون ، يأبون أن يرى الخاطب الصالح وجه الفتاة ، ثم يخرجونها إلى الأسواق متبرجة متهتكة ، يرى أكثر من وجهها وكفيها الفاسق الخبيث ، وكل من كان في الطريق ، حتى الحمار!.

إنّنا تركنا قواعد الإسلام ، فتركنا الفلاح والنجاح.

هذه هي القصة الأولى للشباب ، وهذا هو المثل الأعلى فيها.

تزوَّجْ ثم أحب زوجتك ، وأوْلِها قلبك ، وامنحها عاطفتك.

أمَّا الصفة الثانية فهي البطولة ، وحظ الشباب المسلمين فيها أوفى من حظوظ شباب الأمم ، وعلى الشباب المسلمين واجب ضخم ، ذلك أن المصلحين كانوا يتلفتون قبل عشرين عاماً ، فلا يرون حولهم إلا ظلاماً لا تسطع في ثناياه بارقة أمل ، ونوماً (أو قُلْ موتاً) لا ترى في خلاله أمارة حياة ، وخيبة مستمرة في السياسة والعلم والعمل ، ثم انجلت الحرب العامة عن جسم واحد ، حاول الأقوياء الغالبون أن يخالفوا فيه سنَّة الله ونواميسه في كونه ، فيجعلوا الرأس يحيا وحده ، واليدين تعيشان وتفكران على استقلال ، والقلب يصبح إنساناً برجلين ، فقرروا أن تكون هذه الحكومات الكثيرات المضحكات في بلد مجموع سكانه أقل من نصف سكان لندن[١] ، فكأنهم جربوا ألا يكون الواحد ربع الأربعة ، بل يكون كل واحد أربعة كاملة!.

كان المصلح يرى ذلك ولا يرى إلى جانبه ما يبعث في النفس أملاً أو يحيي فيها رجاء ، فكان يتشاءم ويقنط ، ولكن الزمان يا سادتي قد تحول وختمت يد القدرة المجلَّد الثاني من تاريخ الأمة الإسلامية ، ذاك الذي سجلت فيه عصر الانحطاط والتأخر ، وافتتحت اليوم المجلد الثالث من التاريخ لتسجل فيه عهد البعث[٢] والتقدم. إن المصائب التي اشتدَّت وآلمت ، وتتالت وتعاقبت ، قد نبهت وأيقظت ، وحذَّرت وأنذرت ، فأفاقت شعوب هذا الشرق الإسلامي مذعورة تفتش عن طريق الحياة ، وتبحث عن سبيل العمل ، وظهرت بوادر يقظة قوية ، ونهضة شاملة ، ولكن (يا سادتي) ينقصنا الإيمان بهذه الحقيقة الواقعة؛ فليكن اجتماعنا هذا

---

(١) كان في سورية الطبيعية عقب الحرب العامة سبع دول: دولة دمشق ودولة حلب ودولة العلويين ودولة جبل الدروز ودولة لبنان ودولة فلسطين ودولة شرقي الأردن.

(٢) وضعت كلمة البعث ترجمة لكلمة (Renaissance) ومعناها الحرفي (الولادة من جديد) وأنشأت سنة ١٩٣٠ مجلة رسمية صدر منها خمسة أعداد.

تبشيراً بها ودعوة إليها. يجب أن نؤمن بهذه النهضة إيماننا بوجود أنفسنا ، ويجب ألا يبقى فينا متشائم.

لقد نهضنا ، ولكن القافلة تجتاز اليوم أشد مرحلة من الطريق ، وأخطر مفازة في هذه البادية. كانت القافلة تسير نائمة يقودها أدلاء جهلوا الطريق ، وحادوا بها عن المحجَّة ، وتنكَّبوا بها الصراط المستقيم ، فلما سمعت صوت القدر على لسان أولئك الأعلام: الأفغاني ، ومحمد عبده ، والقاسمي ، والشيخ طاهر ، والآلوسي ، وسعد ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، والرافعي وأمثالهم؛ أفاق منها من أفاق ، فنهض وفتح عينيه من لم ينهض ، وقال كلٌّ كلمته ، فوقعت المعركة بين الداعين المصلحين والأدلاء الجاهلين ، وانقسم الناس بينهم أقساماً ، فكانت بلبلة ، وكانت جلبة ، وكان اضطراب ، ولكن القافلة تمشي.. تمشي على الطريق لأنها أفاقت ، ومن أفاق وانتبه لا يتبع دليلاً جاهلاً.

إنَّ هذه النَّبتة على قوتها مختفية بين مئات الأعشاب الجافة التي بقيت من الموسم الماضي ، إنها ستشق طريقها من بينها وتحيا من دونها ، لأن النبتة الجديدة أمُّ المستقبل: نصيبها الغد ، وتلك الأعشاب بنت الماضي فستذهب مع الأمس إلى غير ما رجعة. إن صوت النهضة الجديدة ، صوت الحق ، ضائعٌ في الصيحات التي تدوي اليوم في الأسماع صدى للأصوات الماضية لا يلبث أن يخفت ، لأن الصدى ينتهي ، أما الصوت فإنه يبدأ.

* * *

هذه النهضة واضحة ، فآمنوا بها يا شباب ، وانظروا إلى الحياة من ناحية الأمل المشرق الواسع لا من جهة اليأس الضيق القاتم.

إنَّ شبابنا متشائمون: اقرؤوا قصائد الشعراء من الشباب ، إنها مليئة بالآلام ، مغمورة بالكآبة ، غارقة بالدموع. اسمعوا موسيقا الشباب؛ كلها بكاء ، كلها نحيب: (يا لوعتي يا شقايا ، ضاع الأمل من هوايا...) فما لشعرائنا وموسيقيينا الشباب لا يرون في الدنيا لذة ولا سروراً؟.

لِمَ يبصرون ظلام الليل ولا يرون بهاء الشمس؟ .

لِمَ يفكرون في وحشة الخريف ولا يفكرون في روعته؟ .

لِمَ ينتبهون إلى عُري الشتاء ولا ينتبهون إلى خشوعه؟ .

إنَّ كلَّ ما في الدنيا جميلٌ بهي ولكن في عين الشاب الصحيح القوي.

أما المريض ، أما المسلول المحطوم ، فلا يرى إلا الظلام.

فيا شبابنا داووا نفوسكم من سلِّ اليأس.

* * *

لقد استدارَ الزمان كيوم ظهر الإسلام ، واحتضرت الحضارة وكادت تأتي عليها مادية الغرب ، فتذهب بها كما ذهب بالحضارة الأولى تَفَسُّخ الحكومتين الكبيرتين فارس والروم.

إنَّ العالم اليوم بين حجري الرحى التي تطحن المدنيَّة ، وتتركها هباء منثوراً كما تكهَّن وِلزْ.

العالم بين مادية الغرب وحياته الحديدية الآلية وروحية الشرق الأقصى وفناء الهنود فيما وراء المادة ، ولا سبيل إلى النجاة إلا بالنهج السوي نهج الإسلام.

فيا شباب المسلمين تجردوا لأداء الواجب ، وإسماع العالم صوت الإسلام.

إنَّ هذا الدور الذي تجتازه اليوم أمم الشرقِ الإسلامي ، يشبه دور البعث «الرونِساس» في أوربا ، وعلى الشباب أكبر الوجائب في هذا الدور.

على الشباب واجب علمي هو أن يبعثوا المكتبة العربية القديمة بحلل جديدة ، وأساليب مستحدثة.

إنَّ في هذه الكتب الصفراء علماً جماً ، ولكنه مطمور تحت أنقاض الأسلوب الماضي. في كتب الفقه مثلاً ما يستنبط منه القانون الأساسي والقانون الجزائي، والقانون المدني، والقانون الإداري ، وقانون أصول المحاكمات ،

ولكن هذه الكتب موضوعة على طريقة لا نسيغها اليوم، ولا نألفها ولا تصلح لنا ولا نصلح لها ، وإن كانت تصلح كل الصلاح في عهد من ألَّفوها، فيجب على الشباب أن ينقطع منهم فئة إلى دراسة هذه الكتب وتفهمها ، ومعرفة ما فيها ، واستخلاص موادِّها العلمية ، وعرضها بشكل جديد.

إنَّ الأساليب (يا سادتي) أزياء ، وقد تبدل الزي اليوم ، فليأخذ الخياط الماهر هذا الثوب القديم ، وليصنع من قماشه ثوباً جديداً ، على ألاَّ يضيع منه خيطاً واحداً.

إنَّ من العار أيها السادة أن تترقى أساليب التأليف في كل العلوم ونبقى نحن ، في علومنا ، على ما كنا عليه.

إنَّ الذين كتبوا هذه الشروح وهذه الحواشي وهذه التقارير عظماء أجلاء ، لأنهم أنتجوا شيئاً وعرضوه على أحسن شكل يألفه عصرهم ، وليس عليهم ذنب ، ولكن الذنب علينا ، نحن الذين لا يؤلِّفون ، ولا يشتغلون ، ولا ينتجون ، وإنما يعيشون عالة على أجدادهم كهذا النبات الطفيلي الضعيف الذي يتمسك بأقدام النخلة الباسقة.

❊ ❊ ❊

وإنَّ على الشباب واجباً اجتماعياً هو أن يدرسوا الإسلام ، ويكشفوا عن رأيه في هذه المعضلة الاجتماعية.

إنَّ العالم سيضيع بين الاشتراكيين والماليين الفرديين ، ولا طريق إلى النجاة إلا الطريق الأوسط الذي يهبط عن خيالات الشيوعيين وأحلامهم التي لا تتحقق أبداً ، ويترفع عن أفق الماليين الذين يستعبدون الناس بأموالهم ، ويسخرون المجموع لمصلحة الفرد.

وإنِّي على يقين أن للإسلام القول الفصل في هذا الباب ، ولكن أحداً من العلماء لم يكلف نفسه عناء البحث عن رأي الإسلام الاجتماعي[١].

---

(١) كان ذلك يوم ألقيت المحاضرة من أكثر من نصف قرن ، وقد ظهرت اليوم بحوث وكتب جزى الله مؤلِّفيها خيراً ، ونفع بها. (العلامة الطنطاوي).

وإنَّ على الشباب المسلمين واجباً أخلاقياً ، هو إنقاذ العالم المتردِّي في مهاوي الرذيلة التائه في مهامه الظلام.

ارفعوا منار الإسلام ، وانشروا مكارم الأخلاق التي بُعث نبيكم ﷺ لإتمامها.

أليس من العجيب يا سادتي أن يُسأل النبي ﷺ عن المؤمن: هل يَسرق؟ فيجيب باحتمال ذلك ، وإن كان نادراً ، فإذا سئل: هل يكذب المؤمن؟ قال: لا. أليس من العجيب أن يجعل النبي ﷺ الكذب ثلث النفاق ، وإخلاف الوعد الثلث الثاني ، ثم يكون في المسلمين اليوم من يكذب ويخلف المواعيد؟.

أليس عجيباً أن يأخذ الإفرنج غير المسلمين أخلاقنا ، فتكون لهم عادة وطبعاً ، ويضيع المسلمون أخلاقهم؟.

أليس عجيباً أن يقول الله في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ، ثم يكون في المؤمنين من هو ذليل في نفسه. مضيع لكرامته؟.

فيا شباب المسلمين تخلَّقوا بأخلاق الإسلام وانشروها بين الناس وأنقذوا بها العالم.

الخلاصة

أتحِبُّون بعد هذا أن ألخّص لكم المثل الأعلى للشابِّ المسلم؟.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] بالله وعلموا أنه الأول والآخر ، وأنه المريد القادر ، وأيقنوا أن كل شيء بإرادته ، لا شريك له في ملكه ، ولا شفيع عنده إلا بإذنه ولا يعلم الغيب إلا هو ، فلم يغفلوا

(١) سورة المنافقون ، الآية: ٨.
(٢) سورة العصر ، الآية: ١ ـ ٣.

عنه ، ولم يعبدوا غيره ، ولم يقدِّسوا سواه ، ولم ينتظروا النفع والضر إلا منه ، وعلموا أن له جنداً لا نراهم وملائكة وجنّاً ، وعوالم لا نبصرها ، وآخرة وجنَّة وناراً ، وسموات وعرشاً . . . وأنه بعث أنبياء وأنزل كتباً ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[1] فأدّوا حق الله عليهم من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وتقربوا إليه بالنوافل والأعمال الحسنة ، وأدوا حق الناس فلم يتعدوا على أحد في ماله ولا عرضه ولا جسمه ، وأدوا حق أهليهم ووالديهم ومن له فضل عليهم ، وأدوا حق الأمة بالسعي في نجاحها وتقوية روابطها ، وضمان مصالحها ، والعمل على كل ما يرفع شأنها ، ويعلي مقامها بين الأمم من علم أو صناعة أو زراعة ، أو وعظ وإرشاد ، أو تعليم وتهذيب .

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾[2] أوصوا به نفوسهم ، ووصوا به غيرهم ، وتحروه في أمورهم ، فكان الحق إمامهم ، ودليلهم ، ورفيقهم ، وقائدهم ، ولم يكونوا من أنصار الباطل أبداً ، فلا يقبلون من المبادىء والعلوم والفنون إلا ما هو حق لا باطل فيه .

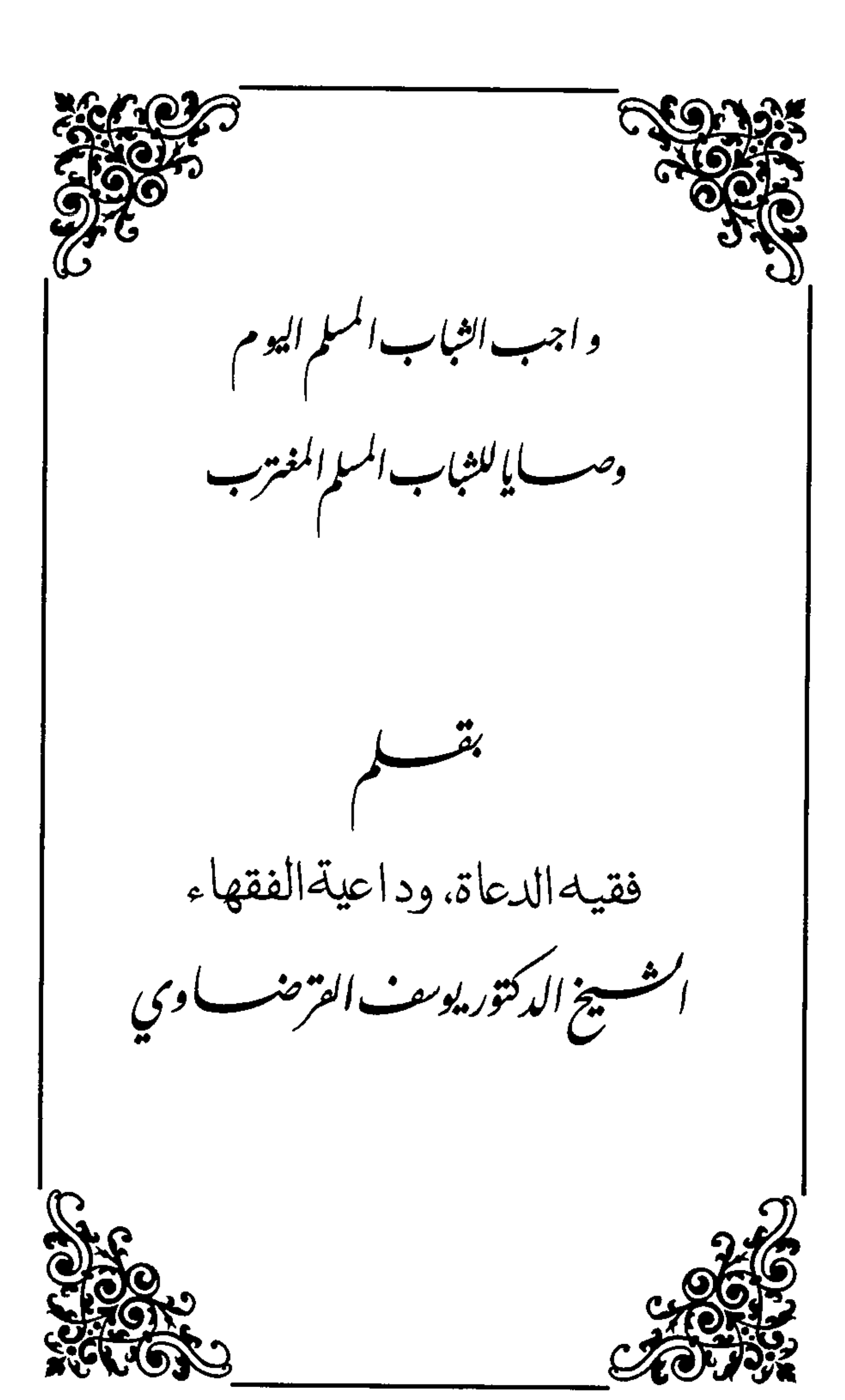
﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[3] على أداء الواجب وعلى التواصي بالحق ، واجتناب الباطل والابتعاد عن الرذائل مع منازعة النفس إليها ، وإقبالها عليها[4] .

هذا هو المثل الأعلى للشابِّ المسلم : إيمان كامل لا شرك فيه ، وتصديق بكل ما جاء من عند الله ، وعبادات منزهة عن البدعة ، وعمل صالح ينفع الفرد والمجموع ودعوة إلى الحق وتمسك به ، وصبر على تحقيق هذا المنهج ، وأداء هذه الواجبات .

* * *

---

(١) سورة العصر ، الآية : ٤ .
(٢) سورة العصر ، الآية : ٥ .
(٣) سورة العصر ، الآية : ٦ .
(٤) لي تفسير لسورة العصر بعد هذه المحاضرة فتح الله عليّ فيه بما لم أسبق إليه . (العلامة الطنطاوي) .



واجب الشباب المسلم اليوم

وصايا للشباب المسلم المغترب

بقلم

فقيه الدعاة، وداعية الفقهاء

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي



ترجمة
الشيخ يوسف القرضاوي

أحدُ كبار العلماء المربين المخلصين لعملهم في عصرنا الحاضر، يعترف بمكانته المرموقة في العلم، والأدب، والدعوة كلُّ من له اطِّلاع على ما يجري في العالم الإسلامي من نشاطات علمية ودعوية إسلامية.

وُلِدَ عام ١٩٢٦ م، وحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره، وأكمل دراسته في معاهد جامعة الأزهر حتى حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٣ م، وكان موضوع رسالته عن «الزكاة وأثرها في حل المشكلات الاجتماعية» التي اشتهرت بعد بـ «فقه الزكاة» وهي الآن أصبحت أهمّ مرجعٍ في هذا الموضوع.

ولقد أثرى العلاَّمةُ المكتبة الإسلامية المعاصرة بمؤلفاته، وبحوثه العلمية، والفكرية الإسلامية القيمة، ابتداءً من كتابه العظيم الآنف الذكر إلى كتابه الأخير، وله نشاطات متواصلة في مجالات التربية والتوعية، وفي منابر التعليم والدعوة ممّا يعود على الأمة الإسلامية بخير عظيم، وقد أوجد في شباب الأمة الإسلامية فهماً أوسع وأدق للفكر والدين، وأدَّى دوراً مشكوراً في إصلاح المجتمع.

يسير العلاَّمة بالطريق الوسط في مجال العمل الإسلامي، فقد جمع بين الفهم الصحيح للدين الإسلامي، والفهم الدقيق للأوضاع التي يمرُّ بها العالم الإسلامي، لقد قام بالعمل على منهجٍ جامعٍ بين القديم والجديد، وهو خير منهج في الظروف الراهنة، حيث غلبت الحضارة الغربية على الأوساط

الشرقية ، وصبغت أهل الدراسة والعلم في جامعاتها بصبغتها الخاصة في الوقت الذي تقاصرت فيه الكفاءات والهمم في مراكز العلوم الإسلامية.

وقد تولَّى العلامةُ التدريس في كلية الشريعة بجامعة قطر حتى وصل إلى عمادتها، وشارك في معظم المؤتمرات والندوات والملتقيات الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي، نسأل الله تعالى أن يمدَّ في عمره ، وينفع به وبآثار.

ومن أشهر مؤلفاته:

١ ـ الحلال والحرام في الإسلام.

٢ ـ فقه الزكاة.

٣ ـ كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟

٤ ـ كيف نتعامل مع السنة النبوية؟

٥ ـ فتاوى معاصرة (٣ مجلدات).

٦ ـ مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.

٧ ـ ثقافة الداعية.

٨ ـ العبادة في الإسلام.

٩ ـ الخصائص العامة للإسلام.

١٠ ـ الحياة الربانية والعلم.

١١ ـ التوكُّل.

١٢ ـ التوبة إلى الله.

١٣ ـ الرسول والعلم.

١٤ ـ الوقت في حياة المسلم.

١٥ ـ الصحوة الإسلامية بين التطرف والجحود.

وإليك الآن ما كتبه العلامة في هذا الموضوع:

واجب الشباب المسلم اليوم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾[1] .

اللهم يا معلِّم آدم وإبراهيم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، نحمدك اللهم على كل حال ، ونعوذ بك من حال أهل النار .

حديثنا عن واجب الشباب المسلم اليوم ما هو؟

هناك شباب ، وشباب مسلم ، وواجب عليه ، وواجب موقوت بزمن معين هو زمننا هذا . . عصرنا هذا .

من هو المسلم؟

المسلم هو إنسان عين الوجود ، هو صاحب الرسالة الخالدة ، وارث النبوات التي آلت إليه ، وتركات الأنبياء التي تمثلت في الإسلام ديناً ومنهج حياة ، فكل مافي الأديان كلها قد ركز ولخص في هذا الدين الذي امتن الله بإتمامه على عباده حينما قال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] .

المسلم هو الذي يحمل هذه الرسالة ، رسالة محمد ﷺ ، ورسالة القرآن ، رسالة الخلود .

---

(١) سورة طه ، الآية : ٢٥ ـ ٢٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

الشباب مرحلة القوة:

الشباب يمثل مرحلة القوة والحيوية الدافقة؛ لأنه وسط العمر ووسط كل شيء خياره.

فحينما تكون الشمس في كبد السماء في رابعة النهار، تكون أقوى وأحر ما تكون.

الشباب إذن مرحلة الفتوة والحيوية في عمر الإنسان وفي حياته، ومن هنا كانت أهمية هذه المرحلة.

مرحلة العطاء والبذل والقدرة على تحمل الأعباء، ولذلك كان حملة الدعوات وحماة الرسالات شباباً.

الشباب حملة الرسالات:

حدَّثنا الله سبحانه وتعالى عن أصحاب موسى عليه السلام فقال: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾[1]، وحدثنا القرآن عن أهل الكهف فقال: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[2].

حدثنا عن إبراهيم، الذي حطم الأصنام، وجعلها جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، فقال على لسان عبّاد هذه الأصنام: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾[3]، أي: أنه كان في سن الفتوة والشباب.

نماذج رائعة للشباب

وحدَّثنا القرآن عن كثير من الشباب ضربوا أمثلة شتى في الفضائل:

إسماعيل الذبيح:

حدَّثنا عن إسماعيل الذي ضحى بنفسه وقدم عنقه لله طائعاً مختاراً، بعد

---

(١) سورة يونس، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٠.

أن بلغ مع أبيه السعي ، وعرض عليه أبوه الذبح: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾[1] لم يقل افعل بي ما تؤمر ، بل قال: افعل ما تؤمر. أي أنه لم يذكر نفسه ، بل فنيَ عن نفسه وفنيَ عن ذاته: كأنه يقول لأبيه: نفذ الأوامر التي عندك ولا تسألني!!: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

يوسف الصديق:

حدَّثنا القرآن عن شاب آخر. . . هو يوسف عليه السلام.

عُرضت عليه الشهوة ، المتعة الجنسية سعت إليه ولم يسع هو إليها! وكانت كل العوامل تجعله يقبل مثل هذا ، لو كان ضعيف الإيمان.

فهو شابٌّ عنده فتوة الشباب وجماله وعنفوانه. . وهو شاب غريب عن وطنه ليس هناك من يعرفه ، وليس هناك من يلومه. . وهو عزب ، ليس عنده زوجة تعفه ، ويستغني بها. . والتي تدعوه ليست امرأة من عرض الطريق، إنماهي امرأة ذات منصب وجمال، فهي امرأة العزيز، وهي سيدته وهو مملوكها ، وهو في بيتها. . . ولم تكن فتنة عارضة ولا لحظة طارئة ، ولكنها فتنة تراوحه وتغاديه ، وتصاحبه وتماسيه. . وهي التي دعته إلى نفسها، ولم تكتفي بالتلميح حتى دخلت في باب التصريح، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾ ولكن يوسف عليه السلام رفض ذلك كله بإباء وشمم، وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

ولمّا لم يُجْدِ مع يوسف الإغراء ، لجأت إلى التهديد وقالت: أمام النسوة ما قالت متوعدة مهددة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الصافات ، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الصافات ، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة يوسف ، الآية: ٢٤.
(٤) سورة يوسف ، الآية: ٣٢ ـ ٣٣.

كان يوسف عليه السلام مخيّراً بين محنتين: محنة في دينه، ومحنة في دنياه. محنة في دينه: أن يزنى ويكون من الفاسقين، ومحنة في دنياه: أن يسجن ويكون من الصاغرين، فآثر محنة الدنيا على محنة الدين وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ... ﴾ وقد علمنا النبي ﷺ أن نقول: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا**»(١).

فهؤلاء هم الشباب وهذا هو وضع الشباب.

الشباب دائماً هم عنصر القوة، وهم دائماً الذين يقومون بأعباء النهضات والرسالات، وقد كان أصحاب النبي ﷺ شباباً، أكبر صحابي من المعروفين هو أبو بكر... كانت سنُّه يوم إسلامه ثمانية وثلاثين عاماً... وكان عمر أصغر منه بعشر سنوات... وعليّ كان دون العاشرة يوم أسلم وغيرهم كثير. كانوا في العقد الثاني من عمرهم ١٢، ١٣، ١٤، ١٥ رضي الله عنهم أجمعين.

ولذا كان على الشباب المسلم عبء كبير، وعليه واجب ضخم نحو نفسه، ونحو دينه ونحو أمته وخاصة في هذا العصر، واجبه أن يكتشف ذاته، أن يعرف نفسه ويكتشف من هو؟ وما هو؟

واجبات أربعة على الشباب المسلم

هناك واجبات أربعة محددة في عنق الشباب المسلم في هذا العصر، سيكون حديثنا في إطارها.

١ ـ واجب الفهم الصحيح للإسلام:

ما هو أول واجب على الشباب المسلم من هذه الواجبات الأربع؟

إن الواجب الأول عليه أن يفهم الإسلام. ذلك أن العلم يسبق العمل.

---

(١) حديث حسن؛ أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما، كما في صحيح الجامع الصغير، وزيادته (١٢٦٨).

على الشباب المسلم أن يفهم الإسلام حق الفهم ، أن يتفقه في دينه لابد من الفهم الصحيح للإسلام ، الناس ظلموا الإسلام فأدخلوا فيه ما ليس منه ، وأخرجوا منه ما هو من صلب تعاليمه.

في عصر من العصور كان الناس يضيفون إلى الإسلام ما ليس منه، أشياء غريبة دخلت على الإسلام وليست من الإسلام ، فشوهت جماله وكدرت صفاءه ، وانتشرت البدع ، وأصبح الناس يقبلون في الإسلام أشياء ما أنزل الله بها من سلطان باسم «البدعة الحسنة» وتحت عنوان زيادة الخير خير!!

والنبي ﷺ حذر من أي زيادة على الدين؛ لأن كل ما يقبل الزيادة يقبل النقص ، والكامل لا يقبل زيادة ولا نقصاً ، والله أكمل هذا الدين فلا يقبل زيادة من أحد ، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

والذي يريد أن يزيد في الدين كأنه يستدرك على الله عز وجل ، ويزعم أن الدين ناقص وهو يريد أن يكمله.

ولذلك حذر النبي ﷺ فقال: «**إيَّاكم ومحدثات الأمور ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة**»[2]. «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[3]. فالابتداع في الدين مرفوض ، الإسلام فرض الابتداع في أمور الدنيا ، والاتباع في أمور الدين والوقوف عند الحدود.

ولكن لما ساءت أحوال المسلمين وجاءت عصور التخلف والانحطاط والاضطراب قلبوا الوضع.. فبدل أن يخترعوا في أمور الدنيا اخترعوا في

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ٣.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، برقم (٢٦٧٦) ، وابن ماجه في المقدمة (٤٢) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح ، باب: إذا اصطلحوا على صُلح جورٍ فالصُّلح مردود ، برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم في كتاب الأقضية ، باب نفض الأحكام الباطلة ، وردّ محدثات الأمور ، برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أمر الدين ، وجمدوا في أمور الدنيا ، وأصبحت حياتهم كالماء الراكد الآسن!!

وفي أمور الدين مخترعات ومبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولذلك نريد من الشباب المسلم أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً سليماً يرده إلى فطرته وصفائه الأول ، إلى ينابيعه الأصلية.

فإذا كانت العصور السابقة كانوا يريدون أن يزيدوا على الإسلام في معتقداته وفي معاملاته وفي أشياء كثيرة منه.

فعصرنا هذا يريد أن ينقص من الإسلام ويخرج من الإسلام أشياء كثيرة هي من تعاليمه وأحكامه.

يريدونه إسلاماً بلا جهاد.. إسلاماً بلا حدود ، فلا داعي لرجم الزاني أو جلد شارب الخمر... الخ.

يريدون إسلاماً بلا طلاق ولا تعدد زوجات.. إسلاماً بلا دولة ولا حكم، الدولة شيء والدين شيء آخر ، أي ما يسمى العلمانية ـ عزل الدين عن الدولة أو الدولة عن الدين ـ حيث تكون دولة لا دين لها أو دين لا دولة له.

هذه كلُّها من محاولات إخراج أشياء من تعاليم الإسلام أو من صلبه ، ولكن نحن نرفض هذا كله لا زيادة ولا نقص.

نريد أن تقع الأشياء في مواضعها ، نقدم ما حقه التقديم ونؤخر ما حقه التأخير؛ لأن تعاليم الإسلام ليست في درجة واحدة.. هناك العقائد وهي أسس الإسلام.

ثم الفرائض التي هي بمثابة أركان الإسلام: «**بُني الإسلامُ على خمس...**»[1] وهي أيضاً متفاوتة ، فالصلاة عماد الدين ، والزكاة قنطرة الإسلام.. ثم الواجبات الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم إيمانكم... برقم (٨) ، وفي موضع آخر ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ، برقم (١٦) ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

هناك واجبات عينية وواجبات كفائية مثل فرض العين وفرض الكفاية ، ثم تأتى السنن ومنها سنن مؤكدة ومرغَّب فيها أشد الترغيب ، وهناك مستحبات يثاب فاعلها ولا يعاقب من تركها ، فالمفروضات في الدين ليست في درجة واحدة. . . كذلك المنهيات في الدين ليست في درجة واحدة.

هناك الشرك وينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر. وهناك المحرمات منها الكبائر والصغائر.

فمنزلة الكبائر غير منزلة الصغائر.

الصغائر تكفرها الصلوات الخمس كما جاء في حديث الإمام مسلم: **«الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفِّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»**[1].

أما الكبائر فلا تكفرها إلا التوبة ورد المظالم إلى أهلها.

هناك الشبهات مثل الأشياء المختلف في حِلِّها أو حرمتها ، حيث هناك من يحلها وهناك من يحرمها ، وهي ليست كالحرام الصريح المتفق عليه.

هناك المكروهات:

المكروه التحريمي والمكروه التنزيهي.

المكروه التحريمي هو ما كان إلى الحرام أقرب.

والمكروه التنزيهي ما كان إلى الحلال أقرب.

ينبغي أن نضع الأشياء في مراتبها ، نقدم ما حقه التقديم ، ونؤخر ما حقه التأخير ، بحيث لا ننصب معركة على مكروه تنزيهي ، أو أمر مشتبه في حرمته ، أو مختلف فيه بين العلماء.

ولهذا يجب تقدير الأولويات والأشياء الأساسية في الدين.

تأسيس العقائد على التوحيد شيء هام.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس. . . برقم (٢٣٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إقامة الفرائض أمر لا تهاون فيه بحال.

الكبائر يجب مقاومتها بكل ما نستطيع.

نحن نريد حينما نتفقه في الإسلام ونفهم الدين، أن نعرف مراتب التعاليم الإسلامية لأنفسنا ولغيرنا.

لأنَّ صاحب الدعوة يجب أن يعرف هذه الدرجات وتفاوتها جيداً فلا يضيع حياته في معركة جزئية.

ولأنَّ المعركة الآن أصبحت معركة الإيمان والإلحاد قبل كل شيء.

فما ينبغي أن نعلمه جيدا في فهم الإسلام: أن نأخذ الإسلام من ينابيعه الصافية، نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله، نعود إلى فهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان، خير القرون، فقد كان فهمهم للإسلام نقياً، فهما لروح الإسلام وسلوكهم من أجل الإسلام أرقى وأوثق. ينبغي أن نحرص على أن نأخذ من المدرسة الأولى قبل أن تدخل الشوائب على الإسلام وتكدره وتعكر صفوه.

ولاشكَّ أن هناك أشياء شابت الثقافة الإسلامية - إسرائيليات، روايات ضعيفة، أحاديث موضوعة، شطحات وغلوات، وانحرافات في الفكر - جاءت من نتائج اختلاط المسلمين بغيرهم من الملل والنحل والأمم وتأثرهم بهم بحكم الطبيعة البشرية، لابد أن نعرف هذا كله ونأخذ من المحققين من علماء الإسلام. على أنه ينبغي أن نعلم ما قاله الإمام مالك، وقد روي مثله عن عطاء وابن عباس رضي الله عنهم: أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ.

على الشباب المسلم أن يفقه إسلامه فقهاً جيداً، ولكن ليس معنى هذا أننا نريد من طالب الطب أو الهندسة... أن يترك الدراسة العلمية، ويتفرغ للقراءة في كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول..

ليس هذا مطلوباً من كل إنسان.. ولكن لابد من التخصص، وكل ميسر لما خلق له.

وقد قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1].

هناك نوع من التفقه هو فرض كفاية.. وهو التبحر والتعمّق، بحيث يعلِّم الآخرين، ويصبح مرجعاً يفتي ويفقِّه ويعلِّم.

وهناك معرفة مطلوبة من كل مسلم في أمور الدين لتوضح له الغاية، وتنير له الطريق. وهنا ينبغي للإنسان قدر معين، ليفقه به دينه، يحرر به عقيدته، ويصحح به عبادته، وينظم به سلوكه، ويقف به عند حدود الله في حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وينظم حياته ووقته، بحيث يكون عنده أرضية سليمة صلبة لفهم الإسلام من ينابيعه الصافية، بعيداً عن غلو الغالين، وتقصير المقصرين، فما ضيعنا شيءٌ مثل الإفراط والتفريط...

نحن نريد للشاب المسلم العامل للإسلام أن يتفوق في دراسته، وأن يكون نموذجاً متميزاً من المتفوقين، حتى يعرف الناس أن التدين ليس عائقاً عن الدراسة، وهذا أمر ينبغي أن يقيمه بين الواجبات بعضها وبعض بحيث لا يطغى واجب على واجب.

الدراسة واجب والتفوق فيها لازم لصاحب الدعوة، كما يجب أن نتعلم من الدين ما يلزمنا من ضروريات الوقت والحياة.

فمثلاً أحكام الصلاة والطهارة لابد للشاب من تعلمها كي تصح صلاته، وكذلك الأحكام الأساسية للصيام.

وإذا أراد مثلاً أن يحج ينبغي أن يقرأ رسالة في أحكام الحج، ليعرف بها الأركان والواجبات حتى تصح بها حجته... ولكن ليس مطلوباً من كل إنسان ومن كل مسلم أن يتفقه في الحج ويتعمق فيه، ولكن حينما يريد الشاب أن يحج يقرأ رسالة في أحكام الحج.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

حينما تريد أن تعتمر . . . اقرأ رسالة في أحكام العمرة .

حينما تكون صاحب مال اعرف ما يخصك من أحكام الزكاة .

إذا كنتَ تاجراً فاعرف أحكام التجارة ، وما يتعلق بأساسيات البيع والشراء والصرف والسلم والربا ونحوها مما يحتاج إليه كل مشتغل بالتجارة . . .

الأشياء التي تتعرض لها في حياتك اليومية ينبغي أن تعرفها . . . مما يؤكل ، ومما يلبس ، ومما يسمع ، ومما يشرب ، ومما يشاهد . . . إلخ .

تعرف هذا حتى لا تقع في الحرام وأنت لا تدري ، أو تنكر على غيرك أشياء وتصرفات هي في دائرة الحلال وأنت لا تعرف ، أو تعتقد المكروه حراماً أو الصغيرة كبيرة أو العكس .

هذا الفهم لابد منه لأن الإسلام دين يقوم على البصيرة ، وليس فيه مثل مافي الأديان الأخرى :

اعتقد وأنت أعمى!! أو : أغمض عينيك ثم اتبعني!! أو الجهالة أم التقوى!!

ولكن الإسلام يقول : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[1] فكل من اتبع رسول الله ﷺ فهو خليفة له ، يدعو إلى الله على بصيرة ، وعلى نور .

ويقول : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾[2] ، ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ ﴾[3] ، ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾[4] .

نور الفطرة والعقل ، ونور الوحي والنبوة : نور على نور!!

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ١٤ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٢٢ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

الإسلام لا يقبل أن يمشي الإنسان في الظلام ، أو يفكر برأس غيره ، أو يمشي وراء كاهن أو رجل مشعوذ.

بل يريد المسلم الذي يعرف الإسلام عن بينة ، ويتفقه فيه على بصيرة ، ومن حقه أن يسأل عن الدليل في كل أمر يرتاب فيه حتى يطمئن قلبه.

يعرف الحكم بدليله ، والعلم هو معرفة الحق بالدليل.

واجب على الشاب المسلم أن يفهم ذلك ، وبخاصة أنه قد مرت فترات على المسلمين جهلوا فيها الإسلام أو جُهِّلوا فيها بالإسلام.

المدارس كانت تجهِّل الناس بالإسلام ، لا تعطيهم إلا قشورا ، وقشورا مشوهة. الشاب يدخل المدرسة ويخرج منها ، فيعرف عن تاريخ أوربا أكثر مما يعرف عن تاريخ الإسلام ، ويعرف عن نابليون أكثر مما يعرف عن محمد ﷺ ، ويعرف عن الثورة الفرنسية أكثر مما يعرف عن الدعوة الإسلامية.

لا يعرف عن السيرة النبوية إلا صفحات مبتورة.

ولا يعرف عن الصحابة سوى الفتن وقتال بعضهم لبعض.

ولكن لا يعرف ما هي الرسالة المحمدية ، ما هي جوانب العظمة في الشخصية المحمدية ، ماذا قدم الرسول ﷺ للعالم؟ وما خصائص هذا الجيل الذي رباه وسماته؟ وبماذا تميز عن من بعده من الأجيال؟. ما هي الحضارة الإسلامية المتكاملة: الربانية الإنسانية العالمية الأخلاقية التي صنعها الإسلام ، حين كان الغرب لا يرى الضوء إلا من سم الخياط..؟.. إلخ.

ومِن هنا يجب أن يفهم الإسلام حتى نستطيع أن نرد عنه الشبهات ، نفهمه أولاً لأنفسنا ، حتى نسير على بينة ، وثانياً حتى نستطيع أن نُفهّمه لغيرنا ، وأن نرد عنه شبهات الضالين ، الذين يلبسون الحق بالباطل ، وأكاذيب المفترين الذين يزوِّرون على الإسلام ما ليس من الإسلام ، وينسبون إلى رسول الإسلام ما ليس من سيرته ، وإلى أمة الإسلام ما ليس فيها.

نحن في حاجة إلى أن يكون لدينا هذه المعرفة الواعية الناضجة عن ديننا ورسولنا وقرآننا وشريعتنا وتاريخنا وأمتنا وتراثنا ، حتى نستطيع أن نحق الحق ، ونبطل الباطل ، ولو كره المجرمون.

حيث لا ينبغي أن نقف موقف الدفاع فقط ، بل ينبغي أن نعرف الإسلام ، لنواجه به الخصوم ونقف موقف المهاجم لا موقف المدافع.

فما ينبغي لنا أن نظل في موقف الدفاع لنرد على الشبهات والمفتريات والأباطيل التي يروجها الأفاكون والدجالون من المستشرقين والمبشرين والماركسيين والملحدين والمأجورين من هنا وهناك.

يجب أن نكشف نحن عوار هؤلاء ، ونبين ضلال ما عندهم ، وهداية ما عندنا ، وتفاهة ما عندهم ، وعظمة ما عندنا: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾[1].

ولذلك ينبغي أن ندعو غيرنا إلى ديننا ، والدعوة يجب أن تكون على فهم؛ لأن الداعي يجب أن يدعو على بصيرة ، ولهذا ينبغي لنا أن نقرأ؛ لأننا أمة القراءة ، أول آية وأول كلمة نزلت: ﴿ٱقْرَأْ﴾ وكررت مرتين قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2].

أمّة القراءة كتابها اسمه القرآن. هذه الأمة للأسف لا تقرأ ، كان المسلمون في الزمن الماضي يقرؤون ويقرؤون حتى كان أحدهم يقرأ وهو على فراش الموت ويقول: أخشى أن يمر عليّ يوم لا أقرأ فيه؛ كان الواحد منهم كبير السن ويطلب العلم ويقال له: إلى متى تطلب العلم ، فيقول: إلى أن أموت. ومن الكلمات المأثورة: «**اطلب العلم من المهد إلى اللحد**»[3].

---

(١) سورة فاطر ، ١٩ ـ ٢٠.

(٢) سورة العلق ، ١ ـ ٥.

(٣) حديث موضوع ، كما قال العلاّمة الشيخ عبد الفتاح أبو غده ـ رحمه الله ـ في كتابه «قيمة الزمن عند العلماء» صفحة (٢٣).

وقيل لبعضهم أيحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إذا كان الخطأ يقبح منه فإن التعلم يحسن به.

وللأسف ابتلينا بعصور لم تعد تعرف القراءة، ولا تعشق الكتاب، ولذلك ينبغي أن نقاوم نحن هذا الاتجاه، ونعود الأمة اتجاهاً جديداً، أن تقرأ وأن تبذل جهداً في القراءة، بدل أن تبذل الجهد والوقت في أشياء تافهة قاتلة للوقت من غير فائدة.

كان سلفنا يقولون: إنَّ العلم لا يعطيك بعضه، حتى تعطيه كلَّك: كل جهدك، كل وقتك، كل أنفاسك ليعيطك العلم بعض حقائقه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [1]، ولكن هل هذا وحده يكفي؟ أيكفي أن نفهم ونتفقه ونتعلم وقد انتهى كل شيء؟

هل يريد الإسلام منا أن نصبح فلاسفة فقط، وأن تكون كل صلتنا به مجرد معرفة ذهنية؟ الجواب: لا.

٢ ـ واجب العمل بالإسلام:

أجل لا يكتفي الإسلام من المسلم بمجرد المعرفة الذهنية أن يقرأ ويتفقه ويمتلىء رأسه علماً، ثم لا شيء بعد ذلك.

لا... الإسلام يريد العلم الذي يثمر العمل، لا العلم الذي يثمر الكلام والجدل، يريد المعرفة الموصولة بالقلب، التي تحرك القلب والإرادة التي قال الله عز وجل في أصحابها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [2] المعرفة المورثة للخشية من الله سبحانه وتعالى، وقد استعاذ النبيﷺ من العلم الذي لا ينفع صاحبه حيث قال: «**اللهم إنِّي أعوذ بك من علم لا ينفَعُ، ومن قلبٍ لا يخشع، وَمِنْ نَفْسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**» [3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في الأدعية، برقم (٢٧٢٢)، والترمذي=

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستعيذ بالله من المنافق العليم! قيل له: يا أمير المؤمنين أيكون منافقاً وعليماً؟! قال: نعم عالم اللسان جاهل القلب!.

وفي الأثر: «**العِلم علمان، عِلم في القلب فذلك العِلم النَّافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم**»[1].

إن الله ضرب أسوأ مثلين في القرآن لمن لا يعمل بعلمه: مثل الحمار ومثل الكلب.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وهذا لمَن لم ينتفع بعلمه.

الإنسان المسلم يتعلم الصلاة ويصلي، ويتعلم الخشوع ويخشع، ويتعلم الزكاة ويزكي، ويتفقه في الحلال والحرام فيبتعد عن الحرام، ويتحرى الحلال.

هذا هو العلم النافع، وبعد أن يتفقه في دينه ويصبح نموذجاً لما تعلمه

= في أبواب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات... برقم (٣٤٨٢)، وغيرهما من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(١) حديث ضعيف، أخرجه الدارمي في «السنن» في المقدمة، باب التوبيخ. لمن يطلب العلم لغير الله، برقم (٣٧٠)، وابن أبي شيبة في المصَّنف (٧/ ٨٢) برقم (٣٤٣١)، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٣٤٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٣٤٣) (١/ ٣٤٣)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» صفحة (٢٥٥).

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ ـ ١٧٦.

ينظر الناس إليه ، فيقولون: انظروا ما أجمل تعاليم الإسلام ، ما أجمل آداب الإسلام ، ما أعظم أخلاق الإسلام! لقد رأوها مجسدة في سيرة وسلوك ، هكذا انتشر الإسلام في العالم ، لم ينتشر بخطب ومقالات إنما انتشر بالعمل والأخلاق والسلوك.

لم يكن للإسلام مبشرون محترفون ، كما نرى في الأديان الأخرى.

إنَّ كثيراً ممن نشروا الإسلام كانوا أناساً عاديين جداً ، تجّاراً وصنّاعاً ومحترفين.

دخل الإسلامُ في أندونيسيا عن طريق التجار من حضرموت وكذلك في كثير من البلاد.

وفي كُوريا الجنوبية دخل الإسلام عدة سنوات عن طريق التأسي والتأثر ، كان هناك جنود من الأتراك ، يحاربون أيام الحرب الكورية ، وكانوا يرونهم كلما دخل وقت معين ذهبوا وتنظفوا وتطهروا وغسلوا الوجوه والأيدي والأرجل ووقفوا صفاً واحداً بخشوع وأدب وانتظام فتأثروا بهم ، وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون ، قالوا: وما الإسلام؟

فعرفوهم بالإسلام على قدر ما يعرفون ، فدخل آلاف منهم الإسلام عن طريق القدوة الحسنة.

الإسلام إنما ينتصر وينتشر بالقدوة الصالحة ، يرى الناس صورة إسلامية مجسدة في إنسان فيحبونه ويحبون الإسلام بحبه ، وهكذا انتشر الإسلام في الزمن الأول.

إن أغلظ حجاب حاجز يحجز العالم عن الإسلام اليوم هم المسلمون أنفسهم.

الإسلام جميل جداً إذا قرِئ في الكتب ، ولكنْ حينما يرى الناس هذا الإسلام في أهله يقولون: لماذا لم ينفع أهله؟.

لماذا لا نرى ما دعا إليه الإسلام مؤثراً في حياة أهله؟

الإسلام دعا إلى النظام ، ولكن بلاد المسلمين يُضرب بها المثل في الفوضى وارتباك الحياة.

دعا إلى التعاون، وليس هناك فردية ولا تخاذل أكثر مما في بلاد الإسلام.

دعا إلى القوة فما بال المسلمين ضعفاء؟

دعا إلى العلم والتقدم ، ونجد بلاد الإسلام صورة للأمية والتخلف!

أسلم مرةً أحد الغربيين عن طريق ما قرأ عن الإسلام في الكتب وظل في شوق إلى أن يرى الإسلام في دياره ، فعزم على أن يحج بيت الله الحرام ، وجاء فعلا إلى موسم الحج ، ورأى ما رأى من الفوضى والتسيّب وسوء الأخلاق ، والعنف في المعاملة ، وأشياء غريبة ، مع أن الله تعالى يقول في الحج: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾[1].

فرأى غير ما عرف ، فقال قولته المشهورة: الحمد لله الذي عرفني الإسلام قبل أن أعرف المسلمين!

ولهذا يجب أن نكون مُثلاً عملية للإسلام ، أعضاء حية في جسم الأمة الإسلامية ، مصحفاً يمشي على قدمين ، مصحفاً مفسراً.

ولذلك نحن نركز على العمل والسلوك: العمل الصالح والسلوك المستقيم.

الإسلام يريد منك أن تؤدي فرائض الله وأن تجتنب محارم الله ، وأن ترعى حقوق عباد الله ، وأن ترعى حقوق نفسك أيضاً.

فإن لبدنك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، وإن لزوارك عليك حقاً ، وإن لمجتمعك عليك حقاً ، وإن لربك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه ، هناك توازن في الحياة ، يجب أن يحرص عليه المسلم؛ لأنه من صلب الإسلام ، وبهذا يستقيم سلوك المسلم ، ويستقيم عمله.

فالسلوك المستقيم ثمرة الفقه المستقيم للإسلام ، والسلوك يختلف من

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٩٧.

إنسان لآخر. السلوك يترقى ولا يقف عند درجة واحدة كما أن الطالب يترقى من الإعدادية إلى الثانوية إلى الجامعة.. إلى الدكتوراه، أيضاً يترقى في مجال الخير وحسن الصلة بالله تعالى.

قد يقنع المسلم في أول الأمر أن يقتصر على الفرائض، ثم بعد ذلك ينتقل إلى السنن وبعض النوافل، ثم يترقى إلى صلاة الليل، فيقوم شيئاً من الليل وهكذا.. ومثل هذا يقال في جانب المنهيات فهو يدع المحرمات أوّلاً، ثم يرتقى فيترك الشبهات، ثم المكروهات، ثم يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس، شأن المتقين، وينبغي أن يعزم على الخير ويصدق مع الله تبارك وتعالى.

وإذا صدق العزم وضح السبيل.

٣ ـ واجب الدعوة إلى الإسلام:

هناك واجبٌ ثالثٌ هو واجب الدعوة إلى الله.. لا يكفى أن يكون الفرد صالحاً في نفسه فالإسلام لا يكتفى أن يكون الإسنان صالحاً في حد ذاته حتى يكلفه أن يصلح غيره... يحمل الدعوة لإصلاح الغير، ولهذا نجد سورة العصر تشترط لنجاة الإنسان من الخسران أن يوصي غيره بالحق وأن يقبل الوصية منه.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[1].

لا يكتفى بالإيمان والعمل الصالح، بل لابد أن يوصي بالحق ويقبل الوصية به، تفاعل من الجانبين وهذا معنى (التواصي).

ولذلك يجب أن تجند نفسك للحق، ولابد بعد ذلك أن توطن نفسك على الصبر، ولهذا قرن بين التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[2].

---

(١) سورة العصر، الآية: ١ ـ ٣.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

لابدَّ من الصبر فالدعوة شاقة وخاصة في عصرنا . . . الله سبحانه وتعالى قال لرسوله في أول عصر النبوة : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1] .

فالدعوة قول ثقيل ، وعبء كبير ، ونحن ورثة هذا العبء ، وهذا القول الثقيل .

فإذا كنا في عصر مثل هذا العصر يزداد العبء ثقلاً ، لإعراض الناس عن الدين ، ولقلة اليقين ، ولإقبال الناس على الدنيا ، وإدبارهم عن الآخرة ، وكثرة المعوقات عن الخير ، وكثرة المغريات بالشر .

ومِن هنا يزداد العبء خاصة على أهل الدعوة . . . ستجد المعوقات أمامك حتى في داخل بيتك ، لعلك تجد إخوتك ، لعلك تجد أصدقاءك وأقرب الناس إليك يعوقونك ويثبطونك ويقولون لك : مالك ولهذا؟ أتريد أن تسجن؟ أتريد أن تعتقل؟ أتريد أن تعذب؟ أتريد كذا وكذا؟

وإذا كانت فتاة فإنها تلقى الاستهزاء والتهكم من اللباس الشرعي .

في العام الماضي عرفت فتاة كانت تلبس الخمار على رأسها وتغطي عنقها ، وتلبس الثياب الطويلة .

وفي هذا العام عرفت أنها خلعت كل ذلك ولبست ملابس السفور ، وأنها ظلت تعاني ضغطاً كبيراً من أهلها وأقاربها ووالدتها وعماتها وبنات عماتها وخالاتها وبنات خالاتها .

يستهزئون من اللباس الشرعي والتحشم .

طبعاً المؤمنة الواثقة لا تبالي بهذا كله ، بل تزداد إصراراً على حق الله وحدوده ، ولكن ضعُف إيمانها ، فاستجابت لهذه النداءات المفسدة .

ولذلك نجد في عصرنا كثرة المغريات والصوارف والقواطع ولذا ورد في الحديث : «**أن القابض على دينه كالقابض على الجمر**»[2] .

---

(١) سورة الهمزة ، الآية : ٥ .
(٢) انظر : شرح الزرقاني في الموطأ ، (١/ ٩٥) ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت .

والعامل في مثل هذه الأيام ـ أيام الفتن ـ له أجر خمسين من صحابة النبي ﷺ. . . قيل: خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل منكم».

وفي بعض الروايات: «**تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون على الخير أعواناً**».

ومن هنا ينبغي أن نحرص على أن نتمسك بالإسلام وندعو غيرنا، رغم المقاومة، ورغم الضغط العائلي والاجتماعي والسياسي من كل الجوانب.

يجب أن نقاوم هذا كله ونكون أقوى. . . ليس هناك دعوة لا تقاوم، كل دعوة لها مخاصمون ولها مقاومون: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[1]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[2].

أجل، إن الذي خلق آدم خلق إبليس.

والذي خلق إبراهيم خلق نمرود.

والذي خلق موسى خلق فرعون.

والذي خلق محمداً خلق أبا جهل.

وكل زمان يوجد فيه فرعون، وفيه نمرود، وفيه أبو جهل، باختلاف الأسماء والعناوين، ولكن ما أكثرهم وإن تسموا بأسماء مختلفة!

وهذا العصر ـ كما يقولون عنه ـ عصر (الأيديولُوجِيات) الجديدة، فإذا كانت الشيوعية لها أنصارها، واليهودية لها أنصارها، والماسونية لها دعاتها، والنصرانية لها مبشروها، وراهباتها ورهبانها، والبهائية، والقاديانية. . . وكل مذهب باطل له دعاة وأنصار.

أفلا يكون لأهل الإسلام رجاله وأنصاره؟

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

وهو بطبيعته دين انتشاري ، دين دعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١) .

ولهذا نقول: إن واجب الشباب في هذا العصر أن يوطن نفسه على أن يدعو إلى الله عز وجل .

وليس هناك أعظم من هذه الوظيفة؛ لأنها وظيفة النبيين . . وهذا يجعله يستمسك بعروة الحق ، بالعروة الوثقى .

لأنه إذا دعا سوف يحاول أن يكون صورة طيبة لما يدعو إليه ، ويجعله يستمسك بالتعاليم الإسلامية .

٤ ـ واجب الترابط على الإسلام:

إنَّ الشباب الذين وطنوا أنفسهم على أن يفهموا الإسلام فهماً صحيحاً ، وعلى أن يؤمنوا به إيماناً عميقاً ، وعلى أن يتواصوا به ويدعوا إليه ، ينبغي أن يتعاونوا فيما بينهم وأن يترابطوا فيما بينهم .

فليس هناك عمل للإسلام يتمثل في صورة فردية ، العمل الفردي لا يكفي ولا يغني .

لابدَّ من عمل جماعي ، وأقصد بالعمل الجماعي أن يرتبط بعضنا ببعض ارتباطاً أخوياً ونتحاب في الله نتزاور في الله ، ونتجالس في الله ، ونتباذل في الله ، ونتفاهم في القضايا المشتركة ، وإن اختلفت الجماعات التي ننتمي إليها .

بدون هذا لا نستطيع أن نقيم عملاً؛ لأن اليد وحدها لا تصفق ، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾(٢) .

هؤلاء يعاون بعضهم بعضاً ، ويوالي بعضهم بعضاً ، وينصر بعضهم

---

(١) سورة فصلت ، الآية: ٣٣ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية: ٧٣ .

بعضاً ، فينبغي أن يوالي بعضنا بعضاً ، وأن يعاون بعضنا بعضاً ، ويرتبط بعضنا ببعض ، حتى لا يكون هناك تكتل في جانب الباطل ، وفردية وفراغ في جانب الحق.

وفي هذه الحالة تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

وأخيراً. . .

هذه واجبات أربعة يجب على الشباب أن يعيها ، وأن يفتش كل في نفسه : هل أدى حقها؟ هل قام بهذه الأعباء؟

يجب على الشاب المسلم أن يعرف واجبه في هذا العصر ، وأن يستفيد من التاريخ القريب والبعيد ، ويعرف كيف يمشي بمسيرة الإسلام ، وبحركة الإسلام ، حتى تقوم للإسلام قوة وتقوم للإسلام دولة.

فعار على المسلمين أن يكون لكل مذهب ولكل دين دولة ودول ، إلا الإسلام ، نريد أن تكون للإسلام دولة تتبنى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وحضارة ورابطة ونظام حياة.

ولابد أن يأتي هذا اليوم : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) سورة الروم ، الآية : ٤ ـ ٦.

وصايا للشباب المسلم المغترب

نحن الآن في مؤتمر الشباب[1] ، مع الشباب المسلم ، والشباب مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعفِ الشيخوخة ، كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[2] .

الشباب مرحلة القوّة ، مرحلة الحيويّة الدافقة ، ولهذا كانت المسؤوليّة عن هذه المرحلة أكبر ، وكان كلّ إنسان يُسأل ليوم القيامة ، أسئلة أربعة رئيسيّة ، يُسأل منها سؤالين عن عمره عامّةً وعن شبابه خاصّة: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ ، وعن شبابه فيم أبلاه؟ ، وعن ماله من أين اكتسبه؟ ، وفيم أنفقه؟ ، وعن علمه ماذا عمل فيه؟»**[3] .

الشباب هم حملة الدعوات الربانية:

ومن هنا كان الشباب حملة الدعوات دائماً ، وحملة راية الراسلات .

كان أتباع موسى ذرّيَةٍ من قومه نابتة ناشئة: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾[4] .

---

(١) ألقى الشيخ القرضاوي هذه المحاضرة في إحدى المؤتمرات المنعقدة في أمريكا .

(٢) سورة الروم ، الآية: ٥٤ .

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، والترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ انظر برقم (٢٤١٧) والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٦٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) سورة يونس ، الآية: ٨٣.

كان أصحاب الكهف ـ الذين خلّد الله ذكرهم في أعظم كتبه ـ فتية: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[1].

كان إبراهيم عليه السلام حينما عزم على أن يحطّم الأصنام بفأسه فتى: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾[2].

وقال ابن عباس معقباً على هذه الآية: ما بعث الله نبياً إلا شاباً، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب.

كان إسماعيل فتى غلاماً حينما سلّم رقبته لله، حين عرض عليه أبوه أن يذبحه امتثالاً لأمر الله: ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3].

كان يوسف فتى شاباً حين تعرّض للمحن من كلّ نوع، وأشدها خطراً: تلك الفتنة التي كانت تصاحبه وتماسيه، وتراوحه وتغاديه، فتنة الشهوة، فتنة المرأة التي عرضت نفسها عليه، ولم تكتف بالتلميح عن التصريح، وهيّأت الأسباب ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4] وهدّدته المرأة أمام نسوة المدينة: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[5].

وكان يوسف عليه السلام بين محنتين: محنة في دنياه ومحنة في دينه. محنة في دنياه: أن يسجن ويكون من الصاغرين، كما هدّدت المرأة التي تملك أن تنفّذ وأن تؤثّر في السلطات، ومحنة في دينه: أن يزنى ويكون من الفاسقين.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٠.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٣.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

وآثر الشاب المؤمن يوسف بن يعقوب عليهما السلام محنة الدنيا على محنة الدين ، كما علمنا الرسول أن نقول: **اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا**[1] ، آثر أن يسجن وناجى ربه قائلاً : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2] .

كان أصحاب رسول الله ﷺ شباباً ، أكبرهم كان أبا بكر الصديق وكان في الثامنة والثلاثين حينما دخلِ الإسلام ، وكان فيهم من دون العاشرة مثل علي بن أبي طالب ، كانوا شباباً هم الذين نصروا الإسلام ، وناصروا رسول الله ﷺ ووقفوا بجواره ، ضد أولئك الشيوخ الذين أبوا إلاّ أن يسيروا على ما سار عليه آباؤهم وقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[3] .

الشباب المسلم في أمريكا:

ولا عجبَ إذن أن نجد الذين يحملون رسالة الإسلام اليوم جلّهم من الشباب.

ولا عجبَ أن نجتمع اليوم مع الشباب في هذه البلد ، أن نعيش في يوم من أيّام الله. . في يوم من أيّام الإسلام ، أن نعيش مع الشباب المسلم ، وأين؟ في قلب أمريكا! أن نعيش مع هذه الأصوات المرتفعة بالتكبير ، مع هذه الألسنة الرطبة بذكر الله ، مع هذه القلوب العامرة بحب الله وبخشية الله ، أن تقام الصلوات ، أن يُتلى كتاب الله عزّ وجلّ ، في قلب هذه البلاد .

مَن هيّأ ذلك؟

---

(١) كان من دعائه المأثور ﷺ: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا» ومعناه كما ذكر العلامة المناوي: أي لا تصبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام واعتقاد سوء وفترة في عبادة انظر الحديث (١٥٠٥) في «فتح القدير» ، وقد أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن ، وأقرّه النووي ، وأخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٣٣ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية: ٢٣ .

إنّه الشباب المؤمن ، إنّه الشباب الذي حمل الدعوة الإسلاميّة منذ نصف قرن من الزمان.

كانت الخطط مهيّأة على أن يُصهر هذا الشباب صهراً في بوتقة الكفر ، وأن يُغرّب تماماً عن دينه وعن قومه ، وأن يُبعد عن الإسلام: يُغرب فكره ، ويُغرّب سلوكه ، ويُغرّب اعتقاده وتغرب عاداته ، ويعيش في أمّته باسم شرقي أو عربي أو إسلامي ، ولكن بعقل غير عقل المسلم ، وبقلب غير قلب المسلم.

هكذا أرادوا.

ولكن الله سبحانه وتعالى هيّأ لدينه وهيّأ لرسالته وهيّا لدعوته شباباً يحملون هذه الدعوة ، وأصابهم ماأصابهم في بلاد شتّى وفي محن متلاحقة اختلطت فيها السياط باللحوم والدماء ، وصنعت الكرابيج ما صنعت في الظهور ، وكويت الأبدان بالنار ، ومع هذا ظلّ هذا الشباب مؤمناً.

وجاء رصيد آخر وأجيال أخر ، تحمل رسالة الإسلام ، لم يُخفها ما نزل بإخوان لها من قبل ، لم ترهبها السياط ولا الحديد ولا النار ، وقام المجاهدون في كلّ مكان من الشباب ، ومنهم هذا الشباب الذي يعمل لدينه ، في بلاد غير البلاد التي نشأ فيها الإسلام ، وقام فيها الإسلام.

وكان من فضل الله ونعمته أن وجدنا الشباب المسلم في ديار الغرب وفي ديار الشرق أيضاً. فقد وجدت هذا الشباب في الشرق الأقصى كما وجدتهم في الغرب الأقصى.

وجدتُ هؤلاء الربّانييّن الصوّامين القوّامين ، صوّام الخميس والاثنين ، قرّاء القرآن ، قوام الليل ، والمستغفرين بالأسحار.

رأيتُ هؤلاء الربانيّين المصرّين على أن يعيشوا بالإسلام ، وعلى أن يعيشوا للإسلام ، وأن يموتوا في سبيله.

إنّه الإسلام ، إنّه خلود هذا الدين ، إنّها معجزة محمد ﷺ ، المعجزة الخالدة الباقية: أن يظلّ لهذا الدين من يحرسه ، ومن يحمله فكرة واضحة

في الرؤوس ، وعقيدة راسخة في القلوب ، وخلقاً فاضلاً في الناس وعملاً صالحاً في الحياة ، ورسالة تنادي الدنيا كلّها: أن اخرجي من الظلمات إلى النوّر ، وراء محمدّ عليه الصلاة والسلام.

مسؤوليات المسلم المغترب

يا أيّها الشباب: عليكم في هذه الديار عّدة مسؤوليات:

١ ـ المحافظة على الشخصية المسلمة:

أوّل مسؤوليّة وأوّل واجب عليكم: أن تظلّوا محافظين على شخصيّتكم المسلمة.

حافظ أيها المسلم المغترب على شخصيّتك الإسلامية ، إيّاك أن تنماع أو تذوب في هذا المجتمع ، فتفقد نفسك وتخسر ذاتك.

وما قيمة أن تكسب درجة علمية وتخسر الدرجات العلى عند الله عزّ وجلّ؟! ما قيمة أن تكسب شهادة وتخسر الشهادتين: شهادة أن لا إله إلاّ الله وشهادة أنّ محمداً رسول الله؟! ما قيمة أن تجمع الدنيا وتخسر دينك ، كما فعل بعض الناس هنا في هذه البلاد وفي غيرها: جمعوا أموالاً وخسروا أنفسهم والعياذ بالله؟!

ما قيمة هذا كله؟

لا قيمة لهذا إذا لم تحتفظ بشخصيّتك الإسلامية: مصلياً ، مزكياً ، صائماً ، ممتنعاً عن المحرمات ، غيوراً على حدود الله ، حريصاً على دينك حيثما كنت ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾[١].

إن الله يُعبد في كلّ مكان **«اتق الله حيثما كنت»**[٢]. هذه وصيّة

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١١٥.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد ، والترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم وصحّحه على شرط الشيخين وأقره الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان ، والضياء في =

رسول الله ﷺ لك أيها المسلم حيثما كنت: في الشرق أو في الغرب، كنت في أمريكا أو في أوربا، كنت في اليابان أو في روسيا، أو في أفريقيا أو استراليا.

في أيّ مكان كنت اتق الله، عش بإسلامك، احتفظ بإسلامك.

هذه هي المسؤولية الأولى، هذا هو واجبك أيها المسلم، أن تعيش بالإسلام معتزاً به شامخاً بأنفك، رافعاً رأساً، بأن الله أكرمك بالإسلام.

إيّاك أن تتوارى لأنّك مسلم، لا، إنّك وحدك الذي تحمل رسالة الخلود، وتحمل هداية الوجود. إنّك وحدك الذي تملك الوثيقة السماويّة الفذّة الوحيدة التي لم يعترها تحريف ولا تبديل تملك (القرآن العظيم).

إنّك وحدك الذي تملك المنهج المتوازن الذي لا يسعد الدنيا غيره، تملك الإسلام الذي يجمع بين الدنيا والآخرة، ويوفّق بين العقل والقلب، ويمزج بين الروح والمادة، ويربط بين الأرض والسماء، ويؤاخي بين الحقوق والواجبات، ويوازن بين الفرد والمجتمع.

إنه المنهج الوسط للأمّة الوسط: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(1).

٢ ـ المحافظة على الذرية والأسرة:

وليس المطلوب أن تحتفظ بشخصيتك المسلمة لنفسك فقط، بل لأهلك إن كنت متزوّجاً، حافظ على إسلام زوجتك، وحافظ على شخصية أولادك، وعلى إسلام أولادك إن كنت صاحب أولاد، إيّاك أن تدع أولادك يذوبون في المجتمع كما يذوب الجليد تحت أشعة الشمس

= المختارة، والدارمي، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وتتمّته: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق النّاس بخلق حَسَن» (فيض القدير للمناوي: ١/ ١٢٠ برقم: ١١٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

يقول ربنا عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

ولقد قلت لبعض الناس الذين قالوا: نحن هنا لا نستطيع أن نعيش بالإسلام ولا أن نربي أولادنا على الإسلام ، قلت: إذَنْ فعودوا من حيث جئتم ، ابدؤوا رحلة العودة من الغد ، أو من اليوم ، ولا تبقوا في مكان لا تستطيعون أن تقوا أنفسكم وأهليكم فيه من النار.

عليكم أن تحتفظوا بشخصيّتكم الإسلامية معتزين بها ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[2] ، أي قالها مغالياً مفاخراً معتزاً أنّه من المسلمين ، إنّه لا يفتخر بأنّه عربي أو عجمي ، وإنّما يفتخر بهذه النّسبة: إنّه من المسلمين.

أبـي الإسـلام لا أب لـي سـواه   إذا افتخـروا بقيـس أو تميـم

٣ ـ الدعوة إلى الإسلام:

ثم عليك أيّها الأخ المسلم.. أيها الشاب المسلم المغترب ، أن تدعو إلى الإسلام في هذه الديار ، أن تعيش داعية لهذا الدين ، لا تظنّ أن الدعوة إلى الإسلام مقصورة على المشايخ أو العلماء ، أو أهل الفكر أو المحاضرين ، لا ، كلّ مسلم داعية لدينه ، كلّ مسلم مخاطب بقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[3].

كلّ من اتبع رسول الله ﷺ هو من أهل الدعوة ، فالله تعالى يخاطب رسوله بقوله: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[4] فإذا كنت من أتباع محمد ﷺ فلابدّ أن تدعو إلى الله ، وتدعو إليه على بصيرة.

وكلّ يدعو على قدر طاقته: هناك من يدعو بتأليف كتاب ، وهناك من

---

(١) سورة التحريم ، الآية: ٦.

(٢) سورة فصلت ، الآية: ٣٣.

(٣) سورة النحل ، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة يوسف ، الآية: ١٠٨.

يدعو بإلقاء محاضرة ، وهناك من يدعو بخطبة ، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة ، ومن يدعو بالأسوة الحسنة ، ومن يدعو بزيارة لصاحبه.

كلٌّ مسلم يدعو كيف استطاع ، المهم أن يحمل روح الداعية ، أن يعرف أنّه مسؤول عن تبليغ رسالة الإسلام ، تأسياً برسوله الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1].

عارٌ علينا أيّها المسلمون أن يوجد لكل فلسفة من الفلسفات ، ولكلّ دين من الأديان ، ولكل مذهب من المذاهب ، دعاة وأنصار وأتباع وحماة ، يحاولون أن ينشروه وأن يتبنوه ، وأن يُعلوا كلمته ، ولا يجد الإسلام من بين أبنائه من يحميه وينصره ويبلغه للناس ، لا ، لا يجوز هذا يا مسلمون.

قرأت فيما قرأت : أنّ رجلاً درس الإسلام وقرأه فقال هذه الكلمة : ياله من دين لو كان له رجال!

انظروا : مع أنّ للإسلام أمّة تنتسب إليه ، وتُحسب عليه ، تُقدّر بأكثر من المليار من البشر (ألف مليون) ، ولكن أكثر هؤلاء لا يُعدون رجالاً للإسلام.

يزحمون الأرض من كثرتهم ... ثم لا يغنون في أمر جلل!

كثرة كما سمّاها النبي ﷺ : «**كغثاء السيل**»[2].

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧.

(٢) في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه ونصّه : «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قال قائل : يا رسول الله ومن قلّة يومئذ؟ قال : لا بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينتزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم ، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن ، قال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟ قال : حبّ الدنيا وكراهية الموت» والحديث فيه راو مجهول وباقي رجاله ثقات ، لكن أخرجه أحمد في المسند بنحوه من طريق آخر ، وسنده قوي ، فصحّ به.
ينظر (شرح السنة للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط : ١٥/١٦ برقم : ٤٢٢٤).

نحن لا نريد هذه الكثرة الغثائيّة ، وإنّما نريد المؤمنين الذين نذروا أنفسهم للإسلام ، وللدعوة إليه.

إنّ الشاعر[1] قديماً نظر إلى الملايين من حوله ، من سواد الناس ، ومن الجماهير الغافلة ، فقال:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلّهم — الله يعلم أنّي لم أقل فَنَدا!
إنّي لأفتح عيني حين أفتحها — على كثير ، ولكن لا أرى أحدا!

شخوص ، أجسام بلا أحلام ، أشباح بلا أرواح ، خشبٌ مسنّدة! ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل! هؤلاء ليسوا هم الذين ينصرون الإسلام.

إنّنا نريد للإسلام رجالاً من أمثال الصحابة ، نريد صحابة جددا ، يحملون يقين الصحابة ، وروح الصحابة ، عزائم الصحابة ، وفضائل الصحابة.

ومن الصحابة؟ إنّهم أناس مثلنا. فرق ما بيننا أنّهم نشؤوا في شرك وجاهليّة صريحة ، ونحن نشأنا في مجتمعات إسلاميّة ، فعلينا إذن أن نحذو حذوهم ، وأن نكون مثلهم ، وأن ننصر الإسلام من جديد ، ولعلنّا يكون لنا من الأجر أكثر ممّا لكثير من الصحابة ، وإن لم نسعد برؤية رسول الله ﷺ كما سعدوا بها ، ولعل هذا يجعل لنا مزية.

وقد جاء أنّ النبي ﷺ خرج يوماً على جماعة من أصحابه فقال: «**أي الخلق أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟! قالوا: فالنبيّون. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟! فقال رسول الله ﷺ: ألا إنّ أعجب الخلق إليّ إيماناً لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها**»[2]. وفي رواية أنّه قال: «بل قوم

---

(١) الشاعر هو دِعبَلَ الخزاعي ، شاعر هجاء ، أصله من الكوفة مات في سنة ٢٤٦ هـ.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: رواه الحسن بن عرفة العبدي من طريق المغيرة بن قيس التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه ، ونقل عن أبي حاتم الرازي: أنّ =

بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجراً» .[1].

إنّ المسلم الذي يقبض على دينه كما يقبض على الجمر في هذا الزمان ـ الذي يضطهد فيه الإسلام حتى في داره ويعيش غريباً حتى في أوطانه ـ ويستمسك به ، ويغالي به ، ويعالن به قائلاً : إنّني من المسلمين ، إنّ لهذا المؤمن من الأجر أكثر ممّا كان لبعض الصحابة رضوان الله عليهم .

إنّ عليك أيها الشاب المسلم أن تحتفظ بشخصيّتك ، وشخصية أسرتك ، ولا يكفى هذا بل لابّد أن تحمل الدعوة ، شعار المسلم : «أصلح نفسك وادع غيرك» ، لا يكفى المسلم أن يعمل صالحاً ويترك الدعوة إلى الله ، إنّه لن يكون من النّاجين من خسران الدنيا والآخرة إلاّ بشروط أربعة ذكرتها سورة (العصر) ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2] .

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر معناه : أن تجنّد نفسك للحق ، توصى به وتسمع الوصيّه من غيرك به ، وتصبر على طريق الحق وما فيه من مشاق ، وما فيه من نَفَسٍ طويل .

هذه هي شروط النَّجاة من خُسر الدنيا وخُسر الآخرة .

لابدّ أن تكون داعية للإسلام ، لا يجوز يا أخي أن ترى لليهوديّة دعاتها

= المغيرة منكر الحديث . قال ابن كثير : ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره ، والحاكم في مستدركه من حديث محمد بن حميد ـ وفيه ضعف ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ، عن النبي ﷺ بمثله أو نحوه ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعاً ، والله أعلم (تفسير ابن كثير : ١/ ٤١ ـ ٤٢) ط . الحلبي .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن مردويه من حديث أبي جمعة الأنصاري ، قال : وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة ، التي اختلف فيها أهل الحديث ، وذكر قبله حديث أبي عبيدة الذي رواه أحمد (تفسير ابن كثير : ١/ ٤١) ط . الحلبي .

(٢) سورة العصر ، الآية : ١ ـ ٣ .

ورجالها الذين استطاعوا أن يقيموا لها دولة في قلب ديارنا وشوكة في جنوبنا ، ولا يجـوز يا أخي أن ترى للنصرانيّـة دعاتهـا ومبشرّيهـا بل ومبشّراتها ، يذهبـون من هـذه البـلاد ومن أوربـا إلى أدغال آسيا وأفريقيـا ، ولا يجوز أن ترى للشيوعيّة من يستعذب العذاب ويدخل السجن من أجل هذا الكفر والباطل، ولا يوجد للإسلام من يعمل له ومن يدعو إليه، لأنّ كلّ مسلم يريد أن يعيش لنفسه ، يريد أن يحصل على (البكالوريوس)، وبعد البكالوريوس يحصل على (الماجستير) ، وبعد الماجستير يحصل على (الدكتوراه) وبعد الدكتوراة يحصل على وظيفة كبيرة ، وبعد. . وبعد. . ثم ماذا؟

ما قيمة هذا إذا كانت نهايتك إلى النّار والعياذ بالله؟

ما قيمة هذا إذا ضاع دينك؟

أنا لا أريد أن أتبطل أيها الشاب عن تحصيل العلم ، فإن تحصيل كل علم نافع عبادة وجهاد. لكني أقول لك : يا أيّها الشاب المسلم : عليك أن تحمل الإسلام ، عليك أن تحمل هذا الدين. . هذه الرسالة ، وأن تدعو لها وأن تعيش لها ، وأن تسعد بحملها ، وتشعر بأنك من قادة الخير ، وحملة المشاعل الربانية ، وأن تجد لهذا لذة لا تدانيها لذة ، وسعادة لا تدانيها سعادة ، سعادة قال عنها قديماً بعض السلف : إنّنا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف إنها سعادة الإيمان. . سعادة القلوب. . سعادة الأرواح بما عند الله عزّ وجلّ.

٤ ـ الاهتمام بأمر المسلمين :

ثم عليك يا أخي ـ وأنت تعيش في هذه البلاد ـ أن لا تكون في عزلة عن إخوانك المسلمين في كلّ بلاد الإسلام ، عليك أن تصل ما بينك وبينهم ، أن تعيش في همّهم ، أن تعيش في قضاياهم ، فـ «**من لا يهتّم بأمر المسلمين فليس منهم**»[١].

---

(١) حديث ضعيف ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٧) : رواه الطبراني في الأوسط=

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] وأين إخوّة الإسلام وأين رابطة الإيمان إذا عاش كلٌ منّا لنفسه؟

لقد أراد الاستعمار الصليبي والشيوعي أن يمزقّوا الأمّة الإسلاميّة مزقاً ، وأن يقطّعوها إرباً إرباً ، فلا يحسّ بعضها ببعض ، ولا يألم بعضها لبعض ، وأن يثيروا النّعرات القوميّة والوطنيّة بحيث يقول كلّ واحد: وطني وطني ، أو: قوميّتي قوميّتي ، مصر للمصريّين ، وسوريا للسوريّين ، هناك من ينادي بالقومية العربية ، ومن ينادي بالقومية الطورانيّة ، ومن يُنادي بالقوميّة الهنديّة.. الخ لا ، قوميّة المسلم هي الإسلام ، الإسلام هو الجامع بين المسلمين.

المسلمون أمّة ، لم يسمّهم الله (أمماً) ، فلا يجوز أن تقول: (أمم إسلاميّة) ، هي شعوب إسلاميّة ولكن أمّة إسلاميّة.

أمّتنا أمّة واحدة ، قبلتها واحدة ، كتابها واحد ، ربها واحد ، نبيّها واحد ، عقيدتها واحدة ، شريعتها واحدة ، فلا يجوز أن تتمزّق هذه الأمّة أبداً «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحِمِهم وتعاطفِهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»[2].

وهكذا يجب أن نعيش مع إخواننا في كل مكان ، لا نغفل عنهم ولا ننساهم ، لأننّا أمّة واحدة.

هكذا عاش المسلمون في العصور الأولى ، وهكذا يجب أن نعيش ،

= والصغير (٢/ ٥٠) ، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، ضعّفه محمد بن حميد ، ووثّقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان.

(١) سورة الحجرات ، الآية: ١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم... برقم (٢٥٨٦) ، وابن حبان في الصحيح (١/ ٤٦٩) برقم (٢٣٣) ، وأحمد في المسند (٤/ ٢٧٠) برقم (١٨٣٩٨) ، و(٤/ ٢٧٦) برقم (١٨٤٥٦) ، وغيرهم من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه.

لا نرضخ ولا نذعن لهذه التيارات الداخلية ولهذه الأفكار المستوردة التي تريد أن تفرّقنا شيعاً ، وأن تمزقنا قطعاً ، لكي يسهل التهامنا بعد.

يا أيها الإخوة: علينا أن نعرف هذا كلّه.

٥ ـ العمل الجماعي للإسلام:

وعلينا بعد ذلك أن نعلم أنّنا لا نستطيع أن نحتفظ بشخصيتنّا وشخصية أسرنا ، ولا أن نقوم بحق دعوتنا ، ولا أن نقوم بحق إخواننا ، إذا عاش كلّ منّا فرداً برأسه ، مستقلاً بنفسه ، يعمل وحده ، لا ، لا تستطيع أن تعمل وحدك ، ولا تستطيع أن تحتفظ بإسلامك وحدك ، سيبتلعك التيّار ، سيقذف بك هذا التيار في هذا اليمّ الكبير ، ستذوب وتضيع.

ولكن تستطيع أن تحتفظ بدينك ودين أسرتك وأولادك ، وتقوم بحقّ دعوتك ، وبحقّ إخوانك ، إذا وضعت يدك في يد إخوانك: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[١] ، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ضعيف بمفرده قوي بجماعته.

الجماعة قوّة على الطاعة ، وعصمة من المعصية ، وقدرة في مواجهة العدو ، وقدرة في حل المشكلات.

أنت وحدك ضعيف ، ولكن مع إخوانك قوي ، والشيطان ذئب الإنسان ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

فإيّاك أن تكون شاة شاردة ، أن تكون بعيداً عن القطيع ، عن الجماعة ، فتؤكل وتُلتهم.

كُن مع الجماعة ، حاول أن تكون مع إخوانك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[٢].

ولو لم تأت النصوص تأمرنا بالاتحاد والتلاحم والتراص ، وأن يكون

---

(١) سورة القصص ، الآية: ٣٥.
(٢) سورة الصف ، الآية: ٤.

«المؤمنُ للمؤمن كالبُنيان يشُدُّ بعضُه بعضاً»[1]، لأوجبت المصلحة وأوجبت الضرورة أن نعيش جماعة ، وأن لا يعيش أحدنا وحده ، لأنّه لا يستطيع ، ولأنّ أعداءه لا يعملون فرادى ، وإنما يعملون جماعات وتكتلات .

فإذا تكتَّلَ المبطلون على باطلهم وتفرّق أهل الحق عن حقهم ، فإنّ الفتنة ستكون كبيرة ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حين يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾[2] أي : إلاّ يوالي بعضكم بعضاً كما يفعل أهل الكفر ، وإلا يساند بعضكم بعضاً ، وإلاّ يتكتل بعضكم مع بعض ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبيرة ، لأنّه سيكون هناك وحدة في جانب الكفر وتفرّق في جانب الإسلام ، سيكون هناك إيجابيّة من ناحية الكفر وسلبيّة من ناحية الإسلام ، عمل في ناحية وفراغ في ناحية الحق ، وهنا الفتنة والفساد الكبير .

فتكتّلوا كتلة مؤمنة .

إنَّ الله علّمنا أن نقول ونحن نصلّي : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۞ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[3] ، بل حتى لو صلّيت وحدك تقول هذا وتطلب الهداية لإخوانك ولأمّتك ، فالجماعة تحيا في ضميرك دائماً ، وتتمثّل على لسانك دائماً ، هذا هو شأن الإنسان المؤمن .

هذه أيّها الإخوة وصاياي لكم في هذه الغربة .

علينا أن نحتفظ بإسلامنا . . بشخصيتنا الإسلاميّة قوية صُلبة ، لا تذوب ولا تنماع .

علينا أن نحمل الدعوة إلى الإسلام في هذا المجتمع : لأنفسنا ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، برقم (٤٨١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، برقم (٢٥٨٥) ، وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٧٣ .

(٣) سورة الفاتحة ، الآية : ٥ ـ ٦ .

ولإخواننا الذين يعيشون هنا من المسلمين أيّاً كانت جنسيّاتهم ، وللمجتمع الأمريكي نفسه ، فهذا المجتمع أحوج ما يكون إلى الإسلام.

لا تظنّوا أنّ هؤلاء الذين وصلوا إلى القمر في غنى عن الإسلام ، إنّهم استطاعوا أن يضعوا أقدامهم على سطح القمر وأن يأتوا منه بأتربة وصخور ، ولكنّهم لم يستطيعوا أن يُسعدوا أنفسهم على ظهر الأرض ، إنّهم يشكون الفراغ ، يشكون القلق ، يشكون تفاهة الحياة.

إنّ هذه الظواهر التي ترونها: الخنافس.. الهيبيّز.. الخ فإنّها تمثل ثورة على الحضارة الصناعيّة وعلى مادية الحياة وآليّتها ، ولذلك خرجوا إلى حياة أشبه بالحياة البدوية ، لأنّ هذه الحياة المتحضرّة لم تشبع نهمهم الروحي ، لم تملأ فراغهم العقائدي ، لم تؤمنهم من خوف ، لم يعرفوا بها مبدأهم ولا مصيرهم ، لم يفهموا بها معنى لحياتهم ، ظلّت الأسئلة الخالدة تلحّ على أفكارهم: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

هذه الأسئلة التي تلحّ على كلّ إنسان: من أين جئت وجاء العالم من حولي ، وإلى أين أذهب بعد الموت؟ وما هي رسالتي بين الحياة والموت ، لماذا أعيش؟ وما قيمة الحياة؟ حضارتهم لم تستطع أن تجيب عن هذه الأسئلة الملحة ، ومسيحيتهم المحرّفة لم تستطع ، ولن تستطيع الشيوعيّة المادية أن تردّ عليها.

إن الدين الوحيد الذي يستطيع أن يردّ على أسئلة هؤلاء النّاس هو: الإسلام ، إنّه دين التوازن ، إنّه المنهج الرباني الإنساني الأخلاقي العالمي.

وعليكم أنتم أن تقدّموا هذا الإسلام للنّاس.

عليكم أن تحتفظوا بأنفسكم.

وأن تدعوا غيركم.

وأن تعيشوا بهموم إخوانكم في المشرق ، ولا تتخلّوا عنهم ، ولا تنقطعوا عن قضاياهم.

وعليكم بعد ذلك كلّه أن تتعاونوا وأن تتجمّعوا ، وأن لا يعيش أحدكم وحده ، فيضيع في وسط هذا المجتمع .

بذلك ترضون الله عزّ وجلّ .

بذلك تكسبون الدنيا والآخرة معاً .

بذلك تكونون مسلمين حقاً ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] .

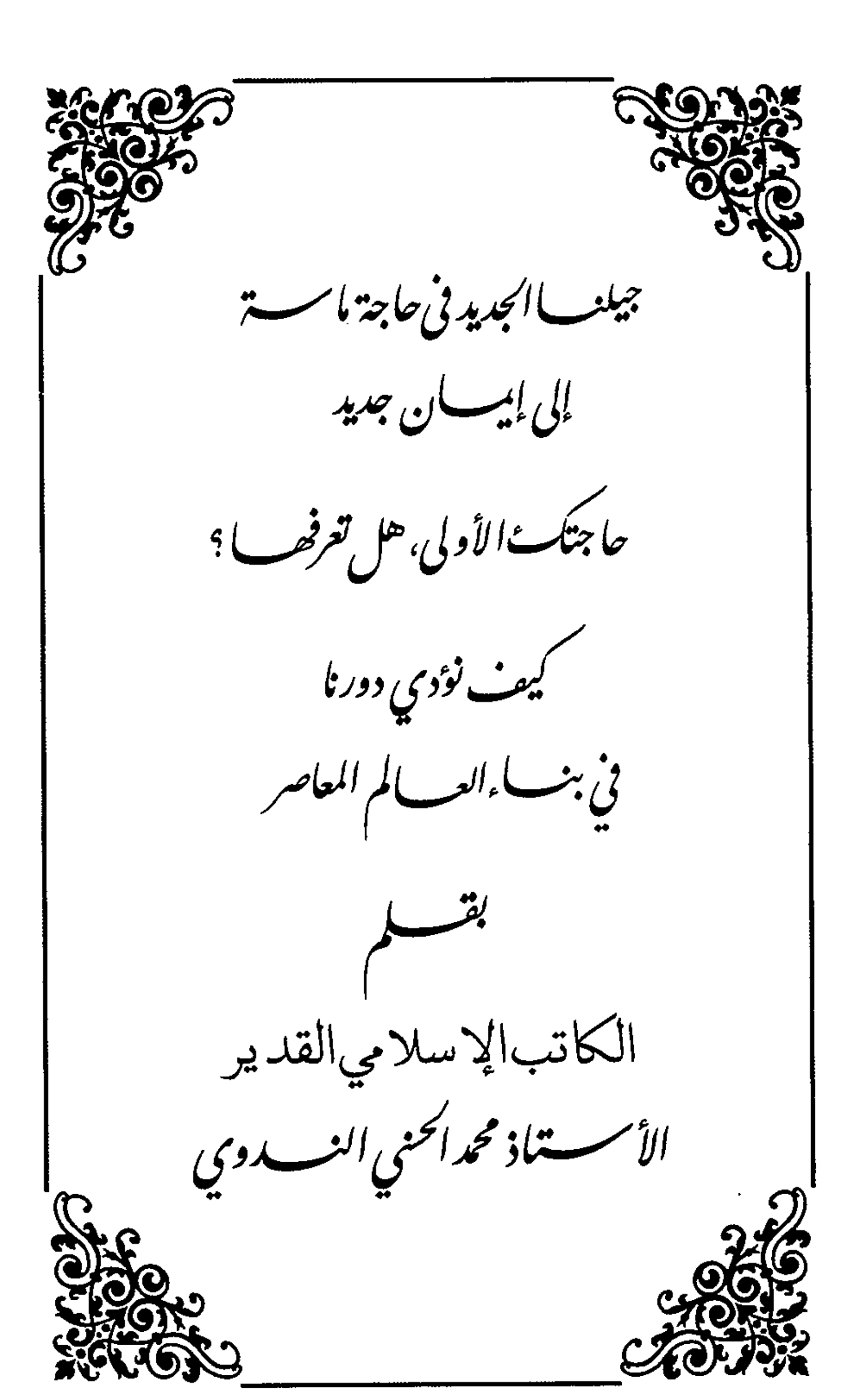
أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، وادعوا الله يستجب لكم

* * *

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٣.





جيلنا الجديد فى حاجة ماسة
إلى إيمان جديد

حاجتك الأولى، هل تعرفها ؟

كيف نؤدي دورنا
في بناء العالم المعاصر

بقلم

الكاتب الإسلامي القدير
الأستاذ محمد الحسني الندوي



ترجمة
الأستاذ محمد الحسني الندوي

أدعك الآن أن تقرأ ما كتب عن هذا الكاتب الإسلامي القدير ، عمُّه العظيم ، الإمام الداعية المفكر الإسلامي الكبير العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، مرةً يقدِّم لكتاباته وأخيراً ينعى بوفاته يقول :

قد كان ممَّا قدَّر الله وقضى ـ ولا رادَّ لقضائه وليس لنا إلا أن نرضى بما حكم وقدر ـ أن أقدِّم كتابات العزيز محمد الحسني عليه رحمة الله ، وهو بمثابة ابني ، وفلذة كبدي ، وقد نشأ تحت سمعي وبصري ، وذلك بعد وفاته ، وكانت القَرائن والآثار تدلُّ على أنه سيقدِّم كتاباتي ويعلِّق عليها ويعنى بنشر آثاري ، ويسجِّل حوادث حياتي ويؤرخها ، كما جرت العادةُ وشهدت المقاييسُ الظاهرةُ بدور الأبناء في تخليد آثار آبائهم وعمومتهم وأساتذتهم ومربِّيهم ، وقد كان من أقرب أبناء البيت وأحبهم إلي وألصقهم بي ، وأعرفهم بشؤوني وأخباري ، ولكن كانت القضية بالعكس ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] فقد مات في ريعان شبابه وقوسه سنة موترة ، وفرسه سرجه في صلبه الكتابة ومضمار العمل الإسلام .

إنَّه قد عاش في ظلال تاريخ الدعوة الإسلامية وقصة بطولاتها ومعجزاتها وصنائعها وعجائبها ، تتلى في بيته وأسرته الملاحم الإسلامية التي نظمها بعض أفراد أسرته المتقدمين في الشعر الأردي القوي المثير ، مقتبسة من «فتوح الشام» للواقدي والأغاني الشعرية الخاصة بالسيرة النبوية ، وأخبار

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢١ .

الصحابة ، وفضل الحضارة الإسلامية ، ودور العرب في بناء العالم الجديد وإنقاذ الإنسانية من أعدائها ، فامتزج كلُّه بلحمه ودمه ، وتكوَّنت بـه عقليته ونفسيته ، وأحبَّ الرسولَ ﷺ وأصحابَه والعرب حباً لا يمكن تجريده منه في مرحلة من مراحل الثقافة ، وفي فترة من فترات الحياة ، وفي بيئة من البيئات ، وأصبح هذا الحب وهذه العاطفة تلهبُ شعورَه ، وتدفِّق قريحته ، وتجري قلمه ، وأصبحت له مصدرَ الإلهام ، ومنبعَ الإيمان والحنان.

إنَّه وُلِدَ في أسرةٍ كان شعارها منذ زمن طويل ، الجمع بين العقيدة السلفية النقية ، وبين الربانية الصحيحة الصافية ، وبين الزهادة والعبادة ، وبين بذل الجهد لإعلاء كلمة الله ورفع راية الجهاد حيناً بعد حين ، والسعي الحثيث في الجمع بين إشراق القلب وصفاء الروح وقوة العاطفة ، وبين التفنن في العلوم والذوق الأصيل للأدب والشعر ، وأورثه كل ذلك؛ من تراث وتاريخ ودم وعرق ، تقديره لإكسير الحب وقوة العاطفة ، وسلم بذلك من الجفاف الروحي ، والاستخفاف بالعاطفة والحاجة إلى تزكية النفس ، والشحنة الإيمانية الروحية ، وسلم من الاستخفاف الذي أصبح شعار الكتَّاب والدعاة في عصره ، وخصوصاً الذين نشؤوا بعيدين عن هذه البيئة الجامعة والتربية المزدوجة.

إنَّه نشأ وترعرع في عصر تغنَّىٰ بشعر إقبال ، وكانت له فيه دولةٌ وصولة ، وهو شعرُ الحبِّ والطموح ، وشعر الإيمان والحنان ، وشعر الثقة بصلاحية الإسلام ، والإيمان بخلوده ، فأساغه عقله المتفتّح وذوقه الناشىء ، وجعله جزءاً من أجزاء ثقافته وأساساً من أسس تفكيره.

إنَّه نشأ في حجر والدٍ مؤمنٍ جمع بين سلامة العقيدة وقوة الإيمان والقلب المتفتح والعقل النيِّر الواسع ، والعلم الحديث الأحدث ، وحب الواقعية والجد ، لا يرى تناقضاً بين العلم والدين والقديم والحديث ، وقد اقتبس من الثقافتين: القديمة والحديثة والغربية والشرقية، أفضل عناصرهما وأجملها ، فمزج بينها مزجاً جميلاً ، فأصبح برزخاً بين بحرين لا يبغيان ،

شديد الحب لله ولرسوله ، ولعشيرته وقومه ، وللغته وبلاده ، شديد البغض ، شديد البراءة من كل ما يخالف الدين الحنيف من: عقائد وأعمال وفلسفات واتجاهات ، عميق الفهم للإسلام ، وثيق الصلة بمنابعه الأصلية الصافية، شديد الغيرة على الإسلام، عظيم الحب لمركزه ومقدساته، متقشفاً في الحياة الفردية ، متوسعاً في فهم القضايا العلمية والإسلامية ، شديداً في الحدود والنصوص ، مرناً في المباحات ، والاستفادة بالحكمة والتجارب.

ذلك أخي وأستاذي ومربِّي عقلي وثقافتي ، ذلكم والد هذا الكتاب العزيز الدكتور عبد العلي ابن العلامة عبد الحي الحسني.

وُلِدَ [الأستاذ] محمد الحسني ابن الدكتور عبد العلي الحسني (أمين ندوة العلماء) في ١٧ من رجب سنة ١٣٥٤ هـ (١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٥ م) في لكهنؤ [الهند].

بدأ دراسته في البيت ، فقرأ القرآن واللغة الأردوية قراءةً وكتابةً ، والفارسية نثراً وشعراً ، بدأ بدراسته اللغة العربية في البيت عند والده ، ألف له عمه أبو الحسن الندوي سلسلة ، «قصص النبيين للأطفال» التي نالت قبولاً وانتشاراً في الأقطار العربية.

بدأ يكتب بالعربية في الثالثة عشرة من عمره ، ولم يعرف ذلك أحدٌ من أهل البيت ، وعرض مقالاً بالعربية على عمّه للتصحيح والإصلاح مرة فكان ذلك مفاجأة له واكتشافاً لقدرته على الكتابة وإنشاء المقالات في هذه السن المبكرة.

أصدر مجلةَ «البعث الإسلامي» في صفر سنة ١٣٧٥ هـ وله من العمر عشرون سنة.

نقل كتابَ «الطريق إلى مكة» للأستاذ محمد أسد الذي كان له دويٌّ في الشرق العربي ، إلى أردو.

أسَّس جمعية باسم «الرابطة الإسلامية الدولية» عام ١٩٥٩ م ،

كـان لها أعضاء في كافة أقطار العالم الإسلامي[1].

نقل أهم مؤلفات عمِّه [العلامة أبو الحسن الندوي] بالعربية إلى الأردوية ، وكان مترجماً بارعاً رقيق التعبير.

جَمَعَ مقالاتِه الافتتاحية في مجلة «البعث الإسلامي» في مجموعة الفكرة الإسلامية ، وله كتاب آخر أسماه «مِصر تتنفس» و«إلى القيادة العالمية» [و«المنهج الإسلامي السليم» و«تناقص تمار فيه العيون وتطابق يُسرُّ به المؤمنون»].

وافته المنيةُ يوم ١٧ رجب سنة ١٣٩٩ هـ عن سن لا تزيد على ٤٤ سنة ، ورثته الصحف والمجلات الإسلامية الأردوية والعربية[2].

* * *

(١) مأخوذ من مقدمة العلامة أبي الحسن الندوي لكتاب «المنهج الإسلامي السليم» صفحة : ٥ ـ طبعة مؤسسة محمد الحسني ـ الهند.

(٢) مأخوذ من كتاب «من أعلام المسلمين ومشاهيرهم» للعلامة أبي الحسن الندوي ، صفحة : (٣٤٢) طبع دار ابن كثير دمشق.

جيلنا الجديد في حاجة ماسة إلى إيمان جديد

الدِّين خرافة ، الدين زيٌّ قديمٌ لا يصلح لأبناء هذا العصر ، الدين مذهبٌ فرديٌّ ، وسلوكٌ شخصيٌّ لا دخل له ولا تأثير في الأخلاق والحياة العامة ، الدين يعادي المدنية والحضارة ، والعلوم والآداب ويدعو إلى الماضي ، بينما العلوم العصرية والمدنية الحديثة تتطلع إلى المستقبل ، وتستوحي نهضتها من صميم حياتها!

إنَّ هذه الأفكار ومثلها تملأ أذهان كثير من شبابنا اليوم ، شبابنا الناهض المثّقف والذنب في ذلك يرجع إلينا إذ لم نستطع أن نكون عقلية الجيل الجديد تكويناً إسلامياً وننشئها على الإيمان بالله ، وحبّ الدين وإجلاله بل إننا جعلناها ـ بالعكس ـ عرضة للأخطار من كل جانب ، ولقمة سائغة لكل ناهب وغاصب.

إنّ تكوين العقلية وتربية الفكر شيء خطير يجب أن نحسب له كل حساب ، ونضعه في رأس قائمة حاجات الأمة ، إن شبابنا يملك كل خير وصلاح ونحن نُسأل عنه يوم القيامة أمام الله.

الشيء الأوّل الذي يفرضه علينا الإسلام في هذا المجال هو أن نربّى جيلنا الجديد تربية تغرس فيه الإيمان بالله وحبه والاعتزاز بدينه ، ويهيمن هذا الشيء على سائر مراحل الدراسة من الثانوية إلى الجامعة. وتعديل طفيف في مناهج الدراسة أو إدخال بعض دروس توجيهيّة ومحاضرات يلقيها المدرس يوماً في الأسبوع أو مرّة في الشهر لا يكفي في هذا المجال ،

يجب علينا أن نعيد النظر في جهازنا التعليميّ والتربويّ بأسره ، ونضعه في صورة يغلب عليها هذا الطابع الجديد ، ويسري في جميع أجزائه ، ووسائله ، وأدواته ، لأن الإيمان بالله ليس مجرد كلام بسيط ليس له كبير معنى أو كبير تأثير بل إنّه غاية كل مسلم وهدفه الأوّل والأخير.

إنَّ الإيمان بالله هو الحدّ الفارق الذي يميّز الشعب المسلم الذي غايته الله عن شعوب العالم الأخرى التي غايتها المادّة والقوّة واللذّة ، إنّه يميّز سلوكه عن سلوكها ، وحياته عن حياتها ، وأغراضه عن أغراضها ، وطابعه عن طابعها ، وأساليبه عن أساليبها ، لأنه شعب ممتاز بعثه الله ليخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ويأخذ بيد الإنسانية المحتضرة ، ويرفعها عن حضيض المادة والشهوة إلى طلب الله سبحانه ، ويجعلها جديرة بحبه ورضوانه ، ويفطمها عن الملذّات المادّية الحقيرة لتذوق لذة الحب ، وحلاوة الإيمان وتعرف سر طلاوة الحياة الضائعة ، وطمأنينتها المفقودة ، رغم كل الوسائل الماديّة ، وأسباب الراحة والرخاء الموفورة.

وهذا الإيمان بالله يقتضي ـ طبعاً ـ ثورة في تفكيرنا وتجديداً في مناهج الدراسة وأساليب التربية وأصول التعليم ، واتخاذ خطوات جريئة حاسمة لتطوير هذه المناهج تطويراً لائقاً يؤدي إلى الغرض المقصود ويغير تلك المبادىء التي استوردناها من الغرب على حين غفلتنا بمبادىء أسمى وأفضل ، مبادىء الإسلام الذي آمنا به عقيدة ودستوراً ونظاماً ، حتى تكون هذه المناهج صالحة لأغراضنا يشبُّ فيها أولادنا على حبّ الإسلام وما فيه من قيم وأقدار ، ومبادىء وتشريعات ومقت الفلسفات الماديّة ، فلسفات القوة والمادة واللذة والغلبة على الضعيف على اختلاف الأسماء والألوان ، والشعارات ، وكراهة الدعوات الفاجرة وما فيها من تفسخ وميوعة وانحلال وتجريح لكرامة الإنسان ، وهبوطه عن المستوى اللائق به ، وإذا خاف بعض المخدوعين هنا وهناك أنها دعوة رجعية وخشوا أن تلتصق بهم هذه التهمة ، وتخجلهم في مجمع الدول «المتقدمة» فعليهم أن يفتحوا عيونهم ، ويصغوا آذانهم ويعلموا أن تلك الحضارة التي نعجب بها ونفتخر بتقليدها

في الشرق حضارة مفلسة منهارة عند كثير من كبار المفكّرين والباحثين والاجتماعيين في مركز هذه الحضارة ومهدها.

كتب عالمٌ أمريكيٌّ كبير شغل منصب مدير علوم العمران في جامعة هارفارد في مقال له بعنوان (SOCIAL AND CULTURUL DYNAMICS) قال فيه: «إن العالم الجديد الذي ننتظره سيكون أسوأ حالاً من هذا العالم القلق المضطرب فإنه تتغيّر فيه القيم والموازين والاعتبارات تغييراً كلياً، حتى تحلّ ضخامة الأشياء وعددها وقدرها محل الجمال العاطفي، ويحل «الجسيم» محلّ الجميل، والأشياء السخيفة التي ترضي ذوق العامّة محلَّ الفنّ الرفيع، والظاهر الأجوف الخلّاب محلّ الأقدار الداخليّة، واللباقة محلّ العبقرية، والتقليد محلّ القوّة الخلّاقة، والخبر المثير محل الحقيقة الثابتة، والقوّة العملية الخارقة محلّ البصيرة السليمة النافذة، الخ...».

إنّ اللجوء إلى هذه السفينة الغارقة، سفينة الغرب المحطّمة، يغرقنا مع المغرقين، فعلينا أن نهجر تبعية الغرب في التفكير والتعليم والتربية، ونضع مناهجها ومخطّطاتها بحرية حسب ما يملي علينا الإسلام وتفرضه علينا النتائج والمشاهدات التي لا مرية فيها.

إنَّ الإيمان أساسنا ودعامتنا، وسرّ قوتنا، وكل تعليم وتربية تقوم على أساس غير أساسه تأتي معوجّة، ولا تمنحنا قوة حقيقيّة لمواجهة الحقائق، وقدرة على استعادة مكانتنا تحت الشمس، وهي مكانة سامية يقول عنها القرآن ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

أمّا إذا اعتقدنا أننا نستطيع محاربة الغرب بتعليمه وثقافته أو نستطيع أن نحاربه - في تعبير أصح وأفصح - بمخلّفات فلسفته وفتات أفكاره فذلك وهم وخيال، وضرب من المحال، إننا لا نستطيع أن نهجم على حضارة الغرب ونقاوم غزوه الفكري وننتصر عليه بإذن الله إلا بالإيمان الذي أفلس

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

فيه الغرب إفلاساً شائناً وذلك هو السلاح الوحيد ، السلاح الأكيد ، السلاح المضمون الذي نستطيع به تصحيح التاريخ ، وتغيير اتّجاه الإنسانيّة ، وتحويل قيادتها من أيد خائنة أثيمة ، إلى أيد مؤمنة بريئة ، أحسنت قيادتها في أحطّ الأدوار وأقسى الظروف ، وأرست سفينتها المتلاطمة ـ بين الأمواج الثائرة والرياح العاتية ـ على برّ الأمان .

كان كلّ ذلك بفضل الإيمان ، الإيمان بالله والإيمان بوعده ونصره ، والإيمان برسالته ، إنّنا لا نحتاج إلى أن نستورد هذا الإيمان من الخارج ، ولكننّا نحتاج بلا شك أن نخلصه من ركام الأفكار الغربيّة والعلوم العمرانيّة الغربية التي حشدناها في نظامنا التعليمي والتربوي من غير أن نميّز الخبيث من الطيّب والضارّ من النافع ، بل أخذناها صورة طبق الأصل كما أخذنا العلوم الطبيعيّة التطبيقيّة ، أو كما أخذنا الآلات والماكينات .

إنّنا لم نفرّق بين الفلسفات والآلات ، ولم نميّز بين الوسائط والغايات ، ولم نميّز بين العلوم الطبيعيّة التي ظهر فيها العلم مجرّداً من النزعات والعقيدة ، وبين العلوم العمرانية والفلسفات الاجتماعيّة التي سيطرت عليها نزعة الغرب المادّية ، بل كان نصيبنا من ثقافته وأفكاره أكثر من نصيبنا من علمه وصناعاته .

فإنْ شئنا أن نتحرر من عبودية الغرب الفكرية وتبعيته الثقافية ، فعلينا أن نستعرض مناهجنا التعليمية والتربوية استعراضاً جديداً ونصوغها صوغاً جديداً يعيد إلى جيلنا إيمانه المفقود بالله وثقته الضائعة بوعده ونصره ، وبرسالته وشخصيته ، ويجعله عوناً على الحق ، حرباً على الباطل مؤمناً بالله ، كافراً بكل ما عداه مستخفاً بمظاهر المال والثراء والرعب والجاه ، وحينئذ يدرك نظامنا التعليمي والتربوي غايته ويحقق هدفه ، ويُنشىء الجيلَ الإسلاميّ الجديد الذي ليس حاجة البلاد الإسلامية وحسب بل حاجة الإنسانية كلّها .

* * *

حاجتك الأولى، هل تعرفها؟

إنّ ما تفتقر إليه الدعوة الإسلاميّة اليوم ، ويشتكي من فقدانه المفكّرون والدعاة وزعماء الإصلاح في العصر الحديث ، هو الإخلاص وسلامة الصدر ، فقد يكون الرجل ذكياً ، وقد يكون عالماً أو خطيباً ولا يكون مخلصاً وإنما يكون طالب شهرة وطالب منصب ، وقد يكون صاحب تأثير قوي وكلمة مسموعة ، أفاد منه عدد كثير من الناس ، وتغيّرت حياتهم وذاقوا لذّة الإيمان عن طريقه ولكنّه هو بنفسه لم ينقذ نفسه من الهلاك وإنما كان عمله رياء ، أو عادة ، أو طمعاً في مجد أو حرصاً على شهرة ، وقد صفقت له الجماهير في هذه الدنيا ، وانهالت عليه الصحف بالثناء الوافر ، وأكبّ عليه الناس من كل حدب وصوب ، ورأوا فيه مثلاً عالياً يحتذى به ، ولكنه رجع من كل ذلك صِفر اليدين وكان ممن يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾[1] .

فالمحافظة على الإخلاص هي أهم نقطة في الحياة الإسلامية وذلك يحتاج إلى سدّ تلك الثغرات الخفيَة التي يتسرب منها الفساد ، ويهدّد الإخلاص ، ولعلّ أهم هذه الثغرات هو إعجاب المرء بعمله والإعجاب بشخصيته ، فإن قطرة واحدة من هذه القذارة تكفي لتنغيص بحر من الخيرات والحسنات والفضائل والأخلاق ، وحسن بلاء في الدعوة وسابق رصيد في الجهاد.

إنَّ الإعجاب بالنفس يتسرّب في نفس الإنسان كما يتسرَّب الماء إلى

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٨ .

الجذور ، أو كما تسري الصهباء في العروق ، أو كما يسري الكرى في العيون ، فلا يطلع عليه المرء إلا بعد أن يتمكن منه ويتحكم عليه ، فلا يستطيع أن يتخلص منه إلاّ بفضل الله ورحمته ، لا بجهده وعزمه ، وإن كان الواجب عليه أن يجتهد ولا يدّخر وسعاً في إقصائه ومحاربته والتّغلب عليه.

وهنا يجب أن نفرّق بين الاعتداد والإعجاب بالنفس ، فالاعتداد بالنفس ومعرفتها محمود به ، وجاء في الحديث الشريف ، **«من عرف نفسه فقد عرف ربّه»**[1] وجاء في القرآن الكريم ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾[2] وجاء في موضع آخر ، ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[3] وقال الشاعر العربي:

ونفسـك أكـرمهـا فـإنـك إن تَهُـنْ   عليك فلن تلقى لك الدهَر مكرما[4]

أمَّا الإعجاب بالنفس فإنه يخلو من الشكر لله تعالى ، ومن الموعظة والاعتبار ، ويظنّ الإنسان أنّه نال كل هذه الفضيلة بكسب يده ، وفي ذلك يقول القرآن على لسان قارون ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[5].

إنّ الله تعالى يريد منّا أن تكون أعمالنا خالصة له مطهّرة من شوائب النفاق والكبر والأنانية والشهرة والشهوة ، ذلك معنى الحديث الشريف ، **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لمّا جئتُ به»**[6].

وأهم ما تزل فيه الأقدام وتزول فيه الجبال الراسيات ، هو ما عبّر عنه القرآن بخائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فالأعين تخون وتجد لها مرتعاً خصباً ومنظراً جميلاً في كل مكان ، والقلب يتمنّى ويعيش بالأحلام

---

(١) لم نقف على هذا الحديث فيما عندنا في المصادر ، والله أعلم.
(٢) سورة القيامة ، الآية: ١٤.
(٣) سورة الضحى ، الآية: ١١.
(٤) الشاعر هو حاتم بن عبد الله الطّائي ، يُضرب المثل بجوده ، مات عام ٥٧٨ م.
(٥) سورة القصص ، الآية: ٧٨.
(٦) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٣). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢) برقم (١٥) ، والخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٣٦٩).

والأوهام ، من حيث لا يدري أحد ، والإنسان يظنّ أنه في عمل ديني خالص لا تشوبه الدنيا .

إنه لا عبرة بكثرة الأتباع ، وكثرة الإنتاج ، وسعة الاطّلاع ، ووفرة الوسائل والأسباب ، بل إنما العبرة بصلة الداعي بربّه وإخلاصه له في قوله وعمله ، وظاهره وباطنه ، وفي الرضا والغضب ، واليأس والرجاء ، والمنحة والمحنة ، فإذا صحت نيته وحسن قصده وعمر ما بينه وبين ربّه وصل إلى شاطىء النجاة بأمان ، وحق له أن ينشد بلسان المقال ولسان الحال .

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالَمين خراب
إذا صحّ منك الودّ فالكل هيّن وكلّ الذي فوق التراب تراب[1]

إنما الاعتبار هناك بالنيّة لا بمجرّد العمل ، وهذا هو المراد من قول النبي ﷺ : «**نية المؤمن خيرٌ مِن عمله**»[2] فإذا صلحت النيّة ولم يقدر المؤمن على إنجازها وتحقيقها لبعض الملحوقات ولبعض الأعذار ، نال ثواب هذه النيّة عند الله بلا مراء . . . بخلاف العمل الذي يستهلّه خالصاً لله فيشوبه في الطريق أكدار . . . وتخالطه سمعة ورياء ، وإعجاب بالنفس أو نوع من التواكل والعجز والكسل ، بخلاف النيّة الخالصة المخلصة فمظانّ هذه الهواجس والخطرات ، والشوائب والشبهات فيها أقلّ ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنّه قال : «**إنّ بالمدينة رجالاً ما سِرتُم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم**» **قالوا : وهم بالمدينة ، قال : «وهم بالمدينة ، حبسهم العذر»**[3] .

---

(١) الأبيات) لأبي فراس الحمداني ، شاعر عربي كبير ، امتاز شعره في الأسر مات سنة ٣٥٧ هـ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/١٨٥) برقم (٥٩٤٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٦١) : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثّقون ، إلا حاتم بن عباد بن دينار الجرسي ، لم أر من ذكر له ترجمة .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب (٨٢) ، برقم (٤٤٢٣) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض . . . ، برقم (١٩١١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

فهذا أهمّ ما في الأمر وأشدّ ما نفتقر إليه في أوضاعنا الحاضرة ، التي ندر فيها الإخلاص وقلّ فيها الوفاء ، وطغت فيها المصلحة الشخصية والمنفعة العاجلة ، والأنانية الفردية وحب المال والجاه ، على كل معنى كريم ، فضلاً عن «الإخلاص» فمرتقاه بعيد ، يحتاج إلى التضحيات ونكران الذات ، وكبح جماع الشهوات ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾(١) .

والشيء الثاني الذي تتعطش إليه الدعوة الإسلامية هو الجمع بين الإخلاص والذكاء والتنظيم ، لقد وصف القرآن الأنبياء فقال : ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾(٢) والحركات الهدامة التي تكتسح العالم الإسلامي والحضارة الغربية الخلّابة التي ملكت النفوس والعقول في كلّ مكان ، تحتاج لمقاومتها إلى ذكاء خارق وتنظيم دقيق ، فالسيل لا يمسكه إلّا سيل مثله ، إنّ الغرب الماديّ حرم الإخلاص ، وفاق الشرقَ الإسلاميّ بذكائه وتنظيمه ، فإذا مزجنا الإخلاص بالذكاء والنظام ، أو طعمنا تنظيمنا بالإخلاص والصلة بالله رجعنا أقوى منه بكثير ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٣) .

الإخلاص هو النقطة الأساسيّة دائماً في الدعوة الإسلاميّة ، لكنه قلب يحتاج إلى جوارح ، وبصر يحتاج إلى أيدٍ يبطش بها ، ولو أن مجرد الإخلاص يكفي لأنقذ الإنسان ـ على حد ذاته ـ من الهلاك الأبدي وأدخله الجنة ، ولو لم يملك صاحب هذا الإخلاص صلاحية ما ، ولم يكن ذكياً أو عالماً أو إدارياً ناجحاً ، لأنّه الجوهر الغالي المفقود المقبول عند الله تعالى ، والقرآن الكريم يقول بصراحة ، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٤) سليم عن مزالق العلم ، مزالق السياسة ومزالق الدعوة أيضاً ،

---

(١) سورة النور ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة ص ، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩ .

(٤) سورة الشعراء ، الآية : ٨٩ .

ومزالق الدعوة كثيرة يخفيها الشيطان عن أنظار الدعاة ، ويزيّنها لهم ، فيبدو لهم أنهم أصحاب خير ، ورجال دعوة ، وحراس دين ، بينما هم يعملون لأنفسهم ، ويعيشون لأنفسهم ، ويظنون أنّهم يعملون لله ويعيشون لله .

إنَّ حياتنا معقدة ، وسريعة ، ومادّيّة ، والشّر فيها منظم ، ومسلّح ، وأقوى ، ونحن لا نستطيع أن نتغلّب عليه بمجرّد الإخلاص أو بمجرّد التنظيم ، بل بالإخلاص الذي يرافقه الذكاء والتنظيم ، أو بالتنظيم والذكاء المطعمين بالإخلاص ، المتشربين بالإيمان وحسن النية ، وسلامة القلب .

هذا هو سلاحنا الأكيد ، وسلاحنا الأمضى في وجه العدوّ فهل نعرف قيمته ونعرف دوره في هذا العصر؟

* * *

كيف نؤدي دورنا
في بناء العالم المعاصر؟

إنَّ الحياة تغيَّرت فيجب أن نتغير معها ، ونسايرها إلى آخر الشوط ، ونهاية المطاف ، تلك هي خلاصة ما يقوله دعاة التجدد والتغريب في هذا الزمان ، وعلينا أن ننظر في صحة هذه النظرية قبل أن نحكم عليها «بنعم» أو «لا» .

إنَّنا نُجيل البصر في العالم المعاصر ، ونجول في عواصم العالم الكبيرة المشهورة ، فنؤمن بصدق هذه النظرية ، ونرى أن الدنيا تقدمت تقدماً كبيراً في جميع نواحيها ومرافقها وأصبحت غير ما كانت عليه قبل عقود من السنين فضلاً عن الأجيال والقرون ، إذاً كيف يجوز لنا أن نقف جامدين ، متزمتين نحو هذا التقدم المشاهد الملموس؟

إنَّ المنطق والعقل ، والبداهة والتجربة كلها تقتضي أن نغير موقفنا ونغير نفوسنا وأفكارنا حتى ننسجم مع هذا التطور المدهش السريع ، ولا نتخلف عن الركب ، ولا نحرم المتع واللذات ، والوسائل والتسهيلات التي توفرت وانتشرت في جميع البلاد والأقطار ، إن معنى هذا أن الحالة الاقتصادية والأوضاع المادية ، هي التي تولد الأفكار ، وتنتج النظريات ، وتصنع الاتجاهات؟ ومعنى هذا أن الصناعة هي التي تنشىء الحضارة وتنشىء المفاهيم ، وتحدد الاتجاه ، وتقرر الأهداف .

هذه فلسفةٌ آمن بها الغربُ والشرقُ ، وأجمع عليها الطبقة المثقفة الذكية في العالم أجمع ، حتى أصبحت «حقيقة مسلمة» لا تحتاج إلى جدل

ونقاش ، حتى إن جميع الدراسات العلمية والحركات الفكرية في الغرب قامت على أساسها.

وهذه في نفس الوقت نقطة لا يقبلها الحق والحقيقة في أي حال من الأحوال ، والإسلام يعارض هذه النظرية على طول الخط.

الصناعة في الإسلام لا تكيف الحياة، ولا تصنع النظريات، والأفكار ، بل إن النظريات والأفكار هي التي تسخر الصناعة وتكيفها كيف تشاء.

«الأهداف» ـ في الإسلام ـ هي التي تتمتع بالحكم الأخير والقول الفصل ـ والكلمة المسموعة في جميع مرافق الحياة ونواحيها أياً كان نوعها ، ومهما كانت ضخامتها ومهما كان نفوذها وفعاليتها.

إنَّ قيمة الصناعة عنده نسبية (Relative) إنها مقبولة ومرحب بها ما دامت تخدم مصالحه ، لا تطغى على مُثُله وأَهدافه ونظرته وأفكاره ، ولا تمسها بسوء ، أما إذا هي طغت عليها ، وتعدت حدودها فهي مرفوضة مردودة ، وقد تجلت هذه النظرية في الآية التالية ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[1].

وبذلك تنتهي خرافة (الصناعة الخلاقة) للنهاية.

وظهرت هذه النظرية القرآنية أكثر صراحة في آية أخرى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[2].

إنَّ القيم والأقدار لا تتغير بالوسائل والعمران ، والنهضة الصناعية.

فالذي يريد أن يغيث ملهوفاً أو ينصر مظلوماً أو يطعم جائعاً مسكيناً يستوي عنده العربة والطائرة ، إلا أن الطائرة تعجل هدفه وتيسر مهمته ، أما

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٢١.

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢١٩.

إذا لم يرد شيئاً ، ولم يحمل عاطفة ، فإن الطائرة والعربة حتى الصاروخ وما فوقه لن يقدر على أن يثير في نفسه ذرة من شعور ودبيباً من ألم.

والذي يريد أن يكتب شيئاً يستوي عنده قلم الرصاص ، والقلم الناشف ، و«باركر» من أعلى الأنواع ، إن «باركر» لا يدفعه على أن يكتب في موضوع نافع فاضل ، كما أن قلم الرصاص لا يرغمه على أن يكتب في موضوع رخيص سافل ، الاعتبار هنالك بالفكرة التي آمن بها صاحب القلم - أياً كان نوعها ، وأياً كان لونها ، والعاطفة التي حملها في صدره.

وقد تجتمع الوسائل عند أناس يختلفون في المبادىء والعقائد فلا توحدهم هذه الوسائل ولا توحدهم الصناعة على مبدأ واحد ، وذلك ما أبان عنه القرآن قائلاً.

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1].

إنَّه يقول إن هذه الوسائل عامة مباحة للمؤمن والكافر ، هذا يستعملها في خير ، وذاك يستعملها في شر.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[2].

إنَّ الصناعة - من صناعة الأقلام إلى صناعة الصواريخ والأقمار - لا تملك قدرة على إنشاء نهضة وتقديم مثل ، وتوجيه أذهان ، إنها آلة صماء في يد من يحملها ويستعملها.

فالقول بأن الحياة تغيرت ، فيجب أن نغير نظرتنا إلى الحياة حتى ننسجم مع هذا التطور ، ولا نتخلف عن الركب ، قول لا أساس له في عالم الواقع ، إنه سحر هذه الحياة الزاهية المتحررة الخلابة ، التي عبر عنها القرآن بكلمة بليغة وجيزة ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾[3].

إنَّ الإعجاب بهذه الحضارة التي نشاهدها في الغرب هو الذي يدفعنا

---

(١) سورة إسرائيل ، الآية : ٣٠.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٣٢.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٢١.

على التقليد الأعمى ، ويخيل إلينا من ضجيج الماكينات وهدير الآلات أن الصناعة هي التي أنتجت هذه الحضارة مع أن الأمر بالعكس.

إنَّ الدنيا لا تتغير في الخارج أبداً ، إنها تتغير في داخل نفوسنا أولاً ثم تبدو نتائج هذا التغير النفسي العميق على السطح المادي الظاهر ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1] .

إنَّ الحياة لم تتغير حتى نحتاج إلى تغيير ، إننا نحتاج فقط إلى تصحيح مفاهيمنا وأفكارنا واتجاهاتنا ، حتى نستعمل هذه الوسائل في صالحنا كما يستعملها غيرنا في صالحه.

نستعملها في بناء مجتمع نظيف كريم ، وأسرة صالحة ، وحكومة رشيدة ، كما يستعملها أعداؤنا في الضلال والإضلال ، والفساد والدمار ، وإثارة الغرائز والشهوات ، وإشاعة المنكر والفحشاء.

المصيبة أننا ـ في الشرق ـ نهتم بالوسائل والمظاهر أكثر مما نهتم بالروح والحقيقة ، والهدف والغاية ، والدعوة والرسالة ، فكانت النتيجة أن هذه الوسائل بدأت تتحكم فينا ، وتملي إرادتها علينا بدلاً من أن نتحكم فيها ، ونملك زمامها ونسيطر عليها ونوجهها إلى حيث نشاء.

إنَّ كثيراً من الشباب المثقفين ، وكثيراً من الموجهين والمفكرين ، والزعماء السياسيين ، يظنون أن هذه الوسائل المريحة هي الحضارة ، وأصبحت المقاييس تتغير حسب الأذواق ، فالحضارة عند البعض رفع مستوى المعيشة ـ أو بتعبير أصح ـ فندق كبير مزود بأحدث الأجهزة ، متوفر بكافة التسهيلات ، والحضارة عند البعض رحلات إلى رومة ، وباريس ، وعند الآخرين تقليعات وموضات ، مع أن كل هذه الأشياء لا صلة لها بالحضارة ، إنها أدوات في أيدي المتحضرين ، خلقها الله سبحانه للبشر لينظر كيف يعملون ، قائلاً في كتابه المجيد : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ١١.

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1] وقال على لسان قوم موسى عليه السلام: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[2].

وقد ثبت من هذا أن «الدعوة» إلى التغيُّر مع تغير الزمن دعوة غير علمية ، وغير مبنية على الأصالة والتعمق ، إنها تبدو بريئة في أول أمرها ، ولكن سرعان ما ينكشف أمرها ويفتضح سرها ، إنها تدل على أننا استوردنا هذه الفكرة من الغرب ضمن مشحوناتنا الأخرى من غير أن نفكر فيها.

فإذا كانت السيارة تحمل المرء في لندن أو شيكاغو إلى صالة رقص أو حانة خمر . . ظننا من شعور أو من غير شعور أن كل من يشتري هذه السيارة لابد له أن يتوجه حيث ما توجه إليه الإنجليزي والأمريكي.

وإذا كان التلفزيون في الغرب أداة للعبث الحرام ظننا أنه على كل من يصنع هذا التلفزيون أو يستورده أن يقدم نفس البرامج ، كأن السيارة لم تخلق إلا ليتوجه إلى البار ، وكأن التلفزيون لم يصنع إلا للخلاعة والمجون ، وهذا ينطبق على سائر مرافق الحياة ، إننا لم نستورد الوسائل فحسب ، بل إننا استوردنا معها الغايات والمناهج ، والفكرة والروح ، والذوق ، وتلك هي الطامة الكبرى ، والبلية العظمى.

وهكذا حدث في التربية:

التربية في جميع الأقطار أداة لتوجيه الشعب إلى غايات معلومة ، واضحة المعالم ، ظاهرة الملامح ، فالتربية في الدول الاشتراكية غير التربية في الدول الغربية ، بل إن التربية في أمريكا ، غير التربية في انجلترا ، والتربية في الصين الشيوعية غير التربية في الاتحاد السوفيتي ، وذلك لأن لكل دولة أغراضاً ومصالح وأهدافاً يسخر لها جميع أجهزة البلاد بما فيها التربية والرياضة ، والمسرح والسينما والإذاعة ، أما نحن في الشرق فقد نستورد هذه المناهج التربوية والكتب التربوية (بنقلها إلى العربية)

---

(١) سورة الملك ، الآية: ٢.

(٢) سورة القصص ، الآية: ٧٧.

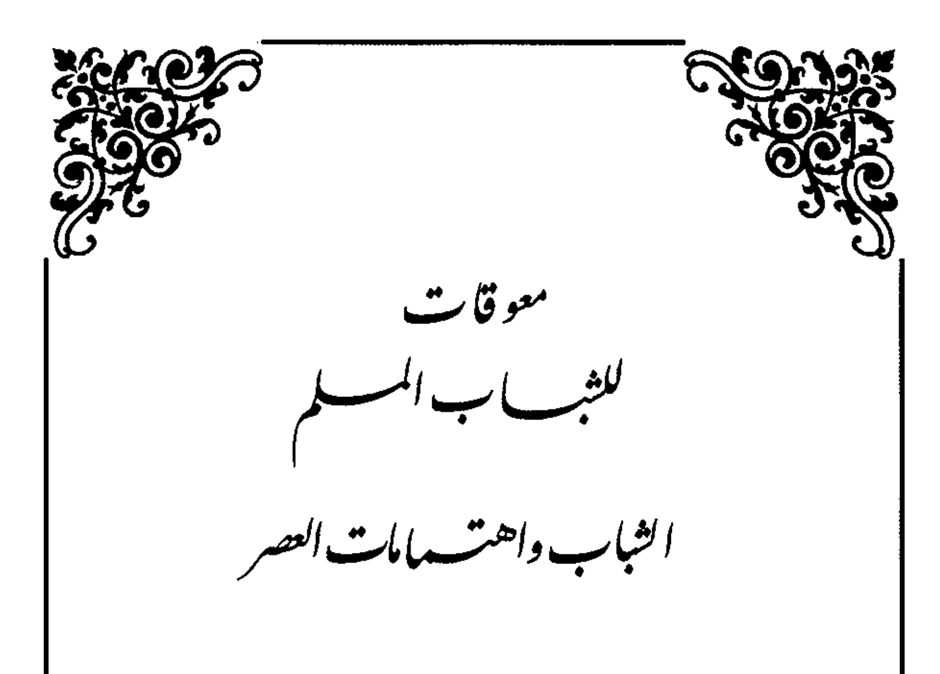
بجملتها ، مع أنها تعارض أهدافنا الإسلامية الواضحة ومثلنا العليا ومصالحنا الدينية كل المعارضة وتثير صراعاً فكرياً واضطراباً عقائدياً بطبيعة الحال.

وكلٌّ هذا ناتج من هذا الوهم الخاطىء بأن الصناعة والنهضة المادية هي التي تغير ملامح المجتمع ، وتفتح آفاق الفكر ، وتمنح الأفكار والنظريات الفاضلة ، وإننا نحتاج إلى أن نتغير ونتطور مع الزمن حتى لا نتخلف عن ركب «المتحضرين» ونتقي تهمة «الرجعيين».

إنَّنا مهما جمعنا من وسائل وأسباب ـ نحتاج إلى أن نكون أكثر أصالة وتعمقاً ، وأكثر ذكاءاً وفراسة ، وأكبر صبراً وهدوءاً ، في مواجهة هذا السيل المتدفق الفوار ، الذي ينهمر علينا من الغرب ، فنأخذ منه وندع ، ونترك ونختار ، نأخذ الآلات المجردة ، وندع الأفكار اللاصقة ، نختار العلوم التطبيقية ونسخرها للرسالة العظيمة التي آمنا بها ، والدعوة التي حملناها.

إنَّنا بذلك نقدم شيئاً مهماً خطيراً ، في مضمار العلم والثقافة للعالم المعاصر ، شيئاً جديداً يسمو على هذه الأفكار كلها ، ونصحح اتجاه الإنسانية من جديد لتسير على درب مستقيم لزمن آخر طويل لا يعلمه إلا الله.

* * *



معوقات للشباب المسلم

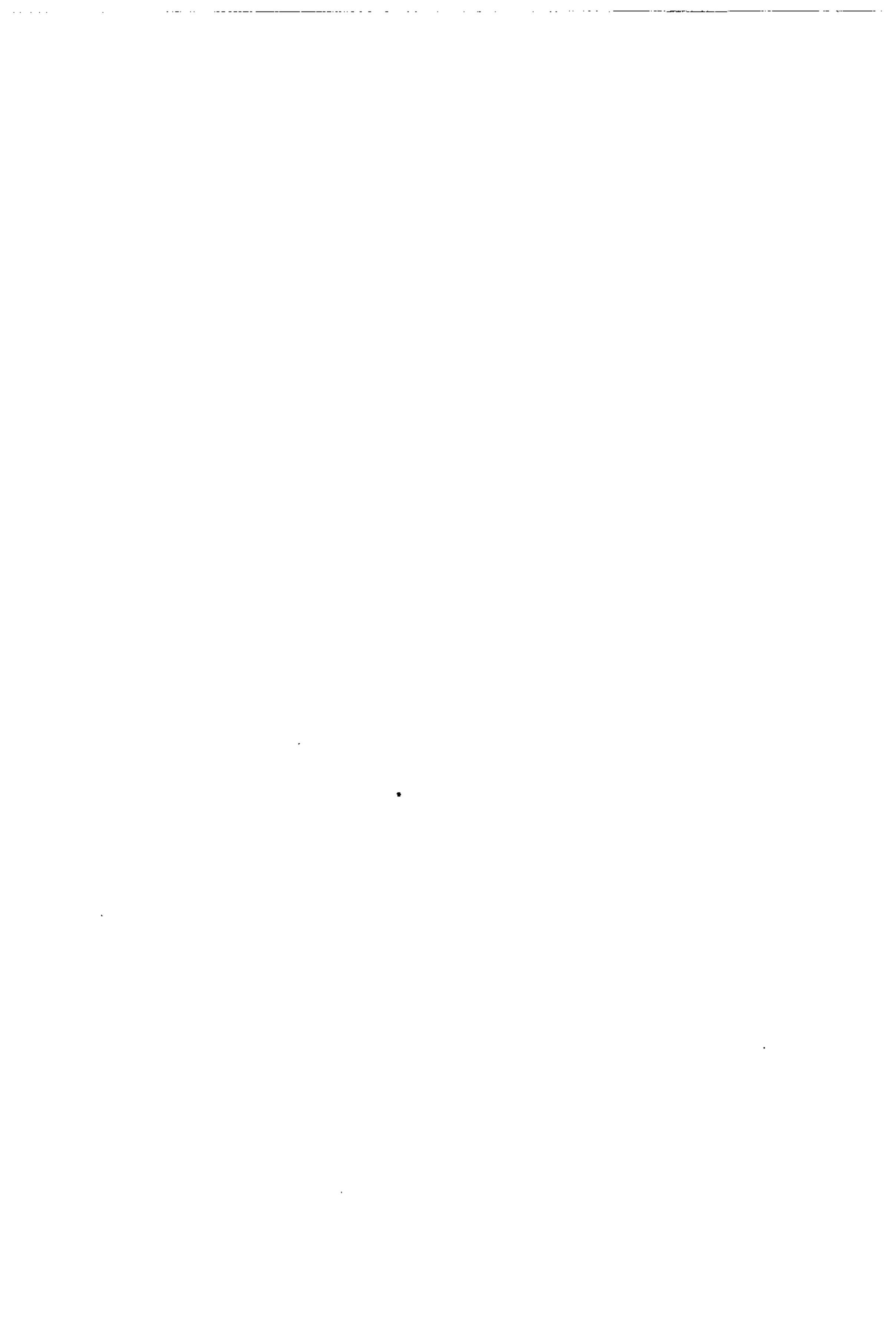
الشباب واهتمامات العصر

محاضرتان

لفضيلة الأستاذ الداعية

الشيخ عائض بن عبد الله القرني





تعريف المحاضر

هو الداعية الموهوب ، العالم الجليل ، المحاضِر البارع ، الشيخ عائض بن عبد الله القرني ، من كبار علماء السعودية اليوم .

وُلد عام ١٣٧٩ هـ ببلاد القرن الواقعة في جنوب السعودية ، درس العلومَ الشرعية الابتدائية على علماء بلده ، ثم التحق بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، وتخرَّج منها عام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ هـ ، ثم حصل على شهادة الماجستير من الجامعة نفسها عام ١٤٠٨ هـ بتقديم رسالته بعنون «البدعة وأثرها في الدراية والرواية» ، ثم نال شهادة الدكتوراه من هذه الجامعة عام ١٤٢٢ هـ بتقديم رسالته بعنوان «دراسة وتحقيق كتاب : المُفهم على صحيح مسلم للقرطبي» .

حضر الشيخ القرني عشرات المحاضرات والأمسيات ، والمؤتمرات المنعقدة في العالم العربي والإسلامي ، وشارك كذلك في بعض المؤتمرات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية ، ودُعي محاضراً مرَّاتٍ في جامعات السعودية .

وله مؤلَّفاتٌ قيمةٌ في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة والتراجم ، ومن أشهرها :

١ ـ الإسلام وقضايا العصر .

٢ ـ فاعلم أنه لا إله إلا الله .

٣ ـ حتى تكون أسعد الناس .

٤ ـ لا تحزن .

٥ ـ حدائق ذات بهجة.

٦ ـ مجتمع المثل.

٧ ـ وحي الذاكرة.

٨ ـ احفظ الله يحفظك.

٩ ـ فقه الدليل.

١٠ ـ ترجمان السنة.

* * *

معوقات للشباب المسلم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

موضوع هذا الدَّرس (معوقات الشباب المسلم) ، وأنا أذكر المعوقات ثم أعلِّق عليها يسيراً من القول .

فالمعوِّقات هي :

١ ـ ضعف الصِّلة بربِّهم تبارك وتعالى في بعض النواحي .

٢ ـ شرك الخوف وضعف التوكُّل .

٣ ـ عدم الاهتمام بالفِقه في الدين .

٤ ـ الهامشية في حياة الكثير من الشباب .

٥ ـ تقريع النفس إلى درجة عدم الثقة بها .

٦ ـ قِلَّة الصبر أمام المغريات .

٧ ـ تأثير الرفاهية العصرية في الجد والاجتهاد .

٨ ـ رُوح الانهزام عند الكثير مع الإحباط واليأس .

٩ ـ الإفراط في التفاؤل عند البعض مبْناه على بعض الملابسات والمرئيات .

١٠ ـ تمزّق الوقت بين الملهيات والتسويف.

١١ ـ عدم معرفة الشابّ لمواهبه واستعداداته.

١٢ ـ ضعف الصلة بين الشباب والدعاة والعلماء.

١ ـ ضعف الصلة بربهم تبارك وتعالى:

إنَّ بين العبد وبين الله حبل لا ينقطع، وحِبال البشر تتقطع دائماً، والعجيب أن الصحابة رضوان الله عليهم سافروا مع الرسول ﷺ، فلمّا أصبحوا في الطريق قالوا: يا رسول الله أربُّنا قريب فنُناجيه، أم بعيد فنناديه؟

فأنزل الله قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[(١)].

بين العبد وبين الله أن يرفع يديه فيسمعه الله ويستجيب دعوته، وهذه الصلة تكمن في شتى صور من العبادات:

فمِن أعظم الصِّلة: الصلاة، وسمِّيت صلاة، لأنها صلة بين العبد وبين الله.

قال أحد الصالحين: هنيئاً لك يا ابن آدم، أفْرِغ بينك وبين الماء البارد تتوضأ وتدخل على الله في بيته، ولذا سمِّي المسجد بيت الله سبحانه وتعالى، لأنه ليس بيتاً لأحد من الناس.

وهذا البيت يجتمع فيه المَلِكُ والمملوك، والرئيس والمَرْؤُوْس، والتاجر والفقير، فيجتمعون كلهم لكلام رجل واحد عليهم أن ينصتوا له فرضاً من الشرع.

ومِن صُور الصلة بالله: الدعاء، وهذا الذي نفقده.. أن نرفع أكفّنا دائماً إلى الله الواحد الأحد، فإن الله يرضى إذا سألته، ويغضب إن تركت سؤاله.

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنيّ آدم حين يسأل يغضب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

فالإنسان كلّما سألته غضب ، والله سبحانه وتعالى كُلَّما أكثرت عليه المسألة رضي عنك .

فكان على الشباب أن يكثروا من السؤال ، فمن أكثر السؤال فلن يرجعه الله خائباً، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1] .

وفي الحديث: «لن يهلكَ مع الدعاء أحدٌ»[2] .

وعند الترمذي: «أفضَلُ العِبَادة انتظارُ الفرَج»[3] .

فحق علينا يا معاشر شباب الإسلام أن نكثر الصلة بالله ونقوّيها .

كذلك من الصلة بالله : الذكر بتسبيحه سبحانه وتعالى وتحميده ، خاصة أمام الوسائل المغرية الهادمة الهادفة إلى تدمير الشباب المسلم .

ومن أسباب الصلة : قراءة القرآن .

٢ ـ شرك الخوف وضعف التوكل :

الذي نخشاه أن بعض الناس ممن يصلِّي الصلوات الخمس ، ويحج البيت ، ويعتمر في رمضان ، ويصلي التراويح ، ويقرأ القرآن ، نخشى أن يكون عندهم شرك خوف ، فيخافون من البشر أخوف من رب البشر .

وهذا وجدناه في الأساتذة ووجدناه في الطلاب ، ووجدناه في الكبار والصغار ، ولا نبرىء أنفسَنا .

وجدناهم مع البشر يخافون ويتأكَّدون من العبارات ويتثبتون من مواقفهم حتى لا يقعوا في إرباك مع البشر ، بينما مع الله لا تجد هذا التثبت ولا هذا التأني ولا هذا الخوف .

فأين الخوف من الله؟

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، برقم (٢٣٩٨) .

(٣) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، في الدعوات ، باب في انتظار الفرج ، برقم (٣٥٧١) .

يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله أن من نواقض لا إله إلا الله: شرك الخوف، بأن تخاف من غير الله أخوف من خوفك من الله، والله عزَّ وجلَّ قال: ﴿ وَإِيَّىٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[3].

ويقول أيضاً: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[4]..

شابٌ أتى إلى بعض المستشفيات قال: رأيتُ كثيراً من النساء شبه عاريات، ملابسهن مغضبة لله.

قلت: لماذا لم تنه عن المنكر؟

قال: أخاف!!

قلت: إذن فلماذا تقول في الصباح: (**رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّدٍ نبياً**)؟ ولماذا تقول: لا إله إلا الله؟

وإنسان آخر يرى المجلات تباع بالعشرات وهي مجلات هادمة هابطة، المجلة الواحدة تستطيع أن تدمر شعباً كاملاً.

تسأله لم لمْ تنه؟ أي بالتي هي أحسن، بأن تتحدث مع صاحب المحل وأن يأتي غيرك من الشباب يتحدثون، حتى تصبح ظاهرة وتصبح مسألة تدار في المجتمع.

قال: أنا أخاف!

فلماذا تقول في الصباح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣ ـ ١٧٤.

فالخوف من نُقاط الضعف عند الشاب المسلم ، وهي من المعوِّقات عن تحمل الأعباء والرسالة الخالدة التي بعث بها الرسول ﷺ.

٣ ـ عدم الاهتمام بالفِقْه في الدين:

فالشباب كثير منهم يحب الله ورسوله والدّار الآخرة.

وكثيرٌ منهم عنده تصور مجمل وعموميات عن الإسلام ، لكن الأحكام الشرعية والفقه في الدين وطلب العلم الشرعي ليس عند الكثير منهم.

نعم! يحضرون المحاضراتِ العامة ، لكن أن يأتي إلى العالم فيقرأ عليه كتاباً ، أو يبحث مسائل الشرع ، أو يحفظ الأحاديث وتخريجها ، أو يعرف المسألة بدليلها فهذا عند قليل منهم.

وهذا نقص ، يقول النبيّ ﷺ في الصحيحين: «**مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يفقِّهه في الدين**»[1].

فالرَّجاء يا شباب الإسلام ، والرجاء يا رُوَّاد الدعوة ، والرجاء يا حَمَلة المبادىء ، أن نقبل على العلم الشرعي والتفقه في الدين إقبالاً تاماً.

والحمد لله فكل مدينة فيها علماء يدرسون ، وفيها طلبة العلم ودعاة عندهم دروس وحلقات ، وإذا لم تستطع فأقبل على الكتب واقرأ.

ولكن مشكلتنا أنا لا نقرأ ولا نرغب في القراءة إلا مَن رحم الله ، يقول موشي ديان اليهودي: العرب أمة لا تقرأ ، يعني في فترة من الفترات.

تصوَّروا أن إسرائيل عن طريق الخطأ نشرت أسرار كثير من أسلحتها النووية في المنطقة ، وكثيراً من أسرار الجيش وأعداده ، ولم يعلم العرب بذلك.

فكان يضحك وهو في واشنطن ويقول: العرب قوم لا يقرؤون.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث معاوية رضي الله عنه ، في كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً. . . ، برقم (٧١) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة ، برقم (١٠٣٧).

٤ ـ الهامشية في حياة الكثير من الشباب :

كثيرٌ من الشباب يرى أنه خارج الخريطة ، وأن الناس ما ينظرون إليه ، وأن المهمّة ملقاة على غيره .

إن قلت له مثلاً : لماذا لا تكون نفسك بأن تكون مفتياً في المنطقة؟

قال : القُضاة كفونا ذلك ! !

لماذا لا تكون خطيباً؟

قال : الخطباء متوافرون والحمد لله !

فأين أنت؟

ما هو دورك في الحياة؟

وماذا تقول لله غداً إذا سألك؟ ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[1] ، لا معاذير في الإسلام .

فالشباب كثيرون وعندهم عواطف وآمال وآلام للأمة ، ولكن كثيراً منهم لا يدري أي يفرغ عواطفه ، أو كيف يفرغها ، فهو سلبي عند العمل .

ليس شرطاً أن يكون كل منا خطيباً أو داعية أو شاعراً .

لا . . بل المجالات مفتوحة وسُبُل الخير مشروعة ، و﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[2] .

المُهِمُّ أن تنظر في قدراتك وطاقاتك ثم تنطلق لخدمة الإسلام بحدودها .

٥ ـ تقريع النفس إلى درجة عدم الثقة بها :

كثيرٌ من الشباب اهتدى بعد المعصية ، وكلُّنا خَطَّاؤُون وخير الخطائين التوَّابون ، فباب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها .

---

(١) سورة القيامة ، الآية : ١٤ ـ ١٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٦٠ .

فهذا الشاب المهتدي الذي كان سابقاً يفعل الجرائم والمنكر ، يبدأ في جلد نفسه وتقريعها وأنها حقيرة لا تصلح لأي عمل خير .

إذا قلت له : لماذا لا تكون داعية؟ أو خطيباً؟ أو واعظاً؟

قال : أنا ! ! بعد تلك الجرائم والماضي القبيح أقود الأمة .

لا أستطيع ، اذهبوا لغيري ! !

ولا يزال هـذا الشاب يحطـم نفسـه إلى أن ترضى بالهوان ، وترضى بالقليـل ، فيعيش دوراً سلبيـاً في حيـاة الدعوة والالتزام بسبب ذلـك التقريع .

فالواجبُ على الشاب أن يكون مِقْداماً إلى الخير ، يشجع نفسه على اقتحام الصعاب وأنه قادر عليها بحول الله وبقدرته تعالى .

وأن يتذكر أن كبار الصحابة كعمر رضي الله عنه كانوا يسجدون للصَّنم ، ويفعلون الآثام العظام ، ولكنهم بعد التوبة انتقلوا انتقالة رائعة إلى أماكن عالية في عالم الغيب وفي مراتب العبودية .

وأن تعلم أن الله يفرح بتوبة العبد ، وأنك إذا أتيته بقُراب الأرض خطايا ثم تبت أتاك بقرابها مغفرة سبحانه وتعالى .

عيسى عليه السلام رأى عاصياً فأخذ بيده إلى بيت المقدس .

فلما وصلاه قال العاصي : يا عيسى اتركني ، أخشى أن أدنِّس بيتَ المقدس .

فأوحى الله إلى عيسى : أخبر ذلك العاصي بأني تبت عليه ، وعزتي وجلالي لكلمته أفضل عندي من عبادة سبعين سنة .

وقيل للإمام أحمد : أيبقى العبد حتى يكمل ثم يدعو إلى الله .

قال : أوّه . . . ومن يكمل !

فهيا يا شباب الإسلام ، الميدان محتاج لكم فلا تركنوا إلى هذه الوَسَاوِس والصَّوَارِف .

٦ ـ قِلَّة الصبر أمام المُغْرِيَات:

فإنَّنا أمام جبهات محاربة للإسلام لا يعلمها إلا الله.

قَـارِنْ بين شابين اثنين، شاب يعيش في عصر الصحابة، وشاب يعيش في القرن الخامس عشر الذي نعيش فيه.

شابٌّ يسكن المدينةَ التي عاش فيها الرسول ﷺ، جِيرانه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وأبو هريرة وحسَّان بن ثابت وأُبيّ بن كعب ومُعاذ بن جبل، خطيبهم محمد ﷺ، وإمامهم في الصلاة محمد ﷺ، جبريل يتنزل بالوحي صباحاً ومساءً.

الأمة كلُّها في مجملها تحب اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، ليس هناك مُغْرِيَات ولا شهوات.

وبين شاب يعيش الآن في انقطاع من الوحي وبعْدٍ عن السلف الصالح.

وجيرانه أنواع من كل حدب وصوب.

ويواجه في مجتمعه وفي المجالس من يستهزىء بالدين صراحة، ومن يسخر به ومن يلمزه في وجهه، ويمر بالمجلة الفاتنة، والصورة الخليعة، والفيديو المهدم، والأغنية الماجنة، والضياع وجلساء السوء، والوثنية والحداثة، والزندقة، والعلمانية و. . . إلخ.

فكيف ينجو؟ فهذا صراع رهيب.

وأمَّا ذلك فليس للعبد ـ خاصة الشباب ـ إلا الصبر، بأن يصبر ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[(١)]، واعلم (أن النصر مع الصبر)، والصبر يكمن في غض البصر.

٧ ـ تأثير الرفاهية العصرية في الجدّ والاجتهاد:

يظن بعض الناس أنه كلما كثرت النِّعَم كانت الأمة أصلح. . . وهذا خطأ.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

لقد فتح الشباب من صحابة محمد ﷺ ثلاثة أرباع الكرة الأرضية وأحدهم لا يملك إلا ثوباً واحداً.

دخل رِبْعِيُّ بن عامر برمح مثلم أمام رستم.

ودخل الصحابة إيوان كِسْرَىٰ والواحد منهم لا يشبع من خبز الشعير.

فماذا نفعتنا هيئتنا، وقصورنا، وسيارتنا، وحدائقنا، وبساتيننا، وأكلاتنا؟

إن من أكثر ما يوجد الترهل في الروح المعنوية للشخص كائناً مَنْ كان ـ بغض النظر عن المسلم أو غيره ـ هو ما يعيشه من رغد في العيش.

تولى أحد الملوك الأندلس بجيش عَرَمْرَمْ طوّق به الأندلس كلها.

فلمّا مات تولَّى ابنه بعده، وكان ابنه مترفاً إلى حد السرف. يقول: كان في بيتي اثنتان وسبعون جارية وأربع نساء، ويستمع للغناء صباحاً ومساءً.

فأتى ملك الفرنجة فاجتاح الأندلسَ، وقيّد هذا الملك الشاب في السجن، فأتت أمه تزوره فبكى عند باب السجن، فقالت: ابْكِ مثل النساء، ملْكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال.

نحن المسلمون ما هي مهمتنا في الحياة؟

لماذا بعثنا الله للناس؟

لماذا أخرجنا من الظلمات إلى النور؟

الصحابي الواحد يقول: يا رسول الله لا تمنعني أن أدخل الجنةَ، والله لأدخلن الجنة بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف.

ويأتي جعفر الطيّار من الحبشة بعد هجرة سبع سنوات فيصل إلى المدينة، فهل يجازيه الرسول ﷺ على هجرته في الله بجائزة مالية ويعطيه منصباً؟

لا.. بل أرسله ليسفِك دمَه ويدفع روحه في مؤتة في سبيل الله،

فقطعت يده اليمنى فأخذ الراية باليسرىٰ ، فقطعت اليسرى فضم الراية فكسرت الرماح في صدره فقتل.

فقال النبيُّ ﷺ بعد لحظات من مقتله: «**والذي نفسي بيده لقد رأيتُ جعفر بن أبي طالب يطير في الجنة بجَنَاحَيْن أَبدلهما الله مكانَ يديه**»[1].

٨ ـ **روح الانهزام عند الكثير مع الإحباط واليأس:**

فكثير من الشباب عندهم يَأْسٌ من المجتمع.

تقول لبعضهم: لماذا لا تدعو جيرانك؟

قال: لا خير فيهم.

لماذا لا تؤثر في الناس؟

قال: لا.. اتركهم لا تشغل نفسك بهم ، هؤلاء ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم!!

وتجد بعضهم إذا ألقى خطابه فلم يقبل الناس دعوته ، استخدم ألفاظ القسوة: دمّركم الله ، وسلط الله عليكم!

وهذه الألفاظ ليست في قاموس محمَّد ﷺ ، الذي يقول له سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

تَجِد شاباً يأتيك ويقول: ما رأيُك في أُسْرتي أنا هَدَاني عزَّ وجلَّ ، دعوتُ بيتي ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية شهراً كاملاً.

قلنا: الشهر لا يكفي ، الرسول ﷺ بقي عشر سنوات يفهِّم الناس كلمة في مكة ، ونوح بقي ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فعليك أن تصبر.

قال: لا.. إنهم لو أراد الله بهم الخير لهداهم ، أنا أريد أن أتركهم تماماً.

فهذا من الإحباط واليأس.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، (٣/٢٠٩).

(٢) سورة القلم ، الآية: ٤.

ومن الصُّور أيضاً ، أن من الشباب من ينظر بنظرة سوداوية للمجتمع فلا يرى إلا أمور الشر فيه.

ومقابلهم أناس قد أفرطوا في التفاؤل ، وكلاهما مخطىء.

فالواجبُ عدم الإحباط واليأس من روْح الله ، والذي يظنُّ أنه سوف يصلح العالم كله فهو واهم ، فالرسول ﷺ نفسه لم يفعل ذلك.

كان ﷺ يصلِّي في المسجد والمنافقون خلفَه ، والله سبحانه وتعالى قال له: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[(1)] ، وقال له أيضاً: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[(2)].

فأنْ يتصوَّر الشاب أنه لا بد أن يكون الكل ملتزماً ومستقيماً ومهتدياً ، فليس بصحيح ، وهذا خلاف سنة الله في الأرض.

يقول أحد العلماء: والله لو أقام صالح في رأس الجبل لقيض الله له من يعاديه في رأس الجبل.

فالأضداد موجودة ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[(3)] ، وقال أيضاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[(4)].

٩ ـ الإفراط في التفاؤل عند البعض:

فبعض الشباب يُخالِط وسطاً ملتزماً ، يعني بيته ملتزم وإخوانه ملتزمون والكلية التي يدرس فيها ، فيها التزام ، فإذا تحدث قال: الناس كلهم

(١) سورة يوسف ، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة الغاشية ، الآية: ٢٢.
(٣) سورة الحج ، الآية: ٤٠.
(٤) سورة الفرقان ، الآية: ٣١.

ملتزمون ، الناس كلهم متجهون إلى الله ، الناس ليس فيهم عاصٍ ، الناس كلهم والحمد لله ألوف مؤلفة أقبلت .

فهذا عكس الأول ، ونسي أن هناك نقصاً في المجتمع .

ومِن علامات النقص مثلاً : أن المُباريات يحضرها أكثر من ستين ألفاً .

فما معنى هذا؟

يعني أن المباريات أنفع للأمة والإسلام من المحاضرات!

قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1] .

في كلِّ مكان تجد وقت النداء من الناس من يستمع الأغنيةَ ومنْ يذهب إلى المسجد ، ومن يجلس في المَقْهى ، ومن يجلس في المحاضرة ، ومن يحب القرآن ، ومن يحب المجلة ، ومن يرغب في السواك ، ومن يرغب في السيجارة ، فهي سنة كونية يهدي الله لنوره من يشاء .

١٠ ـ تمزق الوقت بين الملهيات والتسويف :

فلم يقتلنا إلا التسويف .

قالوا : من زرع (سَوْفَ) أنبتت له نبتة اسمها (لَعَلَّ) لها ثمر اسمه (لَيْتَ) طعمه (الخَيْبة والنَّدامة) .

فإذا رأيتَ شاباً يقول : سوف سوف فاغسل يديك منه ، واعرف أنه سوف يُراوِح مكانه .

أعرف شباباً من أربع سنوات وخمس سنوات كلما قلتُ لهم : أما حفظتَ القرآن؟

يقول : سوف أحفظه إن شاء الله .

ولو قامت الحرب العالمية الثالثة لما حفظه! يموت وما حفظه!

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ١٣ .

يقول في وقت الدراسة: هذا وقت الدراسة، لا أحفظ القرآن لأني مشغول بالدراسة.

فإذا أتت العطلةُ الصيفية قال: الآن آخذ نزهة وراحة للقلب! وإن لقلبك عليك حقاً!

تنتهي العطلة وتأتي عطلة الربيع قال: هذه العطلة لمكَّة والعُمرة!

تنتهي العطلة وتأتي الدراسة قبل الامتحان قال: هذه للمراجعة والاستعداد العلمي!

وقِسْ على ذلك.

يقول بعضُ التابعين لما حضرت سكرات الموت ـ ذكره ابن المُبَارك في كتاب الزهد ـ: أنذرتكم سوف.

والله سبحانه ندد بأعدائه في القرآن وقال: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

قال بعضُ المفسِّرين: لأنهم كانوا يستخدمون سوف، أي سوف أفعل، سوف أحفظ، سوف أطالع، جازاهم الله بالمثل.

والعجيب أن الشباب الملتزم كثير منهم لا يحسب للوقت حساباً.

الآن قد تفاجأ بشاب يزورك، فتجلس معه وتريد أن يحدثك عن الموضوع المُهِم الذي جاءك من أجله.. فلا يسأل.

تسأل عن أهله، وعن الأمطار في بلده، وعن أخباره، وعن مرتبه، ومتى يتزوج، وتلقي عليه عشرين سؤالاً، وتتحرى متى يعطيك هذا السؤال الذي يريده، وفي آخر المطاف مع صلاة المغرب يخبرك بأنها زيارة في الله!!

فهو يزورك بعد العصر في الله، وبعد المغرب في الله، وبعد العشاء في الله، ويأكل غداءك في الله! ويأكل عشاءك في الله! وينام عندك في الله!

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣.

الحُبُّ في الله لا بـد أن يسيّر تسييراً شرعيـاً ، لا أن يتـرك لكل أحد أن يفسره بهواه .

فإذا أردنـا أن نزور بعضنا فينبغي تحري الوقت المناسب وإخبار المزور ليستعد ويتهيأ لك .

والله ذكر ثلاثة أوقات لا يزار فيها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١) ، وأن لا نضيع الزيارة إلا في ما ينفع ، وأن لا تسرق معظم أوقاتنا لأن :

دقَّـات المـرء قـائلـةٌ لـه ... إن الحيـاة دقـائـق وثـوانِ

فارفعْ لنفسك قبل موتك ذكرَها ... فـالـذكـر لـلإنسـان عُمـر ثـانِ

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(٢) .

وقال ﷺ : «**نِعمَتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصِّحة والفَراغ**»(٣) ، «**لا تزولُ قَدَمَا عبدٍ يومَ القيامة حتى يُسأل عن عُمْره فيما أَفناه**»(٤) .

١١ ـ عدم معرفة الشاب لمواهبه واستعداداته :

يعني كثير من الإخوة لا يعلم ما هي موهبته وما هو المجال الذي يصلح فيه ، فهو لم يدرس نفسه .

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٨ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥ .

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الرقاق ، باب الصحة والفراغ ، برقم (٦٤١٢) .

(٤) أخرجه الترمذي من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ، في أبواب صفة القيامة برقم (٢٤١٧) .

يدعو كثير من علماء النفس أن تدرس نفسك ، أي أن تتعرف على نفسك ، وما هو الشيء الذي يمكن أن تفلح فيه .

الرسول ﷺ ذكر في الحديث الصحيح : «**كلٌّ مُيَسَّر لما خُلِقَ له**»[1] ، والله يقول : ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[2] .

فالله يريد منك أن تكون طبيباً مُسْلماً ، أو مهندساً مسلماً ، أو عاملاً مسلماً وهكذا ، فالأحسن لك أن توجه هذه الطاقة التي منحك الله إياها وتكرسها وتستفيد منها وتنفع به الإسلام في المجال الذي تبرز فيه ، لا أن تكره نفسك على شيء لم تتهيأ له .

مثلاً تجد بعض الإخوة يريد أن يكون خطيباً بالقوة ، والله ما كتب له أن يكون خطيباً بل كتب له أن يكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، منفقاً في سبيل الله ، إدارياً ناجحاً ، موظفاً مخلصاً ، تاجراً صادقاً .

لكن هو يريد أن يكون خطيباً! ومواهبه لا تهيئه للخطابة .

أيضاً لا نريد من الطبيب أن يكون مفتياً ، فأهل الفتيا كثير ، لكن نريده أن يكون داعية بطبه إلى الله الواحد الأحد ، حاملاً رسالة ، مؤثراً فيمن يأتيه ويتعالج عنده .

ولا نريد من المهندس أن يكون خطيباً أو واعظاً ، فهناك للوعظ أناس ، وهكذا .

الشاهد من كلامي أن على الشاب أن يعرف الشيء الذي يمكن أن ينفع الإسلام به .

فعلى الأقل إذا لم يكن الإنسان داعية بنفسه أن يكون وسيلة إلى الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، كأن يكون له اشتراك مع إخوانه وزملائه فيدفع للشريط الإسلامي ويدخله بيوت الناس والمدارس والسيارات ، فالرسول ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عمران بن حُصين رضي الله عنه ، في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي ، برقم (٢٦٤٩).

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٦٠ .

يقول : «لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم»[1] يكون داعية في بيته ، يكون داعية بسلوكه وأخلاقه ، ينفع المنكوبين ، يقف مع المصابين ، يفيد المساكين ، فهذه من المشاركة .

١٢ ـ ضعف صلة الشباب بالدعاة والعلماء :

بأن يأتي الشباب إلى الدعاة والعلماء فيبثوا إليهم أحزانهم ومشاكلهم ، وهذا شيء يفرح به أهل العلم وأهل الدعوة .

لا أعلم داعية أو عالماً يتضجَّر من ذلك .

وإن تضجَّر فهو لظروف خاصة مرّت به أو لعدم الزيارة المناسبة أو لأمر ما .

ووالله إن مِن أجمل الأمور التي نشكر الله عليها أن نجد شاباً يطرح مشكلته وسؤاله ، أو يريد أن توجهه توجيهاً علمياً ، أو يريد أن تدله على الطريق المستقيم ، أو تحل له إشكالاً يعيش به ، أو تنقذه من أزمة ، لأمور :

١ ـ لأن الله سيكتب لك أجراً عظيماً لهذا الفعل ، **«واللهُ في عَوْن العبدِ ما دام العبدُ في عون أخِيْه»**[2] .

٢ ـ ومنها أن ستكسب أخاً لك .

٣ ـ ومنها أنك سوف توجه هذه الطاقة المعطلة لنفع الإسلام والمسلمين .

فالرجاء من الإخوة الشباب أن يستشيروا الدعاة ويواصلوهم في كل ما يهمهم ويهم أمر الدعوة ، وأن يزيلوا الحواجز المصطنعة فيما بين

---

(١) أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، في كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام. . . برقم (٢٩٤٢). ومسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي. . . ، برقم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، في كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، برقم (٢٦٩٩).

بعضهم ، لعل الله أن ينقل تجربة وحكمة أولئك الدعاة والعلماء في هذا الجيل النابض بالحياة.

هذا ما حضرني حول هذا الموضوع (معوقات للشباب المسلم) ، وهي معوقات قد أراد الله لها أن تتذلل أمام الشباب ليسلكوا الجادة بسهولة ، ويسيروا على الدرب بوضوح واطمئنان.

وفق الله الشباب لنصرة هذا الدين ، وحمل رايته والانطلاق به في آفاق المعمورة.

والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

* * *

(١) من كتاب «للشباب خاصَّة» للدكتور عائض بن عبد الله القرني ، طبع دار ابن حزم ، بيروت.

الشباب واهتمامات العصر

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً ، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سِراجاً وقمراً منيراً ، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الشباب: أنتم أبناء وأحفادُ هذه الجزيرة التي سجدت لله ، واعترفت بلا إله إلا الله ، جزيرة قدرها الإسلام ، وماؤها الإسلام ، وهواؤها الإسلام ، جزيرة كالصخرة يتحطَّم عليها رأس كل ملحد ورعديد وزنديق ، جزيرة تعلن تفوقها ، وتعلن رسالتها ، وتعلن عبقريتها وإبداعها وروعتها في نشر لا إله إلا الله ، جزيرة هبط فيها الوحيُ ، ومشى على ثراها محمدُ ﷺ.

يا رب أليست هذه الجزيرة التي سبحت بحمدك وقدَّستك؟

يا رب أليست هذه الجزيرة التي عاش تحت سمائها محمد ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان؟

يا ربِّ أليست هذه الجزيرة التي قدمت الشهداء والعلماء والأدباء؟

من ذا الـذي رفع السيـوف ليرفع　　　اسمك فـوق هامـات النجوم منارا

كنا جبالاً في الجبال وربما سرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لن تنس أفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا

الله أكبر ، كم لهذه الجزيرة من بُطولات وأمجاد ، الله أكبر كم لها من تاريخ وعلو ، الله أكبر كم لها من حضارة وصدارة ، فليس بغريب أن نتحدث عن الرياضة ونحن نتكلم بقال الله ، وقال الرسول ﷺ.

فالرياضة وسيلة ، وليست غاية ، فغايتنا في الدنيا: أن تنقاد المعمورة لـ (لا إله إلا الله) ، لقد ملت الدنيا والمعمورة الأطروحات التي طرحت على ساحتها، أطروحات «نابليون» صاحب الدمار والعار والشنار، أطروحات «هتلر» الذي أحرق البشرية بقنابله، أطروحات «تيتو» الذي حزب الناس ضد الناس ، الناس بحاجة إلى شريعة محمد ﷺ وحقيقتها: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.

تعال يا من حاله في وبال ونفسه محبوسة في عقال
يا من لم يستفق عندما أذن في صبح الليالي بلال
روض النبي المصطفى وارف أزهاره فاحت بريا الشمال

الموضوع في هذه الرسالة هو: الشباب وأزمات العصر ، وهو يدور على أربعة عناصر:

العنصر الأول: ما هي الأزمة الأولى في حياة الشباب ، إنها مدرسة الإلحاد والزندقة ، وهي مدرسة فرعون ، فهو شيخها وأستاذها وعميدها.

والعنصر الثاني: مرض الشهوات الذي أُصيب به كثير من شباب الإسلام.

أمّا العنصر الثالث: فهو تخدير الهمم ، وتنويم العزائم ، ونجاح الاستشراق في ذلك.

وأما العنصر الرابع: فهو الحرب المعنوية وإحباط المساعي.

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية: ١٠٧.

أما الإلحاد فهو مركب قديم وليس بحديث ، هو ليس من صُنع «ماركس» و«لينين» ولا «هرتزل» ، هو قديم قدم فرعون وقبل فرعون ، شيخه الأول إبليس ، لعنه الله.

يقولُ موسى عليه السلام ، وهو رسول التوحيد ورسول لا إله إلا الله : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[1] ، لقد علم أنه لا إله إلا الله ، لقد علم أن الذي خلق السماء هو الله ، والذي بسط الأرض هو الله.

قـل للطبيـب تخطفتـه يـد الـردى	مـن يـا طبيـب بطبِّـه أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعدما	عجـزت فنـون الطـب مـن عـافـاك
والنحل قل للنحل يا طير البوادي	مـن ذا الـذي بـالشهْـد قـد حـلاك
وإذا تـرى الثعبـان ينفـث سمّـه	فـاسـألـه مـن ذا بـالسمـوم حشـاك
واسـألـه كيـف تعيش يـا ثعبـان أو	تحيـا وهـذا السـم يمـلأ فـاك

سبحان الله ! ! السماء تشهد أن لا إله إلا الله ، والأرض تشهد أن لا إله إلا الله ، الماء والهواء.. كل ذرة على وجه الأرض تشهد لله بالكبرياء والعظمة ، ولكن مدرسة الإلحاد دأبت على ذلك ، ومن عتوها وفجورها تريد أن تدخل إلى الجزيرة العربية ، تريد مركب الأدب يوم أخفقت في مركب الاقتصاد.

قبل أربعين سنة أراد «ماركس» و«لينين» أهل الحديد والنار ، أعداء الشعوب ، أن يلحد الإنسان ، فقالوا: لا إله والحياة مادة ، فلما أخفقوا في الاقتصاد أتوا بمركب الأدب ، وحرام أن تلحد هذه الجزيرة وأن يلحد فيها أحد ، سواء كان صحفياً أو شاعراً أو أديباً ، إن صحفنا لا بد أن تكون إسلامية ، ونوادينا إسلامية وكتبنا إسلامية ، وأهل الرأي لا بُدَّ أن يكون الإسلام هَمَّهم وشغلهم.

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ

---

(١) سور الإسراء ، الآية: ١٠٢.

لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] ، ويوم نتخلى على الإسلام نكون قد تخلينا عن شرفنا وأصالتنا وعزتنا ومجدنا .

إنَّ مركب الإلحاد حاول بشتى الوسائل أن يصرف شباب الأمة عن الإسلام ، حاول ذلك بشتى الطرق : بالتشكيك في المعتقد ، بكتابة الكتب الرقيعة التي تشكك في الرسالة ، وفي الله ، وفي الرسول. سبحان الله ، والله إن القلوب لتنفطر ، وإن الجبين ليندى ، وإن القلب ليرجف يوم يذكر الإلحاد ، كل شيء ربما يتفاوض معه إلا مسألة الإلحاد ، إنه يريد أن يلحد الصحفي والأديب والشاعر والرياضي في جزيرة العرب .

أما علمتم ، يا أعداء الله ، أن هذه الجزيرة حملت على أكتاف أبنائها لا إله إلا الله ، وبعد خمس وعشرين سنة من الإسلام مات أبناؤها على ضِفاف نهر اللوار والسند ، وفي الهند ، وفي سمرقند ، وفي إسبانيا ـ الأندلس المفقود ـ تريدون إدخال الإلحاد هنا؟ أما بحثتم عن بلد غير هذا؟ لا ، فهذه بلاد محمد ﷺ .

ومرض التشكيك والإلحاد ورد كذلك في بعض المسرحيات التي تستهتر وتستهزىء بشخص الرسول الأعظم ﷺ ، الذي والله ، ما طرق العالم مصلح أعظم منه .

أتطلبون من المختار معجزة ... يكفيه شعب من الأموات أحياه

كنا قبل لا إله إلا الله رعاةً غنمٍ ، أهلَ إبلٍ ، لا حضارة ، لا ثقافة ، لا معرفة ، لا رقي ، فلما جاء محمد ﷺ بعث فينا وبث فينا الروح ، فأصبحنا نتكلَّم بكلام الله ، ونحتكم بحكم الله ، نحيا على لا إله إلا الله ، ونموت على لا إله إلا الله .

أرواحنا يا رب فوق أكفنا ... نرجو ثوابك مغنماً وجوارا
كنا نرى الأصنام من ذهب ... فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لصاغها ... كنزاً وصاغ الحلي والدينارا

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٢ ـ ١٦٣ .

من الذي جعل عُمير بن الحمام يأتي في معركة ، وهو يأكل التمر فيقول ﷺ قبل المعركة ، وهو يعلن ساعة الصفر ـ خطر ممنوع الاقتراب ـ: «**يا أهل بدر إن الله اطَّلع عليكم فقال: اعْملوا ما شْئتم فقد غفرتُ لكم ، والله ما بينكم وبين الجنة إلا أن يقتلكم هؤلاء**»[1] .

فيقول عمير بن الحمام وهو يأكل التمرات: يا رسول الله ، ما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟

قال: «**نعم**».

فأخذ غمد سيفه فكسره على ركبته ، ورمى بالتمرات ، وقال: لا إلٰه إلا الله ، اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى ، ثم رمى بالدرع في الأرض وقاتل حتى قتل[2] .

أيفعل هذا جنود نابليون وهتلر؟ أيفعل أتباع تيتو وغاندي هذا الفعل ، كذبوا والله ، ما يستميتون إلا على إحراق البشر ، وعلى قتل البشر ، وشرب دماء البشر ، وامتهان البشر ، لكن أصحاب الرسول ﷺ يريدون الله وما عند الله .

والمرض الثاني: الشهوات ، وقد قدمها الاستشراق ، والحزب الرأسمالي الغربي ، حزب وارسو قدمها إلى الشرق وإلى أبناء المسلمين في كأس الخمر ، وفي امرأة فاتنة زانية ، وفي مجلة خليعة ، وفي أغنية رخيصة ، هـذه الأربع هدموا بها قممنا وشموخنا وعزتنا ، يوم كان العربي ينام على الثرى ، سيفه مسلَّط يستفيق قبل الفجر ، فيقول: لا إله إلا الله ، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، وينام على ذكر الله .

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عليّ رضي الله عنه ، في كتاب المغازي ، باب: فضل من شهد بدراً ، برقم (٣٩٨٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، في كتاب الجهاد ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، برقم (١٩٠١).

أما اليوم ، أصبح ينام على العزف ، والناي ، والأغنية الرخيصة ، بعد أن كان على القرآن والذكر والطاعة .

مَن فعل هذا بنا؟ إنهم أعداء الإسلام الذين يريدون تدميرنا بكل وسيلة ، عقدوا المؤتمرات والندوات ، وقالوا : لقد خسرنا المعركة مع المسلمين يوم قاتلناهم بالصواريخ والطائرات والقنابل ، وليس أمامنا إلا وسيلة واحدة ، هي : حرب الكأس والمرأة والأغنية والمجلة ، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً ، يوم قدموا كأس الخمر ليضلّ به كثير من الناس .

وإذا ذهب العقل ، ذهب الجد ، والعرض ، والشرف ، والسؤدد ، والنبل في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ، وإذا ذهب العقل فلا تسأَلْ عن صاحبه ، وإذا ذهب العقل فقد وصل الإنسان إلى مستوى البهائم والببغاوات والعجماوات ، وقدموا المرأة الفاتنة ، كوكب الشرق تعزف في الجماهير ، وتغني في الجماهير ، والجماهير يصفقون لكوكب الشرق ، ويرددون كلمات كوكب الشرق ، وطائرات إسرائيل حجبت عنا شعاع الشمس .

قالوا هم البشر العفر طالما أكلوا ... شيئاً كما أكلوا الإنسان أو شربوا
مهلاً أبا تمام تسألني ... كيف احتفت بالعدى حيفا أو النقب
إذا تبدت لنا الميراج تقصفنا ... سعت لتسقطها الصيحات والخطب
شجباً ونكراً وتنديداً بغارتها ... الله كم نددوا يوماً وكم شجبوا
كيف انهزمنا وما هذي بعادتنا ... سيخبر السيف عنا والقنا الشعب

نعم إن من يرقص مع كوكب الشرق ، لا يصارع طائرات إسرائيل .

المرأة المجاهدة في فلسطين ، إن كانت إسلامية ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن تكون كذلك ـ من المسؤول عنها؟ إنهم شباب الإسلام ، علم الجهاد يرفع من هنا ، تخرج الكتائب من هنا ، يسال الدم من هنا ، تقول المرأة : وامعتصماه ، تقول المرأة : يا الله ، يقول الطفل : والإسلاماه . . فيجد التلبية .

حضر قطز وهو مولى معركة عين جالوت ، فأدركت المسلمين الهزيمة ،

فخلع لأمته، وداس بها الأرض، وزأر كالأسد ، وقال: واإسلاماه!! فتحرك المسلمون ، وعادوا للمعركة ، فقتلوا التتار وهزموهم شر هزيمة.

امرأة في عَمُّوْرِية وقفت في السوق ، عربية مسلمة ، تشهد أن لا إلٰه إلا الله ، تصلّي الصلوات الخمس ، تخاف الله ، أتى رومي إليها ، فضربها على وجهها فقالت: وامعتصماه ، يعني: الخليفة العباسي في بغداد ، فضحك الرومي ، وقال لها: انتظري الخليفة المعتصم أن يأتيك على فرسه الأبلق فينصرك ، وذهب مسلم وأخبر المعتصم ، فانتفض في قصره وقال: والله لا يغشى رأسي ماء من جنابة حتى أذهب إليها وأنصرها بإذن الله ، فخرج بجيش موحد ، جيش مسلم ، جيش يقوم الليل ، جيش يردد الأذكار ، يقول أبو تمّام:

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت — جلودهم قبل نضج التين والعنب

جاء المنجمون إلى المعتصم وقالوا: لا تقاتل هذا الشهر ، قالوا: لأن الأنجم السبعة والشهب السبعة تشهد أنك تهزم في المعركة ، قال: كفرت بكم وبعلمكم ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، توكلت على الله ، حسبي الله ونعم الوكيل ، فخرج ، فَدْكَدكَ المدنَ واحدة إثر واحدة ، ولما انتصر قال أبو تمام للمنجمين يستهزىء بهم وبخرافتهم وكلامهم:

أيـن الـروايـة أم أيـن الـدرايـة أم — ما صاغه من زخرف فيها ومن لعب
بهـــارج وأحـــاديـــث منمقـــة — ليسـت بنبـع إذا عـدت ولا غـرب
فالنصر في شهب الأرماح لامعة — بين الخميسين لا في السبعة الشهب

انتصر المعتصم لأنه حمل لا إلٰه إلا الله ، ودافع عن لا إلٰه إلا الله.

ويتمثل مرض الشهوات في المجلة الخليعة.

إنَّ المجلة الخليعة يوم تعرض وتأخذ وقت القرآن ، ووقت الحديث النبوي ، ووقت الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي ، معناه أن الإسلام ينسحب تدريجياً من الساحة.

والمجلة الخليعة يوم تنتشر هذا الانتشار معناه: انتشار الفجور وأمراضه

الخبيثة ، معناه: ضياع الصلوات ونسيان القرآن ، معناه: الهزيمة والذل والضياع والانكسار.

أيها الإخوة: إن من صالحنا ، أولاً ، ومن صالح بلادنا ، وأمتنا أن نعود إلى القرآن لينقذنا الله عزَّ وجلَّ.

فيا أيها الفُضلاء ، يا أيها النبلاء ، هذا ليس بجديد عليكم ، إن مسألة المجلة الخليعة لا بد أن يوجد لها بديل ، أقولها بصراحة وأنا أخاطب مسؤولين ، وعلماء ، وطلبة علم ، يتفهمون القضية ، ويحرصون على خير الإسلام والمسلمين ، نصبوا أنفسهم للمسؤولية ، وألقوا على عواتقهم تبعة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يوم توجد هذه وأمثالها معناه أننا نعلن الحرب على القرآن ، وأننا أمة لا نتشرف بالقرآن.

كنا نقاتل الناس بالقرآن ، نحمله بيد ، والسيف بيد ، فاسألوا عنا الشعوبَ بماذا فتحناها؟ بالقرآن والسيف.

والعنصر الرابع: الأغنية الماجنة، ومهما ترخّص مترخص ، فإن الأغنية التي تحبب الوله والغرام والعشق تهدم صرح الإسلام، يقول المغنون والمغنيات، وأنا لا أذكر أسماءً ولا هيئات، ولكن أعرض حقائق، يقولون: هم أهل الفن والحب والجمال!!! لا . . . نحن أهل الفن والحب والجمال، حُبُّهم ليس حباً ، وفنهم ليس فناً ، وجمالهم ليس جمالاً .

الحبُّ ما هو؟ يقول الله في القرآن: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١] ، فالذي دفع هؤلاء إلى بذل النفس وفقدها هو الحب ، ولكنه حب من نوع آخر.

قال أهل العلم: ليس العجب من قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٢] ولكن من قوله:

---

(١) سورة التوبة ، الآية: ١١١ .
(٢) سورة المائدة ، الآية: ٥٤ .

﴿يُحِبُّهُمْ﴾[1] ، فالإنسان مجبول على حب من أحسن إليه ، إنسان يعطيك عشرة ريالات ربما أحببته ، إنسان يلبسك ثوباً تحبه ، لكن الذي غمرك بالنعم ظاهراً وباطناً أليس هو الله؟

فليس العجيب أن تحب الله لأنه أحسن إليك ، لكن العجيب أن يحبك الله عزَّ وجلَّ.

الحب يصوِّره عبدُ الله بن عمرو الأنصاري أحد الشباب المجاهدين يوم نزل في المعركة ، في التصفية ، يوم أحد ، فقال ، والتفت إلى السماء ، وقد تكفن في أكفانه ، وأخذ طيباً ، وكسر غمد سيفه على ركبته: اللّهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى ، اللّهم إني أحب لقاءك فلا تردني من لقائك هذا اليوم. سبحان الله. . . وحضر المعركة ، وعلم الله أنه صادق ، وعلم الله أنه مخلص ، وقتل في المعركة فقال ﷺ لابنه: «**يا جابر أتدري ما فعل الله بأبيك؟**».

اسمَعْ إلى كلمات الصدق والحرارة ، اسمع إلى الكلمات البديعات الرائعات: يا جابر أتدري ما فعل الله بأبيك؟ فقال جابر: لا والله يا رسول الله ، قال: «**والذي نفسي بيده لقد كلَّمه الله بلا ترجمان قال: تمنَّ يا عبدي.**

فيقول: يا رب أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية.

قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون ، فتمنَّ.

قال: أتمنى أن ترضى عني ، قال: فإني قد رضيت عنك»[2].

أليس هذا حباً؟ إي والله من أعظم الحب.

أتى البراء بن مالك أحد الصحابة في معركة تستر فلبس أكفانه وقال:

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ٥٤.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، في تفسير القرآن ، برقم الحديث (٣٠١٣) وقال: حديث حسن ، وابن ماجه في المقدمة (١٩٠) ، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٠٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا.

يا ربي أقسم عليك اليوم قسماً أن تنصرنا وأن تجعلني أول شهيد ، فإني أحبك ، فحضر المعركة وقتل وانتصر الإسلام ، وهذا هو الحب.

أمَّا الحديث الذي رواه الوضاعون المخرفون: «**من أحب فعف فكتم فمات مات شهيداً**»[1] ، فهذا حديث باطل منكر موضوع.

رجل يحب امرأةً لا تحل له ثم يموت فيكون شهيداً؟ أي شهادة؟ أشهادة تيتو ونابليون وهتلر ، شهداء الفن والمسارح والدعارة ، شهداء الليالي الحمراء؟ أما شهداء محمد ﷺ فهم الذين يستشهدون من أجل لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

والأزمة الثالثة: التي يتعرض لها الشباب المسلم ، وهي مطروحة في الساحة وموجودة: تخدير الهمم ، وتنويم العزائم ، وهذه تأتي من هناك من اليهود من الصهيونية العالمية.

أمتـي هـل لـك بيـن الأمـم ... منبـر للسيـف أو للقلـمِ
ألإسـرائيـل تعلـو رايـة ... فـي حمـى المهـد وظـل الحـرمِ
أو مـا كنـت إذا المـوت اعتـدى ... مـوجـة مـن لهـب أو مـن دمِ
رُبَّ وامعتصمـاه انطلقـت ... مـلء أفـواه الصبـايـا اليتـمِ
لامسـت أسمـاعهـم لكنهـا ... لـم تـلامـس نخـوة المعتصـمِ

الصهيونية العالمية أشعلت حرباً لا هوادة فيها لضرب أصحاب النهج الواضح والخط المستقيم ، خط العلماء والدعاة وطلبة العلم.

وقالوا: متطرِّفون ، ولقد وجد المتطرفون في الساحة ، لكن ليس بهذه الصورة التي صنفتها إسرائيل ، وليس بهذا الانتشار التي أرادته إسرائيل ، ولا أعوان إسرائيل ، وجد التطرف من فجر الإسلام ، يوم قام الخارجي

---

(١) والحديث باللفظ «من عشق فعفَّ» لا باللفظ «من أحبَّ..» كما هو وارِدٌ في كُتب الأحاديث الضِعاف والموضوعات ، وهو موضوع ، انظر في «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لابن قيم الجوزية ، صفحة (١٤٠) ، و«الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لمُلاَّ علي القاري ، صفحة (٣٥٢).

يعترض على الرسول ﷺ ، هذا تطرف ، لكن أن تجعل الصحوة الإسلامية والعودة إلى الله تطرفاً! فهذا ليس بصحيح.

نسأل هؤلاء؛ أعداء الإسلام ، ما هو التطرف؟ المحافظة على صلوات الجماعة تطرف؟ قراءة القرآن وحفظ القرآن تطرف؟ هجر الغناء واستغلال الوقت تطرف؟ الدعاء والأذكار وحب الصالحين تطرف؟ الدعوة وتفهيم الناس وتوعية الناس تطرف؟ لا والله ، لكن هذا فعل أعداء الإسلام الذين يتربصون بنا الدوائر يريديون أن يصدونا عن ديننا.

ولــو أنــي بليــت بهــاشمــي   خــؤولتــه بنــو عبــد المــدان
لهــان علــيّ مــا ألقــى ولكــن   تعــالــوا فــانظــرو بمــن ابتــلانــي

وهذا الأمر الذي انتهجه أعداء الإسلام وأذناب أعداء الإسلام من تقسيمهم الناس إلى رجال دين ورجال دنيا ، وهذا تقسيم باطل في الإسلام ، ولقد ضلت الكنيسة يوم جعلت هناك رجال دين همهم الكنيسة لا يخرجون منها وينزوون فيها ، لكن الإسلام يقول لا ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[1].

حياتنا وموتنا، وليلنا ونهارنا، لله رب العالمين، ويوم يوجد في أوساطنا أناس يسمون برجال دين ، حينها يكون هناك خصام نكد بين الناس.

نحن هنا وفي غير هذه البلاد من بلاد الإسلام كلنا نحمل لا إله إلا الله ، ملكنا ، وأميرنا ، ومسؤولنا ، وعالمنا ، وقاضينا ، وكل واحد فينا يحمل لا إله إلا الله ، لا نعفى جميعاً من المسؤولية ولو اختلفت مشاربنا أو وسائلنا وأساليبنا ، فمظلتنا لا إله إلا الله.

يقول أبو تمام في الإسلام:

إن كيــد مطــرف الإخــاء فــإننــا   نغــدو ونســري فــي إخــاء تــالــد
أو يختلــف مــاء الغمــام فمــاؤنــا   عــذب تحــدر مــن غمــام واحــد
أو يفتــرق نســـب يــؤلــف بيننــا   ديــن أقمنــاه مقــام الــوالــد

---

(١) سورة الأنعام ، الآية: ١٦٢.

من أتى ببلال الحبشي ليجلسه بجانب أبي بكر القرشي؟ من جاء بصهيب الرومي ليعانق عمر بن الخطاب العدوي؟ من أتى بسلمان الفارسي ليكون أخاً لعلي؟ إنه الإسلام ، وإلا فقبل الإسلام كان أبو طالب ، وأبو لهب ، وأبو جهل ينظرون لبلالٍ أنه رقيق يباع كما تباع الدابة، ولكن لما أتى محمد ﷺ أعلن حقوق الإنسان، وكذب من قال إنهم يحفظون حقوق الإنسان ، لم يحفظ حقوق الإنسان إلا رسول الله ﷺ ، هذه حقيقة لا شك فيها.

يموت أحد الأمريكان في غابة من غابات أفريقيا فيحتجون له ويشجبون موته ويقيمون الدنيا ويقعدونها ، ويجتمع مجلس الأمن وتنعقد هيئة الأمم ، وأما شعب أفغانستان وفلسطين فيدمر ويُدكدك ، ولكن لا احتجاج ولا اجتماع.

قتل امرىء في غابةٍ جريمة لا تغتفر
وقتل شعبٍ كاملٍ مسألة فيها نظر

هذه الأمة هي التي أعلنت حقوق الإنسان وأعلنها محمد ﷺ ، والشاهد من ذلك أن الحرب التي تتعرض لها هذه البلاد هي حرب شعواء ، يتعرض لها دعاتها وعلماؤها ومسؤولوها ، حرب تسال فيها دماء المسلمين وتقطع فيها رؤوسهم ، ولن تزال كذلك حتى ينتبه المسلمون إلى الخطر الذي يحيط بهم ، من الذي صنعه؟ ومن أشعل نيرانه في الساحة؟ ومن المسؤول عنه؟ هذه تساؤلات لا بد من الإجابة عليها.

العنصر الرابع: الذي هو من الأزمات التي يعاني منها الشباب: الحرب المعنوية وإحباط المساعي ، الحرب المعنوية تتمثل في رؤية المستعمر برؤية عالية ، الإنسان الآن يتشرف أن يسافر إلى أمريكا ، نحن لا نقول له: لا تسافر إذا كانت هناك دواعٍ لذلك ، ولكن لا تنظر إلى المستعمر هذا النظر الذي هالك وأعجبك وأدهشك وأذهلك ، أنت تسافر من أرض الحضارة.

من بلادي يطلب العلم ولا يطلب العلم من الغرب الغبي
وبها مهبط وحي الله بل أرسل الله بها خير نبي

هذه البلاد هي بلاد الأصالة ، فلا يهولنك ما وصلوا إليه من امتلاكهم

للصاروخ والقنبلة والطائرة ، فهذا حظهم من الدنيا لأنهم كما قال الله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1] .

والإحباط الذي أصيب به جيلنا: إحباط الكلمات غير المسؤولة: الرجعية ، التخلف ، الدول النامية ، العالم الثالث ، كلها من السموم التي ألقيت في الساحة ، حتى ننظر إلى أولئك أنهم متحضرون ومتطورون.

يقول بعضهم: يا أيها المسلمون ، قدمنا لكم الطائرة والثلاجة والسخانة والبرادة وما قدمتم لنا الإسلام.

إنه بحاجة إلى الإسلام ، إنهم يعيشون في ظلام دامس ، لقد طرحت أوراقهم وأحرقت في الساحة ، جربوا الرأسمالية فما أنتجت شيئاً ، جربوا الشيوعية ، الاشتراكية ، جربوا كل شيء فما وجدوا خيراً ، وعاد أذكياؤهم وأساطينهم إلى الإسلام ، في حين يذهب بلداؤنا وأغبياؤنا ليعلنوا عمق أولئك وأصالة أولئك ، أيطلب الشفاء من مريض؟ أيطلب الطعام من جائع؟ أيطلب الماء من ظامىء؟

إن الخسارة كل الخسارة يوم نحتقر ما عندنا ، إننا أمة نسير على أصول ، أمة أصيلة وعميقة ، يجمعنا جميعاً من الشرق إلى الغرب كتاب الله وسنة الرسول ﷺ. قبلتنا واحدة نصلي في أوقات مرتبة ، غنينا وفقيرنا سواء ، ما عندنا ألوان ولا تمييز عنصري كما عندهم هناك في أعظم بلادهم ؛ ذلك البلد الغربي الذي قال فيه الناظم:

في بلد أفكاره منكوسة ... تثقله بصائر مطموسة
يقدسون الكلب والخنزيرا ... ويبصرون غيرهم حقيرا
ما عرفوا الله بطرف ساعة ... وما أعدوا لقيام الساعة
فهم قطيع كشويهات الغنم ... هزل وجد وضياع ونغم
من قتل العمال في بولندا ... ومن أتى بالرق في أوغندا
من دمر البيوت في نازاكي ... من ضرب اليونان بالأتراك

---

(١) سورة الروم ، الآية: ٧.

مـن الـذي نـاصـر إسـرائيـلا	حتـى تصـب عنفهـا الـويـلا
استيقظـوا بـالجـد يـوم نمنـا	وبلغـوا الفضـاء يـوم قمنـا
منهـم أخـذنـا العـود والسيجـارة	ومـا عـرفنـا ننتـج السيـارة

ذهَب إلى هناك أحدُ التائهين ، من الذين ينظرون إلى المستعمر كأنه روح القدس ، ذهب إلى هناك فلما رجع نظر إلى عالم من علمائنا يشرح «الروض المربع» وقال: يا شيخ ، الناس صعدوا على سطح القمر وأنت تشرح «الروض المربع»؟ فقال له الشيخ: أنت ، والحمد لله ، ما صعدت على سطح القمر ، ولا جلست معنا تقرأ «الروض المربع»!!

ليته يوم أخفق في الصعود على سطح القمر درس معنا «الروض المربع» ، لكن ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[1] .

يا أخي ، أنت لم تصنع لنا صاروخاً ، ولا طائرة ، ولا ثلاجة ، ولا برادة ، فاجلس اسمعنا ، واقرأ في «فتح الباري» ، وفي «رياض الصالحين» ، وفي «بلوغ المرام» ، أما أن تبقى لست داخل الحلبة ولا خارج الحلبة ، فهذه قِسْمة ضِيْزَىٰ يرفضها العقلاء .

الإخفاق ، والإحباط ، والحرب المعنوية ، هذه أمور استطاع المستعمر زراعتها في أوساطنا ، وهو أمر يدرس دراسة ، وتوضع له الخطط ، والبرامج ، والدراسات ، والذي أريد أن أقوله: إننا ينبغي علينا أولاً أن نتشرف بحمل لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لنفتح بها الدنيا مرة ثانية كما فعل أجدادنا يوم تمسكوا بهذا العهد وهذا الميثاق .

هذه بعض أدوائنا ، وشيء من أزماتنا باختصار ، ولو أنه بقي من أزماتنا ما أشير إليها بإشارات سريعة: أزمة الاشتغال بالتوافه عن الأصول ، إهدار الوقت في غير ما خلق له الإنسان ، نحن نؤمن بالوسائل لكن لا نجعلها غايات .

الرياضة عندنا في الإسلام وسيلة وليست غاية ، ليست مبدأ يوالى عليه

---

(١) سورة النساء ، الآية: ١٤٣ .

ويعادى ، ويحب فيه ويبغض ، لا ، الإسلام يوالى عليه ويعادى ، نحن هنا نعتبر الرياضة وسيلة ، ويوم تجعل غاية؛ معناها: أننا حطمنا رسالتها ، والغينا فاعليتها في الأرض ، لأنها يوم تصبح غاية سوف يوالي هذا هذا؛ لأنه من ناديه ، ويعادي ذلك ولو كان أخاه لأبيه وأمه.

فالمقصود أنها وسيلة تستخدم لغاية أكبر ، ما هي الغاية؟ لنربي أجسادنا على رفع لا إله إلا الله ، لأننا أمة ينتظر منا أن نفتح العالم كل العالم ، ليس الجزيرة فحسب ، بل العالم كل العالم ، ليتوجه العالم إلى الكعبة خمس مرات في اليوم والليلة.

يا أمة كم علّقوا بكيانها خيط الخيال
وهي البريئة خدرها فيض عميم من جلال
يا أمة في عمرها لن تَحْيَ إلا بالجهاد
كفرت بمجلس أمن من نصب المنايا للعباد
من قاتلي الإنسان خابوا ما لهم إلا الرماد
جثث البرايا منهم في كل رابية وواد

المقصود أن الغاية من الرياضة أن ترفع لا إله إلا الله.

ابن تيمية يصعد وينزل في جبل كسروان عصراً قالوا: ما لك؟ قال: لأتقوى على الجهاد في سبيل الله ، أما أن نقوِّي أجسادَنا ثم ماذا؟ ما هي النتيجة؟

ما هناك نتيجة ولا غاية ، فهذا ليس بصحيح ، فمن غاياتنا أن نتقوى على طاعة الله عزَّ وجلَّ ، ومن غاياتنا أن ندخل بالرياضة إلى بلاد العالم وإلى قلوب الناس ، يوم نحمل رسالة ، لأن الناس إذا خرج أحد منا ، ومن أنديتنا ، ومن منتخباتنا إلى العالم ، قالوا: هذا خرج من بلاد مهبط الوحي من الجزيرة ، من مكان يستقبله مليار مسلم كل يوم وليلة ، فإذا رأى الشاب علم أنه يحمل رسالة ، فما هي رسالتنا عند الناس؟ رسالتنا ليست رياضة ، رسالتنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لننقذ العالم ، وندخل عليه بهذه الوسيلة ، ليعلم بنا العالم ، ويجلس معنا العالم ، ويستمع منّا العالم.

إن العالم الإسلامي ينتظر من أبنائنا وشبابنا الكثير ، وينظر إليهم نظر الطموح والإيمان والحب ، محمد إقبال شاعر الباكستان و[الهند] أتى إلى هذه البلاد وطاف بالبيت العتيق[1] ، كان يتصور أنه سوف يجد شباب الجزيرة قوماً زينهم حب لا إلٰه إلا الله ، قوماً يتمنى الإنسان منهم أن يموت في سبيل الله ، قوماً يتشرف الواحد منهم بالانتساب إلى محمد رسول الله ﷺ ، فبكى وأبكى ، وسجل قصيدته : «تاجك مكة» يقول فيها وهي مترجمة :

نحن الذين استيقظت بأذانهم ... دنيا الخليقة من تآويل الكرى

حتى هوت صور المعابد سجداً ... لجلال من خلق الوجود وصوّرا

ومن الذي باع الحياة رخيصة ... ورأى رضاك أعز شيء فاشترى

أمن رمى نار المجوس فأطفئت ... وأبان وجه الصبح أبيض نيرا

يا رب ، من الذي أطفأ نار المجوس ، إلا أصحاب محمد ﷺ ، يوم انطلقوا من الصحراء ، ليس عندهم طائرات ، ولا دبابات ، ولا قنابل ، ولا صواريخ .

يدخل رِبْعِي بن عامر أحد جنودهم ، في الثلاثين من عمره ، على رُسْتم مفوض القائد الفارسي المجرم ، فيقول له رستم ، وهو يضحك استهزاءً ،

---

(١) ملاحظة : لم يحصل لشاعر الإسلام محمد إقبال شرف زيارة هذه الأمكنة المباركة ، فقد عاش ـ رحمه الله ـ مدة حياته في حب النبي ﷺ ، والأشواق إلى مدينته ، وتغنى بهما في شعره الخالد ، وقد طفحت الكأس في آخر حياته ، فكان كلما ذكرت المدينة فاضت عيناه وانهمرت الدموع ، ولم يقدر له الحج ، وزيارة الرسول ﷺ بجسمه الضعيف ، الذي كان من زمان يعاني الأمراض والأسقام ، ولكنه رحل إلى الحجاز بخياله القوي ، وشعره الخصب العذب ، وقلبه الولوع الحنون ، وحلق في أجواء الحجاز ، وتحدث إلى الرسول الأعظم ﷺ بما شاء قلبه وحبه ، وإخلاصه ووفاؤه وتحدث إليه عن نفسه ، وعن عصره ، وعن أمته ، وعن مجتمعه .
انظر : «روائع إقبال» للعلامة أبي الحسن الندوي ، ص : ١٨٨ ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

يوم رأى فرسه الهزيل ، وثيابه الممزقة ، ورمحه المثلّم ، قال: يا ربعي جئتم تفتحون الدنيا بهذا الفرس المعقور ، والرمح المثلّم ، والثياب الممزقة؟

فقال ربعي كلمة كالقذيفة ، بل أقوى من القذيفة ، قال: إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضِيْق الدنيا إلى سَعَة الآخرة ، ومن جوْر الأديان إلى عدل الإسلام.

وبدأت المعركة ، وكان جيش كسرى: مئتين وثمانين ألفاً ، وجيش المسلمين ثلاثين ألفاً ، وبعد ثلاثة أيام أخفق الإلحاد ، والزندقة ، والتبعية ، والتخلف ، وارتفعت راية لا إله إلا الله ، وأصبح الشهداء يقدمون دماءهم رخيصة في سبيل الله ، فلما رأى سعدُ ذلك النصرَ ، ورأى قصر كسرى الذي حكم فيه ألف سنة قال: الله أكبر ، فانصدع القصر ، فبكى سعد وقال: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾[1].

ومن الأزمات التي أشير إليها باختصار: قيمة الوقت ، الوقت غال عند غير المسلمين ، يقول «دايل كرنجي» الأمريكي في كتاب «دع القلق وابدأ الحياة»: الأمريكان يقرؤون أكثر من اثنتي عشرة ساعة في أربع وعشرين ساعة.

موشي ديان وزير الحرب الهالك الملعون يقول: العرب قوم لا يقرؤون ، فمن يقرأ إذا لم نقرأ نحن؟ ومن يطالع إذا لم نطالع؟ أمة أُصِيبت بالملل والسأم ، يقرأ أحدنا ساعة ثم يقول: إن لعينك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً.

الإنسان يشعر بالإجهاض والانهزامية يوم يقف أمام تراثٍ من تراث المسلمين ، لا يستطيع أن يقرأ فيه سطراً أو سطرين ، فما لذلك الخواجة

---

(١) سورة الدخان ، الآية: ٢٥ ـ ٢٩.

يركب الطائرة وهو يقرأ ، والقطار وهو يقرأ ، وفي صالة المغادرة تجده هناك يقرأ ، وفي صالة الاستقبال وهو يقرأ ، هل يريد جنة أم يخشى ناراً؟ لا ، لكنه يعرف قيمة الوقت.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[1].

نحن أمة تقدر الوقت ، أمة تحسب للدقيقة حسابها ، أمة ترى أن الليل والنهار يطويان العمر ، فحينما تعرفون قيمة الوقت يا شباب الإسلام ، يا أبناء لا إلٰه إلا الله ، يا أحفاد من رفع لا إلٰه إلا الله ، إذا عرفتم قيمة الوقت ، أنتجنا ، وتعلمنا ، وارتفعنا ، لنكون نحن في مقدمة الأمم وفي المنزلة الأولى.

نحن كما قال أبو فراس الحمداني:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

إما أن نكون قادة العالم وعلماء العالم وأدباء العالم ، وإلا فالشهادة في سبيل الله ، هذه أغلى الأماني التي يبحث عنها المسلم. أما حياة التبعية ، أما أن تعيش على هامش الأحداث ، أما أن يذهب الوقت سدى ، لا مطالعة ، لا ذكر ، لا قراءة ، فليس هذا بصحيح.

وأعظم ما يحفظ الوقت: الصلوات الخمس ، ويوم تترك الصلوات الخمس ، فاعرف أنه الدمار والعار والشنار في الدنيا والآخرة ، ويوم يتنازل عن الصلوات الخمس ، فهو الكفر البواح ، ويوم نخلُّ بالصلوات الخمس فاعرف أن رسالتنا قد أحرقت ورقتها في الساحة ، وقد انتهت أصالتنا وعمقنا وانتصاراتنا وإرادتنا.

وما كلُّ شيءٍ يقرأ ، لا بد أن يكون المقروء شيئاً طيباً مثمراً مفيداً ، والحمد لله مساجدنا تزخر بمصاحفها وآياتها البينات ، مكتباتنا المنتشرة في

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية: ١١٥ـ١١٦.

كل مكان ، مجامعنا وأنديتنا ، علماؤنا ودعاتنا ، أدباؤنا وشعراؤنا ، كل هؤلاء يمكن أن نقرأ ما يكتبون ويبدعون ، ولكن نشترط على الجميع شرطاً أن يكونوا مؤمنين كما أسلفت.

ليتَّق الله كل إنسان في عمله وليراقبه في سره وعلانيته ، فإذا كتب كاتب في صحيفة فينبغي أن يعلم أن الله يسأله يوم القيامة فيما كتب ، ولمن كتب ، وعمن كتب ، وليعلم أن هذه البلاد كما أسلفت بلاد قداسة ، فليتق الله في هذه البلاد ، فإنها بلاد لا إلٰه إلا الله.

أمَّا أن نجعل الدين في ناحية ، والأدب في ناحية ، أو نجعل الدين في جهة ، والرياضة في الجهة الأخرى ، فمعنى هذا: هو الهدم لقيمنا وشريعتنا وأصالتنا ، نحن أمة مترابطة ، أمة رسالة وأمة معتقد ، وأدبنا بالذات ، نسأل الله ، ألا يستغل مركباً ، فلا ينبغي أن يستغل الأدب مركباً للإلحاد والرمزية التي تخفي وراءها الضلال والمروق ، فإذا سألنا أصحابها عن معانيها ومردودها ، قالوا: وراءها أسرار لا تفقهونها أنتم!!

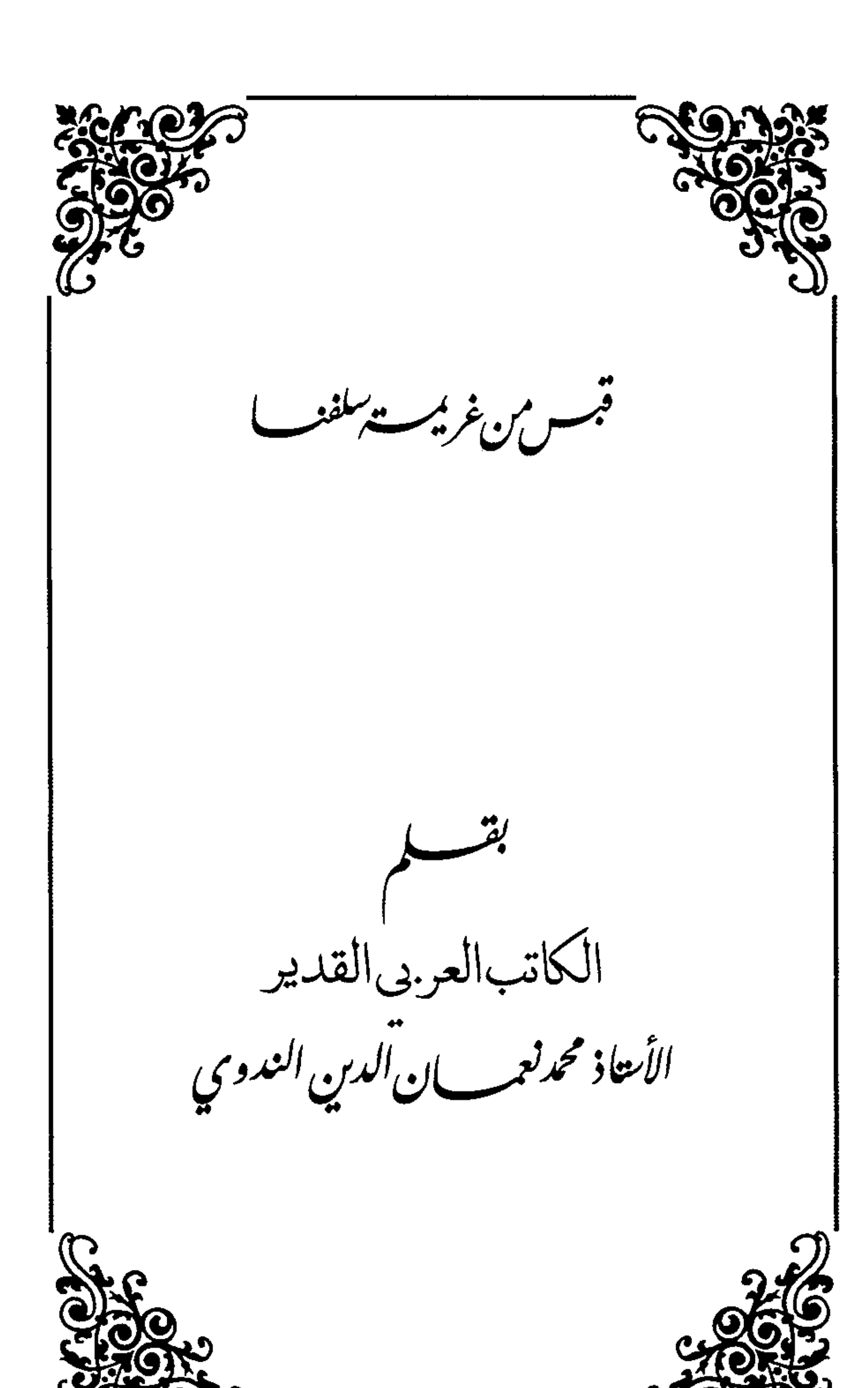
سبحان الله! أنفقه شعر امرىء القيس ، والمتنبي ، وأبي تمام ، ولا نفقه شعركم؟ أنعرف عمق إقبال ، وشوقي ، وأمثال هؤلاء من القمم ، ولا نعرف شعركم؟ ما هو الشعر الرمزي المغرق في الرمزية الذي تفهمونه ولا نفهمه؟ شعر لا تفهمه الأمة ، وأدب لا تفهمه الأمة ، وكلمة لا تفهمها الأمة ، ليس بأدب ، ولا شعر ، ولا عمق ، ولا أصالة.

فيا أمَّة الحب والطموح ، يا أمة الرسالة الخالدة ، يا أيها الشباب الماجد ، إننا ننتظر منكم الكثير حتى تنهض هذه الأمة من كبوتها ، وحتى تصحو من غفلتها ، وحتى يعود إليها مجدها ، ننتظر من المبدعين إبداعهم ، ومن الكتّاب والعلماء علومهم وكتاباتهم التي تدعو إلى النهضة الكبرى والصحوة الرائدة. والله تعالى أعلم[1].

* * *

---

(١) من كتاب «للشباب خاصة» للدكتور عائض بن عبد الله القرني.



قبس من عزيمة سلفنا

بقلم

الكاتب العربي القدير

الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي



تعريف
الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي

هو الكاتب العربي القدير، رئيس قسم الأدب العربي بالجامعة الإسلامية (المعروف بـ «دار العلوم حيدر آباد») في حيدر آباد (الهند)، ورئيس تحرير مجلّة «الصحوة الإسلامية» الصادرة من الجامعة نفسها، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض): فضيلة أستاذنا الشيخ محمد نعمان الدِّين السَّنْبَهْليّ الندوي، نجل عالم هنديّ كبيرٍ، صاحب مؤلَّفاتٍ عديدةٍ قيمةٍ في الموضوعات الفقهيـة والقضايا الشرعية، وهو فضيلـة الشيخ محمد برهان الديـن السَّنْبَهْليّ القاسمي ـ حفظه الله وأمتع به ـ[(١)].

درس الأستاذُ نعمان الندوي في جامعة ندوة العلماء، وحصل على شهادة الليسانس والماجستير من كليتها الشريعة، واستفاد خلال إقامته فيها من رئيس الجامعة: العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي، وابن أخته الصحافي الإسلامي الكبير الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي.

ثم التحَقَ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة، ونال من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية التابعة لها شهادة الليسانس، ثم رجع إلى الهند وعيِّن أستاذاً للأدب العربي في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية في حيدر آباد، وهو يعمل الآن فيها رئيساً لقسم اللغة والأدب ورئيس

(١) الذي يعمل منذ سنوات طويلة رئيساً لقسم التفسير بكلية الشريعة وأصول الدين في جامعة ندوة العلماء (الهند).

التحرير لمجلة «الصحوة الإسلامية» ، والتي تُعَدُّ اليوم من أبرز المجلات العربية الصادرة من الهند ، واستُحِقَّ لعُضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية ببحوثه القيمة ومقالاته النفيسة التي دبَّجَتْ يراعته في موضوعات كالأدب الإسلامي والعربي ، والقضايا الإسلامية والفكرية ، والتي نشرها في مجلَّته بين الآونة والأخرى.

وللأستاذ الندوي مؤلَّفاتٌ نفيسةٌ ، ورسائلُ ممتعةٌ في الأدب الإسلامي ، والقضايا العربية ، وهي ما يلي:

١ ـ الروائع والبدائع في البيان النبوي.

٢ ـ خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلُّمها؟

٣ ـ مختارات من البحوث والقضايا.

* * *

قبس من عزيمة سلفنا

إنَّ التاريخ الإسلامي المشرق لحافل بالمثل العليا للهِمم العازمة ، والنماذج الفريدة من الطُموحِ والصبرِ والشوق إلى المعالي والعوالي ، وقد اخترتُ منها جملةً صالحةً لتكون باعثة لشبابنا على الإقدام ، وحاثّاً لهم على نيل المطالب العالية وتحقيق المقاصد السَّامية بالجدِّ والكدِّ والتَّعب والتضحية بالرَّاحة واللذيذ والمُتعة ، فإن الشباب في العصر الحاضر أحوج ما يكون إلى أن تقدم لهم سِيرة سلفهم الذي أتى بما حيَّر الألباب وأدهش العقول من العجائب والمآثر والمفاخر ، لأن البعض ـ من الشباب ـ قد أُصِيْبَ بالإحباط واليأس والقُنوط ، والبعض الآخر انبهَرَ ببريق الحضارة الغربية وبهرجها ، فانجرفَ في تيَّارها ، وجعل رجالها قدوته فسار وراءهم فكراً وسلوكاً وعملاً .

هنالك تتضاعفُ مسؤوليةُ الكُتَّاب الإسلاميِّين نحو توجيه الشباب وإرشادهم وتجنيبهم فتنة الحضارة المعاصرة وإغراءاتها وكتاباتها المُضِلَّة وفلسفتها الخادعة ، بتقديم سيرة سلفنا وحياتهم المليئة بالعزائم وصنع الأعاجيب من الأعمال والمآثر .

وهذه الصّفحات محاولةٌ متواضعةٌ لذلك ، أشرتُ فيها إلى طُموحاتِ وعزائم بعض أبطال الإسلام ورِجالاته ، ليكون ذلك حافزاً لشبابنا إلى الاقتداء بالأوائل والنهج على منهجهم ، ليُحَاوِلُوا أن يأتوا ببعض ما أتوا به إذا لم يقدروا على كلِّه أو جلِّه!

* * *

من هم صانعوا التاريخ!

وكُـــنْ رجـــلاً إذا أتـــوا بعـــده
قـــالـــوا مـــرّ وهـــذا الأثـــر

يقول بعضُ أجلَّة علماءِ السَّلف ـ رحمهم الله ـ: «ما ابْتُلِي الإنسان قطّ بأعظم مِن علوِّ همته ، فإن من عَلَتْ هِمَّتُه يختار المعالِي».

لا شك إن هذه الهِمَّة العالية ، والطموح ، والتَّوق إلى إحراز المجد. . . إنما هو في الحقيقة مفتاح النجاح ، وسِرُّ التقدُّم والخُلود ، والطريق إلى إحداث انقلاب ، أو إنجاز عمل يترك بصماته على جبين التاريخ:

وإذا كـــانـــت النفـــوسُ كِبـــاراً ... تَعِبَـــتْ فـــي مُـــرادِهـــا الأجســـامُ

ويقول شاعرٌ آخرٌ وهو يحثُّ على طلب أقصى ما يُمكن تحصيله من العِزِّ والشرف:

فكُـنْ رجـلاً رجلـه فـي الثَّـرى ... وهـامـة هِمَّتِـه فـي الثُّـريـا

والتاريخ لا يصنعه إلا الذين يأتون بأعمال عِظام ، ومآثر جليلة ، ويخلِّدون مجداً عظيماً يسجّل بأحرف من نُور في صفحات التاريخ.

والعظمة ـ كذلك ـ لا يبنيها إلا أصحابُ الهمم العالية وذوو العزائم العِصاميَّة ، والنفوس الأبية الشامخة ، الذين لا يعرفون للراحة والكسل معنى ، وللتعب والكدح حداً في مرحلة من مراحل حياتهم:

بقـدر الكـدِّ تكتسـب المعـالـي ... ومـن طلـب العُـلا سَهِـرَ الليـالـي
تـرومُ المجـد ثـم تنـام ليـلاً ... يغـوص البحـر مـن طلـب الـلآلـي

ويجعلون البيت التالي نصب أعينهم:

إذا نـام غـرٌّ في دُجى الليل فاسهر وقُـمْ للمعـالـي والعـوالـي وشَمِّـر

وأيضاً:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكِرام المَكَارِمُ

وهناك مقولة قديمة رائعة تقول: (العظيم يبني النجاح من النجاح ، والأكثر عظمة يبني النجاح من حطام).

وإنَّها لحقيقة أن كل إنسان ـ له عقلٌ يفكِّر ، ووَعْيٌ يشعرُ ـ يروم المجد والعظمة والعيش الرغيد في الحياة ، ويحبُّ العلو والسُّمُوَّ إلى مراتب عالية ودرجات رفيعة:

لكلِّ امرىءٍ غرض يسعى ليُدْرِكه والحر يجعل إحراز العلا غرضه

وإنَّها لحقيقة أخرى ـ أيضاً ـ أن نيل العز والشرف ، وتحقق الأماني الحلوة ليس أمراً سهل المنال ، بل دونه شوك وقتاد. . . وصاب وعلقم من التضحيات المستمرة بالرَّاحة واللذة والمتعة ، وإذابة حبات القلب ، وسلسلة متصلة ـ إلى آخر نفس من أنفاس الحياة ـ من الكد والجهد وبذل العرق!

لا تحسب المجدَ تمراً أنت آكِلُه لن تبلغَ المجد حتى تَلْعَقَ الصبرا

والواقع أن أصحاب الهِمَّة العُليا والطموح العصامي يلتذون بتحمل المشاق والتعب في الوصول إلى المعالي والعوالي:

ومـن تكـن العليـاء هِمَّـة نفسـه فكـل الـذي يلقـاه فيهـا محبـب

إنَّهم لا يقنعون بدرجة ، فكلما تحقق لهم هدف تاقوا إلى أكبر منه ، وجدّوا في نيله ، وقد قرّر الأخلاقيون: أن المَثَلَ الأعلى للطموح لا ينتهي.

يقول المُتَنَبِّي بعد أن يَنْعَى على قليلي الهمة والطموح ، الراضين بالدون ، القانعين بالعيش الحقير ، يقول بعد أن ينعى عليهم صنيعهم هذا:

ولكـن قلبـا ـ بيـن جنبـيّ ـ مـالـه مـدى ينتهـي بـي فـي مـراد أحـدّه

وهذه ـ أيضاً ـ هي الرُّوح الإسلامية القرآنية التي تحثُّ على الجهد

المتواصل والعمل الدائم ، فقد قال بعض المفسِّرين في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ أن معناه : إذا انتهيت وفرغت من واجب ، فلا تركن إلى الكسل أو العطل أو النوم ، بل اشرع في واجب آخر ، وانصب له واتعب فيه وأقبل عليه !

وكُلَّما بَعُدَ طموح الإنسان ، وعَلَتْ هِمَّتُه ، وعَظُمَتْ عزيمتُه عَظُمَ قدرُه وسَمَتْ مكانتُه وَعَلا شأنُه ، وقد صدق الأوَّلون حينما قالوا : «قيمة كل امرىءٍ بقدر همته» وأيضاً قيل : «همَّة الإنسان على حسب ما أهمَّه ، وعلوها على حسب مطلبها في الحياة» .

أمَّا ذوو الهِمَمِ الدنيئة الخسيسة فيرضون بالهون والهوان ، والعيش على هامش الحياة ، أو في ذلك القافلة ، أو كعيش الهمج الرعاع الذين لا يعانون ولا ينفعون :

ما أكثر الناس بل ما أقلَّهم — الله يعلم أني لم أقل فنداً
إني لأفتح عيني حين أفتحها — على كثير ، ولكن لا أرى أحداً

ويقول شاعر آخر :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه — ومركوبه رِجْلاه والثوب جلده

فيكون حالهم كما قال الشاعر :

ومن يتهيّب صعود الجبال — يعيش أبد الدهر بين الحفر

عزم سيِّد الأنبياء

وإذا تصفَّحنا تاريخَنا الإسلامي المجيد وجدناه حافلاً بنماذج عالية ومثل عظيمة للهِمَمِ العازمة والنفوس التوَّاقة الطموح التي غيَّرت مجرى التاريخ .

فلنتذكَّر ـ أولاً ـ عزم سيِّد أولي العزم من الرُّسل؛ وإمام الأنبياء سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد ﷺ وهمَّته النادرة العلياء يوم تحدى بإيمانه وعزيمته صناديد الشرك والكفر والطغيان ، حينما حاولوا منعه من القيام بواجبه النبويّ

العظيم ، وعرضوا عليه عروضاً يسيل عليها لُعاب ذوي الأغراض الدنيئة والأهواء الشيطانية ، فقال كلمته الحاسمة المشهورة:

«والله لو وضعوا الشَّمس في يميني والقمر في يساري على أن أَتْرُكَ هذا الأمر ما تركتُه حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه»[1].

الوقفة الصديقيَّة الصامدة

ولنذكر ـ كذلك ـ الوقفة الصديقية التاريخية الفريدة من مانِعي الزكاة ، فمعلوم أنه لما قُبِضَ رسول الله ﷺ اشرأبَّ النفاقُ بالمدينة وارتدَّ العربُ ، وقالوا قد مات هذا الرجل الذي كانت العرب تنصر به ، فجمع أبو بكر المهاجرين والأنصار.

وقال: إنَّ هذه العرب قد منعوا شاتَهم وبعيرَهم ، ورجعوا عن دينهم فأشيروا عليّ ، فما أنا إلا رجل منكم ، وإني أثقلكم حملاً لهذه البلية ، فأطرقوا طويلاً ، ثم تكلَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: أرى ـ والله ـ يا خليفة رسول الله أن تقبل من العرب الصَّلاة وتدع لهم الزكاة ، فإنهم حَدِيثُوا عَهْدٍ بجاهلية لم يعدّهم الإسلام ، فإمَّا أن يردّهم الله عنه إلى خير ، وإمَّا أن يعزَّ الله الإسلام ، فتقوى على قتالهم ، فما لبقية المهاجرين والأنصار يُدان للعرب والعجم قاطبة ، فالتفت إلى عُثمان رضي الله عنه ، فقال مثل ذلك ، وقال عليّ رضي الله عنه مثل ذلك ، وتابعهم المهاجرون ، ثم التفتَ إلى الأنصار ، فتابعوهم ، فلما رأى ذلك ، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد! فإنَّ الله بعث محمداً ﷺ ، والحقُّ قلّ شريد ، والإسلام غريب طريد ، قد رثّ حبله ، وقلّ أهله ، فجمعهم الله بمحمد ﷺ ، وجعلهم الأمة الباقية الوُسطى ، والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأُجَاهِدُ في سبيل الله حتى ينجز الله لنا ويفي لنا وعده ، فيقتل من قتل مِنّا شهيداً في الجنّة ، ويبقى من بقي خليفة الله في أرضه ووارث عباده ، قضى

---

(١) سيرة ابن هشام: ج١ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

الله الحق ، فإن الله تعالى قال ـ وليس لقوله خلف ـ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[1] .

والله لو منعوني عِقالاً مما كانوا يعطونه رسول الله ﷺ ثم أقبل معهم الشجر والمدر والجن والإنس لجاهدتُهم حتى تلحق روحي بالله ، وإن الله لم يفرق بين الصلاة والزكاة ثم جمعهما ، فكبّر عمر ، وقال والله قد علمت ـ والله ـ حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم أنه الحق[2] .

هِمَّة عُقْبَة بن نافِع

ولنذكر ـ كذلك ـ همَّة عقبة بن نافع حين فتح باسم الله المغربَ العربي كله ، ووقف على شاطىء المحيط فوق جواده ، وقال:

«اللَّهمَّ ربَّ محمَّد! لو أنّي أعلم وراء هذا البحر أرضاً يابسةً لاقتحمتُ بفرسي هذا الموج الهائج لأنشر اسْمَكَ العظيم في أقصى بِقَاع الأرض».

ولنذكر هِمَّة الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وجراءته التاريخية ـ في فتنة خلق القرآن ـ التي حوّلت مسارَ التاريخ وأَنقذت الأمَّةَ من ضلال مبين إلى يوم القيامة .

هِمَّة طَارِق بن زِيَاد

ومَن مِنَّا لم يسمع أو يقرأ عن هِمَّة المجاهد طارق بن زياد فاتح الأندلس ـ ذلك الفردوس الإسلامي المفقود ـ وخطبته التاريخية التي أشعل بها قلوب الجنود حماسة ، وملأها شوقاً وحناناً إلى الشهادة أو الفتح ، وهي ـ الخطبة ـ من عيون الخطب التي سُجِّلَت وحُفِظَتْ في التاريخ ، وهي

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٥ .

(٢) تاريخ الخطابة : ص (١٢٠) .

لجديرة بأن تُعَاد ـ من حين لآخر ـ قراءتها وسماعها حتى يتجدد الحماس ، وحتى تتجدد في الأذهان ذكريات التضحيات الجبارة التي قام بها سلفُ هذه الأمة وبطولاتهم الرائعة ، وهِمَمِهم العالية العازمة ، التي لم تعرف للكسل أو الوقوف معنى ، وللتقدم والطموح والعلو حدا ، فمما قال طارق بن زياد لدى فتح الأندلس وهو يُخَاطِب الجنود :

«أيّها النَّاس! أين المَفَرّ؟ البحر من ورائكم ، والعدوُّ أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصِّدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتَام في مأدبة اللِّئام وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه وأسلحته ، وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزْرَ لكم إلا سُيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوّكم ، وإن امتدت بكم الأيّام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب رِيحكم ، وتعوَّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خِذْلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنِّي لم أحذركم أمراً أنا عنه بنَجْوَةٍ ، ولا حملتكم دوني على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدأُ بنفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظُّكم فيه بأوفر من حظّي ، وقد بلغكم ما أَنْشَأَتْ هذه الجزيرةُ من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان ، وسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حَظُّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله ولي أنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدَّارين ، واعلموا أني أوَّل مجيب إلى ما دعوتُكم إليه ، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى ، فاحملوا معي ، فإن هلكتُ بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه ، فاخلفوني في

عزيمتي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله»[1] .

وكذلك إذا قرأنا تاريخ العُظَماء الآخرين ـ من العلماء والفقهاء والمحدِّثين والخلفاء الصالحين ـ الذين خلدت آثارهم وعظمت أعمالهم ، رأينا أنهم لم ينالوا ما نالوا من المجد المؤثل والشهرة الواسعة التي طبقت الآفاق ، إلا بعد أن عصروا كل قطرة من قطرات حياتهم ، وأذابوا حبات قلوبهم ، وواصلوا الليل بالنهار جهداً مستمراً ، وعملاً لا ينقطع ، واستفادة قصوى من كل ثانية من ثواني العمر الذي إذا ذهب وانتهى لن يعود .

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ وهو يحثُّ على بذل أقصى الجهد في إحراز الممكن من المعالي والمراتب : **«فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه ، فلو كان يتصوَّر للآدمي صُعود السَّماوات لرأيت من أقبح القبائح رضاه بالأرض ، ولو كانت النُّبوة تحصل بالاجتهاد لرأيت المقصر في تحصيلها في حضيض»**[2] .

فبِوسْعِ الإنسان ـ بتوفيق الله ونصره ـ الوصول إلى أصعب الغايات وإحراز منتَهى الأماني والأحلام إذا كان صاحب همة علياء :

وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركاباً
وما نيلُ المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

طموح عمر بن عبد العزيز

فصاحب النفس الطموح التوَّاقة لا يقنع بمنزلة مهما كانت سامية ، فإذا حقَّق هدفاً ، تاق إلى أسمى منه . . . ، فهذا عُمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أولاً تاقت نفسه إلى العلم بالدين والعربية ، فنال منهما قدراً كبيراً ، ثم

(١) من «مختارات من أدب العرب» للعلامة أبي الحسن الندوي ، (٢/ ٤٩) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .
(٢) صيد الخاطر : ص (١٥١) .

تتطلَّع همته إلى ولاية المدينة ليصلح فيها ويعمر فينال ذلك ، ثم تتطلع همته إلى خلاقة المسلمين فيلي أمورهم بالحق والعدل ، فلما ولي الخلافة وهي أسمى ما تطمح إليه النفس في الدنيا تطلعت همته إلى ما هو أسمى وأبقى . . . تطلعت إلى الآخرة[1] .

يقول ـ عمر بن عبد العزيز ـ : «إنَّ لي نفساً توَّاقة ، كلما وصلتُ إلى شيء تاقت إلى ما هو أعلى منه ، تاقت نفسي إلى العلم وإلى العربية والشعر فأصبت منه حاجتي وما كنت أريد ، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش الطيب ، فما علمتُ أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم كان في مثل ما كنت فيه ، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل ، فأنا أرجو ما تاقت نفسي إليه من أمر آخرتي» .

صبر الإمام الشافعي

وهذا الإمام الشافعي الذي يُعَدُّ من أعلام الأمة المتبوعين ، وأئمتها الأربعة ، الذين لقيت مذاهبهم من القبول والمرجعية ما لم يقدر للعلماء الآخرين ـ مع الاعتراف الكامل بجلالة قدرهم ـ ، هذا الإمام الجليل يحكي قصة بداية حياته التي كانت حياة فقر وضنك وضيق ، فلم يزل يواصل سعيه في طلب العلم والحديث ـ في همة وصبر وطموح ـ إلى أن بلغ ما بلغ إليه من المكانة المغبوط عليها ما ليس بخافٍ على مطلع خبير ، يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ : «ثم لما خرجتُ من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف ـ الجلود ـ وكرب النخل ، وأكتاف الجمال أكتب فيها الحديث ، وأجيىء إلى الدواوين ، فاستوهب منها الظهور فأكتب فيها ، حتى كانت لأمي حباب ـ فملأتها أكتافا وخزفا مملوءة حديثاً ، ومن ظنَّ أنَّ العلم يحصل له بلا تعب فقد ظن المستحيل ، قال يحيى بن كثير : لا يستطاع العلم براحة الجسم»[2] .

هل رأيتَ كيف تحمل الشافعي المشاق والمتاعب في سبيل العلم ، فقد

---

(١) الموسوعة الشرباصية : (١/ ١٧٢) .

(٢) مجلة «الجامعة» الصادرة عن جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، العدد : (٢٦٥) .

كان يلتقط الخزف وأكتاف الجمال وغيرها ليكتب فيها ، وظل على هذا يجتهد ويسعى إلى أن عُدّ من أعلام فقهاء الأمة ومجددي الدين ، يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : كان في المئة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفي المئة الثانية : الشافعي ، وأيضاً يقول : إنِّي لأدعو للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة ، وأستغفر له ، وكان ـ والقول ما زال لأحمد ـ كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن ، فهل ترى لهذين من خلف أو عنها من عوض .

ومعلومٌ أنَّ الشافعي يعد رائد «علم أصول الفقه» الذي كانت الحاجة ماسة إليه لوضع قواعد تعين على فهم النصوص ، وتضبط الاجتهاد والقياس بالنصوص والآثار ، والمسائل بالمقياس المنضبط بالنصوص لا بالرأي المجرد ، فأخرج كتابه : «الرسالة» التي تعتبر باكورة هذا العلم ، قال صاحب مراقي السعود : «أول من ألفه في الكتب محمد بن إدريس الشافعي المطلبي» .

فالشافعي قد ابتكر «علم أصول الفقه» ذلك العلم الذي يعتبر بمثابة «الدستور» الذي يضبط للفقهاء مسائلهم ، ويحسم الاختلاف في فهم النصوص ودلالاتها ، أو كما يصفه بعض الباحثين : «سكة الحديد» التي تؤمّن للقطار الاستقامة في سيره[١] .

فتكاليف المجد باهظةٌ ، وتحصيل العلم يكلف الكثير من التضحية ، والتعب والجهد ، وما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق العلم ، والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره .

صبر أحمد بن حنبل

ولمَّا آثر أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ طلب العلم ، وكان فقيراً ، بقي أربعين سنة ، يتشاغل به ولا يتزوج ، ومن يطيق ما أطاق ، فقد ردّ من المال خمسين ألفاً ، وكان يأكل الكامخ ، ويتأدم بالملح .

---

(١) مقتبس بتصرف يسير من المصدر السابق .

فما شاع له الذكر الجميل جزافاً ، ولا ترددت الأقدام إلى قبره إلا لمعنى عجيب ، فياله ثناء ملأ الآفاق ، وجمالا زيّن الوجود ، وعزّا نسخ كل ذل[1] .

والأمّة في العصر الحاضر بحاجة إلى من يجدّد لها ذكريات هؤلاء الأعلام ، وأعمالهم البطولية ، وتنظر من الشباب خاصة أن يعيد إليها أمجاد خالد ، وسعد ، وأبي عبيدة ، وطارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، وصلاح الدين ، والأئمة المتبوعين من العلماء والفقهاء والمحدثين ممن سطروا أروع الصفحات على هامات الزمان.

إنَّ الأمة مطالبة اليوم بأن تقدم للبشرية كما قدمت بالأمس ، ولن تفعل ذلك ـ كما يقول فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ـ وهي كلّ على غيرها في العلم والعمل ، تستورد غذاءها كما تستورد سلاحها :

وما يجديك افتخارك بالأوالي ... إذا لم تفتخر فخراً جديداً

فلا يشفع لها التغني بأمجاد الماضي إذا لم تصل أسبابه بالحاضر ، وإلا صدق فيها ما قاله الشاعر قديماً :

ألهى بني تغلب عن جلّ أمر هم ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها منذ كان أولهم ... يا للرجال لشعر غير مسؤوم
إن القديم إذا ما ضاع آخره ... كصارم فلت الأيام مثلوم

* * *

(١) صيد الخاطر : ص (٤٤٢ ـ ٤٤٣).

واجب شباب اليوم

إنَّ الشباب المسلم اليوم في حيرة. . . يجب أن يكونوا بعيدين عنها كل البعد. . ، وقد أعجبتني كلمة قالها مفكر قديم عن الحيرة. . ، يقول: «هناك حيرة. . . هذه الحيرة تحيط بالجاهل ، ولكن العالم يحيط بها» ، هكذا يجب أن يكون الشباب المسلم يحيط بالحيرة ويقضي عليها ، ويتقدم إلى الأمام بهمة السلف وطموحاتهم ، مستنيراً بالرسالة الإسلامية العظيمة التي ـ كما وصفها الإمام الشهيد حسن البنا بقوله الرائع البليغ ـ: «امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت أفقاً ، حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة».

بعضُ الشباب أصيب ـ أخيراً ـ بالإحباط والقنوط والتشاؤم من مستقبل الإسلام والمسلمين خصوصاً بعد وفاة عدد كبير من العلماء الكبار في الأعوام الأخيرة ، وقد استنكر سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ هذه الفكرة التشاؤمية والقنوطية ، ورد عليها حينما سأله بعض الناس قائلاً: ألا ترى أن هذا هو زمن الهجرة واعتزال الناس إلى الصحراء؟ فما كان من الشيخ ـ رحمه الله ـ إلا أن قال له: بل هذا هو زمن طلب العلم وتعلمه ومصاحبة العلماء ، والنهل من علمهم ، وهذا ـ بالضبط ـ الذي فعله عبد الله بن عباس رضي الله عنه ـ حبر الأمة ـ عند وفاة الرسول ﷺ ، وقد كان وقتها صبياً ، وكان معه فتى من الأنصار ، فقال للأنصاري يستحثه على ملازمة صحابة رسول الله ﷺ وأخذ العلم والحديث عنهم ، ولكن الفتى الأنصاري تقاعس ، واجتهد ابن عباس في طلب العلم والحديث بصبر وهمة ليس لهما مثيل ودرات الأيام حتى رأى الأنصاري ابن عباس وهو

جالس يحدث ويفتي ، والناس حوله حلقا وحلقا ، فقال الأنصاري إن هذا الفتى القرشي أعقل مني[1] .

فلينفض الشباب التشاؤم والتكاسل والتقاعس ، وليكونوا كما كان سلفهم من ذوي الغيرة والطموح والهمة العالية والسباق إلى المعالي :

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التَّمام

وليدأبوا على التقدُّم غير مبالين بعقبات الطريق وعوائقه ، فإنها كالنار التي تعجم عود الإنسان الدائب المكافح المناضل ، وتطهر معدنه ، وتفتق قريحته ، وتفجر فيه ما خفي عنه من طاقات وملكات ، وليذكر همة العمالقة من أجدادنا أيام كانوا يهتفون في الشدائد والملمات : «الغمرات ثم ينجلينا» أي تقبل الأحداث القاسية والمصاعب على الرجال فيحسنون لقاءها وعلاجها ويثبتون لها ، حتى تنجلي وتزول . . . ويبقى الرجال كما هم!

فليشمِّر الشباب عن ساق الجد للقيام بما قام به سلفهم من أعمال مجيدة خلدتهم .

يقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وهو ينعى على القادرين على العمل ـ وعلى رأسهم ـ طبعاً ـ الشباب ـ تقاعسهم عن العمل وتكاسلهم وإخلادهم إلى الراحة : «**أعوذ بالله من جلد الفاجر وعجز الثقة**» .

وقال الرسول ﷺ بعد ما شرف بأعباء النبوَّة : «**مضى عهدُ النوم يا خديجة**»[2] !

يا نؤوم الضحى عليك بالاستيقاظ قبل أن يجفَّ ضرع الناقة!

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

* * *

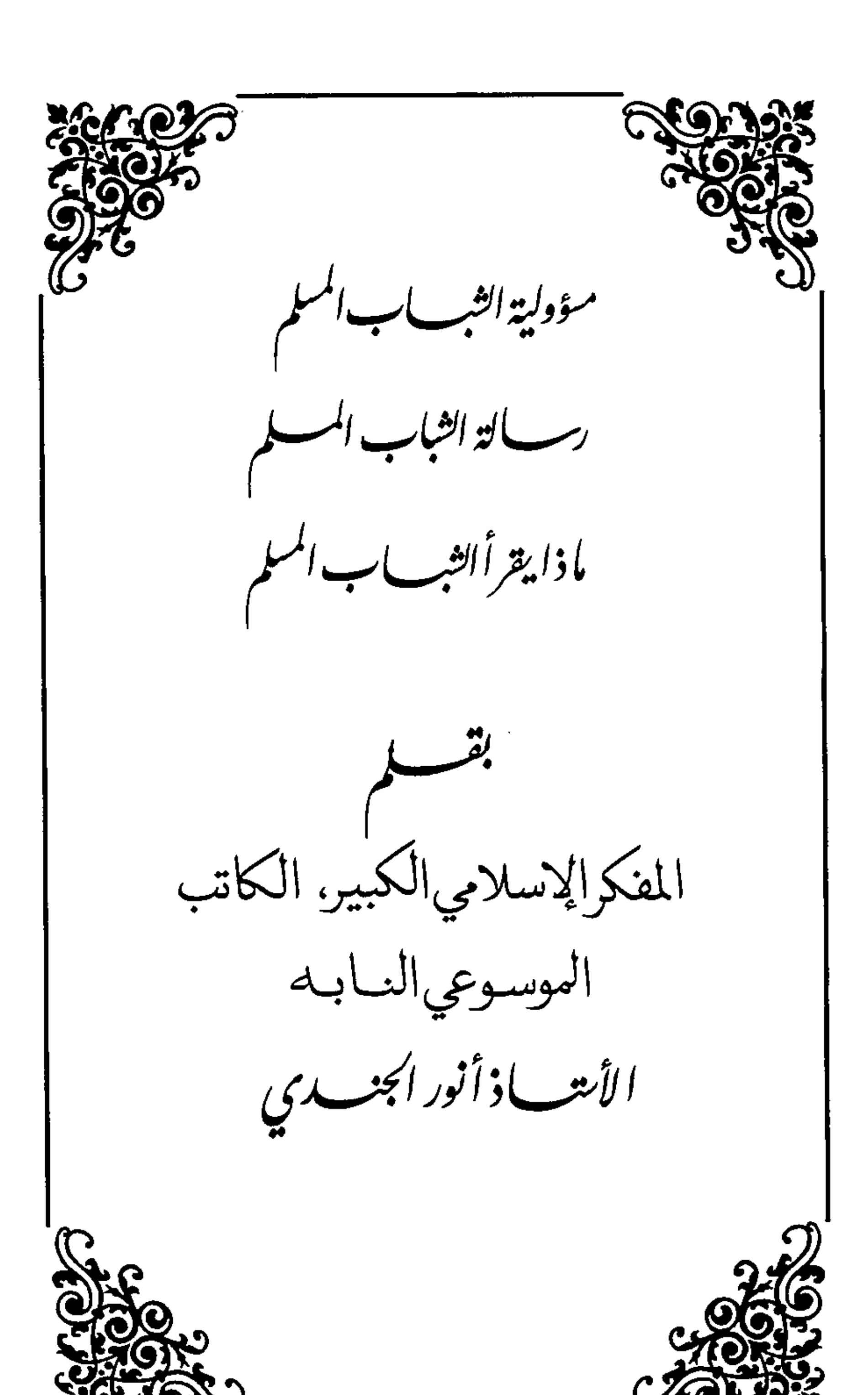
---

(١) مجلة «المجتمع» الصادرة عن الكويت ، العدد : (١٤٤٣) .

(٢) لم نعثر على هذا الحديث فيما عندنا في المصادر الحديثية . والله أعلم .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٠٥ .





مسؤولية الشباب المسلم

رسالة الشباب المسلم

ماذا يقرأ الشباب المسلم

بقلم

المفكر الإسلامي الكبير، الكاتب

الموسوعي النابه

الأستاذ أنور الجندي



ترجمة
الأستاذ أنور الجندي

هو المفكِّر الإسلامي الكبير ، الكاتب الموسوعي النَّابه الأستاذ أنور الجندي ، وُلِدَ في القاهرة عام ١٩١٦ ، وأتمَّ دراسته فيها .

تخصَّص في دراسة وتطوّر الأدب العربي منذ فجر نهضته الحديثة ، وأصدر موسوعةً كاملةً بلغت عدة مجلدات ضخمة ، وشغل حياته كلها بالكتابة والتأليف والتحقيق والدراسة حول قضايا مهمة من العلم والأدب والدين ، كرَّس جميع مجهوداته في خدْمة الفكر الإسلامي ، وتنقيته من ملابسات الفكر المادي الغربي ، ووضع جميع إمكانياته في الدفاع عن قضايا الأمة ، وعرض رسالة الإسلام وحضارته أمام العالم ، مع تزييف القِيمَ الحضارية الغربية وتفنيد مزاعم الماديِّين الَّذين حاولوا بفلسفاتهم المادية وأفكارهم الباطلة إسدال الستار على وجه رسالة الإسلام الحية النقية الواضحة الخالدة والمُنسجمة مع طبيعة الإنسان في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، إنه قام بإبطال هذه المزاعم ، والكشف عن دسائس المستشرقين المشوِّهين حقيقة الإسلام الناصعة ، فاستطاع بذلك أن يُؤَسِّس مكتبةً إسلاميةً مستقلَّةً بكتُبه ومؤلَّفاته وكتاباته ومُحاضراته ، واستطاع أن يُثري المكتبة الإسلامية على سعتها ، ويزيد إليها زيادة قيمة .

توفِّي ـ رحمه الله ـ في القاهرة في ١٥/ في شهر ذي القعدة عام ١٤٢٢ هـ (الموافق ١٨/ ١/ ٢٠٠٢ م) عن سنٍّ يناهز ٨٣ عاماً .

له مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية والتاريخ

والتراجم والسِّير والأدب العربي والتربية تربو على ستين كتاباً. نذكر منها هنا الأبرز والأشهر:

١ ـ المؤامرة على الإسلام.

٢ ـ الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب.

٣ ـ الشبهات والأخطار الشائعة في الفكر الإسلامي.

٤ ـ يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار.

٥ ـ آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في ديار الغرب.

٦ ـ معالم التاريخ الإسلامي المعاصر.

٧ ـ صفحات مضيئة من تراث الإسلام.

٨ ـ أعلام وأصحاب أقلام.

٩ ـ مفكِّرون وأدباء من خلال آثارهم.

١٠ ـ تراجم أعلام المعاصرين في العالم الإسلامي.

١١ ـ الضربات التي وجِّهت للانقضاض على الأمة الإسلامية.

* * *

مسؤولية الشباب المسلم

ما هي مسؤولية الشباب المسلم إزاء نفسه وإزاء مجتمعه؟

وقد حرص الإسلامُ على بناء الشباب وإعداده ، وجعل قاعدة الإيمان بالله هي مصدر الضوء الكاشف الذي ينير له الطريق ، ويزيل العقبات ، ويعين على فهم المعضلات وحل المشكلات ، وفي القرآن الكريم مفتاح الطريق ، وهناك طرق أخرى ، وكتابات منثورة فيها النافع والضار ، فعلى الشباب المسلم أن يتخير وأن يبدأ بما يثق أنه نافع كله ، فإذا شكل مفهومه في ضوء القرآن الكريم لم يكن عليه من حرج في أن يقرأ ما يشاء ، لأنه يكون حينئذ قد كون قاعدته الأساسية في فهم الحياة.

والقاعدة الأساسية هي أن الإنسان مخلوق لله تبارك وتعالى ، ومستخلف في الأرض ، وله في هذه الدنيا مهمة ومسؤولية ورسالة ، وقد أعطى جل متاعها حلالاً طيباً ، وحرمت عليه أشياء قليلة.

وقد جاءت رسالةُ الإسلام لتدله على طريق الخير ، ولترسم له الضوابط التي تحمي شخصيته من الانهيار ، فعليه في هذه المرحلة أن يفكر قبل أن يتصرف ، وأن يطيل النظر قبل أن يقرر ، وأن يتخذ من تجربة الأجيال ، وسيرة العظماء ، وهدى النبوة عبرة تعينه في الخطو حتى لا يسقط.

وعلى الشباب أن يعرف أن هناك خطراً يواجه الأمة كلها ، ذلك هو العدو الرابض المتمثل في الاستعمار الكامن وراء الغزو الثقافي ، ومن هذا المصدر يأتي خطر الدعوات المثارة الداعية إلى الشر والإباحية والحرام ، بينما يدعو دين الله الحق إلى الخير والقصد والسداد ، وليس في الإسلام ما يحول بين الإنسان ورغائبه ، ولكنه يرسم لذلك طريقاً ، ويضع ضوابط

للحماية والتوقي فلا خطر من تأخر تحقيق رغائب الإنسان ومتطلعاته ، فتلك من طبيعة الإنسان التي يقرها الإسلام ، والتي يدعو في نفس الوقت إلى الإعلاء والتسامي بها حتى تأتي مرحلة تحقيقها على الوجه الطبيعي ، فليس فيما يتحفظ به الإسلام إلا الحماية والحفاظ على ذلك الكيان الإنساني من أن يستهلك ويبدد قبل أن يؤدي واجبه ورسالته.

وهذا هو الجانب الذي يحتاج فيه الشباب المسلم إلى الضوء الكاشف ، والتجربة السابقة ، وتأتي هذه التجربة من ذلك النبع الثري ، كتاب الله وسنة رسوله ، وذلك التراث الواسع الضخم من البطولة والهدى والتوجيه.

ويعطى الإسلام الشباب حصانة واسعة في مواجهة الفكر الذي يقدم إليه ، فله أن يفحصه ، وأن يعرضه على دينه ، وعليه أن يتعرف على كتّابه ، وأن يعرف حياتهم وسابقتهم ، وهل هم أهل لأن يؤخذ منهم ، وأن تصدق كلمتهم ، إذ ليس كل ما يقدم إنما يراد به النفع ، فهناك ما يراد به الشر ، وما يراد به تزجية الفراغ ، وما يراد به اللهو ، وحياة الشباب في حاجة إلى ثراء سريع يجعلها مؤهلة لحمل الأمانة والمسؤولية ، فعليها أن ألا تستسلم للفكر المسموم ، ولا للفكر الذي يراد به تزجية الفراغ ، وإنما على الشباب المسلم أن يبحث عن الأصول وعن القيم وعن الثروات الحقيقية التي تزود الروح والعقل معاً ، بالزاد الذي يدفع عنها الشر ، ويمكن لها في طريق الخير حتى تمر بسلام من مرحلة المراهقة الخطرة ، وهي لم تفقد الكثير من قواها ، ومن ثروتها النفسية والجسدية.

وإنّ من أخطر ما يقدم للشباب ، وما يحتاج إلى يقظة كبيرة في النظر إليه : تلك المذاهب الفلسفية والدعوات والنظريات التي ليست من أصول فكرنا ، وليست من ثمرة بيئتنا ، وهي التي عجزت عن أن تقدم خيراً لأهلها وقومها ، هذه التي قامت في أمم لها نظرتها المادية إلى الحياة ، واتجاهها الخاص إلى أمور المجتمع والمرأة ، والتي هي تختلف اختلافاً واضحاً عن المزاج العربي الإسلامي ، وكلها دعوات لا تدعو إلى عزيمة ولا إرادة ، ولا إيجاب ولا بناء ، وإنما تدعوا إلى أن تحل عُرى الكيان البشري واحدة

بعد أخرى ، بالدعوة إلى التحرر والانطلاق ، والاستهانة بالأخلاق ، وتجاوز الضوابط ، ومعارضة كل ما أعطاه الدين للإنسان ، من أجل حماية كيانه ، وحفظ وجوده ورضاء ربه.

من هذه ما تدعو إليه الدعوات الهدامة ، من أن الحياة الدنيا التي نعيشها هي الحياة ، وأن ليس وراءها حياة أخرى ، ومن هنا فإن على الإنسان أن يأخذ حظه من كل متعة ولذة دون أن يعمل حساباً لشيء آخر ، وهذه الدعوة المضللة ليس لها سند في الإسلام الذي يعترف برغائب الإنسان ، ويدعوه إلى ممارستها ، ولا يمنعه منها ، بل ينظمها له ، ويضع له الضوابط التي تجعله قادراً على أداء واجبه في الحياة ، إنما يقال هذا لقوم تدعوهم عقائدهم إلى تحريم زينة الحياة الدنيا ، أو متعها ، هذا فضلاً عن أنه ليس مما يقبله العقل أو الفطرة أن تكون هذه الحياة فوق الأرض هي كل شيء ، وأن يكون الموت هو نهاية هذه الحياة ، ذلك أن للوجود الإنساني فوق الأرض حكمة وللإنسان رسالة ، وأن لحركة الإنسان وسعيه إلى الخير أو إلى الشر مسؤولية وتبعة ، لها بعد ذلك حسابها وجزاؤها.

ومن ثم فإنَّ ارتباط حياة الإنسان على هذه الأرض بحياته الأخرى هو ارتباط الجزء بالكل ، وتكامل العمل والجزاء ، وليس الموت إلا فاصلاً رفيقاً ينتهي ، ولا قيمة للحياة إذا لم تكن لها رسالة يقف فيها الإنسان موقف التجربة ، ومواجهة التحدي بين أخطار الشر ودوافع الخير ، ولابد لهذه الرسالة من حساب وجزاء وأجر كبير ، للذين استطاعوا الصمود في التجربة ، وعقاب أيضاً للذين عجزوا عن احتمال التبعة ، وسقطوا تحت أقدام الشهوات ، ولذلك فالعمل في هذه الحياة محسوب له وزنه وتقديره ، ولن يكون أبداً انطلاقاً لا رقابة عليه.

ومن الحقِّ أن يقال: إن مثل هذه الدعوات الخطرة ، هو ما تروّجه القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعية كأسلوب بعيد المدى في محاولة تدمير الجيل القادم الذي سيتولى مصائر الأمور في هذه الأوطان بعد عقد أو عقدين من السنين ، وأن محاولة تدميره من الآن إنما يجعل أمر سيطرة هذه القوى

على المسلمين والعرب سهلة ويسيرة ، فإنها تضمن من الآن أنها لن تجد مقاومة ، وأنها ستجد أمامها جيلاً هشاً ضعيفاً مدمراً في قيمه ومعتقداته ، ومن ثم تسهل السيطرة عليه ، ويسهل احتواؤه.

* * *

إنَّ «المراهقة» هي انتقال جسدي وعاطفي وعقلي واجتماعي من الطفولة إلى الشباب ، أي إلى «الرجولة» أو «الأنوثة» وليس هو انتقالاً مفاجئاً ، ولكنه انتقال طبيعي ، وتطور متدرج في النمو ، فإذا فهم هذا مرت المرحلة بسلام ، وهي في جوهرها دلالة على أن الشباب أصبح في مرحلة المسؤولية وتكوين الشخصية القادرة على أن تكون في مكان العمل والتأثير والفاعلية في المجتمع.

وخير حماية لفترة المراهقة في حياة الشباب المسلم هي التماس العون من الله تبارك وتعالى والفهم واليقظة وتنمية المواهب والهوايات ، وشغل أوقات الفراغ ، والاتجاه إلى الإيمان والعبادة ، وإلى الثقافة والمطالعة لتوسيع آفاق النفس والعقل. كلما كانت البيئة سمحة مرنة ، وطابعها ديني خلقي ، ونماذجها القريبة طيبة ومعطية ، وكان ذلك عاملاً على تيسير الوجهة وسلامتها.

وأخطر ما يُواجِه الشباب في هذه المرحلة «النموذج» الغريب الوافد الذي لا يحمل معه طابع الإيمان وسلامة الوجهة ، وحسن القول ، وأمانة النصيحة ، فإذا وجد الشباب القدوة الطيبة في البيت والمدرسة والشارع ، أتاح له ذلك قدراً كبيراً من النجاح ، وأكبر عوامل النجاح «الثقة» و«الصدق» و«الحنان» فإنها حين تبذل تخفف كثيراً من العوامل النفسية الضاغطة ، فإذا اتسعت دائرة العلم والخبرة خف عناد الفكرة ، وإذا صدقت النصيحة أغلقت أبواب التمرد ، وإذا امتلأت الحياة بالعطاء انتهى الفراغ ، وإذا وجدت القيم الربانية ، وقدمت في أسلوب سمح محبب هزمت الدعوات الفاسدة وسدت أمامها الطريق ، فالفراغ الذي تجده نفس المراهق هو الذي يدفع إلى البحث

عما يملؤه، فإذا لم يقدم الخير في صورة سمحة بارة مرنة، كان هناك البحث عن أي شيء ولا يوجد بعد الخير إلا الشر فعلينا أن نقدم لشبابنا هذا العطاء الإسلامي في ثوب كريم ، وفي صورة تطبيقية حتى يقبل عليه ويؤمن به.

وخير عطاء الإسلام للشباب إقامة التوازن في نفسه بين القوى المختلفة، حتى لا يسرف في إعلاء جانب على جانب ، فهو جماع من الروح والمادة ، والنفس والعقل والفكر والعاطفة، فإنه لن يجد الطمأنينة إلا في هذه الموازنة.

والمؤمن بالله يجد دائماً من الزاد ما يخفف عنه القلق ، ويهون عليه مشقة البحث عن الطريق الصحيح ، والإسراف في الأحلام أو الخيال ، من شأنه أن يباعد عن الواقع والطموح علامة الشخصية ، ولكن لابد من الأخذ بأسباب النجاح والوصول إلى الغاية المرتجاة ، وخير ما يحفظ الكيان الإنساني هو أن يتحفظ بأسباب النجاح والوصول إلى الغاية المرتجاة ، وخير ما يحفظ الكيان الإنساني هو أن يتحفظ إزاء العالم الوهمي الذي تخلقه القصة أو الشاشة ، أو معطيات الصورة البراقة والكلمة المسموعة ، فإن ذلك إنما ينقله إلى جو من الخيال الذي يترك من بعد آثاراً قاسية من الحرمان والتطلع إلى ما ليس في الإمكان تحقيقه ، ولابأس على الشباب من أن يعايش هذا كله ، وإنما اليأس أن لا يفهم الآثار المترتبة عليه ، وردود الفعل ، فليواجه كل هذه الأوضاع على أنها خيال ، لا حقيقة ، ولا يحاول أن يستسلم لها حتى لا يترك آثارها السيئة في حياته ، ومن الخير أن يحصن الشباب نفسه من الأدب الرخيص المبتذل ، والقصة المسمومة ، والأغاني الداعية إلى الشر ، والكتب الهدامة ، حتى لا يحرقه تيار التحلل والإباحة ، وموجات الضعف والتخاذل.

وإنَّ من أهم ما يوجه الشباب إليه من اهتمام هو تكوين شخصيته القادرة على اقتحام الحياة ، وذلك إنما يكون بالثقافة ، والتماس الخبرة المنثورة أمامه من صفحات التاريخ ، ومن تجارب الأحياء وإنما تتكون الشخصية بالتوسط بين العاطفة والعقل والتعادل بين الروح والمادة ، دون الاستسلام للغرائز والرغبات ، والقدرة على بناء الإرادة وتحريرها ، والسيطرة على

معطيات النفس والجسم ، وحسن توجيهها ، فإنما هي الثروة التي إذا فقدت عاش الإنسان بعدها عليلاً ضعيفاً.

إنَّ بناء الإرادة بالخلق والإيمان بالله ، والتقوى يجعل الشباب قادراً على تغيير الموروثات ، وآثار البيئة والاستعلاء على معوقات الشخصية السوية ، إن الشخصية البشرية كما يقول علماء الطب والنفس لا تستكمل نموها ، ولا تبلغ ذروة هذا النمو إلا بالتحدي الدائم لذاتها ، والعمل الدائب على إصلاح عيوبها واستكمال نقائصها.

إنَّ الشباب حين يمضي أمامه طريق الخير وطريق الشر ، أما طريق الخير فهو محفوف بالصعاب والضوابط ، ويتطلب مشقة في تثبيت الخطوة ، ولكنه موصل إلى امتلاك القوة والصحة والحياة الطيبة ، أما طريق الشر فإنه سهل ويسير وفيه انمراء وبريق ، ولكنه يهدم الشخصية ويحطمها ، وصاحب الهدف والرسالة المؤمن بالله الذي يعد نفسه مستجيباً لأمانة الاستخلاف في الأرض ، من شأنه أن يجنب نفسه الإسراف في تبديد تلك الثروة في هذا السن الباكر ، فإنه سيحتاج إليها إذا علا به السن ، وسيندم على التفريط فيها ، فهذا هو الكنز الذي يتوجب أن يحافظ عليه لينفق معه ، إذا ما توقف العطاء ، وليست المحافظة على مفهوم الإسلام هي الزهادة أو الرهبانية ، ولكنها الاعتدال والمرحلة الوسطى بين الإسراف والتقتير.

إنَّ من حقه أن يأخذ ما يشاء في حدود ما أحل الله ، فإن من شأن هذا أن نحفظ العقل والقلب ونحفظ الجسم أيضاً.

إنَّ هذه الغرائز التي تعيش في أعماق الإنسان إنما هي قوة سلح الله تعالى بها الفرد لخيره وخير المجتمع إنها هي التي تحميه من أخطار الفناء ، ولكن استعمالها يجب أن يتم تحت رقابة العقل ، وفي إطار الوعي الكامل فلا تتحول غريزة البحث عن الطعام إلى الشره ، ولا غريزة الإنسان إلى التحلل والعدوان ولا غريزة الادخار إلى الطمع والشح ، ولا غريزة الظهور والسيطرة إلى الخيلاء والكبر ، ولا غريزة الغضب والمقاتلة إلى الجنون وسفك الدماء ، ولا غريزة حب الاستطلاع إلى البحث عن عيوب الناس ،

ومن حق كل إنسان أن يكون حراً ، فهو حق طبيعي ، ولكن لكل حق ضوابط وضابط الحرية ألا تكون عدواناً على حق الآخرين.

والإسلام يقرر أنه إذا اصطدمت الحرية بالحق أو بالخير (خير الفرد أو خير الأسرة أو خير الجماعة) ، فإن الحرية الفردية تقف وتنكمش ، وهناك ممنوعات رئيسية لا سبيل إلى تجاوزها ، ولا إيجاد تأويل من النصوص لتبريرها وإباحتها: هي الزنا ، والميسر ، والربا والسُّكْر بالخمور ، والمخدرات ، هذه الأمور مرذولة لدى الإنسان الكريم والعقل السليم ، والنفس الطيبة ، والدليل أنها لا تمارس إلا في الخفاء ، وما حرمها الإسلام إلا لأنها تهدم الشخصية الإنسانية وتورد مقترفها حدود الهلاك ، ويريد الإسلام أن يحمى هذه الشخصية (عقلاً وروحاً وجسماً) ويستبقيها سليمة قوية لتؤدي رسالتها ، وليكون صاحبها قادراً على أداء واجبه ، وحمل أمانة الحياة ، ولا خير بكون صاحبها عليلاً مريضاً مضطرباً.

وليس صحيحاً ما يقال من أن احتماء الإنسان ، بالأخلاق ، أو كظم الغيظ ، أو التحفظ دون التردى في الرذيلة ليس صحيحاً ، إن هذا يضر بكيان الإنسان ، بل العكس هو الصحيح ، وليس صحيحاً ما يقال من أن توجيه حياة المراهق وحمايتها من الزلل له أخطار ، فتلك دعوات يريد بها أصحابها إطلاق الناس على الأهواء وإلا فإن الدين دعوة إلى الضبط والكظم في حدود الوسع والاقتدار الذي تملكه الشخصية الإنسانية من أجل الحفاظ على كيان ذاتها.

ولا ريبَ أنَّ النجاح في الحياة يعود أساساً إلى مصدرين: الإيمان والتقوى.

فالإيمان بالله هو أساس الفضائل وسنة العزائم في الشدائد ، ونور الأمل في الصدور ، وعماد الرضا وسكينة النفوس إذا أوحشتها الحياة ، وعزاء القلوب إذا نزل الموت ، وهما ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية ، ومعرفة الله هي عصا التحويل التي تنقل الفرد من حال إلى حال ، وحسن الاعتماد عليه وحده هو أظهر علامات الإيمان الصادق.

والتقوى هي ذلك الخلق النفسي الذي يجعل من الإنسان رقيباً على نفسه في كل تصرف من تصرفاته ، وفي كل جانب من جوانب سلوكه ، والتقوى هي السلوك الصحيح السليم من كل ناحية ، وأداء حق الله في العمل والاستقامة والتفاني في أداء الواجب ، والترفع عن الدنايا ، وكل هذا من مصادر الإيمان في الحياة.

وهكذا فإن النجاح في الحياة ليس حظاً يساق إلى الإنسان ، ولكنه استعداد وعمل وإرادة وخلق ، وقوة الخلق هي العامل الأول ، هي الاستمرار والمثابرة ، والدأب والصبر وعدم اليأس.

ليس المطلوب هو الوصول إلى الذروة ، ولكن العبرة بالوصول إلى الوسط والعطاء على قدر العزيمة وليس معنى الصبر الاستسلام والخضوع ، بل هو اليقين بالنصر ، والمحاولة المتجددة دون يأس ، والصمود في وجه العقبات ، والإنسان بالصبر يكون قادراً على العمل إذا أصابه الإخفاق فيعاود الكرّة ، مؤمناً بنصر الله تبارك وتعالى بين الصبر والإيمان ، فالصبر خلق إيجابي وقوة ورجولة وليس عجزاً واستسلاماً.

* * *

إنَّ هناك مفاهيم كثيرة أصبحت كالمسلمات علينا أن نصححها حتى تستقيم لنا القدرة على مواجهة الحياة ، إن على شبابنا أن يتقبل النقد ، ولا يضيق به ، ما هو النقد: إنه وجهة النظر الأخرى التي قد يستفيد منها فإذا جاءت من صاحب الخبرة ، وغير صاحب الهوى فهي معرفة أوسع وأفق أرحب ، وعلى شبابنا في الحكم على الأمور أن لا يندفع وراء العاطفة أو الغاية الخالصة ، أو الرغبة والهوى ، ويجعلها مصدر أحكامه؛ فإن ذلك ليس مقياساً صحيحاً ، ولا ميزاناً سليماً.

وليكن الشباب قادراً على أن يربط بين التجدد والأصالة ، وأن يقبل الحركة والانفتاح والتلقي مع الاحتفاظ بقاعدته الأساسية في الإيمان بالله العظيم، والقيم الثابتة، وعلى الشباب ألا يجعل التفاخر بالعصرية ، والتقدم طريقاً إلى تحقير الإسلام والقرآن ، وتاريخ الإسلام واللغة العربية ، ولا أن

يستخف بالصلاة والصوم ، والإنسان القوي هو الذي يكون مؤمناً أولاً بدينه وأمته وتراثه ، ولا يرى في الانتساب إلى ذلك نقصاً ولا تعارضاً مع العصرية ، بمفهومها الحق ، فلا تعارض بين الإيمان بالله وبين التقدم.

وإذا كان هناك من يفاخر بالإلحاد وهو شر ، فهل نستحي أن نفاخر بالإيمان؟ وهو حق وشرف ، إن أمتنا لها أمجادها وتاريخها ، ولقد قدمت للإنسانية أشرف القيم وقدمت للبشرية العلم التجريبي والتحرر من عبودية الوثنية ، ومن ثم استعباد الإنسان ، وسوف تكون قادرة على أن تقدم في القريب هذا الدين الحق إلى البشرية كلها، ولكن أخطر الأخطار عليها. هو: أن تتخلى عن مقوماتها ، ومكوناته التي تختلف عن مجتمع آخر ، فلتتحرر النفس المسلمة من عبودية الإعجاب بالغرب ، ولتحذر الاندفاع في اتجاه الترف والرخاوة والتحلل ، ولنتجاوز فرويد ، وماركس ، وسارتر ، إلى آفاق الإسلام الرحبة.

أمَّا الترف فإنه بغيض لأنه يقتل الشخصية ، ويحول صاحبه إلى الضعف والجمود ، وقد نعى الله تبارك وتعالى على المترفين ، ودعا إلى البساطة مع النظافة والطهارة ، والرجولة مع التواضع والبذل ، ومن شأن الترف أن يحول بين الإنسان وبين أداء الواجب ، ويسلب الخشونة والقدرة والحركة ، ويجعل صاحبه أليفَ الضعف والرخاوة والمرض ، ويجر على الجسم المرض ، وعلى النفس السقم ، وعلى الشباب أن يحسن اختيار أصدقائه ، وأن يقيم الاختيار على أساس القيم والخلق ، وأن يقترب من المتدينين ذوي الأخلاق ، ويبتعد عن المسرفين في الجدل ، أو المبالغين أو المغرورين ، والنفس المؤمنة لا تحسد ، والاختلاف في متاع الدنيا لا يثير الأحقاد ، وإنما مجال التنافس الحق هو العمل الصالح صاحب العقبى في الآخرة وعند الله ، فستذهب الأموال وتبقى الأعمال ، فمن استطاع أن يقدم لأمته ولوطنه عملاً نافعاً؛ فإنه سيجد جزاء ذلك في الدنيا والآخرة.

وليحذر الشباب من الغرور ، فهو داء العصر الوبيل ، فالعالم هناك من هو أعلم منه ، والغني هناك من أهو أغنى منه ، وهناك من يفوق الأنيق

والوجيه، ولم يبلغ إنسان غاية العلم. والنفوس التي يملؤها الغرور، وتحتقر الناس ، وتحسّ بأنها أرفع شأناً ، تنغلق على نفسها ، والسنبلة المليئة من القمح تنحنى ، والفارغة ترفع رأسها ، وعلى الإنسان أن يكون هو نفسه فإذا رأى خطأ أو شراً أو منكراً فلا يقل هكذا يفعل الناس فأفعل ، فإنما يحاسب الإنسان بمفرده وعن عمله ، ولا يحمل المجتمع مسؤولية خطأ الفرد: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾[1] إن المسلم المؤمن المثقف هو القادر على أن يتحرر من الخطأ الجماعي فإذا تبين له الحق غير طريقه الأول في مرونة ويسر ، إن المسؤولية فردية ، ومن حق الإنسان أن يكون إيجابياً قادراً على اجتياز الطريق الصحيح، وكل إنسان يخطىء ولكن باب التوبة مفتوح دائماً.

فليس هناك ما يشغل النفس أو يعقدها ، فإنها تستطيع أن تتحرر من خطئها في التّوّ واللحظة ، وعلينا أن نحسن صحبة أبنائنا وأمهاتنا وأهلينا ومعلمينا وجيراننا ، ولنؤمن بأن الأب هو رأس الأسرة ، وأن بيده مقاليد السفينة ، وأن الأمور لا تسير إلا بربانه.

والمسلم لا يعرف اليأس ، ويعاود الكرة ، فلا يتصل اليأس إلا بالقلوب المهزومة الفارغة من الإيمان بالله ، أما المؤمنون فإنهم دائماً آملون ، ومن اليأس يجيء التشاؤم والقلق ، والمسلم يعقل الأمر ويتوكل على الله ، فلا يمهل الأمر اتكالاً على ما سيجيء بالقدر ، فالعاقل من عقل وتوكل ، والاعتماد على الله رأس الأمر كله ، فلا تخشى مواجهة الناس ما دمت على حق ، واحمل حاجتك فإنك أولى الناس بها ، وتجويد العمل مع الإبطاء خير من الإسراع فيه مع سوء أدائه ، وإخلاص العمل لله شرط من شروط نجاحه وفاعليته ، والعجلة تفسد العمل ، وتورث الندامة ، والتروي مع التجويد أدعى إلى النجاح ، ولا يقنط المسلم من رحمة الله ، فإن أخطأ فإن الله غفور رحيم وكل بني آدم خطاء ، والإسلام يسر ، وليحذر المسلم ممن يقنطه في رحمة الله أو يجره إلى الخطأ ممن وقعوا في الإثم ، فلا يصدق

---

(١) سورة مريم ، الآية: ٩٥.

تهوينهم بالدين وحدوده ، ولا يجعلهم حجة على المفاهيم الصحيحة ، وهم أبعد الناس عنها .

ويقول العلماء إن الشباب بقواه العقلية وحدها لا يستطيع أن يضبط نفسه ، وأن يأخذها بالاعتدال فهو محتاج إلى وازع من الأخلاق يحبب إليه الخير وينهاه عن المنكر ، والدين وحده هو أثبت قاعدة لتنمية الفضيلة وأضمنها .

وعلى المسلم ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وعلى المسلم أن يكون نافعاً لكل من حوله كالشجرة المظلة يعطي ويبذل الجهد في سعادة الآخرين ، وأهله أحق بعطائه ، وليعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه .

وليطلب المسلم الحوائج بعزة النفس ، فإنَّ الأمور تجري بالمقادير ، ومن أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره ، فليس من الإسلام ، وإنما يعمق الإيمان ، ويؤكده أن يؤمن المسلم برقابة الله وعدالته واطلاعه عليه ونظره إليه فإن هذا الإلهام يبعث يقظة في الضمير وحياة في الشعور ، وإن المسلم يرى أن وراء إرادته إرادة الله الغالبة ، وإن وراء تقديره تقدير الله النافذ ، والمؤمن دائماً لا ييأس على ما فاته ، ولا يفرح بما آتاه الله .

والمسلم قادرٌ على أن يقول كلمة الحق ، وإذا سيم الخسف أن يقول «لا» ولا يكون المسلم إمعة : «**يقول إذا أحسن الناس أحسنت ، وإذا أساؤوا أسأت**» ، وعليه أن يطابق دوماً بين الكلمة والسلوك .

قال عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عباس : «**يا بنيّ إني أعلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعتْ على أن يضرُّوك بشيء فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف**»[1] .

* * *

---

(١) حديث حسن ، أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، برقم (٢٤٤٠) ، وأحمد في مسنده برقم (٢٥٣٧) ، و(٢٦٢٧) .

رسالة الشباب المسلم

على الشباب المسلم أن يعرف وجهة العمل للإسلام.

إنَّه في ست قضايا كبرى غيرت القوى الاستعمارية مفاهيم المسلمين: في القانون، والاقتصاد، والسياسة، والتعليم، والقومية، والمجتمع، والمرأة.

ففي القانون: فرضت القانون الوضعي، وحجبت الشريعة الإسلامية، وفي الاقتصاد: سيطر النظام الربوي المصرفي بشطريه الرأسمالي والماركسي، وفي المجال السياسي: سيطر النظام الغربي الديمقراطي الليبرالي على المسلمين، وفي التعليم: سيطرت مناهج الغرب في التعليم على أصل التربية الإسلامية، وفي مجال العروبة: سيطرت مفاهيم القومية الضيقة، والإقليمية والوطنية، والعنصرية والعالمية على مفهوم الإخاء الإسلامي الأصيل، وفي مجال المجتمع والمرأة: سيطرت مفاهيم المدرسة الاجتماعية الغربية القائمة على المادية، والتحلل، والإباحة، والفصل بين الدين والمجتمع، وبين المجتمع والأخلاق.

وتجدنا الآن بإزاء أخطار بالغة تهدد الفكر الإسلامي عن طريق التغريب والغزو الثقافي الغربي تستمد جذورها من الفكر اليوناني الإغريقي الوثني خاصة فيما دعا إليه (أفلاطون) في الجمهورية من جعل السلطة في يد طائفة من الناس يتميزون بالدم الخاص، ويتصاهرون فيما بينهم، ويلدون أطفالهم بصورة جماعية، ثم تربيهم الدولة محافظة على سلامة الجنس الممتاز، وما ردده أرسطو بعد أفلاطون من تقسيم المجتمعات إلى سادة وعبيد، ودفاعهما عن الرقيق، وما أورده سقراط من مفهوم خطير يقوم على الانحراف الخلقي مما صبغ الحياة الفكرية والاجتماعية اليونانية

بطابعه ، ثم انتقل إلى الفكر الغربي الحديث ومن الحق أن الفكر الإسلامي يعارض هذه المفاهيم ولا يقرها ، ولكن مذاهب متجددة ظهرت في الفكر الغربي أخذت تصوغ هذه المفاهيم بأسلوب جديد تحت اسم الحرية ، وتحت اسم حرية الفكر ، وتحت اسم حرية العلاقات الاجتماعية ، وإنكار الأسرة ، واحتقار الأبوة ، وما تميز به من كتابات فرويد وسارترودور كايم.

وهكذا يواجه المجتمع الإسلامي اليوم تحديات خطيرة ، ومعضلات قاسية نقلت إلى أفقه من مجتمع غير مجتمعه ، ومن فكر له منطلقاته ومفاهيمه وعقائده ، من شأن هذه التحديات أن تؤثر في النفس الإسلامية من حيث الإيمان والإلحاد ، ومن حيث التقوى والإباحية ، وتحاول في مجموعها أن تنكر المسؤولية الفردية ، وأن تغري الإنسان المعاصر بأنه غير مسؤول أو محاسب ، ونحن إزاء هذه المحاولات على رأي واضح ، ومنهج محدد ، هو أننا نمتلك الإرادة الخاصة التي سنحاسب على كسبها ونلقى جزاءها ، وأن الإسلام قدم للبشرية مفهوماً واضحاً صريحاً لمسؤولية الإنسان وكسبه ، وجزائه الأخروي ، ورسالته في الحياة بوصفه مستخلفاً لإقامة المجتمع الرباني في الأرض ، لا علينا من النظرية الغربية الوافدة التي هي من صنع قوم آخرين أقاموها على مقياس مجتمعهم ، وابتدعوها في ظل تحدياتهم التاريخية ، وخصومتهم لتفسيرات الدين التي دفعتهم إلى الانفصال عنه ، والتماس الحلول من الفلسفات وحدها.

إنَّ الفكر الإسلامي بأصالته الربانية وجذوره الممتدة في التربة خلال أربعة عشر قرناً ، وقيامه على الفطرة والعلم والعقل ، كان قادراً دائماً ، وفي أشد مراحل التخلف والضعف على المحافظة على ذاتيته ، والحيلولة دون انصهاره في الفكر الأممي والعالمي.

ولابدَّ أن تواجه النفس الإسلامية فطرتها وأصالتها ، وأن تلتقي مع مناهج الإسلام وحلوله التي قدمها في مختلف القضايا والمعضلات.

هذه المناهج القادرة على إعطاء البشرية هداها ونورها، وإزاحة ما نعيش فيه من قلق وضياع وغربة مما تطرحه الفلسفات المادية، وتروج له.

إنَّ الليبراليين يحاولون خداع المسلمين بالقول بأن الإسلام ديمقراطية ، والماركسيون هم الآن يحاولون نفس المحاولة بأن الإسلام اشتراكية.

والواقع أن الإسلام هو الإسلام: دين الله الخاتم الخالص المنزل من السماء ، المستعلي على الأيدلوجيات والنظريات البشرية ، يحاول الماركسيون خداع المسلمين بأن الماركسية والإسلام يلتقيان في العدل الاجتماعي ، وإن الغربيين الليبراليين يحاولون خداع المسلمين بأن الديمقراطية والإسلام يلتقيان في الشورى ، وكلٌّ من الأمرين فيه تمويه وزيف كبير ، فلا العدل الاجتماعي في الإسلام مشابه للماركسية ، ولا الشورىٰ الإسلامية مشابهة للديمقراطية ، والتمثيل النيابي.

ونحن نعرف أن الاستعمار والصهيونية والماركسية يتعاونون على هدف واحد ، وإن اختلفوا في مطامع السيطرة ، هذا الهدف هو تدمير المعنويات والأصالة والذاتية في الأمة الإسلامية حتى تخضع وتدخل دائرة الاحتواء ، وتنصهر في الأتون اللعين: أتون الأممية. ومن ثم تفقد ذلك الشيء الذي يميزها ويجعلها أمة لها قدرتها الخاصة على إقامة كلمة الله ، وعلى العمل لإقامة المجتمع الرباني.

إنَّ هدف النفوذ الغربي المثلث الوجهة (استعمارية وماركسية وصهيونية) هو إدخال المسلمين في الدائرة الغربية المغلقة ، وإخراجهم من الدائرة الربانية الموسعة الجامعة ، مستهدفاً حصرهم واحتواءهم.

ولقد جرَّبَ المسلمون أسلوب الغرب في الديمقراطية ، وأحس العالم الإسلامي أنها جسم غريب ، ثم جاءت الموجة الأخرى المتابعة لها ، وهي الماركسية ، ورفضها الجسم الإسلامي والعقل الإسلامي ، وأثبت الروح الإسلامي أنه غير قابل للاحتواء والانصهار في أي النظامين.

لقد كانت تجربة تطبيق النظام الغربي في المجتمع والتعليم والسياسة والاقتصاد والقانون كانت مصدراً للهزائم المتوالية التي وقعت فيها البلاد ، نكبة ونكسة وهزيمة ، واحتلال فلسطين والقدس ، كانت أفكار القومية والإقليمية والتجزئة مصدر التمزق والهزيمة.

لقد كانت الهزيمة نتيجة هجر المنهج الإسلامي ، منهج الأصالة الذاتية ، والانصهار في مناهج الغرب التي لم تكن صالحة لأهلها ، ولا محققة لهم قيام المجتمع الأمثل وإن الذي هزم هو التخطيط العسكري ، والسياسي الوافد.

أمَّا الإسلام فإنه لم يكن موجوداً أو مطبقاً حتى تنسب الهزيمة إليه ، بل كان قد أبعد تماماً وحوصر. إن التجربة مع الغرب بشعة يجب أن تصنع تحت أعيننا في فجر القرن الخامس عشر رصيداً صخماً من الوعي واليقظة والحذر ، تجاه فكرة التبعية والتقليد في أنماط الغرب: الترف والاستهلاك والانحلال والتمزق والغربة والغثيان وهي ميراث الفكر الغربي الوافد الذي يقدم لنا عن طريقين:

عن طريق مترجمات غثة رديئة لا تختار إلا الإباحية والسموم والانحراف ، وتدع كل ما هو إيجابي ، وصالح ، ونافع ، ثم إنها تقدم لنا على أنها مسلمات وحقائق ، وهي لم تبلغ بعد درجة النظرية ، وليس درجة العلم ، إنما هو ركام شديد السوء تقدمه أقلام مليئة بالحقد والكراهية والتعصب ، مدفوعة إلى تدمير المجتمعات الإسلامية وهزيمة القيم الربانية ، وإثارة الشبهات والشهوات والإباحيات في محيط يتحصن بالأخلاق.

ولقد علمنا الإسلام أن نقف من المعارف المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح على قيمها الحقيقة ، وعلى مصادرها وعما إذا كانت نافعة أو ضارة ، إيجابية أو سلبية ، وأن علينا أن نرفض الزيف والتفاهات ، وأن نعرف أن لنا من العلوم موقفاً ، وأن لنا من الفكر البشرى موقفاً ، هذا الركام الزائف المنشور في كتيبات تباع على الأسوار موقف آخر ، وعلينا أن نفرق بين العلوم والفلسفات؛ فالفلسفات نظريات فردية ، قوامها فروض تصح وتخطىء ، وهي مرتبطة عادة ببيئاتها وعصورها ، وليست صالحة لعصور أو بيئات أخرى ، لأن جانبها الذاتي بالإضافة إلى صدورها عن تحديات مجتمعها وعصورها ، كل هذا يجعلها أقل صلاحية لأن تكون إنسانية أو عامة.

والعلوم التجريبية شيء آخر غير الفلسفات وغير الثقافات ، إنها

مجموعة من الحقائق العلمية ، أما مترجمات الفكر الغربي فيجب أن تقدم للشباب المسلم مسبوقة باستعراض لها ولظروفها ولمخالفاتها الواضحة لفكرنا ومجتمعنا ، فإذا قدمنا لهم ماركس أو سارتر أو هيجل أو فرويد ، فعلينا أن نقدم ذلك في إطار عصره وبيئته ، وأن نقدم معه خلاصة فكرنا ، ووجهة نظرنا في هذا العمل ، أو ذاك ، ذلك أن للفكر الإسلامي منهجه ومنطلقه وطابعه الخاص به ، وهو مختلف عن مناهج ومنطلقات وخواص. وطوابع الفكر الغربي الذي مر بمراحل مختلفة ، تركز في صورة عديدة منها الاقتصاد ، والنفس والاجتماع ، والقانون ، وكلها تختلف عن مفهوم الإسلام.

فلتكن هذه رسالة الشباب المسلم: حذر دائم من كل ما يقدم إلينا من مترجمات ، أما ما تكتبه الأقلام العربية من مصدر ولاء للفكر الغربي أو الفكر الماركسي ، فإن علينا أن نعرف موقف الإسلام من كل ما يقدم لنا ، وألا تختلط علينا المفاهيم فتجرفنا إلى ما يخرجنا من طوابعنا وإذابَتَنا ، وذلك حتى لا نسقط في فخ الفكر العالمي الأممي الذي يستهدف صهرنا وإذا بتنا في بوتقته حتى تضيع تلك الصفة الخاصة التي يتميز بها المسلمون بالإسلام.

ومن رسالة المسلم أن نعرف واجبنا تجاه هذه الأجيال الشابة الجديدة التي تلقت مفاهيم الحياة عن مسرحيات التلفزيون ، وروايات الشاشة ، والتي تواجه الحياة ، وكأنها لعبة أو تسلية ، أو ساحة هزل وضحك ، يلبسون ما يشاؤون ويتحدثون كما يشاؤون ، كأنما ليس في هذه الحياة إلا المتعة واللعب واللهو ، هذه النظرة المنحرفة إلى الحياة التي لا تقدر المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان ، ولا الأمانة المنوطة به ، وهي النظرة التي طرحتها تلك الأهواء التي تحملها الحضارة المادية ، والتي تكاد تعزل شبابنا عن المفهوم الحقيقي للحياة ، والرسالة الصحيحة للإنسان في الحياة البشرية ، ليست في الحقيقة لعبة ولا لهواً ، وليست مزاحاً يمضي فيه الناس كما يشاؤون ساعات لاهية في شراب أو لهو ، ثم نوم ثقيل ، وحركة كسولة وطعام مسبوك ، بل الحياة مسؤولية وجد ، وأذان يؤذن للوقت حينما يحل

بحيث يعرف الإنسان أن وقته محسوب عليه ، فالإنسان الساذج البسيط الذي يأخذ الحياة على أنها متاع وترف وحديث طويل ، وسهرات ضاحكة وأهواء ، إنما يعبث بأعز ما يملك ويدمر شخصيته ، وينسى مسؤوليته في الحياة ، وعندما تهزل الحياة وتدخل مراحل التراخي والترف والتحلل تنشغل الأمم بالأساطير والقصص والروايات والأحاديث الواهية الخرافية تبحث عن ذلك الركام المدفون الفاسد لتجدده وتكذبه. هذا القديم الذي كان لعصره يوم كان عصره قاصراً عن فهم الواقع الحي ، وعن فهم الحياة ، ومنحرفاً عن رسالة الرسل ، وكلما جاءت الحقيقة الربانية جيلاً بعد جيل عن طريق الأنبياء والرسل، كانت تقضي على هذه الأساطير والخرافات، وتنهي وجودها ، ولكن البشرية كانت سرعان ما تعود إلى الأساطير وأهواء النفس.

ولمّا جاء الإسلام أنهى طفولة البشرية ، وبدأ عصر الرشد الإنساني ، ولكن قوى النفوذ الأجنبي ما تزال تتشبث بذلك الركام لتعيد الإنسانية مرة أخرى إلى طفولة البشرية ، ولتنسى ما أعطى لها من منهج الحق والخير ، فهل البشرية لا تريد أن تسلم وجهها إلى الله تبارك وتعالى ، وتريد أن تعود القهقري إلى الأساطير والخرافات الوثنية انسلاخاً من الواقع الحي الصحيح ، وإخلاداً إلى الأرض الموات ، وهروباً من الحقائق المضيئة التي تضع الإنسان أمام وجوده وسعيه وكدحه ارتداداً إلى الخواء والاسترخاء والغفلة والبعد عن التفكير والتأمل في صنع الله؟

لقد جاء الإسلام داعياً إلى التفكر والتذكر ، وتركيز الحواس في الحياة عملاً وإنتاجاً وسعياً ، ولكن الإنسان في هذا العصر يريد أن ينحرف عن طريق الحق إلى الترف والاسترخاء ، والتحلل هرباً من مهمته ومسؤوليته.

ومِن أخطر المحاولات التي تحتاج إلى الانتباه الوافر: هي محاولة وضع الإنسان المسلم في موضع تبرير القيم الغربية باسم سماحة الإسلام ، وانفتاحه وقابليته للجديد ، ومسايرته لظروف الأمم والحضارات ولا ريب أن للإسلام قواعد كلية لا سبيل إلى النزول عنها وبخاصة في مسائل الربا والحدود ، وعلاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقة الأسرة بالمجتمع كذلك

فللإسلام أصول ثابتة في المعاملات ، كل ذلك ليس موضع التبرير أو التأويل ، لأنه هو الدعامة الصحيحة للمجتمع الإسلامي ، أما فيما عدا ذلك فإن هناك محاولة للاجتهاد ، هذا فضلاً عن سعة الأطر ومرونتها التي تجعلها كفيلة بالصلاحية لكل البيئات والعصور ، والمعروف أن النظرية الغربية أيًّا كانت في مجال الاقتصاد أو الاجتماع أو النفس ، أو الأخلاق هي استجابة لتحديات مجتمع بعينه ، له مشاكله أو أزماته وقيمه وعقائده ، وقد قامت على مقياس ذلك المجتمع وحجمه ، ومن خلال واقعه ، فكيف تصلح لمجتمع غيره ، فضلاً أنها قامت في مرحلة أزمة وضعف وانحلال في ذلك المجتمع ، ولم تكن من معطيات عصور القوة والبناء ، فعلى المسلمين أن يتنبهوا إلى هذه المحاذير.

هناك محاذيرٌ خطيرةٌ تتضمّنها محاولة التغريب والغزو الثقافي ، وعلينا أن نكون واعين لأهدافها:

أولاً: هناك دعوة إلى نبذ الماضي والتاريخ والتراث ، ووصفه بكلمة قديم ، وهم من خلال هذه العبارة الغامضة يحاولون هدم الإسلام ، وفي نفس الوقت الذي يدعون فيه إلى نبذ القديم المتصل بالإسلام يدعون إلى إحياء الماضي الوثني والجاهلي السابق للإسلام ، والذي تلاشى تماماً، ولم يعد له في ضوء الإسلام بقاء بعد أن سحق الإسلام فلول بابل، والمجوسية والغنوصية والهلينية ، وتأليه البشر ، وعبادة الأجساد ، والبطولة البشرية.

ثانياً: هناك دعوة إلى مهاجمة الفصاحة العربية ، والخطابة ، والشعر العربي ، وهي محاولة واضحة الهدف؛ لأنها حين تقصد إحياء العاميات ، إنما تستهدف البيان القرآني وخلق لغة أقل من مستواه حتى ينفصل المسلمون عنه ، ويعجزوا عن فهمه.

ثالثاً: إنَّ مفهوم البطولة الإسلامية لا يستمد مفهومه من نظرية لمبروزو أو فرويد أو أميل لدوفيج؛ ولكنه يستمد وجوده الحقيقي من أثر العقيدة والتربية الإسلامية ، فهي التي أعادت بناء الأفراد من جديد بناء مستأنفاً كما حدث لعمر وسعد وخالد والخنساء ، وتقدير البطولة في الإسلام يرتبط

بالعمل ، وليس بالفرد ، وليس في الإسلام بطولة تسوق صاحبها للحرب من أجل امرأة كما فعل (أخيل) في إلياذة هو ميروس.

والبطولة في الإسلام تقوم على تخليد الأعمال لا تقديس الأبطال ، والأمر ما قال أبو بكر يوم أن اختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى: **من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت**[1].

رابعاً: إنَّ أيَّ حديثٍ عن الصراع بين العلم والدين فهو عن دين غير ديننا ، وعن أفق غير أفق فكرنا ، أو مجرى تاريخنا ، وعن محيط غير محيطنا ، وهي تحديات لم يعرفها الإسلام في تاريخه ولا مجتمعه.

خامساً: ليس في الإسلام ما يقال من أن نشر العلوم والثقافات هو بديل عن التربية والتهذيب الخلقي ، ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير ، كما يصلح للبناء ، والتعمير ، ولابد لكي يتحقق استعماله استعمالاً صحيحاً من أن يتم ذلك في إطار الأخلاق ، وخير الناس ، وعمارة الأرض وتقوى الله.

سادساً: القول بأنَّ كل دينٍ قابل للتطور وملاءمة العصور لا ينطبق على الإسلام؛ لأن الفكر البشري هو وحده الذي يتطور ويطوره أهله ليوافق العصور والبيئات ، أما الدين الإلهي فإن الخالق تبارك وتعالى قد أقامه في إحكام وتقدير ، وجعله قادراً على مواجهة أبعاد المجتمعات والعصور ، لقد وضعه الحق تبارك وتعالى في أطر واسعة مرنة قابلة للحركة والتجدد ، أما القول بالتطور في مجال الأخلاق والشرائع؛ فإنه يجعل من الدين مجموعة من المبادىء النسبية التي ليست حقائق مطلقة تتطور وتتطور إلى ما لا نهاية ، وهذا ما لا ينطبق على الإسلام.

سابعاً: إنَّ أيَّ منهجٍ وافد سيلقى في أفق الفكر الإسلامي خيبة وفشلاً ، وإن الماركسية والديمقراطية الغربية والصهيونية قد عجزت جميعها أن تقدم للمسلمين والعرب ما يملأ أفئدتهم باليقين ، أو قلوبهم بالثقة ، وقد لقيت

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ١١٣٤ ، طبع دار ابن كثير بدمشق.

مذاهبهم صعاباً جمة في مواجهة الفكر الإسلامي الأصيل الذي استمد مضمونه من منهج محكم رباني تعجز أي المناهج البشرية أن تقتحمه أو تستوعبه ، أو تسيطر عليه ، وإن هذه المناهج حين تطرح نفسها في أفق الفكر الإسلامي ، فإنها سرعان ما ينكشف نقصها ، ويتبين عجزها عن العطاء الذي تتطلع إليه النفس الإسلامية من خلال مفهومها الجامع المحكم الذي أمدها به الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، والذي مهما نحى عنها وزيف لها ، فإنه قائم في أعماقها ، متجدد على أيدي المصلحين والقادة.

ومِن هنا كانت يقظتها الواضحة اليوم إزاء انبعاث الأصالة ، وتطبيق الشريعة الإسلامية.

* * *

ماذا يقرأ الشباب المسلم

إنَّ القراءة هي زاد الشباب المسلم المثقف ، ولذلك فهي فن يجب أن نتناوله بعناية وحذر ، فلا نقرأ كل شيء ، ولا تزدهينا الأسماء اللوامع أو الورق الفاخر ، وليكن دليلنا دائماً أن نقرأ الكاتب قبل كتابه ، فإذا طبقنا علم الجرح والتعديل استطعنا أن نعرف مدى إيمان الكاتب وصدق انتمائه إلى أمته وفكرها . وهذا هو ما نتقبل منه عطاءه ، أما غيره فلنكن على حذر ، فإذا قدم شيئاً نافعاً فلنقبله إيماناً بأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها ، ولنكن على إيمان كامل بأن الكاتب الصادق يستمد قوته من الحق ، ويستمد مظهره من تراث الأنبياء والأبرار في دعوته وهدفه وكتاباته مطابقاً للآية الكريمة : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[1] .

فهو لا ينكر العلم ولا يكتمه ، وهو في نفس الوقت لا يشتري بالحق ثمناً قليلاً ، ولا يكون أبداً أداة لتزييف الحق ، أو تضليل الخلق ، أو إعلاء شأن الأهواء ، وخداع الناس تحت عناوين الفكر الحر أو الانطلاق أو غيرها ، إن أول علامات الصحة في حكمنا على الأمور أن نحاكم الفكر نفسه بإخلاص ، وأن يكون الكتّاب المقدرون لدينا ، الأثيرون عندنا ، فنأخذ منهم ونتلقى عنهم ، هم أولئك الذين عرفوا ببياض الصفحة ، وصدق الإيمان ، وسلامة الماضي ، ونقاء الوجهة ، والتحرر من التبعيةِ والولاءِ لغير هذه الأمة وفكرها .

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٣ .

إن هناك نظريات كثيرة سادت سلطان التغريب زمناً ، ثم سقطت ، فعلى الكتّاب الذين يتصدرون اليوم أن يعرفوا هذه الحقيقة ، إنهم سوف لا يستطيعون الصمود فوق المسرح ، وتحت الأضواء إلا زمناً قليلاً ، ثم ينكشف زيفهم.

أمّا الكتّاب الصادقون فإنهم مهما عجزوا عن تسنم المنابر الضخمة ، والصحف الكبرى ، فإنهم معروفون بأعيانهم ، إن وجودهم في الظل هو علامة على قدرتهم على التمسك بالحق ، وصمودهم بعيداً عن مغريات الأضواء.

إنَّ الكاتب الذي يصطفيه الشباب المسلم هو القادر على أن يقول الحق ، وأن ينصح للأمة ، وأن يدل على الطريق الصحيح ، وإن أخطر أخطاء الكتّاب هو التعصب الخفي المستور وراء مظاهر المنهج العلمي ، بينما تبدو الحقائق واضحة ، ليست في حاجة إلى من يكشف عنها ، وإن أخطر أخطاء الكتّاب هو العجز عن النظرة الكلية والكلمة المنصفة.

ولن يكون الكاتب كذلك إلا إذا كان منتمياً إلى أمته في فكرها وعقائدها ، وصادقاً في هداية قومه إلى الحق. ذلك أن الباطل مهما أسبغ عليه أصحابه من صور العلمية ، أو بريق العبارة ، فإنه لا يقوم على أساس ، وسرعان ما ينكشف ويتعرى ، والشيء المصادم للفطرة أو العلم ، أو العقل ، أو طبائع الأشياء لا يدوم. إن الكاتب بلا عقيدة كالربّان الذي فقد اتجاه الريح ، وعلامات السماء ، لقد استطاع الفكر الوافد أن يخلق طبقة من الذين يبيعون أقلامهم في كل اتجاه ، ولا يرون القلم إلا وسيلة للكسب ، ولكن الأصالة كشفت زيفهم ، وأظهرت تبعيتهم ، وتبين أن الكاتب الذي يحمل أمانة هذه الأمة ، يجب أن يكون قادراً على التحرر من التبعية الفكرية لكل مذهب أو منهج أو دعوة ، يمد الإسلام بمفهومه الجامع الأصيل : ديناً ونظام مجتمع ، وأن يكون قادراً على تحرير فكره من الخضوع لأي منهج وافد ، وأن يعرف أن المعرفة الإنسانية عامة ، وأن العلم عالمي ، وأن العقائد والثقافات خاصة بكل أمة ، وأن يؤمن بأن هذه الأمة

لها رسالة مستمرة ما زالت تؤديها للبشرية ، وأنه ليس من عمل الكاتب المسلم تبرير الواقع ، بل عليه أن يضع المعالجات لإصلاحه ، وأن يدعو إلى تغييره إذا تطلب التغيير ، وأن يرد كل تغيير أو إصلاح إلى الإطار الأثيل الذي يتحرك فيه الفكر الإسلامي ، وليكن الكاتب المسلم مؤمناً بأن الأمم إنما تستمد قوتها من فكرها ومقوماتها ، وأن انبعاث المسلمين والعرب لن يكون من خارج مقومات فكرهم وعقائدهم ، وأن الكاتب ليس بهلواناً لإضحاك الناس ، وإرضاء غرائزهم وهدهدة أهوائهم ، ولكنه جاء ليصحح الأخطاء ، ويكشف الزيف ، ويضيء الطريق إلى الحق.

وليؤمن الكاتب بأمته وفكرها الأصيل الرباني المصدر ، هذا الفكر الذي رفض المنطق الأرسطي والفلسفات والوثنيات ومفاهيم الفكر البشري ، وأقام منهجاً جديداً هو المنهج التجريبي في العلوم ، ومنهج المعرفة الجامع ذي الجناحين «مادةً وروحاً وقلباً وعقلاً ، ودنيا وآخرة» وليؤمن بأن مصادر العلوم والطب والاجتماع والفلك والتربية ، قد بدأت من نقطة الإسلام وحضارة القرآن ، وأن أزمة القلق التي يعانيها الشباب اليوم قد صدرت من الفصل بين الدين والمجتمعات ، وبين الأخلاق والتربية.

وإنَّ أهم ما في الفكر الإسلامي هو المطابقة بين الكلمة والسلوك ، وأن على الكاتب المسلم أن يفرق بين المعارف الجوهرية، والمعارف غير الجوهرية من ناحية ، وأن يفرق بين المفاهيم الأصيلة ، والمفاهيم الزائفة الوافدة.

وأنَّه لا خطأ في الإسلام ، وإنما الخطأ في طريقة إسلامنا ، وأن فترة ضعف الإسلام لا تمثل حقيقة جوهره ، وأن من الخطأ أن يأخذ أي قطاع من قطاعات الفكر مكاناً أكبر من حجمه كالأدب أو الاجتماع أو السياسة ، وأن كل هذه القطاعات تتكامل داخل دائرة الإسلام ، وأنه لا تناقض في الفكر الإسلامي بين العلم والأدب ، ولا بين العقل والقلب ، ولا بين الروح والمادة؛ بل هناك تكامل وترابط ، وأن الإسلام لا يعني الجنس أو الشهوة ، وإن كان يعترف بالرغبات البشرية ، ويفتح الطريق لها عن طريق طبيعي مع وضع الضوابط والحدود التي تحول دون التحلل والسقوط.

وإنَّ على كتّاب الإسلام أن يغربلوا ذلك الركام الضخم ، ويكشفوا عن الأصيل والزائف ، والأساس والدخيل. وعلى الكاتب المسلم أن يكون مقاوماً داعياً إلى الله ، وليس مستسلماً أو موالياً للباطل ، وليعلم الشباب المسلم أن بريق الأسماء لا يغنى شيئاً عن الحقائق ، وأن محاولة رفع أسماء بعينها سوف تكشف زيفه الأيام ، وأن كل صيحة تعلو بغير الحق لا تلبث أن تتحطم ، وأن الصحيح والبريق ليسا شيئاً إلا لأمد قصير : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾(١) .

التراث الإسلامي

إنَّ شباب الإسلام لا يبدأ حياته من فراغ ، ولكنه يبدأ من نقطة متصلة بميراث طويل عريض مشرف ، مليء بصفحات الفضل والمجد التي تجعله على ثقة بأنه يستطيع في مقتبل الأيام أن يحقق ما حقق أجداده من مجد وفضل حين حملوا مشعل الحضارة الإسلامية إلى العالمين ، فأضاؤوا المجتمعات بالعدل والرحمة ، والإخاء الإنساني ، ونقلوا البشرية من الوثنية إلى التوحيد ، ومن العبودية إلى الحرية ، ومن البداوة إلى المدنية ، ومن ظلام الشرك إلى نور الإيمان ، وهي صفحات مشرقة مليئة بالكرامة والمجد والفضل ، وسر عظمتها هو هذا الدين الحق الذي أنشأ للأمم تلك المكانة الحقيقية ، ورفعها بالإيمان بالله فوق العناصر والدماء والأنساب ، وجعل أمجادهم بطولات حقيقية في سبيل إقامة كلمة الحق ، وإذاعة كلمة الخير ، هذا هو الموروث الإسلامي الحقيقي الذي نعتز به ، ونزدهي ونتمسك به اليوم ، ونعمل ما وسعنا على الاحتفاظ بتلك الذاتية التي مكنتنا من حمل لوائه ، والتي تعمل القوى الأجنبية على إسقاطه من بين أيدينا بتلك المحاولات التي ترمي إلى صهر هذه الأمة في الأممية وإخراجها من ذلك الطابع الأصيل المضيء ، طابع الأمانة الكبرى التي حملها الحق تبارك

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

وتعالى إليهم ليحفظوها ويذيعوها في العالمين ، فينقلوا بها الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الهوى إلى الحق ، ومن الفكر البشرى إلى الفكر الرباني ، ومن حضارة الوثنية إلى حضارة التوحيد ، فلا يعجبن شبابنا تلك الصور البراقة الزاهية من حضارة الغرب ، أو تلك البطولات التي عملت في مجال البشرية والمثل الأعلى الذي يتجهون نحوه ، أو يطمعون فيه ، أو يعجبون به ، فالحق أعلى منها وأبقى على الزمن ، والأصالة أقرب إلى الله وإلى الفطرة من هذه الزخارف التي تقوم على الشهوات والأهواء والمطامع ، وعليهم أن يعلموا أن المسلمين لا يصلح لهم إلا أسلوب عيشهم الحقيقي الذي نشؤوا عليه ، وعاشوا أربعة عشر قرناً ، لأنه الحق الذي جاءهم من ربهم ، ولأنه الذي يهدي إلى الخير في الدنيا ، والنجاة في الآخرة .

وليعلم شبابنا المسلم أن في أعناقهم أمانة تسلموها من الأجيال التي سبقتهم ، وعليهم أن يسلموها إلى الأجيال القادمة بعد أن يؤدوا دورهم إزاءها ويقوموا بمسؤوليتهم نحوها تلك هي أمانة الموروث من الإسلام .

ولقد قام المسلمون الأول على هذه الأمانة ، حموها وذادوا عنها كل غاز ، وحفظوها من كل دخيل ، ودحضوا كل زيف وجه إلى أهلها على قدر استطاعتهم ، وفي حدود تحديات عصرهم . هذه الأمانة اليوم بين أيدي هذا الجيل الذي يواجه مسؤوليات أشد خطورة وأكثر عمقاً مع تعقد حركة الغزو الفكري ، وتضافرها مع حركات أخرى متعددة منها : الاستشراق والتبشير والشعوبية والتلمودية والمادية والإباحية ، وكلها تعارض (الأمانة) معارضة واسعة ، وتحاول أن تجد فيها ثغرة تنفذ منها إلى الناس لتقطع ذلك الخيط المتصل الذي استمر وامتد منذ نزل الوحي بالإسلام على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ومنذ اختتمت آيات القرآن الكريم ، شرعة الله وأمانته إلى المسلمين يحفظونه ويدافعون عنه ، وينشرونه في العالمين ، ويهدون إليه الأمم ، ويكشفون عن عظمته وأمجاده ومعطياته في عالم مأزوم ، يحتاج إلى الضياء والنور والهدى ، في أجيال يكاد يقتلها الظلام ، والشك ، والقلق والتمزق والضياع ، تلك أمانة الموروث الإسلامي بين أيدي مؤمنينا ومثقفينا فهم مطالبون أولا بفهمها ثم تبيينها للناس ، وهم لكي يفهموها لابد

لهم من أن يبدؤوا بمنابع الإسلام نفسه ، وأن يلتمسوا لها جوهر المعرفة الإسلامية وهم لن يستطيعوا أن يحموها أو يدفعوها أو يقدموها للبشرية ، إلا إذا كانوا هم أنفسهم قد صدروا عنها عقلاً ونفساً ومزاجاً.

أما إذا حاولوا ذلك عن طريق أسلوب الفلسفة ، أو أسلوب المنطق ، أو أسلوب العلم ، أو أسلوب الإشراق أو غير ذلك من الأساليب المنتشرة المفردة والجزئية القاهرة ، فإن ذلك سوف لا يحقق لهم الوصول إلى أعماق الفهم الصحيح ، ذلك أن للإسلام منهجه الأصيل في المعرفة ، وأسلوبه الخاص في البيان ، ذلك هو الأسلوب القرآني.

* * *

وإذا كان المسلمون يملكون أعظم ما أورث الله الإنسانية ، ذلك المنهج الأصيل في بناء المجتمع والفرد والحياة ، شريعة الله الحقة: ذلك القرآن ، وتلك السنة النبوية الصحيحة ، كما قدم الإسلام منهجه الأصيل في المعرفة وأسلوبه الخاص في البيان ، فقد استوعب القرآن الكريم طرق المعرفة جميعاً ووسائلها ، فهو يجمع بيْن طرائق العقل والقلب والنظر والمشاهدة والاستدلال ، فاستطاع أن يصل إلى مختلف العقول والقلوب والأذواق حين ربط بين الحواس والعقل والوجدان ، ووضع أهم القواعد التي تحفظ العقل من الزيغ ، وهو عدم تجاوز الحد كما إلى التقدير والتقرير ، وعدم التعجل في الحصول على النتائج قبل استكمال البحث والموازنة والاستقراء ، ودعا إلى التخصص قبل البحث ، وعدم المثابرة والعناد ، ودعا إلى المراجعة والمعاودة والاستمساك بالحق ، والبعد عن الغرور والجهر بالحق ، والدفاع عنه.

يقول الإمام الترمذي: إنا وجدنا دين الله مبنياً على ثلاثة أركان: على الحق ، والعدل ، والصدق. فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول ، فإذا افتقد الحق في عمل خلفه الباطل ، وإذا افتقد العدل خلفه الجور ، وإذا افتقد الصدق خلفه الكذب ، فعلى ضوء منهج

الإسلام في المعرفة نستطيع أن نصل إلى أعماق الفهم ، ومن ثم نكون قادرين على بيان ذلك للناس.

* * *

عن طريق هذا المنهج القرآني الرباني الأصيل ، صنع المسلمون «المنهج العلمي التجريبي» الذي هو مناط الحضارة الحديثة ، لقد دعا الإسلام إلى البرهان في كل قضية ، ودعا إلى النظر في السموات والأرض ، وأمر بالدليل ، ونهى عن التقليد ، فوصل بذلك إلى النضج والقوة في النظر إلى ما خلفه الفكر البشري القديم ، فصحح المسلمون كثيراً من قضاياه ، وقد رسم البيروني وابن الهيثم والقاضي عياض وجابر بن حيان أصول المنهج العلمي ، ورسم ابن حزم منهج المعرفة ، وأقامه على شهادة الحواس (أي الاختبار) وأول العقل (أي بالضرورة) وبالعقل من غير حاجة إلى استعمال الحواس الخمس ، وببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواسّ ، وأول العقل.

وقد أشار علماء الغرب المنصفون إلى عطاء الفكر الإسلامي للعلم. قال بريفولت: إن ما يدين به علمنا لعلْم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ، ورياضياتهم كانت علوماً أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم ، وأخذوها عن سواهم ، ولم تتأقلم في يوم من الأيام فتمتزج امتزاجاً كلياً بالثقافة اليونانية ، وقد نظم اليونان المذاهب ، وعمموا الأحكام ، ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث وجمع المعلومات الإيجابية والمناهج التفصيلية للعلم والملاحظة الدقيقة المستمرة. والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني ، ولم يقارب البحث العلمي نشأته في العالم القديم ، إلا في الإسكندرية في عهدها الهليني ، أما ما ندعوه العلم فقد وجد في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة ، والملاحظة

والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صور لم يعرفها اليونان ، وهذه الروح ، وتلك المناهج أدخلتها العرب إلى العالم الأوربي ، ولم يقف بريفولت عند هذا. بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين قرر أن (روجر بيكون) نقل إلى الفكر العلمي الغربي مذهب العرب في البحث العلمي. يقول: بريفولت في نفس المصدر:

إنَّ «روجر بيكون» درس اللغة العربية ، والعلم العربي ، والعلوم العربية في مدرسة اكسفورد على خلفاء معلميه في الأندلس ، وليس لروجر بيكون ولالسميه (فرنسيس بيكون) الذي جاء بعده الحق في ان ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم ، والمنهج الإسلامي إلى أوربا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأنه علم معاصريه أن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرقة الحق.

وهكذا تنكشف حقيقة الموقف بالنسبة لدور المسلمين في مجال العلوم التجريبية ، ولم تكن شهادة بريفولت هي وحدها التي تسجل هذه الحقيقة ، ولكن هناك شهادات جوستاف لوبون ، وسيديو ، وأرنولدتوينبي ، ودرابر ، وجورج سارطون ، وسجريد هونكه ، وماكس مايرهوف ، وكثيرون ، وهي مسطورة في عشرات من الكتب الحديثة (اقرأ إذا شئت صفحات من أمجادنا لكاتب هذه السطور).

ومعطيات الإسلام لا تقف عند جانب واحد هو العلم التجريبي ، ولكنها تمتد إلى جوانب كثيرة سوى الفلك والرياضيات والجغرافيا والطب والكيمياء والفيزياء وعلم النبات. إنها تمتد إلى الفكر نفسه ، فابن خلدون سبق سميث وهيجل ، والمعري سبق دانتي ، وابن مسكويه سبق دارون ، والطرطوشي سبق ميكافيللي. والمسلمون هم الذين ابتدعوا كتابات المكفوفين ، وفي مجال الاجتماع والتاريخ والاقتصاد كانت لهم أعمالهم الرائدة ، وهم الذين قدموا النظريات السياسية ، وكان لفقههم آثاره البعيدة في القانون الغربي الوضعي.

وإذا كان ابن خلدون قد كتب عن الثروة وصور النشاط الاقتصادي ، فإن المقريزي أخرج للناس كتاباً عن النقود ، وكتاباً عن دورات الأعمال الاقتصادية.

وعلى الجملة فقد قدم فكرنا الإسلامي إلى البشرية عطاءً إيجابياً ، فلم نكن عالة على اليونان ، كما حاولوا اتهامه ولكنه كان عطاءً مبدعاً جديداً ، وقد جنب الإيمان بالله المعارف الإسلامية الانقسام إلى دينية وعقلية ، وإن المسلمين كانوا هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين.

وقد ثبت أن الفكر الإسلامي هو فكر أمة لها مقوماتها الأساسية القائمة على مفاهيم واضحة تؤكدها شخصيتها وهو فكر مفتوح قابل للأخذ والعطاء على قاعدته الأساسية التي تحمل طابعه وذاتيته ، وتحول دون انصهاره في ثقافات الأمم.

ولا ريبَ سيقوم الفكر الإسلامي بدوره مرة أخرى في بناء عالم جديد من العدل والرحمة والإخاء الإنساني على قاعدة التوحيد الخالص.

وبعد:

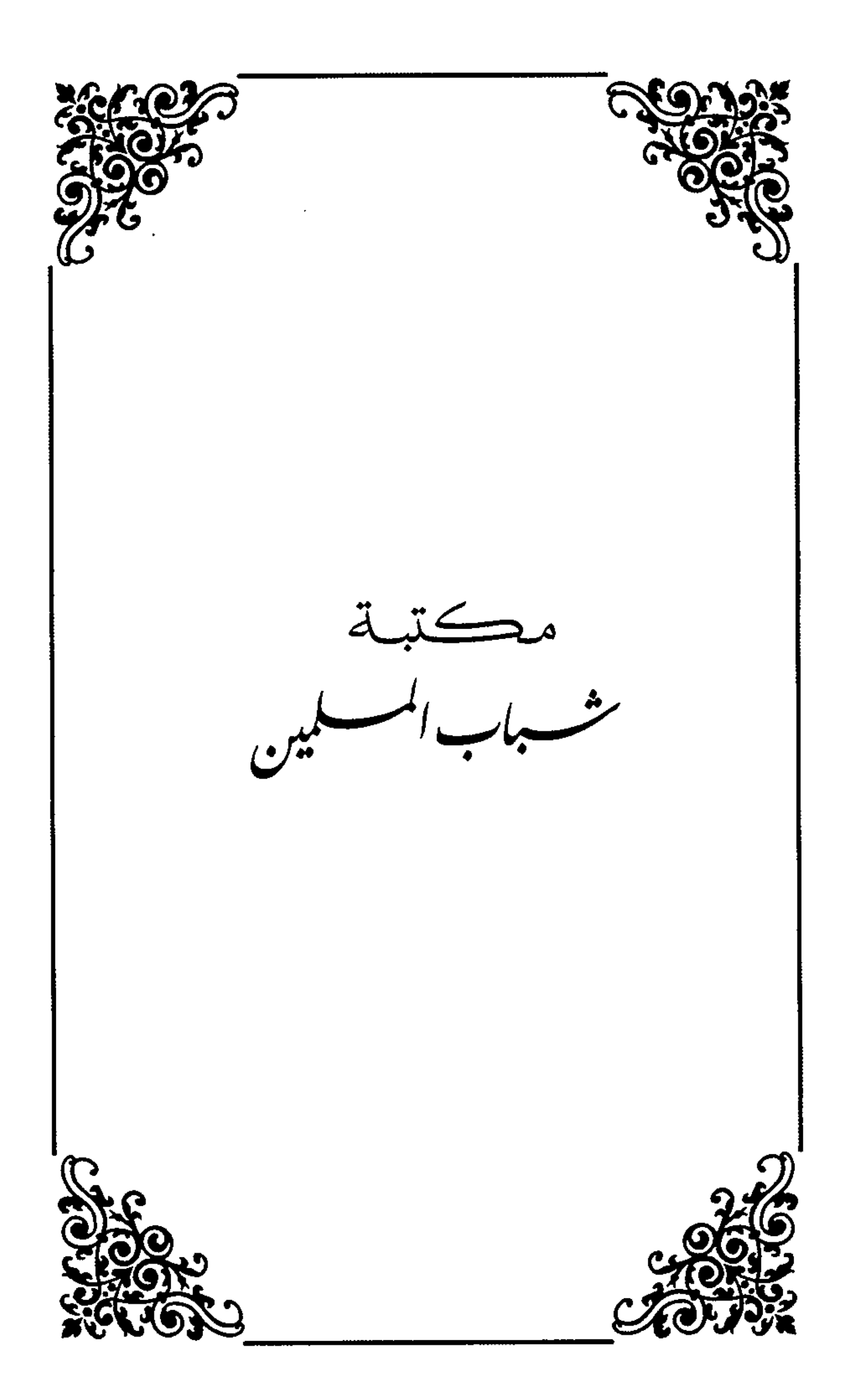
فإنَّ شبابنا المسلم اليوم هو هدف من أهداف أعداء الإنسانية ، وخصوم الأديان كلها ، وكل ما يوجه إليهم من سهام الغزو في عقائدهم وقيمهم عن طريق الكلمة أو الصورة أو الشاشة ، إنما يراد به هدم هذه الأجيال وتدميرها حتى تسقط حلقة الإسلام في أيدي أعدائه ، وتسيطر القوى الظالمة على البشرية كلها ، وسوف لا يقع هذا ما دمنا متيقظين واعين لما يراد بنا ، قادرين على التماس طريقنا الذي هدانا الله بالحق.

ولقد عمل الإسلام على تحرير أتباعه من التأثير الأجنبي بكل أنواعه ، ودعا إلى اليقظة إزاء الحرب النفسية ، والغزو الفكري ، مما يهدف إلى تغيير المعالم الأصيلة لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم ، ذلك أن الإسلام إنما يريد «أمة متميزة» لها خصائصها ، ولها رسالتها ، فلا يضيع أهلها في غمار الأمم ، ولا تحتويهم الدعوات ، ولا تصهرهم الحضارات ليكونوا الدعاة

إلى الله ، قائمين على كلمة التوحيد الخالص لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة.

وما قدمناه في هذه العجالة إجمال له تفصيل ، وحديث موجز من أحاديث مستفيضة ، يجدها الشباب مبثوثة في مختلف الدراسات التي كتبها رجال اليقظة الإسلامية في العصر الحديث. هذه ليست إلا «مفتاح» لذلك البحث الواسع ونقطة بدء لتلك الدراسة المستفيضة للفكر الإسلامي المعاصر في مواجهة تحديات الغزو والتغريب التي نرجو أن يتجه إليها الشباب المسلم المثقف ، ولعل الشيء الوحيد الذي يمكن أن تعطيه هذه العجالة هو: أن نكون دائماً على حذر ويقظة ، إزاء الفكر الوافد المطروح في الساحة الإسلامية ، وأن نكون قادرين دائماً على أن نسأل أنفسنا: ما هو موقف الإسلام من كل هذه الأطروحات لنصل إلى الحق؟ والله من وراء القصد ، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

* * *


مكتبة
شباب المسلمين



إنَّ من أهمِّ التحدِّيات التي تواجه الشباب المسلمين المعاصرين ، التحدِّي الثقافي ، متمثلاً في تيارات فكرية مختلفة ، وفلسفات متنوّعة ، ومذاهب متعدّدة ، وآراء كثيرة متناثرة هنا وهناك في مئات الكُتب تقذفها المطابع وعشرات الصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية ، والدوريّات الفصلية ، وهذه الأفكار كلها تُقَدَّم في كلام معسول ، يُحاوِل صانِعوه أن يكسبوه صفة الموضوعية والعلمية وغيرها من الأوصاف التي تُعطي الانطباع بأنه هو الحق من الكلام دون سواه.

ووسط هذه الدَّوَّامة الفكرية يتساءل الشابُ المسلمُ ماذا يقرأ؟ ماذا يقرأ ليزداد معرفة بدينه ، وليتحصَّن هو نفسه ، ويحصن عائلته فيما بعد من غيِّ هذه المذاهب البرَّاقة الخادعة ، وليقوم بواجبه في المجتمع بالدعوة إلى الله على بصيرة ، ويُرشِد الناسَ إلى الدين الحق ، ويُبيِّن الفكرة السليمة ويبلِّغ الكلمة الطيبة الهادفة.

ونتيجة لهذا الشعور بهذه الحاجة قُمنا بإعداد هذا الدليل[1]، الذي يُساعِد الشاب المسلم على حُسْن انتقاء مصادر الثقافة الإسلامية من بين آلاف الكُتب ، نرجو من الله تبارك وتعالىٰ أن يكون هذا الدليل معاوناً للشباب المسلمين في بناء مستقبلهم ، فمستقبلهم مستقبل الأمَّة الإسلامية على صعيد مهمّ جداً هو القضية الفكرية والتربوية.

---

(١) استفدنا في إعداد هذا الدليل من كُتبٍ عديدةٍ ، ومنها خاصة «دليل مكتبة الأسرة المسلمة» للدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان.

في القرآن الكريم وتفسيره وعلومه

* **التبيان في آداب حملة القرآن**

المؤلف : الإمام يحيى بن شرف الدين النووي .

الناشر : دار النفائس ـ بيروت .

* **التجويد وعلوم القرآن**

المؤلف : الشيخ عبد البديع صقر .

الناشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت .

* **تفسير الجلالين**

المؤلف : جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* **تفسير القرآن العظيم**

المؤلف : الحافظ إسماعيل بن كثير .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* **صفوة التفاسير**

المؤلف : الشيخ محمد علي الصابوني .

الناشر : دار الفكر ـ دمشق ، والناشرون الآخرون .

* **صفوة البيان لمعاني القرآن**

المؤلف : الشيخ حسين محمد مخلوف .

الناشر : وزارة الأوقاف ـ الكويت .

*** في ظلال القرآن**

المؤلف: الداعية الشهيد سيد قطب.

الناشر: دار الشروق، القاهرة، بيروت، جدة.

*** قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله**

المؤلف: الشيخ عبد الرحمن حبنكة.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

*** مباحثٌ في علوم القرآن**

المؤلف: الشيخ مناع القطّان.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

*** علوم القرآن**

المؤلف: الدكتور نور الدين عتر.

الناشر: المؤلف نفسه.

*** دراساتٌ قرآنيةٌ**

المؤلف: العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي.

إعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

*** مبادىء أساسية لفهم القرآن**

المؤلف الشيخ أبو الأعلى المودودي.

الناشر: الدار الكويتية ـ كويت.

*** المدخل إلى الدراسات القرآنية**

المؤلف: العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **معجزة القرآن**

المؤلف: الشيخ محمد متولّي الشعرواي.

الناشر: مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة.

* **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**

المؤلف: الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم.

الناشر: دار الفكر العربي ـ القاهرة.

* **مفاتيح للتعامل مع القرآن**

المؤلف: الشيخ صلاح الخالدي.

الناشر: مكتبة المنار (الزرقاء) الأردن.

* **المفردات في ألفاظ القرآن**

المؤلف: الراغب الأصفهاني.

المحقق: الشيخ صفوان داوودي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **مقدمةٌ في أصول التفسير**

المؤلف: الإمام ابن تيمية.

المحقق: الأستاذ الدكتور عدنان زرزور.

الناشر: دار القرآن الكريم ـ الكويت.

* * *

الحديث الشريف وعلومه

* **الأربعون النووية**

المؤلف : الإمام يحيى بن شرف الدين النووي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

* **رياض الصالحين**

المؤلف : الإمام يحيى بن شرف الدين النووي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق ، وآخرون .

* **إعلام الأنام شرح بلُوغ المرام**

الشارح : الدكتور نور الدين عتر .

الناشر : الشارح نفسه

* **تهذيب الأخلاق**

المؤلِّف : العلامة عبد الحي الحسني .

المحقق : سيد عبد الماجد الغوري .

الناشر : دار الفارابي ـ دمشق .

* **حجيَّة السنَّة**

المؤلف : الأستاذ عبد الغني عبد الخالق .

الناشر : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

* **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**

المؤلف : الدكتور مصطفى السباعي .

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت، ودار الوراق ـ الرياض.

*** تيسير مصطلح الحديث**

المؤلف: الدكتور محمود طحان.

الناشر: دار المعارف ـ الرياض.

*** السنة المطهرة والتحديات**

المؤلف: الدكتور نور الدين عتر.

الناشر: دار المكتبي ـ دمشق

*** اللؤلؤ والمرجان فيما اتَّفق عليه الشيخان**

المؤلف: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

*** المختار من كنوز السنة**

المؤلف: الأستاذ محمد عبد الله دراز.

الناشر: دار الأنصار ـ القاهرة.

*** المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**

المؤلف: علي القاري الهروي.

المحقق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامي ـ حلب.

*** المنار المنيف في الصحيح والضعيف**

المؤلف: ابن قيم الجوزية.

المحقق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامي ـ بيروت.

* * *

في السيرة النبوية

* **تهذيب سيرة ابن هشام**

المهذِّب: الأستاذ عبد السلام هارون.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **السيرة النبوية**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

اعتنى بها: سيِّد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **دراسة في السيرة**

المؤلف: الأستاذ عماد الدين خليل.

الناشر: دار النفائس ـ بيروت.

* **الرسالة المحمَّدية**

المؤلف: العلامة سيِّد سليمان الندوي.

اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **الرحيق المختوم**

المؤلف: الشيخ صفي الرحمٰن المباركفوري.

الناشر: دار ابن كثير دمشق ـ وآخرون.

* **الرسول القائد**

المؤلف: الشيخ محمود شيت خطّاب.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

* **سيرة خاتم النبيين ﷺ**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، والأكاديمية الإسلامية البريطانية ـ لندن.

* **صورٌ من حياة الرسول ﷺ**

المؤلف: الأستاذ أمين دويدار.

الناشر: دار المعارف ـ القاهرة.

* **فِقه السيرة**

المؤلف: الشيخ محمد الغزالي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **فقه السيرة**

المؤلف: الدكتور سعيد محمد رمضان البوطي.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

* **مقالاتٌ في السيرة النبوية**

صاحبها: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

إعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* * *

في العقيدة

* **الإيمان**

المؤلف: الشيخ عبد المجيد الزنداني.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **أصول التوحيد**

المؤلف: الأستاذ محمد صالح علي مصطفى.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **رسالة التوحيد**

المؤلف: للإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي.

المترجم: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار وحي القلم ـ دمشق.

* **العقيدة والعبادة والسلوك**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **تعريفٌ عامٌ بدين الإسلام**

المؤلف: العلامة علي الطنطاوي.

الناشر: دار المنارة ـ جدَّة.

* حقيقة التوحيد

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة.

* دروسٌ في الوحي

المؤلف: الأستاذ محمد المجذوب.

الناشر: دار الاعتصام ـ القاهرة.

* عقيدة المسلم

المؤلف: الشيخ محمد الغزالي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* ظاهرة الغُلوِّ في التفكير

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: الجماعة الإسلامية: جامعة القاهرة ـ القاهرة.

* قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن

المؤلف: الشيخ نديم الجسر.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

* كبرى اليقينيات الكونية

المؤلف: الدكتور سعيد رمضان البوطي.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

* كتاب التوحيد

المؤلف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الناشر: الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ـ الكويت.

* **مبادىء الإسلام**

المؤلف: الشيخ أبو الأعلى المودودي.

الناشر: الاتحاد الإسلامي للمظمات الطلابية ـ الكويت.

* * *

في الفقه وأصوله

*** فقه السنة**

المؤلف: الشيخ سيد سابق.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق وآخرون.

*** الفقه الميسَّر (في الفقه الحنفي)**

المؤلف: الشيخ شفيق الرحمن الندوي.

المحقِّق: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

*** تحفة الفقهاء (في الفقه الحنفي)**

المؤلف: الإمام السمرقندي.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

*** اللُّباب في شرح الكتاب (في الفقه الحنفي)**

المؤلف: الشيخ عبد الغني الغنيمي.

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

*** المقنع (في الفقه الحنبلي)**

المؤلف: ابن قدامة المقدسي.

الناشر: المطبعة السلفية ـ القاهرة.

*** الثمر في شرح رسالة القيرواني في الفقه المالكي**

المؤلف: ابن أبي زيد القيرواني (صاحب المتن) و(صاحب الشرح): صالح عبد السميع الأبي الأزهري.

الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (في الفقه المالكي).

* **أحكام الزكاة**

المؤلف: الشيخ عبد الله صالح علوان.

الناشر: دار السلام ـ القاهرة.

* **التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي**

المؤلف: الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ودار الشروق ـ جدّة.

* **الأركان الأربعة (الصَّلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج) في ضوء الكتاب والسنة مقارنةً مع الديانات الأخرى**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق، ودار القلم ـ دمشق.

* **الحجُّ والعمرة**

المؤلف: الدكتور نور الدين عتر.

الناشر: المؤلِّف نفسه.

* **الحلال والحرام**

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة.

* **علم أصول الفقه**

المؤلف: الشيخ عبد الوهاب خلاف.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية**

المؤلف: محمد بن أحمد بن جُزَيّ.

الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت.

* ؟؟

المؤلف: الدكتور مصطفى سعيد الخن.

الناشر: مؤسسة الرسالة، دمشق.

* **المذاهب الفقهية**

المؤلف: الدكتور محمد فوزي فيض الله.

الناشر: لجنة مكتبة البيت ـ الكويت.

* **هدي الإسلام (فتاوى معاصرة)**

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: دار القلم ـ الكويت.

* * *

في الدعوة

*** أصول الدعوة**

المؤلف: الدكتور عبد الكريم زيدان.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

*** تذكرة الدُّعاة**

المؤلف: الأستاذ البهي الخولي.

الناشر: الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية ـ الكويت.

*** في رحاب الدعوة**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

جمع وإعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار الفارابي ـ دمشق.

*** روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

*** ثقافة الداعية**

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

*** مذكَّرات الدعوة والداعية**

المؤلف: الإمام الشهيد حسن البنا.

* **الدعوة إلى الإسلام**

المؤلف: سير توماس آرنولد.

ترجمة: الأستاذ حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين.

الناشر: مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

* **همومُ داعيةٍ**

المؤلف: الشيخ محمد الغزالي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **طريق الدعوة الإسلامية**

المؤلف: الشيخ جاسم الياسين.

الناشر: دار الدعوة ـ الكويت.

* **قواعد الدعوة إلى الله**

المؤلف: الأستاذ همام عبد الرحيم سعيد.

الناشر: دار العدوي ـ عمّان.

* **كيف ندعو إلى الإسلام**

المؤلف: الأستاذ فتحي يكن.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **كيف ندعو الناسَ**

المؤلف: الشيخ عبد البديع صقر.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

* **تذكرة دُعاة الإسلام**

المؤلف: الشيخ أبو الأعلى المودودي.

الناشر: مكتبة الرشد ـ الرياض.

* «مع الله» دراسات في الدعوة والدعاة

المؤلف: الشيخ محمد الغزالي.

الناشر: دار القلم ـ بيروت.

* * *

في التربية والتعليم

* **الرّسول المعلِّم وأساليبه في التعليم.**

المؤلِّف: الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة.

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

الموزِّع: دار البشائر الإسلامية - بيروت.

* **أدعية وآداب للجيل المسلم**

المؤلف: الأستاذ يوسف العظم.

الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

* **الإسلام والتربية الجنسية**

المؤلف: الأستاذ وجيه زين العابدين.

الناشر: مكتبة المنار - الكويت.

* **أبحاث في التربية الإسلامية**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

جمع وإعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير - دمشق.

* **أهداف التربية الإسلامية**

المؤلف: الأستاذ مقداد الجن.

الناشر: المؤلف نفسه.

* **تربية الأولاد في الإسلام**

المؤلف : الشيخ عبد الله علوان .

الناشر : دار السلام ـ بيروت .

* **جوانب التربية الإسلامية الأساسية**

المؤلف : الأستاذ مقداد الجن .

الناشر : المؤلف نفسه .

* **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة**

المؤلف : الأستاذ محمد علي الهاشمي .

الناشر : مكتبة المنار (الأردن) دار البشائر الإسلامية (بيروت) .

* **منهج التربية الإسلامية**

المؤلف : الأستاذ محمد قطب .

الناشر : دار الشروق ـ بيروت .

* * *

في الفكر الإسلامي

* **الصِّراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**

المؤلف : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

الناشر : دار القلم ـ الكويت ، الدار الشامية ـ بيروت .

* **محاضراتٌ إسلاميةٌ في الفكر والدعوة**

المؤلف : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

جمع وإعداد : سيد عبد الماجد الغوري .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* **مقالاتٌ إسلاميةٌ في الفكر والدعوة**

المؤلف : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

جمع وإعداد : سيد عبد الماجد الغوري .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* **الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية**

المؤلف : الشيخ أبو الأعلى المودودي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

* **أبحاثٌ حول الحضارة الإسلامية والغربية**

المؤلف : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

جمع وإعداد : سيد عبد الماجد الغوري .

*** الإسلام والجاهلية**

المؤلف : الشيخ أبو الأعلى المودودي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** تدوين الدستور الإسلامي**

المؤلف : الشيخ أبو الأعلى المودودي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** شهادة الحق**

المؤلف : الشيخ أبو الأعلى المودودي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** منهاج الانقلاب الإسلامي**

المؤلف : الشيخ أبو الأعلى المودودي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** الإسلام يتحدَّى**

المؤلف : الشيخ وحيد الدين خان .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** الإسلام والعصر الحديث**

المؤلف : الشيخ وحيد الدين خان .

الناشر : مكتبة المختار الإسلامي ـ القاهرة .

*** الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه**

المؤلف : الأستاذ عبد القادر عودة .

الناشر : الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ـ الكويت .

*** الجهاد ميادينه وأساليبه**

المؤلف: الأستاذ محمّد نعيم ياسين.

الناشر: دار الفرقان ـ عمَّان.

*** الحلُّ الإسلاميُّ فريضةٌ وضرورةٌ**

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

*** الحلول المستوردة وكيف جنت على أمَّتنا**

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

*** شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان**

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

*** الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرُّف**

المؤلف: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة.

*** خصائص الدستور الإسلامي ومقوماته**

المؤلف: الأستاذ سيِّد قطب.

الناشر: الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ـ الكويت.

*** المستقبل لهذا الدِّين**

المؤلف: الأستاذ سيِّد قطب.

الناشر: الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ـ الكويت.

* هـذا الدِّين

المؤلف: الأستاذ سيد قطب.

الناشر: الاتحادِ الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ـ الكويت.

* دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين

المؤلف: الشيخ محمّد الغزالي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* رُوح الدين الإسلامي

المؤلف: الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة.

الناشر: دار العلم للملايين، بيروت.

* فكر المسلم وتحدِّيات الألف الثالثة

المؤلف: الدكتور نور الدين عتر.

الناشر: دار الرؤية ـ دمشق.

* الإسلام على مفترق الطُّرق

المؤلف: الأستاذ محمد أسد.

الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت.

* الإسلام الممتحن

المؤلف: الأستاذ محمد الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* * *

في التراجم والسير

* **المُرتضىٰ**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **أخبار عُمر وأخبار عبد الله بن عمر**

المؤلف: العلامة علي الطنطاوي والشيخ ناجي الطنطاوي.

الناشر: داز المنارة ـ جدة.

* **عثمان بن عفان**

المؤلف: الشيخ صادق عرجون.

الناشر: الدار السعودية ـ جدة.

* **مصعب بن عمير «الداعية المجاهد»**

المؤلف: الأستاذ محمد حسن بريغش.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **خلفاء الرسول**

المؤلف: الأستاذ خالد محمد خالد.

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

* **رجال حول الرّسول**

المؤلف: خالد محمد خالد.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

* **خالد بن الوليد**

المؤلف: الشيخ صادق عرجون.

الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

* **حياة الصحابة**

المؤلف: العلامة الداعية الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي.

الناشرون: دار القلم ـ دمشق وآخرون.

* **صُور من حياة الصحابة**

المؤلف: الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا.

الناشر: دار النفائس ـ بيروت وآخرون.

* **سيرة أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها**

المؤلف: العلامة السيِّد سُليمان الندوي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **السيدة عائشة**

المؤلف: الشيخ عبد الحميد طهماز.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **نساء النبي ﷺ**

المؤلفة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء.

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

* **بنات النبي ﷺ**

المؤلفة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء.

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

* **شهداء الإسلام في عهد النبوة**

المؤلف: الأستاذ علي سامي النشار.

الناشر: دار المعارف ـ القاهرة.

* **صورٌ من حياة التابعين**

المؤلف: الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا.

الناشر: دار الأدب الإسلامي ـ القاهرة.

* **أبو حنيفة**

المؤلف: الشيخ محمد أبو زهرة.

الناشر: دار الفكر العربي ـ مصر.

* **الشافعي**

المؤلف: الشيخ محمد أبو زهرة.

الناشر: دار الفكر العربي ـ مصر.

* **ابن حنبل**

المؤلف: الشيخ محمد أبو زهرة.

الناشر: دار الفكر العربي ـ مصر.

* **مالك بن أنس إمام دار الهجرة**

المؤلف: الشيخ عبد الغني الدقر.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* صلاح الدين الأيوبي

المؤلف :

الناشر : دار القلم ـ دمشق .

* حسن البنا الداعية الإمام والمجدّد الشهيد

المؤلف : الأستاذ أنور الجندي .

الناشر : دار القلم ـ بيروت .

* رائد الفكر الإسلامي المعاصر

الشهيد سيد قطب : حياته ـ ومدرسته ـ وآثاره .

المؤلف : الأستاذ يوسف العظم .

الناشر : دار القلم ـ دمشق .

* الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله

المؤلف : العلامة أبو الحسن الندوي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته

المؤلف : الأستاذ أسعد جيلاني .

الناشر : شركة الفيصل ، لاهور .

* أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكّر الداعية الأديب

(الطبعة الثالثة وهي الموسّعة والمعدَّلة) .

المؤلف : سيد عبد الماجد الغوري .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* من أعلام المسلمين ومشاهيرهم

المؤلف : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

جمع وإعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**

المؤلف: الدكتور رجب البيومي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **الطريق إلى الإسلام**

المؤلف: الأستاذ محمد أسد.

الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت.

* * *

في الحضارة

* **الإسلام: أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية**

المؤلِّف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **من روائع حضارتنا.**

المؤلِّف: الدكتور مصطفى السباعي.

الناشر: دار الوراق ـ الرياض، والمكتب الإسلامي ـ بيروت.

* **أثر العلماء المسلمين في الحضارة الغربية**

المؤلف: الأستاذ أحمد علي المُلا.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

* **الإسلام والوعي الحضاري**

المؤلف: الدكتور ضياء العمري.

الناشر: دار المنارة ـ جدَّة.

* **مقدِّمات في فهم الحضارة**

المؤلف: الأستاذ محمد علي الضناوي.

الناشر: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ـ الكويت.

* **نحن والحضارة الغربية**

المؤلف: الشيخ أبو الأعلى المودودي.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **الحضارة الإسلامية: أُسَسها ومبادئها**

المؤلف: الشيخ أبو الأعلى المودودي.

الناشر:

* **أُسَس الحضارة الإسلامية ووسائلها**

المؤلف: الشيخ عبد الرحمن حبنكة.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* * *

في التاريخ

*** تاريخ الإسلام**

المؤلف: الدكتور حسن إبراهيم حسن.

الناشر: دار الجيل ـ بيروت.

*** فجر الإسلام ـ وضحى الإسلام وظهر الإسلام**

المؤلف: الأستاذ أحمد أمين.

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

*** تاريخ الدولة العلية العثمانية**

المؤلف: الأستاذ محمد فريد بك المحامي.

الناشر: دار النفائس ـ بيروت.

*** الحركة الصليبية**

المؤلف: الأستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور.

الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة.

*** الطريق إلى دمشق «فتح بلاد الشام»**

المؤلف: الأستاذ أحمد عادل كمال.

الناشر: دار النفائس ـ بيروت.

*** الطريق إلى المدائن**

المؤلف: الأستاذ أحمد عادل كمال.

الناشر: دار النفائس ـ بيروت.

* **المسلمون في الاتحاد السوفياتي عبر التاريخ**

المؤلف: الأستاذ محمد علي البار.

الناشر: دار الشروق ـ جدَّة.

* **قصصٌ من التاريخ**

المؤلف: العلامة علي الطنطاوي.

الناشر: دار المنار ـ جدَّة.

* **مواقفُ حاسمةٌ في تاريخ الإسلام**

المؤلف: الأستاذ محمد عبد الله عنان.

الناشر: مؤسسة الخانجي ـ القاهرة.

* **هكذا ظهر جيلُ صلاح الدين وهكذا عادت القدس**

الؤلف: الأستاذ ماجد عرسان الكيلاني.

الناشر: الدار السعودية ـ جدَّة.

* **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**

المؤلف: الدكتور عمر فروخ.

الناشر.

* **الدولة الأموية**

المؤلف: الأستاذ خضري بك.

الناشر: دار المعرفة ـ بيروت وآخرون.

* **الدولة العثمانية**

المؤلف: الأستاذ خضري بك.

الناشر: دار المعرفة ـ بيروت وآخرون.

* * *

في حاضر العالم الإسلامي
وواقعه المعاصر

* **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

عُني به: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **رحلات العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي: مشاهداته ـ محاضراته ـ لقاءاته ـ انطباعاته**

إعداد وتعليق: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **مذَّكرات سائح في الشرق العربي**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

عُني بها: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* **المسلمون في الهند**

المؤلف: العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

*** واقعُنا المعاصر**

المؤلف : الأستاذ محمد قطب .

الناشر : مؤسسة المدينة ـ جدّة .

*** الإسلام في الشرق الأقصى**

المؤلف : الأستاذ قيصر أديب .

الناشر : الدار العربية ـ بيروت .

*** شروط النهضة**

المؤلف : الأستاذ مالك بن نبي .

الناشر : دار الفكر ـ دمشق .

*** حاضر العالم الإسلامي (تعليقات الأمير شكيب أرسلان)**

المؤلف : لوثروب .

المترجم : شكيب أرسلان .

الناشر : دار الفكر ـ دمشق .

*** الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة وآلامها وآمالها**

المؤلف : عدد من المشاركين في المؤتمر .

الناشر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض .

*** البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر**

المؤلف : الأستاذ محمد محمود محمد شاكر ـ حسن عبد القادر صالح ـ محمد السيِّد غلاب .

الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض .

*** الغارة على العالم الإسلامي**

المؤلف : أ ـ ل . شاتيله .

المترجم: الأستاذ محب الدين الخطيب.

الناشر: المطبعة السلفية ـ القاهرة.

* **قسمات العالم الإسلامي المعاصر**

المؤلف: الأستاذ مصطفى مؤمن.

الناشر: دار الفتح ـ بيروت.

* **المسلمون في أوربا وأمريكا**

المؤلف: الأستاذ علي المنتصر.

الناشر: دار إدريس للتأليف والترجمة والنشر.

* **حاضر العالم الإسلامي**

المؤلف: الدكتور مجيب المصري.

الناشر: أمِّ القرى ـ عمان (الأردن).

* * *

في المـرأة

*** مكانة المرأة في الإسلام (بحوث)**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

إعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

*** المرأة بين الفقه والقانون**

المؤلف: الدكتور مصطفى السباعي.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

*** المرأة المسلمة**

المؤلف: الشيخ وهبي سليمان غاوجي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

*** الحِجاب**

المؤلف: الشيخ أبو الأعلى المودودي.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق والناشرون الآخرون.

*** الإسلام والمرأة المعاصرة**

المؤلف: الأستاذ البهي الخولي.

الناشر: دار القلم ـ الكويت.

*** حقوق المرأة في الإسلام**

المؤلف: الأستاذ محمد بن عرفة.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

*** أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة**

المؤلِّف: الأستاذ حُسين محمد يوسف.

الناشر: دار الاعتصام ـ القاهرة.

*** همسة في أذن حواء**

المؤلف: الأستاذ إبراهيم عاصي.

الناشر: دار القلم ـ بيروت.

*** إلى كلِّ فتاة تُؤمن بالله**

المؤلف: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

الناشر: دار الفارابي ـ دمشق.

*** حسن الأسوة بما جاء عن رسول الله ﷺ في النِّسوة**

المؤلف: الشيخ صديق حسن خان القَنُّوجي.

المحقق: الدكتور مصطفى سعيد الخن والأستاذ محي الدين مستو.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* * *

في مقارنة الأديان

*** أديان الهند الكبرى**

المؤلف: الأستاذ أحمد شلبي.

الناشر: مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

*** الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**

الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض.

*** إظهار الحق**

المؤلف: الشيخ رحمة الله خليل الهندي.

المحقق: الأستاذ محمد كمال فراج.

الناشر: مؤسسة الأهرام ـ القاهرة.

*** ما هي النصرانية ؟**

المؤلف: الشيخ محمد تقي العثماني.

الناشر: إدارة علوم القرآن ـ كراتشي (باكستان).

*** محاضراتٌ في النصرانية**

المؤلف: الشيخ محمد أبو زهرة.

الناشر: مطبعة المدني ـ القاهرة.

*** موسوعة الأديان والمذاهب**

المؤلف: الدكتور أسعد السحمراني.

الناشر: دار النفائس ـ بيروت.

* **محمد نبيُّ الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن**

المؤلف: الأستاذ محمد عزت إسماعيل الطهطاوي.

الناشر: مطبعة التقدُّم ـ القاهرة.

* **دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة**

المؤلف: موريس بوكاي.

الناشر: دار المعارف ـ القاهرة.

* * *

في الحركات والمذاهب

*** الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**

المؤلف: الأستاذ عبد الله التل.

الناشر: دار الإرشاد ـ بيروت.

*** الخطر اليهودي «بروتوكولات حكماء صهيون»**

المؤلف: الأستاذ محمد خليفة التونسي.

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

*** خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**

المؤلف: الأستاذ عبد الله التل.

الناشر: دار القلم ـ القاهرة.

*** الفكر اليهودي: تياراته ومنابه**

المؤلف: الأستاذ حسن ظاظا.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

*** أبحاثٌ في الفكر اليهودي**

المؤلف: الأستاذ حسن ظاظا.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

*** حكاية يهودية عبر التاريخ**

المؤلف: الشيخ عبد الرحمن حبنكة.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

*** العرب واليهود في التاريخ**

المؤلف : الأستاذ أحمد سوسة .

الناشر : العربي للإعلان والنشر والطباعة .

*** أبو ذر الغفاري والشيوعية**

المؤلف : الشيخ عبد الحليم محمود .

الناشر : دار المعارف ـ القاهرة .

*** أسرار الماسونية**

المؤلف : الأستاذ جواد رفعت .

الناشر : مكتبة المختار الإسلامي ـ القاهرة .

*** «تنصير المسلمين» بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري**

المؤلف : الأستاذ عبد الرزاق ديار بكرلي .

الناشر : دار النفائس ـ الرياض .

*** جذور البلاء**

المؤلف : الأستاذ عبد الله التل .

الناشر : دار الإرشاد ـ بيروت .

*** الحركات الباطنية في العالم الإسلامي وعقائدها وحكم الإسلام فيها**

المؤلف : الأستاذ محمد أحمد الخطيب .

الناشر : مكتبة الأقصى ـ عمان الأردن .

*** حركات ومذاهب في ميزان الإسلام**

المؤلف : الأستاذ فتحي يكن .

الناشر : المؤلف نفسه .

*** المخطَّطات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي**

المؤلف : الأستاذ أنور الجندي .

الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة .

*** حقيقة البابية والبهائية**

المؤلف : الأستاذ محسن عبد الحميد .

الناشر : المكتب الإسلامي ـ دمشق .

*** السنة والشيعة**

المؤلف : الأستاذ إحسان إلهي ظهير .

الناشر : دار عمان ـ عمان ، ودار طيبة الرياض .

*** القاديانية**

المؤلف : الأستاذ إحسان إلهي ظهير .

الناشر : إدارة ترجمان القرآن ـ لاهور (باكستان) .

*** حكومة العالم الخفية**

المؤلف : شيريب بيريدوفيتش .

المترجم : الأستاذ مأمون سعيد .

الناشر : دار النفائس ـ بيروت .

*** الماسونية في العراء**

المؤلف : الأستاذ محمد علي الزعبي .

الناشر : مؤسسة الزعبي للتأليف ـ لبنان .

*** القادياني والقاديانية : دراسات وتحليل ، وعرض علمي**

مجموعة من المقالات لـ : العلامة أبي الحسن الندوي ، والشيخ أبي الأعلى المودودي ، والأستاذ إحسان إلهي ظهير .

إعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

*** القاديانية: ثورة شنيعة وخطر كبير على النبوَّة المحمدية**

إعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار الفارابي ـ دمشق.

*** مذاهب فكرية معاصرة**

المؤلف: الأستاذ محمد قطب.

الناشر: دار الشروق ـ جدَّة.

*** البريلوية: عقائد وتاريخ**

المؤلف: الأستاذ إحسان إلٰهي ظهير.

الناشر: إدارة ترجمان القرآن ـ لاهور (باكستان).

* * *

في الدراسات الأدبية واللغوية والنقدية

* **التصوير الفنِّي في القرآن**

المؤلف: الأستاذ سيد قطب.

الناشر: دار الشروق ـ جدَّة.

* **مشاهدُ القيامة في القرآن**

المؤلف: الأستاذ سيد قطب.

الناشر: دار الشروق ـ جدَّة.

* **في النقد الإسلامي المعاصر**

المؤلف: الأستاذ عماد الدين خليل.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **منهج الفني الإسلامي**

المؤلف: الأستاذ محمد قطب.

الناشر: دار الشروق ـ بيروت.

* **نظراتٌ تحليلية في القصة القرآنية**

المؤلّف: الشيخ محمد المجذوب.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **نظراتٌ في الأدب**

المؤلف: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **مذاهب الأدب الغربي: رؤية إسلامية**
المؤلف: الأستاذ عبد الباسط بدر.
الناشر: لجنة مكتب البيت ـ الكويت.

* **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**
المؤلف: نفوسة زكريا سعيد.
الناشر: دار الناشر الجامعي ـ الإسكندرية.

* **عثرات: «المنجد في الأدب والعلوم والأعلام»**
المؤلف: الأستاذ إبراهيم القطان.
الناشر: دار القرآن الكريم ـ بيروت.

* **فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصِر**
المؤلف: الأستاذ عماد الدين خليل.
الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة**
المؤلف: الأستاذ محمد العدناني.
الناشر: مكتبة لبنان ـ بيروت.

* **ملخص قواعد اللغة العربية**
المؤلف: فؤاد نعمة.
الناشر: دار العمرجي ـ القاهرة.

* **المعجم الوسيط**
المؤلف: لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

*** شعراء الرسول**

المؤلف : الدكتور سعيد الأعظمي الندوي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

*** روائع إقبال**

المؤلف : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

*** إقبال : الشاعر الثائر**

المؤلف : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** طه حسين : حياته وفكره في ميزان الإسلام**

المؤلف : الأستاذ أنور الجندي .

الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة .

*** أيَّامٌ مع طه حُسين**

المؤلف : الدكتور محمد الدَّسوقي .

الناشر : دار القلم ـ دمشق .

*** وحي القلم**

المؤلف : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ودار ابن كثير ـ دمشق .

*** نظرات**

المؤلف : مصطفى المنفلوطي .

الناشر : مكتبة ابن القيم ـ دمشق وآخرون .

* * *

في الشعر

* الشَّوقيات

للشاعر: أحمد شوقي.

الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

* ديوان محمد إقبال

إعداد: سيد عبد الماجد الغوري.

الناشر: دار ابن كثير ـ دمشق.

* مع الله

للشاعر: الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري.

الناشر: دار الفتح ـ بيروت.

* في رِحاب الأقصى

للشاعر: الأستاذ يوسف العظم.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

فتى الإسلام

للشاعر: الأستاذ مصطفى عكرمة.

الناشر: دار الفكر ـ دمشق.

* المسلمون قادمون

للشاعر: الشيخ يوسف القرضاوي.

الناشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة.

* **أغاني الغرباء**

للشاعر: الأستاذ نجيب الكيلاني.

الناشر: الشاعر نفسه.

* **الأعمال الشعرية الكاملة**

للشاعر: الأستاذ محمد منلا غزيل.

الناشر: دار السلام ـ بيروت.

* **أغاني المعركة**

للشاعر: الأستاذ وليد الأعظمي.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

* **أناشيد البراعم المؤمنة**

للشاعر: الأستاذ محمود أبو الوفاء.

الناشر: مكتبة الأقصى ـ عمان.

* **أناشيد وأغاريد للطفل المسلم**

للشاعر: الأستاذ يوسف العظم.

الناشر: المكتب الإسلامي ـ بيروت.

* **الزوابع**

للشاعر: الأستاذ وليد الأعظمي.

الناشر: دار البشير ـ عمان.

* **ديوان مجد الإسلام**

للشاعر: أحمد محرم.

الناشر: دار العروبة ـ القاهرة.

* **شُعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث**

المؤلف: الأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدع ، والأستاذ حسني أدهم جرَّار.

الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

* **عصر الشهداء**

للشاعر: الأستاذ نجيب الكيلاني.

الناشر: الشاعر نفسه.

* **عودة الغائب**

للشاعر: الأستاذ محمد الحسناوي.

الناشر: الدار العلمية ـ بيروت.

* **ملحمة النور**

للشاعر: الأستاذ محمد الحسناوي.

الناشر: دار القلم ـ دمشق.

* **واحةٌ في التيه**

للشاعر: الأستاذ عبد الله عيسى السلامة.

الناشر: دار الأصيل ـ حلب.

* **من الشعر الإسلامي الحديث**

الناشر: رابطة الأدب الإسلامي ، دار البشير ـ عمان.

* **حلف الفجر**

للشاعر: الأستاذ سيد قطب.

* **الشاطىء المجهول**

للشاعر: الأستاذ سيد قطب.

* **إلى متى؟**

للشاعر: الأستاذ عبد الرحمن العشماوي.

* **صراع مع النفس**

للشاعر: الأستاذ عبد الرحمن العشماوي.

* **أوزان وأشجان**

للشاعر: عبد الله بن حمد الشبانة.

الناشر: دار عالم الكُتب ـ الرياض.

* * *

في القصة

* **أنبياء الله ـ للأطفال**

الكاتب : الأستاذ أحمد بهجت .

الناشر : مكتبة المختار الإسلامي ـ القاهرة .

* **قصص النَّبيين ـ للأطفال**

الكاتب : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

* **من النجوم إلى الأرض**

الكاتب : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* **إذا هبَّت ريحُ الإيمان**

الكاتب : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* **قصصٌ من التاريخ الإسلامي للأطفال**

الكاتب : العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي .

الناشر : دار ابن كثير ـ دمشق .

* **دماء وأشلاء**

الكاتب : الشيخ محمد المجذوب .

الناشر : دار النفائس ـ بيروت .

* **قصّتان من الماضي**

الكاتب : الشيخ محمد المجذوب .

الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة .

* **قصصٌ من التاريخ**

الكاتب : العلامة علي الطنطاوي .

الناشر : دار المنارة ـ جدّة .

* **الثائر الأحمر**

الكاتب : الأستاذ علي أحمد باكثير .

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة .

* **وا إسلاماه!**

الكاتب : الأستاذ علي أحمد باكثير .

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة .

* **اليوم الموعود**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

* **نور الله**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

* **قاتل حمزة**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** ليل الخطايا**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** الطريق الطويل**

الكاتب الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** أرض الأنبياء**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** ليالي تركستان**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** عمالقة الشمال**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** عَذراء جاكرتا**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : دار النفائس ـ بيروت .

*** دم لفطيرة صهيون**

الكاتب : الأستاذ نجيب الكيلاني .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** حادثة في شارع الحرية**

الكاتب : الأستاذ إبراهيم العاصي .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** سبعة يظلُّهم الله**

الكاتب : الأستاذ محمد موفق سليمة .

الناشر : دار الهدى ـ الرياض .

*** قصص من الكتب المقدسة**

الكاتب : الأستاذ عبد الحميد جودة السحار .

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة .

*** همزات الشياطين**

الكاتب : الأستاذ عبد الحميد جودة السحار .

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة .

*** أرض البطولات**

الكاتب : الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

الناشر : دار الأدب الإسلامي ـ القاهرة .

*   *   *

في المسرحية

*** مِن أجل الإسلام**

الكاتب : الشيخ محمد المجذوب .

الناشر : الدار العلمية ـ بيروت .

*** الآيات الثلاث**

الكاتب : الشيخ محمد المجذوب .

الناشر : مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

*** إله إسرائيل**

الكاتب : الأستاذ علي أحمد باكثير .

الناشر : دار القلم ـ القاهرة .

*** دار ابن لقمان**

الكاتب : الأستاذ علي أحمد باكثير .

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة .

*** السلسلة والغفران**

الكاتب : الأستاذ علي أحمد باكثير .

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة .

*** ملحمةُ عمر**

الكاتب : الأستاذ علي أحمد باكثير .

الناشر : دار البيان ـ الكويت .

* **مِن فوق سبع سماوات**

الكاتب : الأستاذ علي أحمد باكثير .

الناشر : دار المعارف ـ القاهرة .

* **محمَّد ﷺ**

الكاتب : الأستاذ توفيق الحكيم .

الناشر : مكتبة الآداب ـ القاهرة .

* **عالم وطاغية**

الكاتب : الشيخ يوسف القرضاوي .

الناشر : دار الإرشاد ـ بيروت .

* **المأسورون**

الكاتب : الأستاذ عماد الدين خليل .

الناشر : دار الإرشاد ـ بيروت .

* **الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز**

الكاتب : الشيخ أحمد الشرباصي .

الناشر : دار الإرشاد ـ بيروت .

* * *

فهرس محتويات الكتاب

* * *



